

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR



32101 041716711

VAR. 3506,
(Vol. 2)

al - Mutanabbi, Abū al - Tāyib

شَرْح

ديوان المتنبي

Sharḥ diwān al - Mutanabbi

وَضَعَهُ

عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدَّامَتْ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالذِّقَّةِ وَالنَّبْسُطِ وَالِاسْتِيعَابِ ، بِحَيْثُ تَلَاَقَتْ
فِي هَذَا الشَّرْحِ جَمِيعُ شُرُوحِ المُنْتَبِي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنَّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مَعْنِيًا عَنِ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة

يُطَلَبُ مِنَ المَكْتَبَةِ التَّجَارِيَةِ الكُبْرَى بِأَوَّلِ شَارِعِ مُحَمَّدِ عَلِي بِبَصْرَةَ
لِصَاحِبِهَا : مِصْطَفَى مُحَمَّد

مطبعة السعدية

ميدان احمد ماهاراشا (المخلف سابقا)
شايخ المهدوي ت ٧٤٧٩ ص ٨٧٨

وقال يمدح سيف الدولة ويهنئه بعيد الأضحى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ،
أنشده إياها في ميدانه بحلب وهما على فرسيهما :

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا

وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي العِدَا^(١)

وَأَنْ يُكْذِبَ الإِرْجَافَ عَنْهُ بَضْدهِ وَيُمْسِي بِمَا تَنَوَى أَعَادِيهِ أَسْعَدَا^(٢)

وَرُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسِهِ وَهَادٍ إِلَيْهِ الجَيْشِ أَهْدَى وَمَاهَدَى^(٣)

وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللهُ سَاعَةَ رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَّهَدَا^(٤)

(١) يقول : كل امرئ يعمل بعبادته ، وما تعوده وتربى عليه ، لا يتكلفه ، وعادة هذا المدوح أن يغزو أعداءه ويقتلهم ويطعنهم برمح . جعله سيفا ووصفه بالطعن ، فكأنه جعله سيفا ورمحا .

(٢) وأن يكذب : عطف على الطعن - في البيت السابق - ويمسى : عطف على يكذب ، وسكن الياء ضرورة . والإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس . يقول : وعادته أن يكذب إرجاف عادته عنه بصد إرجافهم ؛ فهم يرجفون بقصوره وفشله وهو يكذبهم بوفوره وفلجه ، وهم ينوون معارضته فيتحرشون به فيكون ذلك سبب ظفره بهم ، إذ يمتلك رقابهم وأموالهم فيصير أسعد مما كان . ويروى بدل «تنوى» تحوى : أى أنه أملك لما في أيديهم منهم ، لأنه متى أراد احتواه .

(٣) ضره : مصدر ، وهو مفعول مرید . يقول : ورب عدو أراد أن يضره فضر نفسه بتحرشه به ، وقاد إليه الجيش بنية الإيقاع به ، فكان الجيش غنيمة له ، فكأنه أهدي إليه هدية وضل بذلك عن القصد . فقوله أهدي : من الهدية ، وما هدى : من الهداية . وعبارة العكبري : رب قاصد أن يضره فعاد الضرر عليه ، ورب هاد : أى قائد إليه الجيش ليهديه الطريق فأضله بقصده له ، فصار مهديا إليه - من الهدية - لأنه يغم الجيش فيكون غنيمة له ، فيكون الهادي مضلا ومهديا إليه ليغنمه .

(٤) يقول : ورب كافر متكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف في يده فأمن وأتى بكلمة الشهادة : إما خوفا منه ، وإما ظنا بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه

وكمال وصفه .



2272

.695

.1938

v.2

هُوَ الْبَحْرُ غُصْنٌ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِنًا عَلَى الدَّرِّ وَأُحْذَرُهُ إِذَا كَانَ مُزِيدًا (١)
 فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَعْثُرُ بِالْفَتَى وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّدًا (٢)
 تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ تَفَارِقُهُ هَلَكِي وَتَلْقَاهُ سُجَّدًا (٣)
 وَتُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا يُحْيِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا (٤)

(١) يقول : إنه نفاع ضرار ، فمن جاءه مسالماً ظفر بإحسانه ، ومن جاء مغاضباً عرض نفسه للتهلكة ، مثله في ذلك مثل البحر : إذا سكن البحر أمكن ركوبه والغوص على ما فيه من الجواهر ، وإن جاش وقذف بالزبد وجب الحذر منه . وعبارة الخطيب التيريزي : لا تأتاه وهو غضبان .

(٢) يقال عثر الدهر بفلان : نكبه . يقول : إن البحر يعثر براكبه - أي يهلكه - عن غير قصد وعمد ، أما الممدوح فإنه يهلك أعداءه متعمداً . وهذا المعنى قريب من قوله في إحدى قوافيه السابقة :

وَيُحْشَى عِبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بَمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا
 وقال ابن جنى : المعنى : ليس إغناء البحر من يغنيه عن قصد ، وهذا يغني من يغنيه عن تعمد . قال : ويعثر : قد يأتي في الخير والشر ، فرد عليه الواحدى : وقال فيه خطأ من وجهين ، لأن العرب لا تقول عثر الدهر بفلان إلا إذا أصابه بنكبة . ومعنى يعثر بالفتى : يهلكه من غير قصد ، لأن العثر بالشيء لا يكون عن قصد ، فهو يقول : البحر يغرق عن غير قصد ، وهذا يهلك أعداءه عن قصد وتعمد . وليس يمكن أن تحمل عشرة البحر بالفتى على إغناؤه .

(٣) يقول : من تمرّد عليه وفارقه من الملوك هلك ، ومن ساله منهم خضع له وسجد ، لأنه سيدهم .

(٤) الصوارم : السيوف ؛ والقنا : الرماح ؛ والجدا - مقصوراً - العطاء . يقول : إنه يأخذ بشجاعته وإقدامه وطعنه وضربه مال الأعداء ثم يفنيه بالعطاء عند التبسم والنشاط إذا جاءه العفاة ، وهذا كما قال أبو تمام :

إِذَا مَا أَعَارُوا فَاحْتَرُوا مَالَ مَعْشَرٍ
 أَغَارَتْ عَلَيْهِ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ

ذَكَى تَطْنِيَهُ طَلِيْعَةً عَيْنِهِ
وَصَوْلُهُ إِلَى الْمُسْتَضْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ
لِذَلِكَ سَمِيَ ابْنُ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ
سَرِيَتَ إِلَى جِيحَانَ مِنْ أَرْضِ آمَدٍ
يَرَى قَلْبَهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَاً (١)
فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَا وُرْدَاً (٢)
مَمَاتًا وَسَمَاهُ الدُّمُسْتَقُ مَوْلِدَاً (٣)
ثَلَاثًا لَقَدْ أَدْنَاكَ رَكْضَهُ وَأَبْعَدَاً (٤)

(١) التظني : أصله التظنن ، قبلت النون الثانية بياء ، ومعناه الظن ، وطلبيعة الجيش
الربيئة تتقدم أمامه تستطلع طلع العدو ؛ والضمير - في قوله ماترى غدا - للعين .
يقول : إنه من الذكاء والنفاز وثقوب البصيرة بحيث يرى ظنه الشيء قبل أن تراه عينه ،
كالطلبيعة تتقدم أمام الجيش ؛ ثم أوضح فقال : يرى قلبه في يومه بظنه ماتراه عينه غدا .
وهذا من قول أوس بن حجر :

الأمعيُّ الذي يظنُّ بك الظنَّ كأن قد رأى وقد سمعاً

وعبارة ابن جنى : هو لصحة ذكائه وصحة ظنه إذا ظن شيئاً رآه بعينه لا محالة
(٢) يقول : إنه يصل بخيله إلى الغايات البعيدة التي يتعذر الوصول إليها حتى لو كان
قرن الشمس - وهو أول ما يبدو منها عند طلوعها - ماء لبلغه وأورده خيله ، شجاعة
وإقداما . وهذا مبالغة .

(٣) لذلك : أى لأجل ماقلته في البيت السابق ، ويومه : أى اليوم الذى أسر
فيه ، والضمير في سماه : إلى اليوم . يقول : لكون سيف الدولة على ماوصفت من
الشجاعة والإقدام وما إليهما لم يثن حتى أدرك الدمستق وابنه ، ففر الدمستق جريحا
وأخذ ابنه أسيرا ، ومن ثم سمي الابن ذلك اليوم مماتاً ، لأنه وقد أسر يئس فيه من
الحياة ، وسمى أبوه هذا اليوم مولداً لأنه نجح فيه من أطفار المنية فصار كيوم ولدته أمه .
والحاصل أن ذلك اليوم كان مماتاً للابن حياة للأب .

(٤) جيحان : نهر ببلاد الروم : وآمد : بلد بالشعور . يقول : بلغت جيحان من
آمد في ثلاث ليال - وهى مسافة بعيدة لا تقطع فى مثل هذه المدة - وبذلك أدناك
الركض من جيحان - على بعده من محل قيامك - وأبعدك عن آمد - على قرب عهدك
بمغادرتها - وعبارة ابن جنى : أدناك سيرك إلى النهر وأبعدك من آمد ، قال
الواحدى ناقدا : وهذا - أى كلام ابن جنى - لا يفيد معنى ، لأن كل من سار ، هذا
وصفه ، ولكنه يريد : وصلت إلى جيحان بسيرك ثلاثاً من أرض آمد ، وهذه مسافة

فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجِيُوشَهُ
عَرَضَتْ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ
وَمَا طَلَبْتَ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ غَيْرَهُ
فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةً
وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكُرَّ وَجْهَهُ
جَمِيعًا وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيَحْمَدَا (١)
وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللَّهِ مِنْكَ مُجْرَدًا (٢)
وَلَكِنْ قُسْطَنْطِينُ كَانَ لَهُ الْفِدَا (٣)
وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدَّلَاصَ الْمُسْرَدَا (٤)
وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشَى أَشْقَرَ أَجْرَدَا (٥)
جَرِيحًا وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا (٦)

لا يقطعها أحد يسير في ثلاثة أيام ، ويفهم من هذا أنك وصلت إلى هذا النهر من آمد في ثلاث ليال على ما بينهما من البعد .

(١) يقول : فانهزم الدهستق وترك ابنه وجيوشه أسرى في يدك ؛ ولم يك ذلك إعطاء منه يبتغى أن تحمده عليه لأنه إنما تركهم قهرا وعجزا .

(٢) عرضت : ظهرت واعترضت ؛ والطرف العين . وقوله : منك تجريد يقول : لما راك كنت قيد عينه لعظمتك في نفسه فشغلته بتوقيع بطشك فلم ير حوله سواك وحلت بذلك بينه وبين الحياة فصار في حكم الميت في تحاذل الحواس ، لأنه أيقن هلاكه ورأى منك سيف الله مشهورا مجردا عليه .

(٣) الأسنة : نصال الرماح ؛ وقسطنطين : هو ابن الدهستق . يقول : إن الرماح لم تكن لتطلب غير الدهستق ، ولكن ابنه كان فداء له ، لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه ، فانهز الدهستق ذلك ونجا بنفسه .

(٤) المسوح : ثياب تنسج من الشعر . ويحتابها : يقطعها ويدخل فيها ؛ والدلاص : الدرع البراقة الصافية ؛ والمسرد : المنظوم المنسوج بعضه في بعض ، يقول : إنه ترك الحرب خوفا منك وترهب ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدروع .

(٥) العكاز : عصا في طرفها زج ، يقول : وصار يمشى في دير الرهبان على العكاز تائبا من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشى الخيل السراع - لأن الجواد الأشقر عند العرب أسرع الخيل - بعد أن يئس ونال منه الهم . والأجرد : القصير الشعر .

(٦) غادر : ترك ؛ والكر ، عطف القرن على قرنه في الحرب ؛ والنقع : غبار الحوافر ؛ يقول : إنه لم يترك الحرب إلا بعد أن ترك كره الفرسان - في الطعن والضرب -

فَلَوْ كَانَ يُنَجِّي مِنْ عَلِيٍّ تَرَهَّبُ تَرَهَّبَتِ الْأَمْلَاكُ مَثْنَى وَمَوْحِدًا (١)
وَكُلُّ أَمْرِيءٍ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ بَعْدَهَا
يُعِيدُ لَهُ ثَوْبًا مِنَ الشَّعْرِ أَسْوَدًا (٢)
هَيْنًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ وَعِيدُ لِمَنْ سَمِيَ وَضَحَى وَعِيدًا (٣)

وجهه جريحا ، وبعد أن رمدت عينه ، من غبار الجيش ، يعني أنه اضطر إلى ذلك بكثرة ما أصابه من الجراحات والأدواء .

(١) الأملاك : الملوك : يقول : إن ترهبه هذا لا ينجيه من سيف الدولة ، ولو كان ذلك ينجيه لترهبت سائر الملوك اثنين اثنين وواحدا واحدا . « هذا » وقوله وموحداً - بفتح الحاء - هو أحد ما جاء من مفعل المعتل الفاء مفتوح العين .

(٢) بعدها : أي بعد فعلة المستق ؛ ويروى بعده ، فيكون الضمير له . يقول : لو كان ينجي من علي ترهب لكان كل امرئ من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحاً يترهب فيها فينجو منه .

(٣) سمي : أي ذكر اسم الله ، يعني عند ذبح الضحايا ، يقول : ليهنك العيد الذي أنت عيدة : أي تحل فيه محل العيد في القلوب - إذ أن العيد مما يتهيج به الناس ، فكذلك هذا العيد يتهيج بك ، كما قال :

جاء نَوْرُوزنا وَأنت مراده

ثم قال :

وَأنت عيد لمن سمي وضحى وعيد

أي أنت عيد لكل مسلم . هذا : وقد قال ابن جنى : ارتفع العيد بفعل محذوف ، وأصله: ثبت العيد هيناً لك ، فحذف الفعل وأقام الحال مقامه ، فرفعت العيد كما يرفعه الفعل . وهذا هو الصحيح ؛ وانتصب هيناً عند قوم ؛ على مذهب قولهم : ثبت لك هيناً - وقيل: بل هو اسم وضع موضع المصدر . كأنه قيل : هناك هيناً ، وربما وضعوا اسم الفاعل في هذا الموضع ، كما روى عن بعض نساء العرب وهي ترقص ابناً لها :

قُمْ قَائِمًا قُمْ قَائِمًا لَقَيْتَ عَبْدًا نَائِمًا
وَعُشْرَاءَ رَائِمًا وَأُمَّةَ مُرَاغِمًا

وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لِبَسِّكَ بَعْدَهُ تَسْلَمُ مَخْرُوقًا وَتُعْطَى مُجَدِّدًا (١)
فَذَا الْيَوْمَ فِي الْأَيَّامِ مِثْلَكَ فِي الْوَرَى
كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا (٢)

[ناقة رأم عاطفة على ولدها وبعد مراغم مضطرب على مواليه . تريد: قم قياما]
(١) اللبس : ما يلبس ، استعاره للأعياد ، فأجراها مجرى اللبوسات . يقول :
لا زلت تلبس الأعياد المتكررة عليك في الدهر ، فإذا مضى عيد أتاك عيد بعده جديد ،
فصار الماضي خلقا واقدام جديداً . هذا : والأعياد جمع عيد . قال الجوهري : إنما جمع
أعياد بالياء للزومها في الواحد . وقيل للفرق بين أعواد الحشب وبينه : وسمى العيد
عيداً لانه يعود كل سنة بفرح مجدد ، وعيد المسامون : شهدوا عيدهم ، والعيد : ما اعتادك
من هم أو شوق أو فرح ونحوه . قال الشاعر :

* والقلب يعتاده من حبها عيد *

وقال يزيد بن الحكم التقي يمدح سليمان بن عبد الملك :

أَمْسَى بِأَسْمَاءِ هَذَا الْقَلْبِ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحَّا يَعْتَادُهُ عِيدًا (١)
كَأَنْتَى يَوْمَ أَمْسَى مَا تُكَلِّمُنِي ذُو بُغْيَةٍ يَبْتَغِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانِ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لَنَا شَبَهَ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدَا
(٢) وبديع قول أبي تمام في هذا المعنى :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمِعُ

قال ابن جنى في شرحه هذا البيت - بيت التنبى - : في البيت نظر ، وهو أنه خص
العيد وحده - دون الأيام - بما ذكر من الشرف وكان ينبغي أن تكون أيامه كلها
كذلك لأن جميعها مشتمل عليه ثم قال : والجواب : أن العيد قد اجتمع فيه أمران :
أحدهما - وهو الأظهر - اشتماله على سيف الدولة والآخر كونه عيداً : فصار له مزية على
غيره مما ليس بعيد . قال العكبرى بعد أن أورد كلام ابن جنى . هذا : ويجوز أن يقال

(١) قوله يعتاده عيداً فعيداً في موضع الحال تقديره يعتاده السكر عائداً ، ففي قوله

يعتاده ضمير السكر دل عليه قوله صحا ، وقوله : شبه العينين والجيدا ، أراد وشبه الجيد

فخذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا (١)
فَيَأْجَبًا مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيْفُهُ أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتِي مَا تَقْلَدًا (٢)

إنما جعله في الشرف كيوم النحر لأنه من أشرف الأيام. وقال أهل التفسير في قوله تعالى « يوم الحج الأكبر » قيل هو يوم النحر ؛ ومنه الأثر : أن يهوديا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو علينا معشر اليهود نزلت : « اليوم أكملت لكم دينكم » لا تخذناه عيداً ، فقال عمر . إنى لأعلم أى يوم نزلت وفي أى ساعة نزلت . . . يوم النحر . . . وهو عندنا من أشرف الأيام . . . فلهذا خص المتنبي هذا اليوم بالشرف في الأيام كشرفه - أى المدوح - في الورى .

(١) هو : ضمير الشأن ؛ والجد : الحظ والبخت . يقول : إن الجد له فعله حتى في المتساويين ، مثل العين والعين واليوم واليوم : فترى العينين تتفاضلان فتصح إحداها وتسقم الأخرى ، مع أنهما تجمعهما بنية واحدة ؛ وترى اليوم يسود اليوم ، وكلاهما ضوء شمس . يعنى : أن يوم العيد كسائر الأيام في الصورة ، ولكن الجد مازه من سائر الايام فجعله يوم فرح وسرور ؛ وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا تَثْرَى كَمَا تَثْرَى الرِّجَالُ وَتُعْدِمُ
حِظَّ تَعَاوُرُهُ الْبِقَاعَ لَوَقْتَهُ وَادِّ بِهِ صِيفَهُ وَأَخْرُ مَفْعَمُ

[ثرا الرجل يثرى : فهو ثر ، وأثرى يثرى : فهو مثر]

(٢) الدائل : صاحب الدولة . أخرجه مخرج تامر ولابن ، يريد به الخليفة وشفرتا السيف . حده ، يقول : أما يخشى الخليفة - وقد تقلدك سيفاً له - أن تكون سيفاً عليه ، فلا يأمن جانبك ؟ ولا يخفى ما في هذا البيت وما بعده من التعريض الذى خفى سببه . وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت فروى دائل - بالدال المهملة - من الدولة ، ولا معنى للدولة فيه ، والصحيح بالدال المعجمة ، وهو الرجل التقليد سيفه المتبخر في مشيته . والدائل : السيف الطويل أيضاً ، وكذلك الفرس الطويل الذنب ؛ فإن كان قصيراً وذنبه طويل قيل ذبال الذنب . والدائل : الدرع الطويلة . قال النابغة :

وَكَلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٌ تُبْعِيَّةٌ وَنَسَجٌ سَلِيمٌ كُلُّ قِضَاءِ دَائِلٍ (١)

(١) الصموت : الدرع التى إذا صبت لم يسمع لها صوت ؛ والنثلة : الدرع السابعة

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ بَازًا لِيَصِيدَهُ تَصِيدَهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصِيدُ (١)

والذائل : الطويل من كل شيء .

(١) الضرغام : الأسد . يقول : من اتخذ الأسد بازا يصيد به أتى عليه الأسد فصاده وقد ضرب هذا مثالا للمعنى السابق . يعنى أنك فوق من تضاف إليه . وفي هذا المعنى يقول دعبل :

فَكَانَ كَالْكَلْبِ ضَرَّاهُ مُكَلِّبُهُ لِيَصِيدَهُ فَعَدَا يَصْطَادُ كِلَابَهُ

ومن هذا الباب البيت المشهور :

أَعْلَمَهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي (١)

هذا : وقوله تصيده الضرغام رواها ابن جنى : يصيره الضرغام . قال ابن جنى : قلت له - أى للمتنبى - جعلت من شرطا صريحا ، فهلا جعلتها بمنزلة الذى ولم تضمن الصلة معنى الشرط حتى لا تترك الضرورة ، كقوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » الآية . فقال : هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وأنا جئت بلفظ الشرط لأنه أبلغ وأردت الفاء - فى يصيره - ثم حذفها . . . والذى قاله جائز ، والوجه الذى قلت له أولى . وسيبويه يرى فى هذا التقديم والتأخير ، فتقديره على مذهبه : يصير الضرغام من يجعله بازا فيما تصيده ؛ واكتفى بهذا القول عن جواب الشرط ومثله :

يَا أَقْرَعُ بَنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِن يُصْرَعُ أَخْوَكُ تَصْرَعُ

والتقدير : أنك تصرع إن يصرع أخوك . انتهى كلام ابن جنى ؛ وقال العكبرى : وأما قول المتنبى : أردت الفاء ثم حذفها ، فجائز حسن قد جاء فى الكلام الفصيح ومنه الحديث : قال سعد بن مالك : مرضت عام الفتح فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو الواسعة ، وتبعية ، نسبة إلى تبع - أحد ملوك اليمن - وقوله ونسج سليم : يعنى سليمان ابن داود عليهما السلام ، والقضاء من الدروع : التى فرغ من عملها وأحكمت .

(٢) استد : استقام . قال الأصمعى : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء ؛ قال ابن برى : رأيت هذا البيت فى شعر عقيل بن علفة يقول فى ابنه عميس حين رماه بسهم وبعده :

فَلَا ظَفِرَتْ يَمِينُكَ حِينَ تَرْمِي وَشَلَّتْ مِنْكَ حَامِلَةَ الْبَنَانِ

رَأَيْتِكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ سُئِلَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمُهْنَدَا (١)
وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا (٢)
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ

وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا (٣)

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعِلَالِ

مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى (٤)

وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً كَمَا فَتَقْتَهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَمَحْنَدًا (٥)

فقلت يارسول الله : إن لي مالا وليس لي من يرثي إلا ابنة لي فأصدق بنصف مالي ؟
قال : لا ، فقلت : فالثلث ؟ قل : الثلث ، وانثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير
من أن تذرهم عائلة يتكفون الناس * التقدير : فهو خير ، خذف انفاء .

(١) المهند : السيف ، يقول : رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز
ولا تقصير ، ولو سُئِلَ لَجعلت القتل بالسيف مكان الحلم .

(٢) الحر : الكريم ، ضد اللئيم ؛ والكاف - من قوله كالعفو - اسم بمنزلة مثل
فاعل قتل ، ومن لك بالحر أى من تكفل لك به ونحوه ، واليد : النعمة ؛ ويحفظ :
يروى يعرف : أى يقدر العفو عنه . يقول : إن العفو عن الكرام قتل لهم ، فمن صفح
عن حر استرقه بهذا الصفح . فيدل له وينقاد ، كما قال بعضهم :

غَلَ يَدًا مُطْلَقَهَا وَاسْتَرَقَ رِقْبَةَ مُعْتَقِهَا

ثم قال : ومن يتكفل لك بالكريم الذى يحفظ النعمة ويراعى حقها ؟

(٣) هذا البيت تأكيد لما سبقه . يقول : إن الكريم يقدر الإكرام حتى قدره ،
فإذا أنت أكرمت الكريم صار كأنه مملوك لك ، أما اللئيم فإنك إذا أكرمته زاد عتوا
وجرأة عليك .

(٤) بالعلی : متعلق بمضر . يقول : ينبغي أن يعامل كل إنسان حسبا يستحق ، فمن
استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ، ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء ، ومن فعل
هذا أضر بعلاؤه وهدم أركان دولته .

(٥) المحتد : الأصل ؛ والنصوبات - فى البيت - تمييز . يقول : أنت أعرف

يَدِقُّ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ فَيْتْرِكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخِذُ مَا بَدَأُ (١)

بمواقع الإساءة والإحسان من كل إنسان ، لأنك فوق كل أحد في الرأي والحكمة ، كما أنك فوقهم بالحال — إذ كنت أميراً — وبالنفس — إذ كنت أعلاهم همة — وبالأصل — إذ كنت من أصل شريف .

(١) بدا : ظهر . يقول : إن ما تفعله أدق من أن تقف عليه الأفكار وتستوضحه فهى تتناول ما ظهر لها منه ، فتجول فيه ، وتترك ما خفى منه لرأيك ، لأنه لا تصل إليه ، وتقف دونه — يشير إلى تصرفاته مع الخليفة — وهذا المعنى هو الأظهر والأوجه والانسب بما تقدم هذا البيت من الآيات ؛ ولكن أئمة الشراح قد اعتسفوا ، وصرفوا النظر عن الآيات التي تقدمت ، ففسروا البيت كأنه قائم بنفسه ... قال بعضهم : إن ما تبتدعه من المكارم يدق على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها ، ويتركون ما خفى وقال آخرون : إن المقتدين بسيف الدولة في المكارم ، يأخذون ويتركون ما خفى . أقول : ولو أراد ذلك لما أتى بالأفكار ، ولقال : يدق على الكرام . وقال ابن جنى : هذا البيت مثل قول عمار الكلابي :

ما كلُّ قَوْلِي مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
قال ابن فورجه : عمار الكلابي محدث لحنة ، وقد أدرك زماننا ، وهو رجل بدوي
أمي لحانة ، وهذا البيت من أبيات أولها :

ماذا لقيتُ من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدئوا
إن قلتُ قافيةً بكرةً يكون لها معنى خلاف الذي قاسوه أو ذرَّعوا
قالوا لحنتَ وهذا ليس مُنتصباً وذلك خفضٌ وهذا ليس يرتفع
وحرَّضوا بين عبدِ الله من حمقٍ وبين زيدٍ فطالَ الضربُ والوجعُ
فقلتُ واحدةً فيها جوابهم وكثرةُ القولِ بالإيجازِ تنقطعُ
ما كلُّ قَوْلِي مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
حتى يصيرَ إلى القومِ الذين غدوا بما غذيتُ به والقولُ مجتمعُ
فيعرفوا منه معنى ما فوه به حتى كأتى وهم في لفظه شرعُ
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقهم وبين قومٍ على إعرابهم طبعوا

أَزَلْ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حَسَدًا (١)
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُعَمَّدًا (٢)
وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِيُّ حَمَلْتَهُ فزَيْنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدًا (٣)

و بين قومٍ رأوا شيئاً معاينة وبين قومٍ حكوا بعض الذي سمعوا
إني غديتُ بأرضٍ لا تشبُّ بها نارُ الجؤوسِ ولا تُبنى بها البيعُ
فقد نقله أبو الطيب إلى المدح ، وأقام دقة صنيعه في اقتناء المكارم مقام دقة معنى الشعر ، وأقول : وكل هذا بعيد عن غرض المتنبي كما قلت .

(١) الكبت : الإذلال . يقول : أنت الذي غمرتنى بنعمك حتى صرت محسدا ونجم لي حساد يحسدونني ويقصدونني بالسوء فأكفي شرهم بإذلالهم ورد كيدهم في محورهم ، وإعراضك عنهم ، ومعنى المصراع الثاني من قول أبي الجويرية العبدى :

فما زلتُ تُعْطِينِي وَمَالِي حاسد مِنْ النَّاسِ حَتَّى صِرْتُ أَرْجَى وَأَحْسَدُ
وقال بعده أبو نواس :

دَعْنِي أَكْثَرَ حاسِدِي بِرِحْلَةٍ إِلَى يَدِي فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ
وقال البحرى :

وَأَلْبَسْتَنِي النَّعْمَى الَّتِي غَيَّرَتْ أُخِي عَلَيَّ فَأَضْحَى نَارِحَ الْوُدِّ أَجْنِبَا

(٢) فيهم : متعلق برأيك ؛ والهام : الرؤس . يقول : إذا قوى ساعدي حسن رأيك فيهم بأن آنت منكم إعراضا عنهم ، كان ذلك خذلانا أى خذلان لهم ، فلو ضربتهم إذ ذاك بسيفٍ وهو في غمده لقطع وأصمى ، وروى بدل فيهم : في يدي ، وبدل بسيف . بنصل ، فيكون المعنى : أنك إذا كنت حسن الرأي في ، فما أبالي بالحساد ، والقليل من إنكارك عليهم يكفيني ؛ وهذا من قول أبي تمام :

يَسُوءُ الَّذِي يَسْطُو بِهِ وَهُوَ مُعَمَّدٌ وَيَفْضَحُ مِنْ يَسْطُو بِهِ غَيْرَ مَغْمَدٍ

(٣) السمهرى : الرمح . ومعروضا . أى محمولا بالعرض ، وذلك يكون حين لا يقصد به الطعن : ومسددا : موجهها إلى المطعون . يقول : أنا زين لك في السلم . أمدحك وأشيد بذكرك ، وشجى لا يترع في حلق أعدائك ، أذود عنك وأنافح بلساني وأكيد

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةٍ قَلَائِدِي
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا^(١)
فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُسْمَرًا وَغَنَى بِهِ مَنْ لَا يُغْنِي مُغْرَدًا^(٢)
أَجَزَنِي إِذَا أَنْشَدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَتَاكَ المَادِحُونَ مُرَدَّدًا^(٣)

أعداءك بقوارع لساني . فأنا لك كالرمح : إن حملته بالعرض كان زينا لك ، وإن حملته مسدداً راع أعداءك .

(١) جعل شعره في حسنه كالقلائد التي يتقلد بها ، يقول : إن الدهر من رواة شعري لأن الناس جميعا يروونه ويتناشدونه في كل وقت ، فكان الدهر كله إنسان ينشد شعري ، ويروى بدل قلائدي : قصائدي .

(٢) يقول : إن شعري ينشط الكسلان إذا سمعه ، فيسير على سماع شعري مجدداً مشيحاً ، وإذا سمعه من لا يغني استراح إليه وطرب وغنى به مغرداً ، والمراد أن شعره سار في الآفاق حتى لم يبق من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من رواة الشعر . والتغريد : رفع الصوت للتطريب . أو تقول : إن شعره لحسنه أولع الناس بحفظه وروايته ، فسيره في الآفاق من لا يريم مكانه ، وغنى به من لاعادة له بالغناء لشدة طربه به واهتزازه .

(٣) يقول : إذا أنشدك شاعراً فأجعل جائزته لي ، لأن الذي أنشدت إنما هو شعري أتاك به المادحون يرددونه عليك . يعني أنهم يسلخون معاني أشعاري فيك ، ويأخذون ألفاظي فيأتون بها إليك . كما قال بشار :

إِذَا أَنْشَدَ حَمَادٌ فَقُلْ أَحْسَنَ بَشَارٌ

وقال أبو هفان :

إِذَا أَنْشَدَ كَمِ شِعْرًا فَقُولُوا أَحْسَنَ النَّاسُ

وقال أبو تمام في غير هذا المعنى :

فَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ وَقَعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ سِوَى حَسَنِ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدِّدٌ

هذا : والجائزة العطية ، ويقال أصل الجوائز : أن قطن بن عبد عوف من بني هلال ابن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر ، فمر به الأحنف في جيشه غازياً إلى خراسان فوقف لهم على قنطرة . فقال أجزوهم ، فجعل ينسب الرجل ، فيعطيه على قدر حسبه . قال الشاعر :

وَدَعُ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَأَنْنِي
أَنَا الصَّائِحُ الْمَحْكِيُّ وَالْآخِرُ الصَّادِي (١)
تَرَكَتُ الشَّرِي خَلْبِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدًا (٢)
وَقَيْدَتُ نَفْسِي فِي ذِرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدًا (٣)
إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانَ أَيَّامَهُ الْغَنَى وَكُنْتَ عَلَى بُعْدٍ جَعَلْنَاكَ مَوْعِدًا (٤)

فِدَى لِلْأَكْرَمِينَ بَنِي هِلَالٍ عَلَى عِيَالَتِهِمْ أَهْلِي وَمَالِي
هُمْ سَسَنُوا الْجَوَائِزَ فِي مَعَدِّ فَصَارَتْ سُنَّةً أُخْرَى اللَّيَالِي

وقال بعض أهل اللغة: أصل ذلك أن أميراً واقف عدوا بينهما نهر، فقال: من حاز هذا النهر فله كذا، فكلما جاز منهم واحد أخذ جائزة، وقيل: إنما سميت جائزة لأنها تجوز لصاحبها؛ من قولك: هذا يجوز وهذا يمتنع.

(١) الصدى: الصوت الذي يحيك من الجبل وغيره، كأنه يحكي قولك وصياحك، وهذا مثل. يقول: لا تحفل بشعر غير شعري، فإن شعري هو الأصل، وغيرى كالصدي له.

(٢) السرى: سير الليل؛ والعسجد: الذهب. يقول: لقد أثريت بما توالى على من نعاءك، حتى لو شئت لا تأخذت لخلي نعال الذهب؛ ومن ثم تركت السير إليك لغيري من المعوزين المقترين، ليسيروا إليك كما سرت، ويحظوا كما حظيت.

(٣) في ذراك: في كنفك. يقول: إنما أقت عندك جبالك، لأنك قيدتني بإحسانك وهذا كما قال أبو تمام:

وَتَرَكِي سُرْعَةَ الصِّدْرِ اغْتِبَاطًا يَدُلُّ عَلَى مُوَاقِفَةِ الْوَرُودِ
وقال أيضاً:

هِمَمِي مُعَلَّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا مَغْلُولَةٌ - إِنْ الْوَفَاءَ إِسَارُهَا
(٤) يقول: إذا طلب الإنسان إلى أيامه أن تغنيه وكنت بعيداً عنه؛ وعدنه بالغنى لدى وصوله إليك، وعبرة الواحدي: الدهر يحيل عليك، فمن اقترح عليه الغنى يشير عليه بإتيانك، ومن هذا قول أبي تمام:

شَكَوْتُ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ حَالِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ

وقال بمصر وهو يريد سيف الدولة :

فَارْقَتُكُمْ فَإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ قَبْلَ الْفِرَاقِ أَدَى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ^(١)
إِذَا تَدَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشَّقِّ الَّذِي أَجِدُ^(٢)

(١ و ٢) ما — من قوله فإذا ما كان — اسم موصول بمعنى الذى ، مبتدأ وخبره :
يد — فى آخر البيت — وأذى : خبر كان . يقول : غادرتكم فإذا جفاؤكم الذى كنت
أحسبه أذى قبل الفراق قد صار نعمة بعده . وعبارة ابن جنى — ونقلها
الواحدى — : الأذى بعثنى على مفارقتكم ، فصار الأذى يداً لأنه كان سبباً
للفرقه . ثم قال المتنبي : إذا تذكرت الحال التى كانت بيننا فنشوقت إليكم ذكرت ذلك
الجفاء فأعان قلبى على الشوق فلا يغلبه شوق إليكم . هذا هو ما ذهب إليه ابن جنى
والواحدى ، ولكن الإمام العروضى قال : إن هذا غلط ، وإنما معنى البيت الأول :
ما كنت أحسبه عندكم أذى كان إحسانا إلى جنب ما ألقاه من غيركم ، وذلك كما
قال الآخر :

عَبْتُ عَلَى سَلْمٍ فَلَمَّا هَجَرْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلْمٍ
ثم قال : إذا تذكرت ما بينى وبينكم من صفاء المودة أعاننى ذلك على مقاومة
الشوق إذا علمت أنكم على العهد والوفاء بالمودة .

وقال في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب :

أَهْلًا بَدَارَ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنكَ خَرْدُهَا^(١)
ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا^(٢)

(١) سباه : أسره بحبه ؛ والأغيد : انناعم التثني لنا ؛ والمراد : الحبيبة . و ذكر على معنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهي البكر التي لم تمس ، أو الحبيبة . لما دعا للدار — التي سباه من كان بها — بأن تكون مأهولة قل : أبعد شيء فارقك جوارى هذه الدار الناعمت الأبيار ؛ فقوله : أهلا ، منصوب بضمير ؛ والتقدير : جعل الله أهلا بتلك الدار : أي جعلها عامرة بالأهل ، وهو في الحقيقة دعاء لها بالسقيا لأن عادة الشعراء إذا وقفوا على ديار أحبا بهم حيوها بالسلام وودعوا لها بالسقيا ورجوع الأهل ، كقول جرير : سقى الرملَ جَوْنٌ مُسْتَهْلٌ رَبَابُهُ وما ذاكَ إِلَّا حُبٌّ مَن حَلَّ بِالرَّمْلِ^(١) « أي من أجل حب من حل بالرمل » وقوله أبعد : روى أبعد ؟ — على أنه استفهام — ويكون المعنى : أبعد ما بان عنك خردها ولم تزودك عند رحيلها زاداً تدعو لها ، وروى أبعد — بالنصب — على أنه حال من الأغيد ، وانعامل في الحال : سباك . يريد سباك أبعد ما بان عنك : أي أنه أسرك بحبه ، وهو على البعد منك . قال الواحدى والرواية الصحيحة أبعد ما بان . أقول : وهي التي أثبتناها في هذا الديوان .

(٢) ظلت : أصله ظلمت ، فخذت إحدى اللامين تخفيفاً ؛ وخب السكب : غشاؤها ويدها : مبتدأ ؛ والخبر : الظرف المقدم عليه ، والجملة : نعت آخر لسكب . وقال العكبري يدها ارتفعت بنضيجة ، إذ أنها تعمل عمل الفعل ، كما تقول : مررت بامرأة كريمة جاريتها ، ثم قال : وجعل اليد نضيجة وأضافها إلى السكب لأنها دام وضعها على السكب ، فأنضجتها بما فيها من الحرارة ؛ فلهذا جاز إضافتها إلى السكب . والعرب تسمى الشيء باسم غيره إذا طالت صحبته إياه ، كما قالوا لفناء الدار : العذرة^(٢) وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه كانت الإضافة أهون . يقول : ظلمت بتلك الدار تثني على كبدك التي أنضجتها حرارة الوجد واضعا يدك فوقها ، والمحزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد في كبده من حرارة الوجد ، كأنه يخاف أن تنشق كما قال الحماسي :

(١) الجون : السحاب الأسود ، والرياب : ما كان دون السحاب ، ومستهل : منهل .

(٢) العذرة : الغائط . قال اللغويون : إنما سمي فناء الدار عذرة لأنها كانت تلتقي

بأفنية الدار .

يَا حَادِيَّ عِيرَهَا وَأَحْسَبِنِي
أَوْجَدُ مَيْتًا قَبِيلَ أَفْقِدُهَا^(١)

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْذَنِي
وَقَالَ الْآخِرُ :

لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يَحْسُوا مُذْرِكًا وَضَعُوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ
(١) العير : الإبل التي تحمل عليها الميرة ، ويروى عيسها : وهي كرام الإبل ، وقوله
قبيل أفقدها : أراد قبيل أن أفقدها ، فلما حذف أن : عاد الفعل إلى الرفع كبيت
الكتاب — كتاب سيويه — :

* أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَحْضَرَ الْوَعْيَ^(٢) *

(١) للصة بن عبد الله القشيري من أبيات جميلة أولها :

حَفَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبَا كَمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجْزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
قِفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلَّ لِنَجْدٍ عَفَدْنَا أَنْ يُودَعَا
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضَ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا وَمَا أَحْسَنَ الْمِصْطَافَ وَالْمَتْرَبَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَحْنَنَّ زُرْعَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتَهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا مَعَا
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَىِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْأَضْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى [الْبَيْت]
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَعَا

الشعب : الحى ؛ والبشر : جبل ، وأعرض : أبدى عرضه وجانبه ، وبنات الشوق
نوازعه . ونزعا جمع نازع أى مشتاق ، والليت صفة العنق ، والأخدع : عرق فيها .

(٢) صدر بيت لطرفة بن العبد من معلقته ، وعجزه :

* وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي *

وبعدده :

قَفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَلَا أَقَلَّ مِنْ نَظَرَةٍ أُزُودُهَا (١)

وقوله وأحسبني إلخ : جملة اعتراضية . دعا الحاديين ثم ترك ما دعاهما له فذكره في البيت التالي ، وأتى بهذه الجملة المعترضة الجميلة . قال العكبري : نادى الحاديين ، وحذف ما ناداهما له ؛ وذكره فيما بعد البيت ، وهذا مما يسمى الاعتراض : اعترض له كلام آخر هو من شأنه وقصته ، ولو كان كلاما ليس من قصته وشأنه فسد ، وإذا كان منه كان جائزاً . كقول الآخر :

وقد أدركتني والحوادث جمّة أسنة قوم لا ضعاف ولا عزّل

ففصل بين الفعل والفاعل بما هو من قصته ، لأن إدراك الأسنة من جملة الحوادث .

(١) يقول — للحاديين الذين يحدوان غيرها أو عيسها — : احبسها على قليلا لأنظر إليها وأزود منها نظرة فلا شيء أقل منها . وقريب من هذا المعنى قول ذى الرمة :

ولأن لم يكن إلا معراج ساعة قليلاً فإنني نافع على قليلها (١)

وروى بعضهم أقل — بالرفع — على أن « لا » بمنزلة ليس ، كبيت الكتاب :

من فرّ عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح (٢)

فإن كنت لا تستطيع دفع منديتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

[يقول طرفة : يامن يلومني على حضور الحرب لثلا أقتل ، وعلى أن أنفق مالى في اللذات : ما أنت مخلدى إن نزلت على حكمك ، وإذن دعني أسبق الموت بالتمتع بإتفاق مالى ... يعنى أن الموت لا بد منه ، فلا معنى للبخل وترك اللذات] .

(١) قبله :

ألماعلى الدار التي لو وجدتها بها أهلها ما كان وحشاً مقيماً

ألمأ : انزلا ، ووحشا موحشاً ، والمقيل : النوم فى الظهيرة ؛ والمرج : التعريج وهو الإقامة . وقليلها : مبتدأ ؛ ونافع : خبره . والمعنى ظاهر .

(٢) من أبيات لسعد بن مالك — شاعر جاهلى من شعراء الحماسة — وأول الأبيات :

يا بؤس للحرب التي وضعت أرايط فاستراحوا

وبعده :

والحرب لا يبقى لجأ حمها التخيل والمراح

فَفِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ جَوِّي أَحْرُّ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا (١)
شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرَقُ لِمَتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقْسِ أَسْوَدُهَا (٢)
بَانُوا بِخُرْعُوْبَةٍ لَهَا كَقَلِّ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُعْعِدُهَا (٣)

يريد : ليس عندى براح .

(١) عني بالحب : نفسه ، والجوى : الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن ، والجحيم : النار العظيمة الشديدة التوقد . وكل نار توقد على نار : جحيم ؛ وجحمت النار : اضطربت وكثر حمرها ولهبها وتوقدها ؛ ومكان جاحم : شديد ؛ قال الأعشى :

يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهَا غَدَاةَ احْتِضَارِ الْبَاسِ وَالْمَوْتِ جَاحِمٌ
يقول : إن نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم ؟

(٢) اللمة من الشعر : ما ألم بالنكب وجاوز شحمة الأذن ، ويسمى الشعر القليل في الرأس : وفرة ، فإذا كثر عن ذلك : قيل حمة ، فإذا ألم بالنكب : قيل لمة . والفرق حيث يفرق الشعر من الرأس . والدقمس : الحرير الأبيض ؛ وأسودها . مسودها يقول : لعظم ما ألم به من هجر الحبيب أبيض شعره حتى صار ما كان أسود من لمته أبيض .

(٣) الخرعوبة : الشابة اللينة الطرية ؛ وقوله يكاد : يريد يقرب من ذلك ، وكاد : فعل وضع لمقاربة الفعل ، وإثباته نفي في المعنى ، فأراد : قرب من ذلك ولم يفعل . قال اللغويون . كادت أفعل : معناه عند العرب قاربت الفعل ولم أفعل ، وما كدت أفعل : معناه فعلت بعد إبطاء . يقول : ذهبوا بامرأة ناعمة إذا قامت يكاد رد فيها يقعدها لكثرة ما عليه من

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النُّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

يأبؤس للحرب - يقول : يأبؤس الحرب ، ومعنى وضعت أراھط حطتهم وأسقطتهم فلم يكن لهم ذكر في هذه الحرب فاستراحوا من مكابذتها كالنساء . وقوله : فأنا ابن قيس أى أنا المشهور في النجدة لما سمعت ؛ والبراح : مصدر برح الشيء براحا ، إذا زال من مكانه والجاحم : المكان الشديد الحر ، والتخيل : التكبر ، من الخيلاء . يقول : إنها تريل نخوة المنخو ، وذلك أن أصحاب الغناء يتكرمون عن الخيلاء ويختال المتشبع ، فإذا جرب فلم يحمد افتضح وسقط ؛ والمراح - بكسر الميم - النشاط .

رَبْحَلَةٌ أَسْمَرٌ مُقَبَّبٌ لَهَا سَبْحَلَةٌ أَبْيَضٌ مُجَرَّدُهَا (١)
يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِئْتَهُ أَضْلَاهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا (٢)
لَيْسَ يُجِيكَ الْمَلَامُ فِي هِمِّهِ أَقْرَبَهَا مِنْكَ عَنكَ أَبْعَدُهَا (٣)

اللحم . وهم يصفون المرأة بثقل العجيزة وكثرة لحمها . وقد تعاور هذا المعنى شعراء العربية كثيراً ؛ قال ذو الرمة :

تَنَوُّهُ بِأَخْرَاهَا فَلَايَا قِيَامُهَا وَتَمَشِي الْهُوَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ فَتَبْهَرُ (١)
ويقول أبو العتاهبة :

بَدَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخُلَطَى تَجَاهدُ بِالْمَشَى أَكْفَالُهَا
وقال أبو دلالة :

وقد حاولت نحوى القيام حاجة فأثقلها عن ذلك الكفل النهْدُ
(١) الربحلة والسبحلة : من نعوت النساء ، وهى الجسمة الطويلة العظيمة . والمقبل موضع التفتيل ، وهو الشفة ، وتحمدها فيها السمرة . قال ذو الرمة :

لمياء فى شفتيها حمرة لعس وفى اللثات وفى أنيابها شنبُ

والجرد : ماتعرى من الثوب ، وهو الأطراف وصفها بسمرة الشفة وبياض اللون ، وخص الجرد لأنه إذا ابيض الجرد - الذى تصيبه الريح والشمس ، وهو الذى يظهر للرائين - كان سائر بدنهما - الذى لاتصيبه الريح ولا الشمس - أشد بياضاً .

(٢) الفئته : الجماعة ، يريد العاشقين . يقول : يامن يلوام العشاق على عشقهم دع لومك قوما أضلهم الله فى الهوى حتى تهاكوا فيه واستولى عليهم حتى استبد بهم ، فكيف ترشدهم بعد ذلك ؟ أى أنهم لا يصغون إلى لومك ، لما بهم من ضلال العشق .

(٣) أحاك فيه الشيء وحاك : أثر . يقول : إن لومك لا يؤثر فى همم أقربها منك فى تقديرك أبعدها عنك فى الواقع : أى أن الذى تظنه ينجع فيه لومك هو الأبعد مما تظن :

(١) قوله : تنوء بأخراها يقول : إن أخراها - وهى عجيزتها - تنبها : أى تسقطها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها فى أردافها ، ومن ثم كان قيامها إذا هى قامت ، بعد لآى أى بعد مشقة وجهد وإبطاء .

بُسَّ اللَّيْلِ سَهْرَتْ مِنْ طَرَبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيْتُ يَرَقُدُهَا (١)

(١) يذم الليالي التي لم ينم فيها لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذي يرقد الليالي ساليا لا يجد من أسباب السهر ما كان يجده هو . وأن الخلى من الشجى ؟ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

شكونا إلى أحبنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وإليك ما أورده العكبري في شرح هذا البيت قال : المقصود بالذم محذوف ، وهو
نكرة موصوفة بسهرت ، والعاقد إليه من صفته محذوف أيضاً ، والتقدير ليلال سهرت
فيها ؛ ومثله في الكتاب العزيز (ومن آياته يريكم آية يريكم بها البرق خوفاً ، وقد
جاء في الشعر حذف النكرة المحرورة الموصوفة بالجملة في قول الراجز :

مَالِكٌ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرٌ وَغَيْرُ كِبْدَاءٍ شَدِيدَةِ الْوَتْرِ

* تَرَمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشْرِ (١) *

يريد بكفي رجل مخذفه وهو ينويه ؛ وقوله من طربي : مفعول له ، وهو بمعنى اللام ،
كما تقول جئت من أجلك ولأجلك ، وأكرمه لمخافة شره ومن مخافة شره ؛ وشوقا :
يحتمل أن يكون مفعولاً لأجله عمل فيه طربي فيكون الشوق علة للطرب ، والطرب علة
للسهر ، ولا يعمل سهرت في قوله شوقاً لأنه قد تعدى إلى علة فلا يتعدى إلى أخرى إلا
بعاطف ، كقولك أقت سهرًا وخوفاً ، وسرت طرباً وشوقاً . ويحتمل أن ينصب بمحذوف
كأنه قال شقت شوقاً ، وشاقني اتذكر شوقاً ، وشقت فعل مالم يسم فاعله ، كما يقول المملوك
قد بعث ، أي باعني مالكي ، وكقول الجارية — وقد سئلت عن المطر — غشنا ماشئنا :
أي أغائنا الله ، وقوله : إلى من ، يتعلق بالشوق لأنه أقرب المذكور إليها ، وإن شئت
علقته بالطرب إذا نصبت شوقاً بالطرب ، وإن نصبت بالمحذوف لم تعلقه بالطرب ، لأنك
تفصل بشوق وهو أجنبى من الطرب وصلته ، وكان الوجه أن يقول : يرقد فيها ، كما تقول

(١) قوس كبداء : غليظة المقبض تملأ الكف . وقوله ترمي . يروي جادت من الجودة
وقل ابن جنى : روى أيضاً بفتح ميم «من» أي بكفي من هو في الرمي من أرمي البشر ،
وكان على هذا زائدة . وعلى هذا لا شاهد فيه .

يوم الجمعة خرجت فيه . ولا تقول خرجته إلا على سبيل التوسع في الظرف فجعله مفعولا به على السعة كقوله :

* ويوم شهدناه سُلَيْمًا وعماراً^(١) *

ففي البيت أربعة حذوف : حذف المقصود بالدم — وهو ليل — وحذف من سهرت فيها ، وحذف الضمير من سهرت ؛ فكأنه يقول سهرتها . والرابع حذف من يرقد فيها . وروى سهرت وسهدت — بالراء والبدال — وقد فرق أهل اللغة بينهما فقالوا : السهر — بالراء — في كل شيء ، وبالبدال للديغ والعاشق . واستدلوا بقول النابغة :

* يُسَهِّدُ مِنْ نَوْمِ الْعِشَاءِ سَلِيمَهَا^(٢) *

وبقول الأعشى :

* وَبِتُّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهِّدًا^(٣) *

(١) عجزه :

* قَلِيلٌ سِوَى الطَّعْنِ النَّهَالِ نَوَافِلُهُ *

شهدناه : أى شهدنا فيه ؛ وسليم وعمار قبيلتان من قيس غيلان ؛ والنوافل هنا : الغنائم يقول : يوم لم يغنم فيه إلا النفوس لما أوليناهم من كثرة الطعن والنهال المرتوية بالدم . وأصل النهل : أول الشرب ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، والطعن هنا جمع طعنة :

(٢) عجزه :

* لِحَلِيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهَا قَعَاقِعُ *

يقال فلان يسهد : أى لا يترك أن ينام .

(٣) صدره :

* أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا *

وهذا البيت مطلع أبيات يمدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعده :

وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا

وقوله: بئس: اختلف أصحابنا والبصريون في نعم وبئس، فقال أصحابنا هما اسمان، وقال البصريون: بل هما فعلان ماضيان لا يتصرفان، وواقفهم من أصحابنا: علي بن حمزة المقرئ. حجتنا على أنهما اسمان أن حرف الجر يدخل عليهما لما قد جاء عن العرب أنها تقول ما زيد بنعم الرجل. قال حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه:

أَلَسْتُ بِنِعْمِ الْجَارِ يُؤَلِّفُ بَيْتَهُ لَدَى الْعَرَفِ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَمُعْدِمًا^(١)

وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال: نعم السير على بئس العير، وقال الفراء: إن أعرابيا بشر بأنتي قليل له نعم الملوذ مولودتك، فقال: والله ما هي بنعم الولد، نصرها بكاء وبرها سرقة. فدخول حرف الجر عليهما دل على أنهما اسمان. وحجة أخرى: أن حرف النداء يدخل عليهما وهو لا يدخل إلا على الأسماء في قولهم: يا نعم المولى ويانعم النصير: ولا يجوز أن يقال المقصود بالنداء محذوف للعلم به والتقدير فيه: يا الله نعم المولى. فحذف المنادى لدلالة حرف النداء عليه، كما يحذف حرف النداء لدلالة المنادى عليه، فإن قيل ذلك، فإجابنا: المنادى إنما يقدر محذوفا إذا ولي حرف النداء فعل أمر. وما جرى مجراه، كقراءة علي بن حمزة والحسن ويعقوب والأعرج «ألا يا اسجدوا» تقديره: يا هؤلاء اسجدوا. وكقول ذى الرمة:

أَلَا يَا أَسْمَى دَارِيَّ عَلَى الْبَيْلِ وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجِرَائِكَ الْقَطْرُ^(٢)
وكقول الآخر:

أَمْسَلَمْ يَا أَسْمَعُ يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا سَائِسَ الدُّنْيَا وَيَا جِبِلَّ الْأَرْضِ^(٣)

إلى آخر الأبيات. وقوله ليلة أرمدا: يريد ليلة أرمدا — أى عيناه — أى أصابها رمد، وهو وجع العين، والسليم: الملدوغ، والمسهد: الذى منع النوم، والحلّة: الصداقة ومهدد: اسم امرأة.

(١) قوله يولف بيته لدى العرف: أى يجعله مألفاً لدى العرف أكان غنياً أم فقيراً.
(٢) حى: هى محبوبته، وعلى: بمعنى مع، ومنها: منصباً، والجرعاء: مؤنث الأجرع: الموضع المختلط ترابه بالحصى؛ والقطر: المطر. يدعو لها بالحبص.
(٣) هذا البيت لأبي نخيلة يمدح به مسلمة بن عبد الملك، وقد أورده انقالى على الوجه الآتى:

أراد ياهذا : وشواهد كثيرة ، وإنما اختص هذا دون الخبر بفعل الأمر ، لأن المنادى يخاطب ، والمأمور أيضاً مخاطب ، حذفوا الأول من مخاطبين اكتفاء بالثاني ، ولا خلاف أن نعم المولى خير ؛ فيجب أن لا يقدر المنادى محذوفاً ، فدل على أن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر ، أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي ، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهى ، ولهذا لما جاء الخبر في قوله تعالى « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له » شفعه الأمر — وهو استمعوا له — فلما كان الأمر والنداء جملياً خطاب جاز أن يحذف المنادى من الجملة الأولى ، وليس كذلك يانعم المولى ، لأن نعم : خبر ، فلا يجوز أن يقدر المنادى محذوفاً ، ودليل آخر على أنهما اسمان ، انهما لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ، لأنك لا تقول : نعم الرجل غداً ولا أمس ولا لبس الرجل غداً أو أمس ، ودليل آخر : أنهما غير متصرفين ، والتصرف من خصائص الأفعال ودليل آخر : أنهما لم يكونا فعلين ماضيين لأنه يجوز دخول اللام عليهما في خبر أن ، تقول إن زيدا نعم الرجل وعمراً لبس الغلام . وهذه اللام لا تدخل على الماضي ، وهي تدخل على الاسم ، وعلى الفعل المضارع ، فدل على أنها اسمان . ودليل آخر : أنه قد جاء عن العرب نعيم الرجل وليس في أفعال العرب فاعيل ، فدل على أنها اسمان . وحجة البصريين اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف . وحجة أخرى : اتصالها بتاء التأنيث الساكنة التي لا يقلبها أحد في الوقف هاء كما قبلوها في رحمة وشجرة ، وذلك قولهم نعمت الجارية ، وهذه التاء تختص بها الفعل الماضي .

أَمْسَلَمَ إِنِّي يَا ابْنَ كَلِّ خَلِيفَةً وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَا وَيَا قَمَرَ الْأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ الثُّقَى

وَمَا كُفُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضَى

وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا عَلَى لِحَافًا سَابِغِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ

وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلًا

وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وإذن لاشاهد فيه :

أَحْيَيْتُهَا وَالِدُمُوعُ تُنَجِدُنِي شُوُونَهَا وَالظَّلَامُ يُنَجِدُهَا^(١)
لَا نَاقِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدُهَا^(٢)

(١) إحياء الليل : سهره ، وأنجده : أعانه ؛ والشئون : قبائل الرأس ، وهي مجازي الدموع ، والضمير في أحيتها وينجدها : لليالي ، والضمير في شئونها للدموع . يقول : كان للدموع من الشئون إمداد ، ولليالي من الظلام إمداد ، يعني أن تلك الليالي طالت وطال البكاء فيها ، ويجوز أن يكون الضمير في ينجدها عائداً إلى الشئون ، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع المموم على العاشق وفي اجتماعها عون للشئون على تكثير البكاء . يبين هذا قول قيس المجنون :

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا صَمَّ أَرْزَارُ الْقَمِيصِ الْبِنَائِقَا^(١)
(٢) الرهان : السباق ، وأجهد الدابة وجهدها : حملها في السير فوق طاقتها يقول : إن ناقتي — ويريد نغله — لا تقبل الرديف — وهو الذي يرتد خلف الراكب — وإذا راهنت عليها لم أجهدتها بالسوط ؛ وهذا كما قال في قافية قد تقدمت :

وَحُبَيْتُ مِنْ خَوْصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبَا
وهذا المعنى من قول أبي نواس :

إِلَيْكَ أبا عَبَّاسٍ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا أَمْتَطِينَا الْخَضْرَى الْمَلْسَنَا
قلائص لم تعرف حينئذ إلى طلاً ولم تدر ما قرع الفنيق ولا الهنا^(٢)
ومثله قول الآخر :

رَوَّاحِلَنَا سِتُّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ بُجْنِبْنِ الْمَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ

(١) أراد بالأطفال : الأحزان المتولدة عن الحب . والبنائق : جمع بنيقة ، وهي طوق اثوب الذي يضم النحر وما حوله ، وإذا أنشد البيت :

* كَمَا ضَمَّ أَرْزَارُ الْقَمِيصِ الْبِنَائِقُ *

كأهو في أصله ، فالبنائق : العرى التي تدخل فيها الأزرار :

(٢) نعل حضرمي : إذا كان ملسنا وهو الذي فيه طول ولطافة على هيئة اللسان والطلا : الولد من ذوات الظلف ، والقرع : الجرب ، والفنيق ، الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهنا : القطران . تقول هنأت البعير : إذا طليته بالهنا وهو القطران .

شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا^(١)
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَّاحِ يَسْبِقُهُ تَحْتِي مِنْ خَطْوِهَا تَأْيِدُهَا^(٢)
فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٍ بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرَدَدُهَا^(٣)

(١) الشراك : سير النعل ؛ والكور : رحل الناقة ؛ والمشفر من الناقة : بمنزلة الشفة من الإنسان ؛ وزمام النعل : ما تشد إليه شسوعها ، وهي السيور التي تكون بين خلال الاصابع ، واقود : الجبل الذي تقاده به الدابة . جعل شراك نعله بمنزلة الرحل للناقة ، وزمامها بمنزلة المشفر لها ، والشسوع بمنزلة المقود .

(٢) عصف الرياح : شدة هبوبها ومن روى بضم العين فهو جمع عصف يقال ربح عاصف وعصوف : بمعنى ، والجمع عصف . ويريد بقوله تأييدها : تأنيها وتأييدها . يقول : أهون سيرناقتي — يعني نعله — يسبق أشد سير الرياح . يصف المتنبي نفسه بأنه شديد العدو منتعلا ، وقال الواحدي في قوله تأييدها : التأيد تفعل من الأيد ، وهو التقوى ، وليس المعنى على هذا ، وإنما أراد التفعل من الاتئاد وهو الترفق واللين ، ولم يحسن بناء التفعل منه ، وحقه تأودها ، وقال ابن القطاع : يقال آد الشيء يئد أيدياً : إذا قوى . ولو قال تأودها لكان قد بالغ ، وآد الشيء يئود أوداً : إذا أنقل . وفي كلام العرب ما آدك فهو لى آئد : أى ما أنتمك فهو لى مثقل ، فيكون المعنى أشد عصف الرياح يسبقه ثقل سيرها . وهذا غاية المبالغة ، وكذلك لو قال : تأودها لكان أيضاً قد بالغ ، فالتؤد والتؤيد الترفق . يقال : وأد يئد وأدا . والتاء — فى التؤدة — مبدلة من واو ، مثل تخمة ، فيكون المعنى : أشد عصف الرياح يسبقه ترفق سيرها ؛ وهذا هو المبالغة . وقيل : إن التأيد فى بعض اللغات الرفق ، وأنشد الخليل فى ذلك :

تأيدُ على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

أى ترفق :

(٣) فى مثل ظهر المجن : أى يسبقها تأيدها فى مفازة مثل ظهر المجن . فمثل نعت لحدوف : أى فى مفازة أو فلاة ، والمجن : الترس ، ومتصل نعت سبى لمفازة الحدوفة . وقرددتها : فاعل متصل ، وتروى متصل — بالرفع — على أنها خبر مبتدأ مؤخر ، وهو قرددتها ، والتردد: الأرض المرتفعة الغليظة أو أرض فيها نجد ووهاد . قال ابن جنى شبه الأرض بظهر المجن لما كانت خالية من النبات ، وظهر المجن نائى ، وبطنه لاطيء

مُرْتِمَاتٌ بِنَا إِلَى ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ غِيظَانَهَا وَفَدَفَهَا (١)
 إِلَى فَتَى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَنهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدَهَا (٢)
 لَهُ أَيَادٍ إِلَى سَابِقَةٍ أَعَدَّ مِنْهَا وَلَا أَعَدَّهَا (٣)

فهو كالصعود والحدور أى أن هذه المفازة محدبة مثل ظهر الحجن يتصل ما ارتفع منها بأما كن منخفضة مثل بطن الحجن : يعنى أنها ذات جبال ووهاد .

(١) مرتميات : خبر مقدم ، وغيظانها : مبتدأ مؤخر ؛ وتروى مرتميات - بالنصب - صفة لمفازة ، وغيظانها ، فاعل مرتميات : والغيظان ؛ جمع غائط ، وهو الطمئن من الأرض . والفدغد : الأرض الغليظة المرتفعة . يقول : إن هذه المفاوز غيظانها وفدغها ترمينا إلى المدوح بقطعنا إياها بالسير ، فكأنها تلقينا إليه ،

(٢) إلى فتى : بدل من ابن عبيد الله . ويصدر الرماح : ينزعها بعد الطعن من المطعون . وأنهلها : سقاها . وموردها - بضم الميم - على أنه اسم فاعل - وهو المدوح - فاعل أنهلها ؛ ويروى بفتح الميم على معنى المصدر ، فيكون المعنى أنهلها في القلوب ورودها : يعنى أنها وردت قلوب الأعداء ؛ والأولى أجود . يقول : ينزع الرماح وقد سقاها من دماء قلوب الأعداء . وعبارة الواحدى : يرجعها ويردها وقد سقاها بموضع ورودها في قلوب الأعداء دماءهم .

(٣) الأيدى : النعم ، وإلى : صلة سابقة ، أو صلة الأيدى مضمنة معنى الإحسان ، كأنه قال : له إحسان إلى ، لأنه يقال لك عندى يد ، ولا يقال لك إلى يد ، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ : قال تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » والمعنى لطف بي . وقوله أعد منها : يريد أنى غذى نعمته ، وريبب إحسانه ، فنفسى من جملة نعمه ؛ فأنا أعد منها ، وقال ابن جني : أنا بعضها ، كما قال الحماسى :

لَا تَلْتَفِنِي بَعْدَ أَنْ رَشْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ أَيَادِيكَ

يريد أنه وهب له نفسه ؛ وتروى : أعد منها : أى أنه يعد بعض أيديه ، ولا يأتى على جميعها عدا لكثرتها ، وهو قوله ولا أعددها . كأن هذا من قوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » أى لا تعدوا جميعها . ومن قوله تعالى « وأحصى كل شىء عددا » .

يُعْطَى فَلَا مَطْلَةَ يُكْدِرُهَا بِهَا وَلَا مَنَّةً يُنَكِّدُهَا^(١)
خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبَا وَأَعْجَدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا^(٢)

(١) الضمير في بها : المظلة ، وفي يكدرها وينكدها : للأيدى ؛ ويروى مطه ومنه ، وبه بدل بها . يقول : إنه لا يمطل قبل العطاء ولا يمن بعده . وينكدها : أى ينغصها ويقلل خيرها ؛ وكان يقال : المنة تهدم الصنعة ؛ وقد مدح المولى جل وعز قوما فقال : « ثم لا يتبون ما أنفقوا منا ولا أذى » وقال الشاعر :

أَفْسَدْتَ بِالْمَنِّ مَا قَدَّمْتَ مِنْ حَسَنٍ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أُعْطِيَ بِمَنِّانٍ
وعبارة العكبرى : يقول : له أيد لا يكدرها مطل ولا ينكدها من ؛ ولم يرد أن له مطلا لا يكدرها ، ومنا لا ينكدها ، وإنما أراد انتقاء المثل والمن عنه ألبتة ، ومن هذا قول امرئ القيس :

* عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ *

لم يرد أن فيه منارا لا يهتدى به ، ولكنه نفى أن يكون به منار . والمعنى : لا منار يهتدى به . ومثله قوله الآخر في وصف مفازة :

لَا تَفْزَعُ الْأَرْنَبَ أَهْوَالُهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

لم يرد أن بها أرنبا لم يفزع ولا ضبا ، ولكنه نفى أن يكون فيها حيوان . وعبارة الواحدى : يعطى فلامطه بالأيدى يكدرها : أى أنه لا يمطل إذا وعد إحساناً ، ولا يمن بما يعطى فينكده .

(٢) يقول : إن أباه خير قريش ، لأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو خيرهم أباً ، لأنه ليس فيهم أحد أبوه أفضل من أبى الممدوح . والنائل : العطاء ، وأباً ونائلا : منصوبان على التمييز ؛ والمراد بقريش : القبيلة ، ومن ثم قال : أعجدها وأجودها والمجد قيل هو الأخذ من الشرف والسود : ما يكفى ، وقال ابن السكيت : الشرف والمجد يكونان بالأباء ، يقال رجل شريف ماجد : أى له آباء متقدمون فى الشرف . قال : والحسب والكرم^(١) يكونان فى الرجل ، وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، وأجودها : أسخاها .

(١) المراد بالكرم هنا : ضد اللؤم .

أَطْعَمَهَا بِالْفَنَاءِ أَصْرِبَهَا
 أَفْرُسُهَا فَارِسًا وَأَطْوَلُهَا
 بِالسَّيْفِ جَحْجَاحُهَا مُسَوِّدُهَا (١)
 بَاعًا وَمِنْوَارُهَا وَسَيِّدُهَا (٢)
 تَاجُ لَوْئِيٍّ بِنِ غَالِبٍ وَبِهِ
 سَمًا لَهَا فَرْعُهَا وَحَمِيدُهَا (٣)
 شَمْسُ ضُحَاهَا هَالَالٌ لَيْلَتُهَا
 دُرُّ تَقَاصِيرِهَا زَبْرُجُهَا (٤)
 يَأْلَيْتُ بِي ضَرْبَةَ أَتِيحَ لَهَا
 كَمَا أَتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا (٥)

(١) الجحجاج : السيد الشريف ، وقد تقدم الكلام عليه ، والسود : الذى سوده قومه . قال الواحدى : ذكر القنأة والسيف مع الطعن والضرب تأكيداً للكلام ، كما قال تعالى « يطير بجناحيه » وكما يقال : مشيت برجلي ، وكنته بقمى .

(٢) فارسا : حال . أى هو أفرسها إذا ركب فرسه ، وأكد الكلام بذكر الحال لأن أفرس يكون من الفرس والفراصة . وطول الباع مما يمدح به الكرام . يقال فلان طويل الباع : إذا امتدت يده بالكرم . ويقال للثيم : ضيق الباع ؛ والمغوار : للكثير الغارة .

(٣) لؤى : أبو قريش . يقول : هو لهم بمنزلة التاج ، به يتشرفون ويتزينون ، وبه علا فرعهم وأصولهم : أى الأبناء والآباء ، والحد : الأصل ؛ وقوله لها : أتى بها ليقيم الوزن ، أو ليؤكد الإضافة ، وإلا فقوله سما فرعها : كلام تام حسن .

(٤) انتقاصير : القلائد التى تعلق على القصرة ؛ والقصرة : أصل العنق ، مفردها : تقصار وتقصارة . يقول : هو فيما بينهم كالشمس فى النهار ، والهلال فى الليل ، والدر والزبرجد فى القلادة : أى هو أفضلهم وأشهرهم ، وبه زينتهم وخرمهم « قال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أحسنهم لأن الشمس أكثر ما يكون نورها وحسنها عند الضحى وهلال ليلتها ، لأنهم يعتمدون عليه ، ويتطلعون إليه ، كما يتطلع إلى الهلال ليلة يستهل فيها . يريد أن أعين الناس تنظر إليه إذا ركب وخرج إلى الناس كما تنظر إلى الهلال عند بدوه :

(٥) كان هذا الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه فى بعض الحروب . قال العكبرى : كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوما من العرب بظاهر الكوفة وهو شاب دون العشرين قتل منهم جماعة وجرح فى وجهه فكسسته الضربة حسنا ، فقال : لبيت الضربة التى قدر لها محمدها — يعنى الممدوح — كما قدرت الضربة له ، كانت بى : أى

أَثْرٌ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا أَثْرٌ فِي وَجْهِهِ مَهْنَدُهَا^(١)
فَأَعْتَبْتُ إِذْ رَأْتُ تَرْيُنَهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا^(٢)

ليتنى كنت فداء من تلك الضربة فوقعت بى دونه . ويجوز — كما قال الواحدى — أن يكون المدوح أتاح وجهه للضربة حيث أقبل للحروب وثبت حتى جرح ، فتمنى أبو الطيب رتبته فى الشجاعة ، وأضاف محمداً إلى الضربة إشارة إلى أنها كسته الحمد فأكثر حتى صار هو محمداً بها .

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . يقول : إن الضربة والسيف قصدا إهلاكه فردها عن قصدها ، فذلك تأثيره فيهما . فقوله : وما أثر فى وجهه مهنדהا : أى لم يشنه ولم يعبه فلم يؤثر تأثيراً قبيحاً ، وإنما زاده حسنا ، لأن الضربة على الوجه شعار المغوار ، والعرب يفتخرون بذلك . قال الحصين بن الحمام المرى :

وَأَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْحَى كُؤْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا^(١)

والطعن والضرب فى الظهر عندهم مسبة وفضيحة . قال الشاعر :

وَلَكِنَّمَا يَحْزَى أَمْرُؤٌ يَكْلِمُ اسْتَهُ قَنَا قَوْمِهِ إِذَا الرِّمَاحُ هَوَيْنَا

ولك أن تقول : إنه أثر فى الضربة والسيف ضعفا بإرعاش يد الضارب لهيبته واستعظام الإقدام عليه ، فلم يؤثر السيف فى وجهه أثرا يعتد به ، أو لم يصرفه عن المضى فى القتال .

(٢) يقول : إن هذه الضربة عدت نفسها سعيدة حين رأت أنها قد تزينت بحصولها فى وجهه ، وحسدتها بقية الجراحات ، إذ لم تصب موضعا كريما مثل هذا . وقوله : بمثله يريد به ، والمثل : صلة ، تقول مثلى لا يفعل هذا ، أى أنا لا أفعله . قال الشاعر :

يَا عَاذِلِي دَعْنِي مِنْ مِثْلِكَ مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ

(١) الكلوم : الجروح ، وقبيل البيت :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

وبعده :

نَفَلْتُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَكْرَمًا

وَأَيُّقَنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا^(١)

معناه أنا لا أقبل منك ، ومن هذا قوله تعالى « ليس كمثل شيء » والغبطة حسن الحال ، أو هي النعمة والسرور . تقول غبطته بما نال أعطه غبطاً وغبطة فاغبط هو ، كقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس ؛ قال حريث بن جبلة العذري :
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ^(١)
قال الجوهرى : أنشدته مغتبط — بكسر الباء — أى مغبوط ، أى والاسم الغبطة وهى حسن الحال .

(١) الضمير فى قلبه : يعود إما إلى الزارع — أى الضارب — أى زرعها بمكر فى قلبه ، وإما إلى المدوح : أى أن الضارب قد زرع هذه العداوة فى قلبه . يقول : إن هذه الضربة جاءتة مماكرة وغدراً ، لا مواجهة وكفاحاً ، وأن ضاربها قد بذر بذراً خبيثاً لا بد حاصده : أى ملاق جزاءه عليه من المدوح .

(١) قلبه :

فَاسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْراً وَأَرْضَيْنِ بِهِ فَبَيْنَمَا الْعَسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وبعد :

يَبِيحُ عَلَيْهِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورٌ
حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهُ وَالدهرُ أَيْتِمًا حَالِ دَهَارِيرُ

[قوله استقدر الله خيراً : أى اطلب منه أن يقدر لك خيراً . وقوله : فبينما العسر فالعسر مبتدأ ، وخبره محذوف ، تقديره : فبينما العسر كأن أو حاضر . إذ دارت مياسير ؛ أى حدثت وحلت ، والياسير : جمع ميسور ؛ والرمس : القبر ، والأعاصير : جمع إعصار وهى الريح تهب بشدة . وقوله : كأن لم يكن إلا تذكرة ، فيمكن تامة ، وتذكرة فاعل بها ، واسم كأن : مضمرة ، تقديره كأنه لم يكن إلا تذكرة ، والهاء — فى تذكرة — على الهاء المقدره ، والدهر : مبتدأ ، ودهارير : خبره ، وأيتما حال : ظرف ، والعامل فيه : ما فى دهارير من معنى الشدة . وقولهم : دهر دهارير أى شديد كقولهم : ليلة ليلاء . وقيل : الدهارير ، جمع الدهور ، أراد أن الدهر ذو حالين من بؤس ونعم . وقال الزمخشري : الدهارير : تصاريف الدهر ونوائبه ، مشتق من لفظ الدهر ، ليس له واحد من لفظه ، كعبايد] .

أَصْبَحَ حُسَادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا (١)
تَبَيَّنَ عَلَى الْأَنْصِلِ الْغُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجْرِدُهَا (٢)
لِعَلَمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرَّقَابِ يُعْمِدُهَا (٣)
أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذْمُهَا وَالصَّادِقُ يَحْمَدُهَا (٤)

(١) الواو — في وأنفسهم — واو الحال . يقول : إنه رمى حساده بالمقيم المقعد . فهم لا يستقرون على حال من القلق خوفاً منه وذعراً ، وهذا كما قال :
أَبْدَى الْعِدَاءُ بَكَ السَّرُورَ كَأَنَّهُمْ فَرَحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُتَقَعِدُ
(٢) و (٣) يقول : إذا أنذر الغمود — جمع غمد — بتجريد السيوف بكت الغمود على السيوف لعلها أن السيوف المذكورة مستعمدة في دماء الأعداء حتى تتلطيخ بها وتصير كأنها دم ، وأن المدحوح سيجعل الرقاب غموداً لها بدلا منها . وهذا المعنى تعاورة الشعراء من قديم . قال عنتره :

وَمَا تَدْرِي جُرِيَّةٌ أَنْ تَنْبِيَّ يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ (١)
وقال حسان :

وَنَحْنُ إِذَا مَا عَصَتْنَا السِّيُوفُ جَعَلْنَا الْجَاهِمَ أَغْمَادَهَا
وقال الحماسي :

مَنْابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَغْمَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ (٢)
ويقول ابن الرومي :

كَسَاهُمُ الْعِزُّ إِنْ عَرَوْا مَنَاصِلَهُمْ فَمَا لَهَا غَيْرَ هَامِ الصَّيْدِ أَجْفَانُ
(٤) يقول : أطلق الأنصل فذمها العدو خوفاً وجزعاً منها ، وحمدها الصديق لحسن بلائها في العدو .

(١) الجفير : الكنانة والجمعة التي تجعل فيها السهام .

(٢) قبله :

وَإِنَّا لَتُصْبِحُ أَسْيَافُنَا إِذَا مَا اصْطَبَحْنَ بِيَوْمِ سَفُوكِ

(اصطبحن : شربن وقت الغداة ، وجعل اليوم سفوكاً لأن السفك يقع فيه . وقوله

(٣ — المتنبي ٢)

تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبُّ مَاءِ الرَّقَابِ يُخْمِدُهَا (١)
إِذَا أَصَلَ الْهَمَامُ مُهْجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا (٢)
قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي أَنْتَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا (٣)
وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا (٤)

(١) يقول: إنها من شدة الضرب تهوى إلى الأرض فتنتقدح منها النار فيخمدها ما ينصب من الدماء عليها .

(٢) الهمام هنا: الملك العظيم ، والمهجة: الروح ، ونشد الضالة: طلبها ليعرف مكانها يقول: إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله ، فأبما سيوفه هي التي تطلب مهجته منها ، لأن سيوف المدوح قوائل الملوك ؛ أو تقول: إن سيوف المدوح هي التي تثار له ، ويروى بدل تنشدها: ينشدها اسم مكان: أى أن سيوفه هي المكان الذى تطلب مهجة القتول منه ، لأن سيوفه - كما قلنا - قوائل الملوك ؛ ويروى فأطرافهن ينشدها - بنصب أطرافهن - وينشدها - بالياء المثناة التحتية - أى ينشدها في أطرافهن .

(٣) الخليقة: الخلائق والخلق . يقول: إن هذه الخلائق قد أجمعوا موافقين لى أنك أوحدهم فضلا ونسبا وشجاعة وكرما . وقال الواحدى: يجوز أن يكون على التقديم والتأخير: أى أوحدها لى: أى أوحدها إلى إحساناً وإفضالا ، ولا يكون فى هذا كثير مدح ويجوز أن يكون أجمعت فقالت لى والقول يضم كثيراً ، كقوله تعالى « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا » أى ويقولان: ربنا تقبل .

(٤) وأنت: مخففة من أنك ضرورة ، والمحتمل: الغلام بلغ مبلغ الرجال ، وهو حال من التاء فى كنت ، وشيخ معد: خبر كان ، والضمير فى أمردها: لمعد ؛ وقوله: وأنت أمردها: عطف على الحال: أى محتلماً أمرد . يقول: وأنت بالأمس حين كنت غلاماً أمرد كنت شيخ معد يرجعون إلى رأيك ، فكيف اليوم مع علو السن ووفور العقل ؛ هذا: وهامى ذه طرفة نحوية للعلامة العكبرى قال: قوله وأنت: أراد أنك بالتشديد ، خفف ضرورة مع الضمير ، كقول الآخر:

منابرهن: أراد أنها إذ تنتضى فكأنها تخطب واعظة للأعداء زاجرة لهم . يقول: إن سيوفنا تصير إذا شربت الصبوح من دم الأبطال فى يوم سفوك للدماء بهذه الحالة)

فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي طَلَّاقَكَ لَمْ أَبْجَلْ وَأَنْتِ صَدِيقٌ^(١)
وإنما يحسن التخفيف مع المظهر كقوله :

وَصَدْرٌ مُشْرِقٌ النَحْرِ كَأَنَّ نَدْيَاهُ حُقَّانٌ^(٢)

لأن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها ، وإذا خففت مع المظهر فتعملها في مقدر ، وهو ضمير الشأن ، وترفع بعدها الجملة خبرا عنها ، تقول : علمت أن زيد قائم ، ومنه « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » و « أن لعنة » : في قرأة نافع وعاصم وأبي عمرو وقنبل ، وإذا وليها الفعل لم يجمعوا عليها مع النقص الذي دخلها وحذف اسمها ، أن يليها ما يجوز أن يليها وهي مثقلة فكان الأحسن أن يفصل بينها وبينه بأحد أربعة أحرف : السين ، وسوف ، ولا ، وقد ؛ فتقول : علمت أن سيقوم ، وسوف يقوم ، وأن لا يقوم ، وقد يقوم ، قال تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » قال جرير :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مِرْبَعًا أَبْشَرَ بِطُولِ سَلَامَةِ يَامِرْبَعٍ^(٣)

(١) بعده :

فَمَا رُدَّ تَرْوِيحٌ عَلَيْهِ شَهَادَةٌ وَلَا رُدٌّ مِنْ بَعْدِ الْحَرَارِ عَتِيقُ

ويروى فراقك - بدل طلاقك - وصديق : فاعيل للواحد والجمع والمؤنث ، والحرار مصدر حر يحر من باب تعب : أى صار حرا ، والمراد بالرخاء : قيل لزوم العقد ، والرخاء السعة : أى وقت إمكانه ، ولم أبجل : أى به : أى بل كنت أجيبك إليه . وقوله فما رد الخ : أى لو سألتنى ذلك فى وقت يقبله ، وهو ما قبل العقد لفعلت ، لكنه فى وقت لا يقبله ، وهو بعد لزوم العقد لأنه لا يرد تزويج بعد إتمام شروطه ولزومه بالشهادة ، كما لا يرد بعد العتق عتيق إلى الرق .

(٢) مشرق : مضى ، والنحر موضع القلادة من الصدر ؛ وحقان : تثنية حق ، وهو الوعاء المنحوت من العاج وغيره . يقول : إن هذا الصدر مضى أعلاه ، وكأن الثديين فيه حقان فى الاستدارة والصغر .

(٣) مربع - بكسر الميم - لقب وعووة أبى سعيد راوى جرير ، وكان الفرزدق قد حلف ليقتلنه ، ومطلع القصيدة :

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَأْمَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كَمَا رَفَعُوا لَبِينَ تَجَزَعُ

فَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٌ مَجَلَّةٌ رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا^(١)

وقال أمية بن أبي الصلت :

وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا أن سوف يُتبع أولانا بأخرانا
وأما قوله تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » جاء بغير حرف من هذه الحروف
الأربع ، فذلك لأن ليس ضعيفة في الفعلية لعدم تصرفها ؛ وقد جعلها أبو علي حرفاً زماناً ،
ثم رجع عن ذلك . وقوله محتلماً : حال ، والعامل في الحال : كان ، قال أبو الفتح وجماعة
من أهل الصناعة : من جعل كان لا تعمل في الأحوال : فغير مأخوذ بكلامه ، لأن
الحال فضلة في الخبر منكورة ، فرائحة الفعل تعمل فيها فما ظنك بكان ، وهي فعل
متصرف يعمل الرفع والنصب في الاسم الظاهر والمضمر ، وليست كان في نصبها الأحوال
بأسوأ حالا من حروف التنبيه والإشارة ؟ قال الشريف ابن السجري : قال المعري : كان
لا تعمل في الحال ، ويجعل العامل في الحال وأنتك بالأمس : أي الفعل المضمر الذي عمل
في قوله وأنتك بالأمس قال : وهذا سهو من قائله ، لأنك إذا عقلت قوله بالأمس
بمحذوف ، فلا بد أن يكون بالأمس خبراً لأن أو لكان ، لأن الظرف لا يتعلق
بمحذوف ، إلا أن يكون خبراً أو صفة أو حالا أو صلة ؛ ولا يجوز أن يكون خبراً لأن
ولا لكان ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث ولا صفات ولا صلوات
ولا أحوالاً لها ، فإذا استحال أن يتعلق بالأمس بمحذوف علقته بكان ، وأعملت كان
في محتلماً . وقوله : شيخ معد : خبر كان .

(١) مجللة : شاملة من جمل المطر الأرض : طبقها ؛ وربيتها : تعهدتها بأن قرنتها
بأمثالها ؛ وكان منك مبدؤها : أي ابتداؤها ، أي أنك ابتدأتني بالصنعة ثم ربيتها فلم
تكن واحدة تنسى على طول العهد ، بل متعددة متوافرة . وقوله نعمة : قال العكبري
رويت - نصبا وجرا - : فمن نصب أراد الاستفهام ، ومن جر أراد الخبر ، وهذا
الأجود ، لأنه أراد الخبر عن كثرة ماله .

وآخرها :

ورأيت نبتك يا فرزدق قصرت

ورأيت قوسك ليس فيها منزع

وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٌ سَمَّحَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا^(١)
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ إِلَى مَنَزِلِي تَرُدُّهَا^(٢)
أَقْرَبَ جِلْدِي بِهَا عَلَى فَلَا أَفْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدُهَا^(٣)
فَعُدَّ بِهَا لَا عَدِمْتُهَا أَبَدًا
خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُودُهَا^(٤)

(١) سمحت بها : أى قضيتها لى ؛ وموعدها : أى موعد قضائها : أى أن موعد قضائها أقرب إلى من نفسى . يريد قصر الوعد وسرعة الإنجاز . وقال الخطيب التبريزى هو من كلام الصوفية ، وهذا يدل على أنه كان متصرفا فى أفانين الكلام .

(٢) المكرمة : ما يكرم به الإنسان من بر وألطف ، يريد بها هنا ثيابا أهداها إليه ، ولذلك يقول فى البيت التالى : أقر جلدى بها على . وقوله على قدم البر : استعارة جميلة بارعة . وقال الواحدى : قوله على قدم البر : أى أن حاملها كان من جملة الهدية لأنه كان غلاما للمدوح . ويجوز أن يراد أنها على أثر بر سابق ، وتردها : أى تعيدها إلى وتكررها على . ويروى تردها على المصدر .

(٣) أى اعترف جلدى بها لظهورها على . فكأنه باكتسائه بها ناطق مقرر ، كما قال الناشئ الأكبر :

لَوْلَمْ يُبْحِ بِالشُّكْرِ لَفَطِي لَخَبَّرْتُ يَمِينِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَشِمَالِيَا

(٤) أعودها : أى كررها عوداً . يطلب منه إعادة العطية .

وقال أيضاً في صباه :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قَتِلْتُ شَهِيدِ
بِدِيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الْخُدُودِ (١)
وَعُيُونِ الْمَهَا وَلَا كَعْيُونِ فَتَكَتْ بِالْمَتِيمِ الْمَعْمُودِ (٢)

(١) الطلا : الأعناق ؛ وشهيد : صفة لقتيل . وأصل الشهيد : من قتل مجاهداً في سبيل الله ، ثم توسع فيه فأطلق على من مات غرقاً أو حرقاً وما إليهما . وجعل المتنبي من قتله الحب شهيداً ، وقد رووا في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « من عشق فعف ثم مات مات شهيداً » هذا : وقد قال العكبرى : كم : كلمة موضوعة للعدد ؛ وذهب أصحابنا إلى أنها مركبة ، وذهب البصريون إلى أنها مفردة ، حججنا أن أصلها ما زيدت عليها الكاف لأن العرب تصل الحرف في أوله وآخره ، فما وصلته من أوله نحو هذا ، ومما وصلته في آخره نحو « إما تريني ما يوعدون » فكذلك كم : زادوا الكاف على ما ، فصارتا كلمة واحدة ، وكان الأصل أن يقال في كم مالك ؟ كما مالك ؟ إلا أنه حذف الألف لكثرة الاستعمال ، ونظير « كم » لم ، لأن الأصل في لم : ما ، فزيدت عليها اللام ، فصارتا كلمة واحدة ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال ، وسكنت الميم ، فقال : لم فعلت ؟ وزيادة الكاف كثيرة . قال الله تعالى « ليس كمثل شيء » أى ليس مثله . وحكى عن بعض العرب أنه قيل له : كيف تصنعون الأقط ؟ قال كهيمن ، قال الراجز .

* لَوَاحِقَ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَّقِ *

أى المقق وهو الطول ؛ وحجة البصريين أن الأصل هو الإفراد ، والتركيب فرع ، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ، ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل ، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتمدة .

(٢) المهيا : جمع مهاة ، وهى بقر الوحش ، تشبه عيون النساء بعيونها فى حسنها وسعتها . وقتلت بغتة ، والتميم : الذى استعبده الحب ؛ والمعمود : الذى أضناه الحب وأوجعه ، وعنى بالتميم المعمود : نفسه ، يقول : كم قتيل قتل بعيون أحبته التى هى كعيون المهيا ، وليست تلك العيون التى قتلتها كالعيون التى قتلتنى وقتكت بى فإنها لا تشبه بغيرها ؟ !

دَرَّ دَرُّ الصَّبَا أَيْامَ تَجْرِيرِ ذُبُولِي بَدَارِ أَثْلَةَ عُودِي (١)

عَمْرَكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعٍ وَعُقُودِ (٢)

رَامِيَاتٍ بِأَسْهُمٍ رِيَشَهَا الْهَيْدُ بٌ تَشُقُّ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْجُلُودِ (٣)

(١) الدر : اللبن ؛ ويقال لمن يدعى له : در دره : أى كثر خيره ، لأن الخير فى ذلك عند العرب . ويقال لمن يدعى عليه لادر دره . وأيام : منادى ؛ وتجرير الذبول : كناية عن النشاط واللهو لأن النسيط أو النشوان يجر ذيله ولا يرفعه . ودار أثلة : موضع بظهر الكوفة . يتمنى أن تعود هذه الأيام له .

(٢) قوله عمرك الله : قال العكبرى - تقلا عن الجوهرى صاحب الصحاح - وكثيرا ما يعتمد عليه - هو مصدر ، يقال : أطال الله عمرك وعمرك - بالفتح والضم - وهما وإن كانا مصدرين بمعنى : إلا أنه استعمل أحدهما فى القسم - وهو المفتوح - فإذا أدخلت عليه اللام رفعتها بالابتداء - فقلت لعمر الله ، واللام لتوكيد الابتداء ، والخبر محذوف ؛ والتقدير لعمر الله قسمى ، فإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر وقلت عمر الله ما فعلت كذا وعمرك الله ما فعلت كذا ، ومعنى لعمر الله وعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامه ، وإذا قلت عمرك الله فكأنك قلت بتعميرك الله : أى بإقرارك له بالبقاء . وقول عمر بن أبى ربيعة :

أَيُّهَا الْمَنْكُحُ الثَّرِيَا سُهَيْلَا عَمْرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

يريد : سألت الله أن يطيل عمرك ، لأنه لم يرد القسم بذلك ، وسهيل تورية ، وكذلك الثريا ، وهما رجل وامرأة ، ولم يرد النجمين ، وهو فى قول المتنبي مصدر ، معناه : سألت الله أن يعمرك تعميرا . . . يخاطب المتنبي صاحبه وشبه النساء بالبدور .

(٣) راميات : صفة لبدور - فى البيت السابق - والمراد بالأسهم : العيون . والهدب الشعر الذى على أشفار الأجفان . شبهه بريش السهم . يقول : إن هذه الأسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها دون أن تشق الجلود . بخلاف الأسهم المعروفة . قال كثير :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيَشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يُصِيبْ

ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهَوَّ فِي الْقَلْبِ جَارِحُ

وقال جميل :

وَمَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ يَدٌ وَحَمْرُ الْعُقَدَتَيْنِ وَثِيقٌ

يَتَرَشَّفَنَّ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ (١)

بَأَوْشَكَ قَتْلًا مِنْكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي نَوَافِدًا لَمْ تَعْلَمْ لَهُنَّ خُرُوقَ (١)

(١) رشف الريق وترشفه : مصه . وقوله أحلى من التوحيد : أى كلمة التوحيد . ويروى حلاوة التوحيد : أى هن فيه كحلاوة التوحيد . قال ابن جنى : يروى أن المتنبي أنشده هكذا : هن فيه حلاوة التوحيد . وقالوا - للتخلص من هذه المبالغة المفرطة - إن التوحيد نوع من ثمر العراق . . والوجه أن يقال إن مثل هذه المبالغات مقبول مستساغ في مذهب الشعراء ؛ على أن أفعل قد لا يراد به تفضيل الأول على الثانى فى كل المواضع ، وهنا مثلاً قد يراد أن هذا الترشف بلغ المبالغ فى الحلاوة حتى ليسبه حلاوة كلمة التوحيد ، وقد جاء مثل هذا كثيراً فى كلام العرب ، وعبرة الواحدى : كن يخصص ريبى لحبهن إياى ، فكانت الرشفات فى فمى أحلى من كلمة التوحيد ، وهى لا إله إلا الله ، وهذا إفراط وتجاوز حد ؛ وقال ابن القطاع ذهب كثير من الناس إلى أن لفظة أفعل من كذا توجب تفضيل الأول على الثانى فى جميع المواضع ، وذلك غلط ، والصحيح أن أفعل

(١) بين هذين البيتين بيتان هما :

لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمْ نِظَائِرٌ وَنَصْلٌ كَنْصَلِ الزَّاعِي فَتَيْقُ
عَلَى نَبْعَةِ زَوْرَاءَ أَيَّمَا خِطَامِهَا فَمَتْنٌ وَأَيَّمَا عُدُّهَا فَعِتَيْقُ

صاب السهم نحو الرمية يصب وهو صائب إذا قصد ولم يجر ، والنابل : ذو النبل وممر العقدتين ؛ يريد وترا أحكمت عقدتا طرفيه ، وأصل الممر : الحبل الشديد القتل . وقوله من خوافى النسر : يريد ريش السهم ، وريش النسر أجود للسهم من ريش كل طائر ، والحلم جمع أحم ، وهو الأسود ، وجعلها نظائر فى مقاديرها لأن ذلك أقصد للسهم . وقوله كَنْصَلِ الزَّاعِي : أى كَنْصَلِ الرَّمْحِ الزَّاعِي . قال الأصمبى : الزَّاعِي هِرُّ الذِّى إِذَا هَزَّ فَكَأَنَّ كَعُوبَهُ يَجْرَى بَعْضُهَا لِبَيْنِهِ وَتَنْبِيهِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : مَرَّ يَزْعَبُ بِحِمْلِهِ إِذَا مَرَّ بِهِ مَرًّا سَهْلًا . وقوله فتَيْقُ : يريد حاداً رقيقاً . وقوله على نبعة : يريد قوساً ، وأكرم القسى ما كان من النبع - شجر معروف - وقوله بأَوْشَكَ قَتْلًا مِنْكَ : أى بأسرع . وزوراء أى معوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافاً كان سهمها أمضى . وأيما : يريد أما ، وخطام القوس : وترها ، ومتن : أى ذو صلابة وقوة . وقوله وأيما : عودها فتَيْقُ يصف كرم هذه القوس وعتقها .

كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرْقٍ مِنْ الْخُمْرِ بِقَلْبِ أَقْسَى مِنَ الْجُمُودِ (١)

يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه : أحدها أن يكون الأول من جنس الثاني ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل ، فهذا يكون حقيقة في الفضل لمجازا ، وذلك كقولك : زيد أفضل من عمرو ، وهذا السيف أصرم من هذا . والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني ، ومحملا للحاق به ، وقد سبق للثاني حكم أو جب له الزيادة بالدليل الواضح ، فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل ، نحو قولك : الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو ؛ وبيت التنبي من هذا القبيل : أى يترشفن من فمى رشفات هن قريب من التوحيد . والثالث : أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريبا منه ، والثاني دون الأول ، فهذا يكون على الإخبار المحض ، نحو قولك : الشمس أضوأ من القمر ، والأسد أجراً من النمر . والرابع : أن يكون الأول من غير جنس الثاني وقد سبق للثاني حكم أو جب له الزيادة واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة ، فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض ، والغرض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثاني ، نحو قولك : زيد أشجع من الأسد وأمضى من السيف . والخامس : أن يكون الأول من غير جنس الثاني والأول دون الثاني في الصفة جدا ، فيكون هذا على المبالغة المحضة ، نحو قامته أتم من الرمح ووجهه أضوأ من الشمس ، وجاء في الحديث : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لمجة من أبى ذر » ذهب من لا يعرف معانى الكلام إلى أن أبذر أصدق العالم أجمع ، وليس الأمر كذلك ، وإنما نبى عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة في الصدق ، ولم ينف أن يكون في الناس مثله في الصدق ، ولو أراد مذهبوا إليه لقال : أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت . وروى الأكثر : أحلى من التوحيد ؛ ومن روى حلاوة التوحيد أراد هى عندى مثل حلاوة التوحيد ، فخذ المضاف ورفع .

(١) الخُمصانة — بفتح الخاء وضمها : الضامرة البطن . وعنى برقتها : نعومتها وصفاء لونها ؛ وقوله بقلب الخ : أى مع قلب أصلب من الحجر . يقول : أجسامهن ناعمة وقلوبهن قاسية . وقوله كل : قال البكبرى : يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير فى يترشفن ، وعلى هذا يرفع أرق : حملا على كل . ويجوز نصبه ، وهو فى موضع خفض نعتا للخُمصانة ، ويجوز نصب كل حملا على النعت لبدورا ، فيكون بدل تبيين .

- ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّهَا ضَرْبُ الْعَنْبَرِ فِيهِ بَمَاءٌ وَرْدٍ وَعُودٌ (١)
 حَالِكٌ كَالْعُدَافِ جَبَلٌ دَجُوجِيٌّ أَثِيثٌ جَمَدٌ بِلَا تَجْعِيدٍ (٢)
 تَحْمِلُ الْمِسْكَ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّيحُ وَتَفْتَرُّ عَنْ شَنِيبِ بَرُودٍ (٣)
 جَمَعَتْ بَيْنَ جِسْمِ أَحْمَدَ وَالسَّقَمِ وَبَيْنَ الْجُهُونِ وَالتَّسْهِيدِ (٤)
 هَذِهِ مُهْجَتِي لَدَيْكَ لِحْيَتِي فَأَنْقِصِي مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَرِيدِي (٥)
 أَهْلُ مَا بِي مِنَ الضَّنِيِّ بَطْلٌ صَيْدٌ بَتَّصْفِيْفٍ طُرَّةٍ وَبَجِيدٍ (٦)

(١) ذات : صفة أخرى لمحصانة ؛ والفرع : شعر الرأس . وضرب : خلط ، وقوله وعود ؛ - في آخر البيت - متعلق بمحذوف : أي ودخن بعود ، لأن ماء العود لا طيب له ، وإنما تفوح رائحته بالاحتراق ؛ وهذا مثل قولهم :

* عَلَفْتَهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا *

قال الشريف بن الشعري في أماليه : قوله وعود : يريد ودخان عود ، لأن العود لا ماء له . يقول المتنبي : إن شعرها طيب الرائحة ، فكأنه خلط بهذه الأنواع من الطيب .

(٢) حالك : نعت فرع : والحالك : الشديد السواد . والغداف : الغراب الأسود . والجبل : الكثير المنتف ؛ والدجوجي : المظلم ؛ والأثيث : الكثيف ؛ وقوله جمد بلا تجعيد : أي خلق جمدا من غير أن يجعد .

(٣) الغدائر : جمع غديرة ، وهي الذؤابة . وتفتر : بتسم ، وعن شنيب : أي عن ثغر شنيب ، والشنب : البياض والبريق وتحزير أطراف الأسنان ، وقيل طيب نكهتها ؛ وقيل تفلجها ؛ والبرود : البارد . ويروى عن شتيت ، وثغر شتيت : مفرق مفلج ، يقول : إنها طيبة الريح فكأن الريح إذا مرت بها تحمل المسك من غدائرها .
 (٤) أحمد : يعني نفسه ؛ والتسويد : السهر . يقول : جمعت بين جسمي والسقام وبين جفوني والسهاد .

(٥) المهجة : دم القلب ، وتوضع موضع الروح ؛ والحين : الهلاك . يقول : هذه روحي أسلمها إليك ، ولكن لأجل هلاكى ، فإن شئت فانقصي من عذابها بالوصل ، وإن شئت زيديها عذاباً بالهجر . وقال العكبري : إن جعل هذه إشارة : فليدك يتعلق بمعنى الإشارة ، وإن جعلها نداء - بحذف النداء - كان متعلقاً بالاستقرار .

(٦) أهل : مبتدأ ؛ وبطل : خبره . أي يستحق ما بي من الضنى بطل الخ والطره :

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدَّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلَا دَمَ الْعُنُقُودِ (١)
فَاسْقِيهَا فِدَى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي (٢)
شَيْبُ رَأْسِي وَذِلَّتِي وَنُحُولِي وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكَ شُهُودِي (٣)

شعر الجبهة ؛ وتصنيفها : تسويتها — وهذا البيت كالعلة لما قال في البيت السابق . يقول :
افعلى ما شئت فإني أهل لذلك ومستحق له ، لأن الرجل الشجاع إذا صادته المرأة بتصفيف
طرفها وحسن عنقها فهو أهل لما حل به . ويحتمل أنه إنما قال هذا كالمتشفي من نفسه
واللائم لها على هذا العشق . وقال ابن القطاع : قوله أهل ما بي الح : معناه أنا أهل ما بي
وحيق به وأنا بطل صيد وعبارة ابن جني : أنا أهل ذلك وحيق بحسن ما رأيت وأنا
بطل صيد الخ .

(١) دم العنقود : الخمر ؛ ويروى : أبنة العنقود . قال الواحدي : وليس الأمر على
ما قال ، لأن شرب الخمر لا يخل ، إلا أن يريد بدم العنقود : العصير ، أو مالا يسكر من
المطبوخ . . . أقول : إن مثل هذا إنما يقوله الفقهاء وأشباه الفقهاء ، وكلام المتنبي سائغ في
مذهب الشعراء ، وهو من قبيل قول أبي نواس :

فِي مَجْلِسِ صَحْحِكَ السَّرُورُ بِهِ عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْخُمُرُ

أى حلت الخمر المحرمة . والمعنى — ان المجال بلغ من البهجة والمرح والانبساط الغاية
التي لا بعدها . قال العكبري : وسميت الخمر دما لأنها تسيل من العنقود كما يسيل دم المقتول
وقال : قوله ما خلا : إذا قلت جاء القوم ما خلا زيدا : فليس إلا النصب ، وإذا قلت جاء
القوم خلا زيدا : كان الجر لا غير ، وقال ابن جني : إذا أسقطت «ما» جررت ، وكان أقوى
من النصب ، لاحتماله إياه .

(٢) طارفي وتليدي : معطوفان على نفسي ؛ وقوله من غزال : تخصيص له بالفداء
من جملة الغزلان ؛ ومثله أفديك من رجل . والطارف — ومثله الطريف — ما استحدث
عندك من مال ؛ والتالذ — ومثله التليذ — ما كان عن إرث الآباء . يقول : اسقني
الخمره فأنا أفديك بنفسى وما أملك . قال العكبري : أنت الضمير في اسقنيها ؛ لأنه أراد
بالدم الخمر ، وذكر ضمير عينيك ، والأفعال بعد ، لقوله من غزال على لفظه لا معناه ،
لأن المراد بالغزال المشوقة وتقدير الكلام : فدى لعينيك من غزال نفسي وطارفي وتليدي
(٣) شيب رأسى : مبتدأ ، وما بعده : عطف عليه ؛ وشهودى خبره ، وعلى هواك :

متعلق بشهودى . وهذا من قول الآخر :

- أَيَّ يَوْمٍ سَرَزْتَنِي بُوَصَالٍ لَمْ تَرَعْنِي ثَلَاثَةَ بَصُدُودٍ (١)
 مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةٍ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ (٢)
 مَفْرَشِي صَهْوَةٌ الْخِصَانِ وَلَكِنَّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ (٣)
 لِأُمَّةٍ فَاضَةٌ أَضَاةٌ دِلَاصٌ أَحْكَمَتْ نَسَجَهَا يَدَا دَاوُدَ (٤)
 أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْرِ بَعِيشٍ مُعْجَلٍ التَّنْكِيدِ (٥)
 ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزِّ
 قِ قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي (٦)

أَوْ مَا كِفَاكَ تَغَيَّرِي وَنَحُولُ جِسْمِي شَاهِدَا

(١) أي منصوب على الظرفية: أي في أي يوم. وراعه: أفزعه. يقول: لم تسرني يوماً بالوصال إلا رعتني ثلاثة أيام بالصد والإعراض. وقال العكبري: أي نصب، وهو استفهام خرج مخرج النفي، كما تقول لمن يدعي أنه أكرمك: أي يوم أكرمتني قط،
 (٢) المقام بمعنى الإقامة؛ ونخلة: قرية لبني كلب قرب بعلبك. يقول: إن أهل هذه القرية أعداء لي، كما كانت اليهود أعداء للسيد المسيح. قال الواحدي: وبهذا البيت لقب بالمتنبى، لتشبيهه نفسه بالسيد المسيح في هذا البيت، وبصالح عليه السلام فيما بعده.
 (٣) المفرش: موضع الفراش. ومفرشي الخ: في موضع الحال، والصحوة: مقعد الفارس من ظهر الفرس. والحصان: الفرس الفحل. والمسرودة: الدرع المنسوجة من الحديد. يقول: إنني شجاع، مكاني ظهر الفرس، وثيابي الدروع: أي أنني أبدأ بهذه القرية على هذه الحالة تيقظاً وتأهباً:

(٤) لأمة: درع ملتئمة الصنعة، بدل من قوله مسرودة: وفاضة: سابعة؛ يقال درع فاضة: أي تفيض على جسم لابسها فتعمه. والأضاة: الغدير؛ شبه الدرع به لبريقها وصفائها؛ والدلاص: البراقة اللينة اللساء؛ ودرع دلاص وأدرع دلاص، الواحد والجمع على لفظ واحد، وداود: هو سيدنا داود، أول من عمل الدرع، كما قال جل شأنه: «وألنا له الحديد». يقول: قميصي لأمة محكمة النسج من صنع داود الخ.

(٥) يقول: إذا قنعت من الدهر بعيش قد عجل لي نكده وأبطأ على خير، فأين فضلي؟ يعني إذن لافضل لي، فكأنه قد خفي فليس يرى. ثم قال: في البيت الثاني: لقد تعبت في طلب الرزق ولم أحصل من ذلك بطائل، ومن ثم ضاق صدري لكثرة ما نصبت وطال سفرى وقل قعودي عن السفر.

- أَبَدًا أَفْطَعُ الْبِلَادَ وَنَجْمِي فِي نُحُوسٍ وَهَمَّتِي فِي سَعُودِ (١)
وَلَعَلِّي مُؤَمَّلٌ بَعْضَ مَا أَبْلَغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ (٢)
لِسِرِّي لِبَاسُهُ خَشِنُ الْقُطْنِ وَمَعْرُوِيٌّ مَرَوٍ لِبَسِ الْقُرُودِ (٣)
عَشٍ عَزِيزًا أَوْ مُتً وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ (٤)

(١) يقول : إنه طموح ، بعيد الهمة ؛ دائب السعي وإن قل حظه من الرزق كما قال أبو تمام :

هَمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدُّهُ
أَلْفٌ لِلْحَضِيضِ فَهَوَ حَضِيضٌ
وقال الآخر :

وَلِي هَمَّةٌ فَوْقَ نَجْمِ السَّمَاءِ
وَلَكِنَّ حَالِي تَحْتَ الثَّرَى
فَلَوْ سَاعَدَتْ هَمَّتِي حَالَتِي
لَكُنْتُ تَرَى غَيْرَ مَا قَدْ تَرَى

(٢) يقول : لعل العزيز الحميد سبحانه وتعالى مبلغني فوق ما أرجو، فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه . أو تقول : إن الكلام على القلب : أى لعلى بلطف العزيز الحميد أبلغ بعض ما أرجوه . وعبارة الواحدى يقول : لعلى راج بعض ما أومله بلطف الله ؛ ثم قال : وفيه وجه آخر ، وهو أن المرجر محبوب ، والمكروه لا يكون مرجوا . بل يكون محذورا ، فهو يقول : لعلى راج بعض ما أبلغه وأدركه من فضل الله : أى ليس جميع ما أبلغه مكروها ، بل بعضه مرجو ومحبوب . وقال ابن القطاع : أوخذ فى قوله ولعلى مؤمل الخ ؛ إذ كيف يؤمل بعض ما يبلغ ؛ وإنما وجه الكلام أن يقول : ولعلى أبلغ بعض ما أومل ، وليس كذلك ، بل المعنى : ولعلى أبلغ آمالى ، وأزيد عليها حتى يكون ما أومله بعض ما أبلغه وقيل معناه : أنا أومل أكثر ما أطلب ، فلعلى بالغ بعض ما أومله ، لأن ما أومله بعض ما أبلغه أو لأن ما أومله لا يبلغ إليه أحد .

(٣) السرى : الماجد الشريف . والروى : ثياب رقاق تنسج بمرو . وهى بلد بفارس . يقول : لعلى بالغ بعض ما أومله بلطف الله لسرى - يعنى نفسه - يتكشف فى لبسه فلباسه القطن الخشن - والعرب تتمدح بخشونة اللبس والمطعم ، وتعيب الترف والنعيم أما الثياب الرقيقة فهى لبس اللثام - ويروى بسرى : أى أبلغه بإقدام هذا السرى وهمته .
(٤) البنود : الاعلام الكبيرة ، وخفق البنود : اضطرابها . يقول : إما أن تعيش عزيزاً ممتعاً من الأعداء ، أو تموت موت الكرام فى الحرب ، لأن القتل فى الحرب يدل على شجاعة المقتول ، والقتل خير من العيش فى ذل .

- فَرَمُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ اللَّغِيْظِ وَأَشْفَى لِعِغْلٍ صَدْرَ الْحُقُودِ (١)
 لَا كَمَا قَدْ حَيَّيْتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مَتَّ مَتَّ غَيْرَ فَقِيْدٍ (٢)
 فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَطَىٍ وَذَرِ الذَّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ (٣)
 يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانَ وَقَدْ يَعْجِزُ عَنْ قَطْعِ بَحْنِقِ الْمَوْلُودِ (٤)
 وَيُوقَى الْفَتَى الْمَخَشُّ وَقَدْ خَوَّ ضَافِي مَاءِ لَبَّةِ الصَّنْدِيدِ (٥)
 لَا بِقَوْمِي شَرَفْتُ بَلْ شَرَفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي (٦)

(١) الغل : الحقد . يقول : إذهاب الغيظ بالرماح أكثر من إذهابه بالسلم ، وأشفي لغل صدر الحقود من أعدائه . وقال العكبري : تقول ذهبت بالغيط ولا تقول ذهبت بل أذهبت ، والوجه أن يقول أشد إذهاباً لغيط ، لأن أفعل لا يبنى من الإفعال إلا في ضرورة الشعر . ولكنه جاء على حذف الزوائد ؛ ولو قال بالغيط لاستغنى .

(٢) يقول : عش عزيزاً أو مت في الحرب كريماً ولا تعش كما عشت إلى الآن ذمياً لا تستطيع أن تصطنع الناس فيحمدوك ، فإذا أنت مت وجدوا مثلك كثيراً فلا يفتقدونك ولا يكثرثون لموتك ، لأنهم إنما يبالون من له إقدام وشجاعة وأفاعيل يذكر بها . . . هذا : ويقال حيي يحيي حياة وحى - بالإدغام - وقوله تعالى «ويحيي من حى عن بينة» قال الفراء : كتابتها على الإدغام بياء واحدة هي أكثر القراءات .

(٣) لظى : من أسماء جهنم وهي معرفة لا تنصرف ، والكلام كله مبالغة في طلب العز والبعد من الذل ، وإلا فلا عز في جهنم ولا ذل في الجنة .

(٤) البحنق : خرقه تنقع بها الرأس وتشد تحت الحنك . يقول : قد يقتل العاجز الجبان ، فليس العجز والجبن من أسباب البقاء ، فأياك والعجز والجبن حبا للبقاء .

(٥) الخش : الجريء على الليل والدخال في الأمور والحروب ؛ وخوض : بالغ في الخوض . واللبة : أعلى الصدر ؛ وماؤها : دمها ، والصنديد : السيد الشجاع . والبيت ككلمة لما ذكره في البيت السابق . يقول : كما أن العاجز الجبان قد يقتل يسلم الشجاع المغوار وقد خاض في الحروب حتى غاص في دماء الصناديد ، يبحث على الإقدام كما نهى عن الجبن فيما قبله .

(٦) هذا كما قال القائل :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوْدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

وَبِهِمْ فَخَرُّ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّالَّ
دَ وَعَوِذُ الْجَانِي وَغَوِثُ الطَّرِيدِ (١)
إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعَجِبٌ عَجِيبٌ
لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ (٢)

وَصَيْرَتُهُ مَلِكًا هَمَامًا

حَتَّى عَدَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا (١)

وقال عامر بن الطفيل :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَامِرٍ
فَمَا سَوِّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ
وَلَكِنِّي أَحْمَى حِمَاهَا وَأَتَقَى
أَذَاهَا وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبِ (٢)
قال الواحدى : لو اقتصر المتنبي على هذا البيت لكان الأمم الناس نسبا . لكنه قال بعده البيت التالى .

(١) كل من نطق الضاد : العرب ، لأن الضاد لا توجد فى غير العربية . يقول :
على أنه بقومى نخر العرب جميعا ، وبهم عوذ الجانى : أى أن من جنى جناية وخاف على
نفسه لجأ إلى قومى ليأمن على نفسه ، وبهم غوث الطريد - وهو الذى نفي وطرد - أى
أنه يستغيث بهم فيغيثونه وينصرونه .

(٢) المعجب : الذى يعجب بنفسه . والعجيب : الذى يعجب غيره . يقول : إن
كنت معجبا بنفسى فهذا العجب صادر من رجل عجيب لا يرى لأحد مزية يمتاز بها عليه ،
فليس عجبى إذا بمنكر .

(١) عصام : هو حاجب النعمان بن النذر ، وهو عصام بن شهر الجرمى ، وفى المثل

كن عصاميا ولا تكن عظاميا . يريدون به قول عصام هذا ، والعظامى . الذى يفتخر
بآبائه ويتكل على مجدهم .

(٢) أسمو : من السمو ، وهو العلو والارتفاع ؛ وقوله بمنكب : يريد أرمى من

رماها بجماعة رؤساء من الفوارس ، والمنكب : رأس العرفاء . وقيل أعوان العرفاء
من النكابة ، وهى العرافة .

أَنَا تَرِبُّ النَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِي وَسِمَامُ الْعِدَا وَغَيْظُ الْحُسُودِ (١)
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكِبَا اللَّهَ هُوَ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي شُودِ (٢)

(١) ترب الإنسان : من ولد معه في وقت ، والندى : الجود ، والسمام : جمع سم .
يقول : أنا أخو الجود ولدنا معا ، وأنا رب القوافي ومبدعها ، إذ لم أسبق إلى مثلها ،
وأنا قاتل أعدائي كما يقتل السم ، وأنا غيظ حسادي ، لأنهم يتمنون مكاني فلا يدركونه
فيقتاظون .

(٢) تداركها الله : جملة معترضة ، وهي إما دعاء لها : أي تداركهم الله بالإصلاح ونجائهم
من لؤمهم ، أو دعاء عليهم : أي أدركهم الله بالإهلاك لأنجو منهم . هذا وشمود قبيلة من
العرب الأول واختلف القراء في إعرابه في كتاب الله : فمنهم من صرفه : ومنهم من
لم يصرفه ، فمن صرفه : ذهب إلى الحى لأنه اسم عربي مذكر سمي بمذكر ؛ ومن لم
يصرفه : ذهب به إلى القبيلة ، وهي مؤنثة .

وأهدى إليه عميد الله بن خلكان - من خراسان - هدية فيها سمك من سكر
ولوز في عسل ، فرد إليه الجامة وكتب عليها هذه الأبيات بالزعفران :

أَقْصِرْ فَلَسْتَ بِزَائِدِي وَدَا
بَلَّغَ الْمَدَى وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ (١)
أَرْسَلْتَهَا مَمْلُوءَةً كَرَمًا
فَرَدَدْتُهَا مَمْلُوءَةً حَمْدًا (٢)
جَاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهِيَ فَارِغَةٌ
مَثْنَى بِهِ وَتُظْنَهَا فَرْدًا (٣)
تَأْتِي خَلَاتِكَ الَّتِي شَرُفَتْ
أَنْ لَا تَحْنَنَّ وَتَذَكُرَ الْعَهْدَ (٤)

(١) أقصر عن الشيء : إذا كف عنه وهو قادر عليه ، وقصر عنه : إذا عجز عنه ،
وقصر فيه : إذا لم يبالغ ، والضمير في بلغ : للرد ، والجملة استئناف . يقول : إن ودي
إياك قد بلغ الغاية وتجاوز الحد بحيث لا يقبل الزيادة ، فكف عن البر فإنك لا تزيدني
بذلك ودا . وهذا من قول ذي الرمة :

وما زال يعلو حب مية عندنا ويزداد حتى لم نجد ما يزيدها

(٢) أرسلتها أى الجامة . ومملوءة حمدا : يريد ما كتبه إليه على جوانبها .

(٣) طفح الإناء : امتلاء . وتطفح : حال : أى طافحة : ومثنى : حال أخرى ، والضمير
في به : للحمد ، أى الأبيات التى عليها يقول : جاءتك الجامة طافحة بالحمد وإن كانت فارغة مما
كان فيها ، وقد شفعتها بالحمد - لأنه كتب هذه الأبيات على جوانبها - فصارت بذلك شيئين
لاشيئاً واحداً كما تظنها .

(٤) الخلائق : ما خلق عليه الإنسان . يقول : إن أخلاقك الشريفة تأتى عليك أن

لا تشناق إلى أوليائك وتذكر عهودهم ؛ قال العكبرى : قوله أن لا تحن : أن هاهنا هى
الخففة من الثقيلة ، ودخلت لالتفصل بينها وبين الفعل ، فلهاذا رفع تحن وتذكر ؛ ومثله
قراءة أبى عمرو وحزمة والكسائى فى قوله تعالى « وحسبوا ألا تكون فتنة » بالرفع ،

لَوْ كُنْتَ عَصْرًا مُنْبِتًا زَهْرًا
كُنْتَ الرَّبِيعَ وَكَانَتْ الْوُرْدَا^(١)

* * *

وروى جماعة هذا الحرف — أن لا تحن وتذكر — بالنصب ، وجعلوا أن هي الناصبة ، ولم يعتدوا بلا ، كقراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم .

(١) اسم كانت : ضمير الخلائق . يقول : لو كنت زمانا ينبت الأزهار لكنت زمان الربيع ، وكانت أخلاقك الورد : أى أنك بين الرجال كالربيع بين الأزمنة ، وأخلاقك بمنزلة الورد من الأزهار . هذا : والعصر ، والعصر ، والعصر ، والعصر : الدهر . قال امرؤ القيس في العصر :

الْأَعْمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمنَ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي
وَالْجَمْعُ : أعصر وأعصار وعصر وعصور . قال العجاج :

* وَالْعُصْرِ قَبْلَ هَذِهِ الْعُصُورِ *^(١)

والعصران : الليل والنهار . قال حميد بن ثور :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا — أَنْ يَدْرَكَ مَا تَيْمَمَا^(٢)

(١) أول هذا الرجز :

جَارِي لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي سِيرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي

العذير : الأمر الذي يحاوله الإنسان فيعذر فيه : أى لا تستنكري ما أحاوله معذورا فيه . وسيرى عطف بيان له ، أو بدل منه . وجارى : منادى مرخم : أى ياجارية .

(راجع الرجز في أراجيز العرب للبكري) .

(٢) قبله :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلم

أى أن الصحة والسلامة مؤديتان إلى الهرم ، وهو الداء الذى لا دواء له .

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المذبحي :

أَلْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمٍ عَهْدُكُمْ غَدٌ^(١)

(١) يقول .. مخاطبا أحبته - : اليوم ألقاكم مودعا ، فمتى يكون اللقاء بعد هذا الفراق ؟ ثم استأنف فقال : هيهات - أي بعدما أطلب - ليس لهذا اليوم - يوم لقاءكم للوداع - غد : أي لا أطمع في أن أعيش بعد فراقكم ، فلا غد لي بعد هذا اليوم . وأين ، وإن كانت سؤالا عن المكان : إلا أن المراد بها هنا ما يراد بمتى : أي السؤال عن الزمان . وهيهات : كلمة تبعيد ؛ قال جرير :

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلُّ بِالْعَقِيقِ نُحَاوِلُهُ^(١)
والتاء مفتوحة ، مثل كيف ، وأصلها هيهاه ؛ وكذلك وقف عليها أحمد البرزى عن ابن كثير والكسائي بالهاء رداها إلى الأصل وقد كسرهما جماعة من العرب ؛ قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت ، بلاد أحتى صارت في القفار :

يُصْبِحْنَ بِالْقَفْرِ أَتَاوِيَاتٍ مُعْتَرِضَاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتٍ

* هَيْهَاتَ مِنْ مُصْبِحِهَا هَيْهَاتَ *^(٢)

وقد أبدلوا الهاء الأولى منها همزة فقالوا أيهات كهراق وأراق ؛ قال الشاعر :

* أَيِهَاتَ مِنْكَ الْحَيَاةُ أَيِهَاتَا *

وقال الجوهري في صحاحه : قال الكسائي من كسر التاء وقف عليها بالهاء ، ومن فتحها وقف عليها بالتاء ، وإن شاء بالهاء ، قال أبو محمد عبد الله بن برى النحوي في أخذه على الجوهري : قال أبو علي الفارسي : من فتح التاء وقف بالهاء ، لأنه اسم مفرد ، ومن كسر وقف عليها بالتاء ، لأنه جمع لهيهات المفتوحة وقال الاخفش : يجوز في هيهات أن تكون جماعة ، فتكون التاء التي فيها تاء الجمع التي للتأنيث ، ولا يجوز ذلك في اللات (١) نحاوله : يروى نواصله ، والعقيق . اسم واد بالمدينة ، والحل : الصديق .

وهيهات : اسم فعل بمعنى بعد .

(٢) يقال رجل أتاوى : إذا كان غريبا في غير بلاده . فقوله يصبحن أتاويات : أي غريبة من صواحبه لتقدمهن وسبقهن ، ومعترضات : أي نشيطة لم يكسبن السفر ، غير عرضيات : أي من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط من شيمهن .

أَلَمُوتُ أَقْرَبُ مُخْلِباً مِنْ بَيْنِكُمْ وَالْعَيْشُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ لَا تَبْعُدُوا (١)
 إِنَّ الَّتِي سَفَكَتْ دَمِي بِجَفُونِهَا لَمْ تَدْرِ أَنَّ دَمِي الَّذِي تَتَّقَلَدُ (٢)
 قَالَتْ وَقَدَّرَاتِ اصْفِرَّارِي مَنْ بِهِ وَتَنَهَّدَتْ فَأَجَبْتِهَا الْمُتَنَهِّدُ (٣)
 فَصَّصَتْ وَقَدْ صَبَّغَ الْحَيَاءُ بِيَاضِهَا لُونِي كَمَا صَبَّغَ اللُّجَيْنَ الْعَسْجَدُ (٤)

والعزى ؛ لأن لات وكيت لا يكون مثلهما جماعة ، لأن التاء لاتراد في الجماعة إلا مع الألف ؛ فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقي الاسم على حرف واحد .

(١) الخلب : للمفترس من السباع وجوارح الطير ، واستعاره للموت لأنه يهلكه الحيوان كأنه يفترسه . يقول : إذ ترمعون انفراق فإن الموت سيدركني قبل أن تفارقوني فرعاً من البين . والحياة تكون عنى أبعد منكم . وقوله لا تبعدوا : دعاء لهم : أى لا بعدتم عنى ولا فارقتمنى أبداً ، ومن رواه بفتح العين فهو من البعد - بفتحيتين - بمعنى الهلاك : أى لاهتكم ولا فحجت بكم . قال تعالى « ألا بعداً للمدين كما بعدت ثمود » أما بضم العين فهو من البعد - بمعنى البين والفراق - وقوله مخلباً : يروى مطلباً ، ومعناه أطلب الموت قبل فراقكم : أى لوخيرت بينها طلبت الموت ولم أطلب فراقكم .

(٢) يقول : إن التي عصفت بي وأنت على وقتلتني بعينها لم تدر أن دمى فى عنقها وأنها باءت بإثم قتلى . يقال تقلد الإثم ونحوه : أى لزمته تبعته . وتقلد الأمر : أخذه فى عنقه ، وأصله من القلادة ، ومنه تقليد القضاة القضاء : أى جعله فى أعناقهم . وكذلك تقليد الولاية .

(٣) يقول : لما رأته اصفرار وجهى - وجداً بفراقها - قالت من به ؟ أى من فعل به هذا الذى أراه ؟ أو من المطلب به ؟ وتنهدت : أى علاصدها لشدة تنفسها ، وزفرت استعظاما لما رأته - فأجبتها وقلت : الذى فعل بى هذا - أو المطلب بى - هو المتنهّد أى أنت . وقال العكبرى : يجوز أن يكون قالت : جواباً لظرف محذوف : أى لما رأته اصفرارى قالت ؛ ويجوز أن يكون خبر إن - فى البيت قبله - ويكون عجز البيت : لم تدر الخ - جملة فى موضع نصب على الحال .

(٤) اللجين : الفضة ؛ والعسجد : الذهب ؛ وقوله : وقد صبغ الحياء بياضها لوني عدى الصبغ إلى مفعولين ، لأنه يضمن معنى الإحالة ؛ كأنه قال : أحال الحياء بياضها لوني . يقول : إنها استحيت فاصفر لونها ، كأنها فضة قد مسها ذهب . قال الواحدي : إن الحياء لا يصفّر اللون بل يحمره . ولكن هذا الحياء كان مختلطاً بالخوف ، لأنها خافت

فَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَمَرِ الدُّجَى مُتَأَوِّدًا غُصْنَ بِهِ يَتَأَوَّدُ (١)
 عَدْوِيَّةٌ بَدْوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا سَلَبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ (٢)
 وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ وَذَوَابِلٌ وَتَوَعَّدُ وَتَهْدُدُ (٣)
 أَبَلْتُ مَوَدَّتَهَا اللَّيَالِي بَعْدَنَا وَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَهُوَ مُقَيَّدُ (٤)

الفضيحة على نفسها ، أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام ، أو خافت أن تطالب بدمه ، فاستشعارها خوف ماجنت من القتل غلب سلطان الحياء فأورث صفرة .

(١) قرن الشمس : أول ما يبدو منها وهو أصفر ، وقرن الشمس : مفعول أول لرأيت ؛ والمفعول الثاني : الظرف بعده ؛ ومتأودا : أى تمايلا ، حال من قمر ؛ وغصن : مبتدأ ؛ ويتأود : خبره ؛ والضمير في به : للقمر ؛ والجملة : بدل من متأودا : أى حال كونه متأودا يتأود به غصن ؛ ويجوز أن يكون غصن : فاعل متأودا ، ويتأود : نعت لغصن : أى حال كونه متأودا به غصن يتأود . يقول : إنها لما اصفر لونها كانت تلك الصفرة في بياضها كالشمس إذا حلت في القمر الذي يميل به غصن قامتها : يعنى أن قامتها تمايل بوجهها في حال مشيتها . وقال ابن جني : قد جمعت بين حسن الشمس والقمر ، وجعل قامتها غصنا تمايلا شبيها بالقضيب لاعتداله وتمايله وثنيه . يريد كانت كالقمر في بياضها فلما اصفرت خجلا صارت الصفرة في بياضها كقرن الشمس .

(٢) عدوية : أى من بنى عدى ، وبدوية : نسبة إلى البادية ، أو البدو - على غير قياس - وعدوية : خبر مبتدأ محذوف : أى هى عدوية ؛ أو قاتلى عدوية ، ومن دونها : خبر مقدم ، وسلب النفوس : مبتدأ مؤخر . يقول : إنها من قومها في منعة ، قبل الوصول إليها تسلب أرواح طالبيها وتوقد نيران الحروب ، فمن حاول الوصول إليها صلى بنار الحرب .

(٣) وهو اجل الخ : عطف على سلب النفوس - في البيت السابق - وهو اجل : جمع هو جل ؛ وهو المفازة لأعلامها والصواهل : الخيل والمناصل : السيوف ، والذوابل الرماح . يقول : دون الوصول إليها هذه الأشياء ، قال العكبرى : وهو اجل أيضاً النوق ويجوز أن يريد بها النوق ، ليكون أليق بالبيت ، لأن ذكر النوق مع الخيل أشبه من ذكر الأرض مع الخيل .

(٤) أبلت : من البلى ، ومشى عليها : أى على مودتها . يقول : أبلاها بعد العهد وأنساها مودتها إيانا . وقوله ومشى عليها الدهر وهو مقيد : مبالغة في الإبادة : أى وطئها وطأ تقبلا كوطء المقيد ، وذلك أن المقيد لا يقدر على خفة المشى ورفع الرجلين ، فهو يطأ

بَرَحَتْ يَأْمَرُضَ الْجُفُونَ بِمَرَضٍ مَرَضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعَيْدَ الْعُودِ (١)
فَلَهُ بَنُو عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرَّضَا وَلِكُلِّ رَكْبٍ عَيْسُهُمْ وَالْفَدْفَدُ (٢)

وطأ ثقيلًا . وقال ابن جنى : هذا مثل واستعارة ، وذلك أن المقيد يتقارب خطوه ، فهو يريد أن الدهر دب إليها فغيرها . قال الواحدي : وهذا فاسد بقوله عليها ، ولو أراد ما قال : لقال ومشى إليها الدهر ، كما قال أبو تمام :

فِي أَحْسَنِ الرَّسُومِ وَمَا تَمَشَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فِي صُورِ الْبِعَادِ

(١) برح به الأمر وأبرح به : جهده واشتد عليه . وأراد بالمرض : نفسه . والعود الذين يزورون المريض خاصة ، يقول : لقد برحت به الجفون الذوابل ، واشتد عليه ما يلاقيه من جراء حبها حتى مرض طيبه وزواره - حين هالهم مرضه - رحمة له وورثاء لحاله . وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى : برحت : تجاوزت الحد ، وعنى بالمرض : جفنها ، ومرض الطبيب وعيد العود مثل : أى تجاوزت يامرض الجفون الحد حتى أحوجت إلى طبيب وعود ، يبالغ في شدة مرض جفنها . . . قال ابن فورجة - ينتقده - : أبرح جنى في التعسف ، ومن الذى جعل مرض الجفون متماهيا ، وإنما يستحسن من مرض الجفون ما كان غير مبرح ، كما قول أبي نواس :

ضَعِيفَةٌ كَرَّ اللَّحْظُ تَحْسَبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمِ
ولو أراد تناهيه لقال تحسبها فى برسام (١) ، أو نزع روح . . إلى أن قل والدليل على كون المرض هو التنبى : قوله بعد :

* فله بنو عبد العزيز بن الرضا *

وقوله يامرض الجفون : يروى يامرض الجفون - بكسر الراء - وهو قليل فى الاستعمال ، إنما يقولون فلان مريض ، والقياس لا يمنع من قولك : رجل مرض كسقم قال الأعشى :

يَقْضَى بِهَا الْمَرْءُ حَاجَاتِهِ وَيَشْفَى عَلَيْهَا الْفُؤَادَ السَّقِيمَ

(٢) فله : أى للمرض المذكور - وهو التنبى - والعيس : كرام الإبل ، والفدقد : المفازة . يقول : إن هؤلاء المدوحين هم الذين ينتجعهم ويبلغ بهم آماله ، بينما ساءر الناس من الركابين المسافرين الذين يقصدون غير هؤلاء ليس لهم إلا الإبل والصحراء : أى لا يحصلون من سفرهم على شيء سوى التعب وجوب الطريق . وقال ابن جنى : يريد أنه

(١) البرسام : التهاب الصدر .

مَنْ فِي الْأَنْامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا تَقُلْ
مَنْ فِيكَ شَأْمٌ سِوَى شَجَاعٍ يُقْصَدُ^(١)
أَعْطَى فَقُلْتُ لُجُودِهِ مَا يُقْتَنَى وَسَطًا فَقُلْتُ لِسَيْفِهِ مَا يُؤَلَدُ^(٢)

اختار هؤلاء القوم دون الناس وترك المقاصد لمن يريدها من الركبان . وقال ابن القطاع : يريد أنهم يجودون على كل أحد فكأنهم يعطون لكل ركب ركابهم وأرضهم .
(١) من : استفهام ، معناه الإنكار ؛ وشأْمٌ : أى ياشأم . يقول : ليس فى الخلق كلهم كريم يصمد إليه غير شجاع ، ولا تفل : من فيك ياشأم ؟ أى لا تخص الشأم وحدها بهذا الكلام ، لأنه ليس أوحدها حسب ، بل هو أوجد جميع الخلق وتقدير الكلام : من فى الأنام من الكرام يقصد سوى شجاع ، ولا تفل ياشأم من فيك ، فإنه أوجد الدنيا كلها ، لا واحد الشأم ، ووجه آخر : أن معناه الاستفهام ، وقد حذف منه الفعل ، كأنه قال : قل بإسراع من فى الأنام من الكرام ؟ ولا تفل ذلك للشأم ، لأنه قد علم أنه ليس من يقصد إلا هذا المدوح . هذا : والشأم تذكر وتؤنث . قال ابن برى : شاهد التأنيث قول جواس بن القعطل :

جِئْتُمُ مِنَ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ نِيَاظُهُ وَالشَّامُ تُنْكَرُ كِهَالِهَا وَفَتَاهَا
(كِهَالِهَا وَفَتَاهَا : بدل من الشأم) وشاهد التذكير قول الآخر :

يَقُولُونَ إِنْ الشَّامُ يَقْتُلُ أَهْلَهُ فَمَنْ لِي إِنْ لَمْ آتِهِ بِجُلُودٍ ؟
وقال ابن جنى : الشأم مذكر ، وأجاز تأنيثه فى الشعر ، والنسبة إليها شأْمى ، وشأم على فعال ، ولا تفل شأم ، وما جاء فى ضرورة الشعر فمحمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد ، وشاهد شأم فى النسبة قول أبى الدرداء ميسرة :

فَهَاتِكَ النُّجُومُ وَهَنَّ خُرْسُ يَنْحَنَ عَلَى مُعَاوِيَةَ الشَّامِ
وامرأة شامية ، وشأمية - مخففة .

(٢) لجوده : خبر مقدم ، وما يقتنى : مبتدأ مؤخر ، وكذا لسيفه ما يولد ويقتنى : من القنية والادخار ، وسطا : قهر ، والسطو : القهر بالبطش . يقول : لما أخذ فى العطاء أكثر حتى قلت فى نفسى : إنه سيعطى جميع ما يقتنيه الناس ، ولما سطا على الأعداء أكثر القتل حتى قلت : إنه سيقتل كل مولود ، فتكون المقتنيات جميعاً لجوده ، والنسل كله لسيفه قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أعطى فقلت لجوده مخاطباً : لا يقتنى أحد مالا

وَتَحَيَّرَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ لِأَنَّهَا أَلْفَتْ طَرِيقَهُ عَلَيْهَا تَبَعُدُ^(١)
 فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ كُلِّيٍّ مَفْرِيَةٍ يَذْمُونَ مِنْهُ مَا الْأَسِنَّةُ تَحْمَدُ^(٢)
 نَقَمٌ عَلَى نَقَمِ الزَّمَانِ يَصُبُّهَا نَعِمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ^(٣)
 فِي شَانِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ^(٤)

لأنهم يستغنون بك عن الجمع والادخار ، وسطا فقلت لسيفه : انقطع النسل ، فقد أفنيت العباد . ووجه آخر : أعطى فقلت : جميع ما يقتني الناس من جوده وهباته ، وسطا فقلت لسيفه ما يولد بعد هذا : يشير إلى إبقائه على من أبقى مع اقتداره على الإفناء ، فجعلهم طلقاء وعقاه . قال ابن جنى : ظاهره وباطنه : هجاء — يعني الصراع الثاني — وأحسن منه قول أبي تمام :

لم تبقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَظِمَتْ إِنْ لَمْ تَتُبْ أَنَّهُ لِلسِّيفِ مَا تَلَدُ
 فجعله على المشركة وما ولدت ، واحتاط بأن قال إن لم تتب ؛ وأبو الطيب قاله على الإطلاق على العلماء والأشراف والملوك — فكأنه هجا الرجل وجعله يقتل من صادف بلا معنى يوجب القتل .

(١) يقول : إن أوصاف المادحين له حارت ، كيف تحصى فضائله : لأنها وجدت طرائق المدوح ومسالكه التي تحمد وينوه بها بعيدة على الأوصاف ، لا تدركها .
 (٢) المعترك : ساحة القتال ؛ والمفريّة : المشقوقة . يقول : إنه يقطع كلّي أعدائه ، فالكلّي تدم منه ما تحمده الأسنّة ، وهو الإصابة في الطعن وجودة الشق ، والكلّي تدم هذا لأنه مناف للرحمة ، والأسنّة تحمده لأنه بذلك أحسن استخدامها . وقال الواحدى : الناس يرون الكلّي مشقوقة فيذمونّه إذ لا رحمة له ، ويرون الأسنّة منكسرة فيحمدونه لشجاعته ، فأضاف الحمد والذم إلى الكلّي والأسنّة لأنهما السبب :

(٣) نعم : مبتدأ ، خبره : نعم ، وعلى — الأولى — متعلقة بصبها : والجملة نعت نعم ، وعلى — الثانية — متعلقة بمستقر محذوف نعت نعم : يقول : إن النقم التي يصبها المدوح على الأعداء — مضافة إلى نغم الزمان — هي نعم على الأولياء مضافة إلى نعمه التي لا تجحد ، يعنى اعتراز أوليائه بذلة أعدائه وما يستفيدونه من الغنائم بنكبتهم .

(٤) الشآن : الحال والأمر ، والبنان : الأنامل ، والجنان : اقلب . يقول : في أحواله كلها إذا تفقدتها عجب ، لأنها لم تكمل في أحد سواه ، فأى خصاله رأيت حمدتها .

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبُ خِضَابُهُ مَوْتُ فَرِيصٍ الْمَوْتُ مِنْهُ تُرْعَدُ (١)
 مَا مِنْبِجٌ مُذْ غَبِتَ إِلَّا مُقْلَةٌ سَهَدَتْ وَوَجْهَكَ نَوْمُهَا وَالْإِثْمِدُ (٢)
 فَالْلَيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضُ وَالصُّبْحُ مِنْذُ رَحَلْتَ عَنْهَا أَسْوَدُ (٣)
 مَا زِلْتَ تَدْنُو وَهِيَ تَعْلُو عِزَّةً حَتَّى تَوَارَى فِي ثَرَاهَا الْفَرَقْدُ (٤)
 أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ (٥)

(١) أسد : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هو أسد ، ودم الأسد : مبتدأ ، وخضابه : خبر ، وموت - كذلك - خبر مبتدأ محذوف : أى هو موت ، والجملة بعده نعت له ، والهزب : الشديد ؛ والفريص : جمع فريصة ، وهى لجمة عند الكتف تضطرب عند الخوف . يقول : هو شجاع يتلطح بدم الأسد حتى يصير كالخضاب له ، وهو موت لأعدائه ، حتى ليخافه الموت وترتعد منه فرائصه .

(٢) الإثمِد : نوع من الكحل . يقول : ليست منبج - وهى بلد المدوح ، وعلى مرحلتين من حلب - مذ غبت عنها إلا كالمقلاة الساهدة ، ووجهك لها بمنزلة النوم والكحل - وهما اللذان تصلح بهما العين - يعنى أن صلاح منبج بحضورك .
 (٣) هذا من قول أبى تمام :

وَكَانَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا أَبْيَضُ فَأُضْحَتْ وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا بِأَسْوَدُ
 (٤) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ؛ فهما فرقدان ؛ قال قائلهم :

وَكَأَنَّكَ أَخٌ مَفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُؤُ أَبْيَكُ إِلَّا الْفَرَقْدَانُ
 يقول : ما زلت تقرب من هذا البلد ، وكلما قربت منه ازداد رفعة بقربك حتى صار ثراه فوق الفرقدين رفعة وعلوا .

(٥) أرض : خبر عن محذوف : أى هى أرض ؛ وسواها : مبتدأ ، خبره مثلها . وقال بعض الشراح : خبره لها شرف ، والضمير فى لها : يرجع إلى سواها ، ومثلها : نعت شرف ، وهو على حذف مضاف : أى مثل شرفها . يقول : هى أرض لها شرف ، وسواها لها شرف مثل شرفها ، لو وجد فيها مثلك : أى إنما شرفها بك ؛ فلو وجد مثلك فى غيرها لسواها هذا الغير فى الشرف .

أَبَدَى الْعِدَاةُ بِكَ السَّرُورَ كَأَنَّهُمْ فَرَحُوا وَعِنْدَهُمْ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ (١)
قَطَعْتَهُمْ حَسَدًا أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ فَتَقَطَّعُوا حَسَدًا لِمَنْ لَا يَحْسُدُ (٢)
حَتَّى أَنْذَنُوا وَلَوْ أَنَّ حَرَ قُلُوبِهِمْ فِي قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَدَابِ الْجَلْمِدِ (٣)
نَظَرَ الْعُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ لَمَّا رَأَوْكَ وَقِيلَ هَذَا السَّيِّدُ (٤)
بَقِيَتْ جُمُوعُهُمْ كَأَنَّكَ كُلُّهَا وَبَقِيَتْ بَيْنَهُمْ كَأَنَّكَ مُرْدٌ (٥)

(١) يقول: إن أعداءك أظهروا السرور بقدمك خوفا منك لا ابتهاجا بك ،
وعندهم من الحسد والخوف ما يقيمهم ويقعدهم : أى يزعجهم ويقلقهم .

(٢) قطعتم حسدا : أى أنهم حسدوك فماتوا بشدة حسدهم إياك ، فساكنك قطعتم
أرباباً . وقوله أراهم ما بهم : أى أراهم الحسد ما بهم من التقصير عنك والنقص دونك ،
فتقطعوا من الحسد لمن لا يحسد أحدا ، لأنه ليس فوقه أحد فيحسده ، ولأن الحسد
ليس من أخلاقه . فقوله حسدا : هو تمييز ؛ وفاعل أراهم : ضمير الحسد .

(٣) انثوا : رجعوا ؛ والجمد : الصخر ، والهجرة : نصف النهار عند اشتداد
الحر وحمارة القيظ ؛ وقيل شدة الحر . يقول : حتى انصرفوا عنك وعن مباهاةك
عالمين بتخلفهم عنك وفي قلوبهم من حرارة الحسد والموجدة مالمو كان في هاجرة لذاب
الحجر . وقوله ولوان : حرك الساكن وأسقط الهمزة كقراءة ورش . « ومن
اظلم » ونحوه .

(٤) العلج - فى الأصل - حمار الوحش السمين القوى ، أطلقوه على الغليظ الضخم
الجانى من كفار العجم ؛ والمراد هنا : قواد الروم . يقول : لما نظروا إليك ورأوا
هيبتك وأنت سيد القوم ، لم يروا من حولهم من ساداتهم : أى لم يخطر لهم سيد من
ساداتهم على بال ، أوقد شغلوا بالنظر إليك عن النظر إلى غيرك ؛ فصاروا كأنهم لا يرون
أحدا سواك ممن حولهم ، ورأوا منك ما دلهم على سيادتك ، فقالوا هذا هو السيد .
لا سواه من ساداتهم .

(٥) هذا البيت مترتب على ما قبله : يقول : إنك كنت وحدك مثلهم جميعا ، لأنك
وحدك اغترقت أعينهم وشغلتها عن غيرك وصار غيرك كأنه لا وجود له بجانبك ، بحيث لو
فقدوا كنت كل من بذلك المكان ، فأنت مفردا مثلهم جميعاً . وهذا المعنى ينظر لقول
أبى نواس :

لَهْفَانِ يَسْتَوِي بِكَ الْغَضَبَ الْوَرَى
لَوْ لَمْ يُنَهْنِهَكَ الْحَجِي وَالشُّوْدُدُ^(١)
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابَنَا
فَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الْأَوْحَادُ^(٢)
وَصُنِ الْحُسَامَ وَلَا تُدِلَّهُ فَإِنَّهُ
يَشْكُو يَمِينِكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ^(٣)

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
وعبارة الواحدى : المعنى أنهم لصغرهم في جنبك كأنهم لا وجود لهم : وإذا فقدوا
كنت أنت كل من بذلك المكان ، ثم حقق هذا المعنى بالصراع الثانى ، وأتى بكاف
التشبيه دلالة على أن هذا تمثيل لا حقيقة ، ومعنى لا وجوداً :

(١) لهفان : حال من التاء في بقت بينهم ؛ وأصل اللف : حرارة الجوف من
شدة وكرب ونحو ذلك . والمراد باللهفان هنا : الممتلئ غضبا . ويستوى : يستعمل ،
من الوباء ، وأصله يستوى ، خفف للضرورة . والورى : فاعل يستوى ، والحجى :
العقل ؛ والسوود : السيادة . ونهيه : كفه ورده . من النهى . يقول : بقت غضبان
حتى استوبأ الناس الغضب الذى بك : أى ظنوه وباء مهلكا لهم ، لو لم ينهك سوودك
وحملك عن إهلاكهم .

(٢) يقول : كن في أى موضع شئت من البلاد ، فإننا نتجمع ونصمد إليك ، فإن
الارض التى نعدو ونروح عليها واحدة ليس هناك أرض غيرها . وأنت أو حدها لانظير
لك فيها ، واذن لا مندوحة عن السفر إليك وإن طال ، لعدم وجود غيرك ممن يستأهل
أن يصمد إليه . وقال ابن جنى : فالأرض واحدة : أى ليس علينا للسفر مشقة لإلنا إياه
قال العروضى : ليت شعرى : أى مدح للمدوح فى أن يألف المتنبى السفر .

(٣) الإذالة : الامتهان والابتدال ؛ وصنه استره . والجمام : جمع جمجمة ؛ وهى
قحف الرأس . يقول : لقد أكثرت من القتل ، فأغمد سيفك وكفى ما حصل ، فإن
سيفك يشكو يدك من كثرة ضربها به ؛ والجمام التى حطمتها . تشهد له . وقال ابن جنى
صنه فإنه به يدرك الثأر ، وتحمى به الذمار . قال ابن فورجه : كيف أمن أن يقول
ما أذلته إلا لإدراك الثأر ، وإحماء الذمار ؛ وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبى

يَدِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجْرَدٌ مِنْ غَمْدِهِ وَكَأَمَّا هُوَ مُعَمَّدٌ (١)
 رِيَّانَ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَمْتَهُ جَلْرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بَحْرٌ مُزْبَدٌ (٢)
 مَا شَارَكْتُهُ مَنِيَّةً فِي مُهْجَةٍ إِلَّا وَشَفَرْتُهُ عَلَى يَدِهَا يَدٌ (٣)
 إِنَّ الرِّزَايَا وَالْعَطَايَا وَالْقَنَا حُلْفَاءَ طَىَّ غَوْرُوا أَوْ أُنْجَدُوا (٤)
 صِخْ يَا جُلْهَمَةَ تَجْبِئِكَ وَإِنَّمَا أَشْفَارُ عَيْنِكَ ذَابِلٌ وَمُهَنْدٌ (٥)

الطيب ، وإنما المعنى : أ كثر القتل فحسبك وأحمد سيفك ، فقال : صن سيفك ، وإنما يريد أعمده .

(١) النجيع الدم . يقول : إن الدم حمد على سيفك حتى صار كالعمد له ، فيرى وهو مجرد كأنه معمد . . وهذا من قول البحترى :

سَلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلِبُوا
 ومن قول الآخر :

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنِي هُشَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو السَّلِيْبَ إِزَارًا (١)

(٢) ريان - بالنصب - حال ، العامل فيه ييس ؛ وبالرفع : خبر مبتدأ محذوف . يقول . سيفك ريان فلو مَج ما سقمته منى دماء قلوب الأعداء لجرى منه بحر مزبد . يعنى أنك أ كثر به القتل .

(٣) المنية : الموت ؛ والمهجة : الروح ؛ وشفرته حده . يقول : لم يشترك سيفه والمنية في سفك دم إلا كان سيفه يداً ليد المنية : أى أنها تستعين به كما يستعين العامل بيده في العمل . وعبارة ابن جنى : يعنى أن لسيفه الأثر الأقوى الأظهر في القتل .

(٤) الرزايا : جمع رزية ؛ وهى المصيبة . والقنا : الرماح ؛ والحلفاء : جمع الحليف وهو الصديق المحالف . وغوروا : نزلوا الغور ، وهو المنخفض من الأرض ، وأنجدوا : نزلوا النجد ، وهو الأرض المرتفعة . يقول : إن هذه الأشياء لا تفارقهم أينما تقفوا ويمموا : أى أنهم حيثما كانوا رزايا ومصائب لأعدائهم ، وعطايا لأولياهم ، كما قال أبو تمام :

فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالقَنَا أَقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ

(٥) جلهمة : اسم طيء ؛ وطىء لقب له . واللام : لام الاستغاثة . والواو - فى (١) عند العرق : سال فلم يكذب يرقاً ، وهو عرق عاند . ودم عاند يسيل جانباً .

مِنْ كُلِّ أَكْبَرٍ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ قَلْبًا وَمِنْ جَوْدِ الْغَوَادِي أَجُودٌ^(١)

وإنما - للحال ، وأشفار العين : منابت الأهداب . يقول : إذا صحت يا جلهمة أسرع
إليك وأحدقت بك ، فهابك كل أحد ، حتى إذا نظرت إلى أي إنسان بعينيك فكأنك
أشرفت إليه رماحا وسللت عليه سيوفا . فقامت أشفار عينيك مقام الذابل - الرمح -
والمهند - السيف . وقال الواحدى : كان الأستاذ أبو بكر يقول : يريد أنهم يتسارعون
إليك ويملاؤن الدنيا عليك رماحاً وسيوفا . . هذا كلامه . وتحقيقه : حيثما يقع بصرك
رأيت الرماح والسيوف فتملاً من كثرتها عينيك ، وتحيط بعينيك إحاطة الأشفار بها ؛
وهذا ينظر إلى قول بعضهم :

وإذا دُعوا لِنَزَالِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ سَتَرُوا شَمَاعَ الشَّمْسِ بِالْخِرْصَانِ
[الخرصان : الرماح ؛ والخرصان : الدروع] وقال سلامة بن جندل :

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَرَعٌ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعَ الظَّنَائِبِ
« يقول سلامة : إذا أتانا مستغيث كانت إغاثة الجد في نصرته ، يقال : قرع لذلك
الأمر ظنبوبه : إذا جد فيه . والظنبوب : هو طرف العظم اليابس من الساق ؛ فالشاعر
جعل قرع الصوت على ساق الحُف في زجر الفرس قرعا للظنبوب »

(١) الجود : المطر الغزير ؛ والغوادى : السحاب المنتشرة صباحا . يقول - يصف
رجال جلهمة - : من كل رجل أكبر قلبا من الجبال - يريد قوة قلبه وشدته - وأجود
من مطر السحاب . وقوله أجود : خبر مبتدأ محذوف : أى وهو أجود من جود الغوادى
وقلبا : تمييز . هذا : وتهامة اسم مكة . وقال الجوهري : تهامة ، بلد : والنسبة إليها
تهامى وتهام ، إذا فتحت التاء لم تشدد . كما قالوا يمان وشأم ، إلا أن الألف في تهام من
لفظها والألف في يمان وشأم عوض من ياء النسبة قال ابن أحرر :

وَكُنَّا كَأَبْنَى سُبَاتٍ تَقَرَّقَا سِوَى ثَم كَانَا مُنْجِدًا وَتِهَامِيَا
وَأَلْقَى التِهَامِي مِّنْهُمَا بِلَطَاتِهِ وَأَحْلَطَ هَذَا لِأُرَيْمٍ مَّكَانِيَا^(١)

وقوم تهامون : كما قالوا يمانون . وقال سيبويه : من الناس من يقول تهامى ويمانى
وشامى - بالفتح - مع التشديد ؛ وقد قلنا : الجود : المطر الغزير تقول : جاد المطر

(١) السبات : الدهر ، ولطاته : ثقله ، وأحلط هذا : أى أقام ، أو حلف مجتهداً ،
ولا أريم مكانيا : لا أبرحه .

يَلْقَاكَ مُرْتَدِيًّا بِأَحْمَرَ مِنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطَّلِيَّ وَالْأَكْبَدُ^(١)
حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ ذَا مَوْلَاهُمْ وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْخَلِيقَةُ أَعْبُدُ^(٢)
أَنْ يَكُونَ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمَ وَأَبُوكَ وَالثَّقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ^(٣)
يَفْنَى الْكَلَامُ وَلَا يَحِيطُ بِوَصْفِكَ
أَيُّحِيطُ مَا يَفْنَى بِنَا لَا يَنْفَدُ^(٤)

يجود جودا فهو جائد ، والجمع جود ، مثل صاحب وصحب ، وقد جيت الأرض فهي
مجودة : أى أصابها مطر جود : قال الراجز :

أَرْعَيْهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُودَا الصَّلِّ وَالصَّفْصِلَ وَالْيَعْضِيدَا
وَالخَازِبَازِ السَّمِّ الْجُودَا بَحِيثُ يَدْعُو عَامِرُ مَسْعُودَا

الصل : نبت ، وكذلك الخازباز ، والصفصل ، واليعضيد : شجر ونبت سم مرتفع
وهو الذى خرجت سنمته ، رهو ما يعلو رأسه كالسنبل ، وعامر ومسعود : راعيان «
(١) بأحمر : أى بسيف أحمر . والباء متعلقة بيلقاك ، أو بمرتدياً ؛ ومن دم :
صفة أحمر ، وخضرة السيف : لون فرندة ، والطلِي : الأعناق . يقول . يلقاك كل منهم
متقلدا سيفا قد تلطخ بدم الأعناق والأكباد ، فاحمر واستترت خضرته ، وذهبت بها
الطلِي والأكبد . هذا : والأكبد : جمع كبد ؛ وقيل هو على هذا الجمع جمع كبد كعبد
وأعبد وجمع كبد - بكسر الباء : أكباد وكبود كوتد وأوتاد .
(٢) يقول : حتى يشير الناس إليك فيقولوا هذا مولى طيء : أى رئيسهم وسيدهم ،
وهم سادة الخلق والخلق عبيدهم . ويروى بدل «حتى» حي أى هم حي يشير الخلق إليك
بأنك سيدهم وهم سادوا الناس .

(٣) وأبوك : مبتدأ ، ومحمد . خبره ، والثقلان أنت : جملة معترضة : يقول : كيف
يكون آدم أباً الورى وأبوك محمد الطائى وأنت الثقلان . أى أنك جميع الإنس والجن ،
جمع الله فيك ما فرقه فيهما من الفضل والكمال . روى أن أباً تمام قال لابن أبى داود -
لما اعتذر إليه - أنت جميع الناس . ولا طاقة لى بغضب جميع الناس ؛ فقال له :
ما أحسن هذا المعنى ! فمن أين أخذته . قال من قول أبى نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمَسْتَنَكِرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

(٤) ينفى : يفتى : قال ابن جنى : لو اتفق له أن يقول ما يفتى بما لا يفتى ، أو ما ينفد

وقال وقد وشى به قوم إلى السلطان فحسبه فكتب إليه من الحبس :
 أَيَا خَدَدَ اللَّهُ وَرَدَّ أَخْدُودِ وَقَدَّ قُدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ (١)
 فَهِنَّ أَسْلَنَ دَمًا مُقْلَتِي وَعَدَّ بِنَ قَلْبِي بِطُولِ الصُّدُودِ (٢)

بملا ينفد : لكان أحسن في صناعة الشعر ، وقد أتى بالمعنى مع اختلاف اللفظ ، وهو حسن جيد ، لأن ينفد : بمعنى يفنى .

(١) التخديد . الشق ، والقد . القطع طولاً . والحسان القدود ، إضافة لفظية ، مثل الحسن الوجه . يدعو على ورد الحدود أن يشققه الله فيزول حسنه ، وأن يقطع قدود الحسان القدود ؛ قال ابن جنى . وهو دعاء على التعجب والاستحسان ، كقول جميل .

رحمى الله في عيني بُثِينَةَ بالقذى وفي الغرِّ من أنيابها بالقوادح (١)
 قال الواحدى . وهذا المذهب بعيد من قول أبي الطيب ، لأنه أخرجه في معرض المجازاة لما ذكر فيما بعد . يريد جازاهن الله جزاء بما صنعن بي بالتخديد والقد قال . وهنما مذهب ثالث ، وهو إما دعا على تلك المحاسن لأنها تيمته ، فإذا زالت زال وجده بها ، وحصلت له السلوة ، كما قال أبو حفص الشهرزورى .

دعوتُ على ثغره بالقلح وفي شعر طُرتَه بِالْجَلْحِ (٢)
 لعل غرامى به أن يَقِلَّ فقد برحت بي تلك الملح
 قال العكبرى : والذى ذكره ابن جنى أحسن ، لأن الحب لا يدعو على محبوبه أبداً ، والذى أنشده الواحدى للشهرزورى ليس هو مما صدر عن محب : لأن المحب الصادق يقف عند المعانى لا عند المحاسن .

(٢) يقول : هن أبكين عيني حتى بضت دما : وعدبن قلبي بنار الصد وهو عذاب

(١) يقال . قد أسرع في أسنانه القوادح . جمع قاذحة ، وهى الجرائم التى تأكل السن ، أو سواد يظهر فى الأسنان .

(٢) القلح صفرة فى الأسنان ، ووسخ يركبها ، والجلح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس .

وَكَمْ لِلْهَوَىٰ مِنْ فِتْيٍ مُدْنَفٍ وَكَمْ لِلنَّوَىٰ مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدٍ^(١)
فَوَاحِشَرْنَا مَا أَمَرَ الْفِرَاقَ وَأَعْلَقَ نَيْرَانَهُ بِالْكَبُودِ^(٢)

— لو علمت — أليم . هذا : ولك أن تجعل دما : مفعولا ثانيا لأسلن ومقلتي مفعولا أول ، ولك أن تجعله تمييزا مقديما ، قال العكبري النجوى الكوفي : وهذا جائز عندنا ، وعند المازني والبرد من البصريين ، ومنعه باقهم كقولك تصبب عرقا زيد حجتنا نقل وقياس ، أما النقل فقول الشاعر :

أَتَهَجُرُ سَلْمَىٰ بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطْيِيبٍ^(١)

تقديره : وما كان الشأن والقصة تطيب سلمى نفساً ، فدل على جوازه ، وأما القياس فإن هذا العامل فعل متصرف ، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفه ، ألا ترى أن الفعل إذا كان متصرفاً — نحو ضرب زيد عمراً — يجوز تقديم معموله عليه ، فتقول : عمراً ضرب زيد ؟ وحجة البصريين أنه لا يجوز تقديمه على العامل فيه ، وذلك أنه فاعل في المعنى . فإذا قلت : تصبب زيد عرقاً فالتصبيب هو العرق ، وكذلك لو قلت حسن زيد غلاماً : لم يكن لزيد حظ في الفعل من جهة المعنى ، بل القاعل في المعنى هو الغلام فلما كان هو الفاعل في المعنى لم يجوز تقديمه .

(١) يقول : كم للهوى من شاب نال منه المرض كل النيل ، وكم للفراق من قتيل شهيد ! يعني أن الحب يسقم ، والفراق يقتل ، وقال بعض الشراح : كم للفراق من قتيل قد عف عن الحنا ، فكان موته لذلك شهادة ، هذا : والدنف : المرض الملازم الخامر ورجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال : دنف لم يثنه ولم يجمعه ولم يؤنثه ، كأنه وصف بالمصدر ، ومن كسر ثني وجمع وأنت : فقال رجل دنف — بالكسر — ورجلان دنفان ، ورجل أدناف ، وامرأة دنفة ، ونسوة دنفات وقد دنف المريض — بالكسر — أي ثقل ، وأدنف ، مثله ؛ وأدنفه ، يتعدى ولا يتعدى ؛ والشهيد — في الأصل — من قتل مجاهداً في سبيل الله ، ثم اتسع فيه فأطلق على كل من يقتل مأجوراً .

(٢) الكبود : جمع كبد .

(١) للمخبل السعدي ، وسلمى جاءت ليلى في بعض الدواوين ، والرواية الصحيحة

في البيت وما كان نفس بالفراق تطيب .

وَأَغْرَى الصَّبَابَةَ بِالْعَاشِقِينَ وَأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبِّ الْعَمِيدِ (١)
وَأَلْهَجَ نَفْسِي لِغَيْرِ أَلْحَنَّا بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى وَالنَّهْوِ (٢)
فَكَانَتْ وَكُنَّ فِدَاءَ الْأَمِيرِ وَلَا زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ فِي مَزِيدِ (٣)
لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعُودِ (٤)
فَأَنْجَمُ أَمْوَالِهِ فِي النَّحُوسِ وَأَنْجَسُ سُؤْلِهِ فِي الشُّعُودِ (٥)

(١) أغرى من غرى بالشيء : إذا أولع به . والصبابة : رقة الشوق ، والعميد : كالعמוד الذي أضناه العشق وهذه .

(٢) ألهج بالشيء يلهج لهجا : أولع به ؛ والحنا : الفحش ، وكلام خن ، وكلمة خنية ؛ وقد خنى عليه - بالكسر - وأخنى عليه في منطقه : أخش . قال أبو ذؤيب :

وَلَا تُخْنُوا عَلَيَّ وَلَا تَشْطُوا بقول الفخر إن الفخر حوب

(لا تشطوا : لا تبعدوا ولا تجوروا ؛ يقال : شط وأشط ؛ والحوب : الهلاك والإثم والوحشة) وقوله بحب : متعلق بالهجع ؛ واللمى : سمره في الشفة . يقول : ما أولع نفسي بحب السمر الشفاه ، الناهدات ، لغير الفحش والفجور .

(٣) كانت : أى نفسى - المذكور . في البيت السابق - واسم كن : يعود على ذوات اللمى ، وفي مزيد : خبر زال . يدعو للمدوح ، يقول : كانت نفسى وأجباى اللأبى وصفتهن ، فداء له ، ولا زال في مزيد من النعم .

(٤) يقول : لا وعيد عنده للأعداء - وإنما يتناجزهم بالسيف - ولا وعد عنده للأولياء - وإنما يبادرهم بالسيف والعطاء ، فهو يعجل ما ينوى فعله ، علما منه بما تؤول إليه الأمور ، وإقداماً منه على مطالبه ، وإذن حال سيفه بينه وبين الوعيد وحال سيده - بحصوله عاجلاً - بينه وبين الوعود . هذا : والوعيد التهديد ، وهو يستعمل في الشر خاصة . والوعور : جمع وعد . وهو - وإن كان يستعمل الخير والشر : إلا أن المراد به هنا : الخير .

(٥) تفريع على عجز البيت السابق . يقول : إن أمواله في نحوس لأنه يفرقها ويسخو بها ، وسؤاله في شعود لأنه يبذل أمواله لهم فيتنعمون بها ، وينالون منه ما يقرحون عليه ، وهذا كما يقول أبو تمام :

طَلَعَتْ عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْحَسَ مَطْلَعُ

وَعَدَّتْ عَلَى الْأَمَالِ وَهِيَ سَعُودُ

(٥) المتنبي (٢)

وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ (١)
 رَمَى حَلْبًا بِنَوَاصِي الْخَيُْولِ وَسُمِّرَ يُرْقِنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ (٢)
 وَبَيْضُ مُسْفَرَةٍ مَا يُقِمْنَ لَافِي الرِّقَابِ وَلَا فِي الْعُمُودِ (٣)
 يَقْدُنَ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللَّقَاءِ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ الْعَدِيدِ (٤)
 فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخُرَشْنِيَّ كَشَاءِ أَحْسَّ بِرَارِ الْأُسُودِ (٥)
 يُرَوْنَ مِنَ الذَّعْرِ صَوْتَ الرِّيَّاحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفَقَ الْبُنُودِ (٦)

(١) يقول : إني إنما أخاف عليه الدهر ونوبه التي لا ينجو منها أحد ، فأما أعداؤه فإنهم لا يصلون إليه بسوء فلو لم يكن خوفي عليه إلا من جهة أعدائه لبشرته بالخلود .
 (٢) النواصي : جمع ناصية ، وهي شعر مقدم الرأس ؛ والسمر : الرماح والصعيد : وجه الأرض . يعني : أنه وجه إليها الجيش ورماحاً تريق دماء أعدائه على الأرض . وفي رواية : بنواصي الجياد .

(٣) البيض : السيوف . يقول : إنه لكثرة حروبه وغزواته لا تزال سيوفه تنتقل من الرقاب إلى الأجنان - العمود - ومن الأجنان إلى الرقاب ، فليست لسيوفه إقامة في شيء من ذلك ، ولهذا جعلها مسفرة .

(٤) يقدن : أي الرماح والجياد والسيوف .

(٥) ولي : أدبر ؛ وأشياع الرجل : أتباعه ومشايعوه الذين يطيعونه ؛ والشاء : جمع شاة ، وإنما قال أحس على لفظه ، لامتعانه ، فلفظه الواحد ، وزئير الأسد صوته ، والخرشنى هو بدر الخرشنى ، أحد قواد الدولة العباسية ، وقد كان والياً لحلب ، وهو منسوب إلى خرشنة - بلد من بلاد الروم - يقول أدبر ومعه جنوده وأتباعه كالغنم حين تسمع صوت الأسد .

(٦) يرون - بضم الياء - أي يظنون ويخيل إليهم ؛ والضمير : للخرشنى وأتباعه ؛ والذعر : الخوف والفرع ؛ وصوت الرياح : مفعول أول : وصهيل الجياد : مفعول ثان ؛ والبنود : الرايات ، وخفقها : اضطرابها . يقول : إنهم لشدة خوفهم - وهم هاربون - كانوا يظنون صوت الرياح صهيل خيل الممدوح وراءهم وخفق راياته . وهذا من قول جرير :

مَا زِلْتُ تَحَسَّبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكْرَهُ عَلَيْكُمْ وَرِجَالاً

فَمَنْ كَالْأَمِيرِ ابْنِ بِنْتِ الْأَمِيرِ أَوْ مَنْ كَابَائِهِ وَالْجُدُودِ (١)
 سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صِيبِيَّةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي الْمُهُودِ (٢)
 أَمَّا لِكَ رَقِيٍّ وَمَنْ شَأْنُهُ هِبَاتُ اللَّجِينِ وَعَتَقُ الْعَبِيدِ (٣)
 دَعْوَتِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ (٤)
 دَعْوَتِكَ لَمَّا بَرَّانِي الْبَلَاءِ وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثِقَلُ الْحَدِيدِ (٥)
 وَقَدْ كَانَتْ مَشِيهُمَا فِي النَّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشِيهُمَا فِي الْقَيْدِ
 وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفَلٍ فَهِيَ أَنَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ قُرُودِ (٦)

(١) من : استفهام معناه الإنكار . يقول : لا أحد مثله ولا مثل آبائه وجدوده .
 وقال ابن بنت الأمير لأن جده لأمه كان أميراً أيضاً : يعني أن الإمارة انحدرت إليه
 من أبويه .

(٢) يقول : إنهم ورثوا المجد والسؤدد والجدود عن آبائهم فكم لهم بالمجد والجدود
 والسؤدد وهم صغار على ما عهد من أجدادهم وآبائهم . هذا : والمعالي : جمع معلاة .
 وهي كسب الشرف . قال ابن بري : ويقال في واحدة المعالي : معلوه ، والصيبة : جمع
 صبي ؛ والمهود : جمع مهد ؛ وهو مضجع الطفل .

(٣) الرق العبودية ، والهبات : العطايا ، واللجين : الفضة ؛ والعتق الحرية ، وهو
 اسم من عتق العبد إذا خرج عن الرق . يقول : يامن يملك نفسه عبودية ويا من شأنه
 أن يهب الفضة ويعتق العبيد : دعوتك إلى آخر ما يلي ، وقوله ومن شأنه - بفتح اليم -
 اسم بمعنى الذي ، وشأنه : مبتدأ ، خبره : هبات . ورواها ابن جنى ، ومن شأنه ، جعلها
 جارا ومجرورا : فيكون خبرا مقديما ، وهبات : مبتدأ مؤخر .

(٤) الوريد : عرق في العنق يضرب مثلا في شدة القرب ، يقال : هو أقرب إليه
 من حبل الوريد .

(٥) البلاء : الامتحان ، والغم يبلى الجسم ، وبراه : هزله وأخلله ؛ وأوهنه :
 أضعفه والبلاء يروى البلى : أي الفناء .

(٦) المحفل : الجماعة يجتمعون في موضع ، وعنى بالقرود : المسجونين معه من
 اللصوص وأصحاب الجنائيات الشقي الشكول . يقول : كنت أجالس أهل الفضل فصرت
 أجالس أوباش الناس .

- (١) تُعَجِّلُ فِي وُجُوبِ الْخُدُودِ وَحَدَى قُبَيْلٍ وَجُوبِ الشُّجُودِ
 (٢) وَقَيْلَ عَدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِينَ بَيْنَ وِلَادِي وَبَيْنَ الْقُعُودِ
 (٣) فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ وَقَدْرُ الشَّهَادَةِ قَدْرُ الشُّهُودِ
 (٤) فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَعْبَأَنَّ بِمَحْكَ الْيَهُودِ
 (٥) وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ وَدَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْوِ بَعِيدِ
 (٦) وَفِي جُودِ كَفَيْكَ مَا جُدْتُ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشَقِي مُودِ

- (١) تعجل : أى أتعجل ؟ . فهو استفهام إنكارى - على تقدير الهمزة - ويحتمل أن يكون خبراً ، والحدود : جمع الحد ، وهو العقوبة . وحدى : عطف على وجوب . يقول إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب على الصلاة بعد ، فكيف أحد ؟ قال ابن جنى : وليس يريد أنه فى الحقيقة صبي غير بالغ ، وإنما يصغر أمر نفسه عند الوالى ، ألا ترى أن من كان صبياً لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف ؟
- (٢) عدوت - من العدوان - أى البنى . والولاد : الولادة . يقول : ادعى على الناس - وأنا طفل لم أستطع الجلوس وحدى بعد - أنى جرت وخرجت على الناس ... يعنى أن الناس مفترون . يدفع بهذا عن نفسه الظنة .
- (٣) يقول : إن الناس إنما شهدوا على زوراً فلم تقبل شهادتهم ، وقدر الشهادة على قدر الشاهد : إن كان الشاهد عدلاً : قبلت شهادته ، وإن كان من السفلة السقاط : ردت .
- (٤) الكاشح : العدو الذى يضمّر العداوة فى كشحه . ويقال ما عبأت به : أى ما باليت . وقوله بمحك اليهود ، أى لجاجهم ، ويروى بمحل : وهو الكيد والسعاية . قال ابن جنى : جعل خصومه يهوداً ولم يكونوا فى الحقيقة يهوداً . .
- (٥) دعوى - فى الموضعين - مضافة إلى الجملة المحكية ، والشأو الشوط والمسافة والغاية ، والباء متعلقة بفارقاً . يقول : إن بين دعوى من يقول : أردت أن أفعل كذا ودعوى من يقول : فعلت كذا ، بونا بعيداً فافرق بينهما لأنهم إنما ادعوا على أنى أردت أن أفعل ولم يدعوا على أنى فعلت ، وبينهما فرق ظاهر ، وكانوا قد وشوا به أنه يريد أن يأخذ البلد .
- (٦) ما - من قوله ما جدت لى - مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مبتدأ مؤخر وفى جود كفيك : خبر مقدم وأشقى ثمود : هو «قدار» عاقر ناقة صالح . يقول : إن جودك لى بنفسى هو فى جملة عطايا كفيك .

ونام أبو بكر الطائي وهو يئشذ فقلا :

إِنَّ الْقَوَافِي لَمْ تُنْمِكَ وَإِنَّمَا
مَحَقَّتْكَ حَتَّى صِرْتَ مَا لَا يُوجَدُ^(١)
فَكَانَ أذُنَكَ فَوْكَ حِينَ سَمِعْتَهَا وَكَانَهَا مِمَّا سَكِرْتَ الْمُرْقِدُ^(٢)
وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :

مُحَمَّدُ بْنُ زُرَيْقٍ مَا نَرَى أَحَدًا
— إِذَا فَقَدْنَاكَ يُعْطَى قَبْلَ أَنْ يَعِدَا
وقد قَصَصْتُكَ وَالتَّرْحَالُ مُقْتَرَبٌ
وَالدَّارُ شَاسِعَةٌ وَالزَّادُ قَدْ فَعِدَا^(٣)
فَخَلَّ كَفَّكَ تَهْمِي وَائِنْ وَابِلَهَا
إِذَا اكْتَفَيْتُ وَإِلَّا أَغْرَقَ الْبَلَدَا^(٤)

(١) يقول : إن الشعر لم يكن سبب نومك هذا ، ولكن السبب أنك حسدتي على شعري ، فمحققتك وأبطل وجودك حتى صرت كالعدم .

(٢) المرقد : ما إذا شربه الإنسان غلبه النوم . يقول : حين سمعت شعري ، نمت فكان ما سمعت منه بأذنك مرقد شربته بفيك ؛ وقوله مما سكرت : أي من أجل سكرك : أي خدرك وتفترق : فما ؛ مصدرية .

(٣) الترحال ؛ الرحيل ؛ والشسوع : البعد ؛ ونقد : فرغ .

(٤) همى الماء : سال ، وثناه صرفه ورده ، والوابل : المطر الغزير : يقول : أطلق يديك هامية بالعاء ، واصرف عني معظم مطرها إذا اكتفيت ، يعني أن في قليل عطاها غناء وكفاية ، ولا حاجة إلى كثيرها الذي هو كالوابل يفرق البلد .

وقال يمدح أبا عبادة بن يحيى البحتري :

مَا الشَّوْقُ مُقْتَنِعًا مِنِّي بِذَا الكَمَدِ حَتَّى أَكُونَ بِلَا قَلْبٍ وَلَا كَيْدٍ (١)
وَلَا الدِّيَارُ الَّتِي كَانَ الحَبِيبُ بِهَا تَشْكُو إِلَيَّ وَلَا أَشْكُو إِلَيَّ أَحَدٍ (٢)

(١) الكمد : الحزن مع الهم : يقول : إن شوقى إلى الأحبة لا يقنع منى بهذا الحزن الذى أنا فيه حتى يحرق كبدى ويوله عقلى فأصير مجنوناً ذاهب العقل .

(٢) اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت : فقال بعض الشراح : يعنى أن دار الحبيب لا تشكو إلى إذ لا نطق لها ، ولا أنا أشكو فيها إلى أحد إذ لم يبق بها ساكن ومن شأن الحزون أن يتأسى بسمع شكوى غيره ويرتاح إلى بث شكواه ، لأن الشكوى إذا ظهرت خف المصاب . وقال ابن جنى : المعنى لم يبق فى فضل للشكوى ، ولا فى الديار لأن الزمان أبلاها ، قال ابن فورجه : ذهب ابن جنى إلى أن تقدير الكلام : ولا الديار تشكو إلى ، وقد علم أن الديار كلما كانت أشد دثوراً ويلي : كانت أشكى ، لما تلاقى من الوحشة بفراق الأحبة ، فكيف جعل الديار لا فضل فيها للشكوى ؟ وشكواها ليست بحقيقية وإنما هى مجازية ، وإنما تكون على ما ذكر لو أن شكواها حقيقية وكانت تقصر عنها لضعفها وبلاها ، كما يصح ذلك فى العاشق ، كقول البيغاء .

لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُو إِلَيْكَ بِهِ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ
وَأَيْضاً لَوْ كَانَ كَمَا ادَّعَى لَمْ يَكُنْ لِعَظْفِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى قَوْلِهِ « مَا الشَّوْقُ مُقْتَنِعًا » مَعْنَى
وَمَا عَظْفُهَا عَلَيْهَا دَلٌّ عَلَى أَنَّهَا مِنْهَا ؛ وَإِنَّمَا يَعْنَى : لَا الشَّوْقُ يَقْنَعُ مِنْى بِهَذَا الكَمَدِ ، وَلَا
الدِّيَارُ الَّتِي كَانَ الحَبِيبُ بِهَا تَقْنَعُ مِنْى بِهِ . وَتَمَّ الكَلَامُ بِقَوْلِهِ : الحَبِيبُ بِهَا ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ
هَذِهِ الدِّيَارُ تَشْكُو إِلَى وَحِشَتِهَا بِفِرَاقِ أَهْلِهَا ، وَلَا أَنَا أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ : إِمَّا لِجُلْدَى ،
أَوْ لِأَنِّي كَتَبْتُ لَأَسْرَارَى ، فَيَكُونُ قَدْ نَظَرَ إِلَى قَوْلِ القَائِلِ :

فَإِنِّي مِثْلُ مَا تُجَدِّينَ وَجَدِّى وَلَكِنِّي أَسِرُّ وَتُعْلِنِينَ

قال الواحدى : يمكن توجيه المعنى من غير أن يتم الكلام فى الصراع الأول ، وهو أن يكون : ولا تقنع الديار التى كان الحبيب بها يشكو إلى : أى يطلعنى على أمره ، وأنا لا أفشى سرى ، على رواية يشكو - بالياء - ومن روى بالياء كانت الديار الشاكية : يريد بلسان الحال مادفعت إليه من الوحشة والخلاء ، فتشكو : يريد به الحال لا الاستقبال ولا أشكو إلى أحد ، لأنه ليس بها غيرى .

ما زالَ كُلُّ هَزِيمِ الْوَدْقِ يُنْجِلُهَا
وَالسَّقْمُ يُنْجِلُنِي حَتَّى حَكَّتْ جَسَدِي (١)
وَكَلَّمَا فَاضَ دَمِّي غَاضَ مُصْطَبِرِي (٢)
كَأَنَّ مَا سَأَلَ مِنْ جَفْنِي مِنْ جَلْدِي (٣)
وَأَيْنَ مِنْكَ ابْنُ يَحْيَى صَوْلَةُ الْأَسَدِ (٤)
لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَا
وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ (٤)

(١) الودق: المطر، وهزيم الودق؛ يريد سبحانه هزيم الودق، وهو الذي لا يستمسك كأنه منهزم عن مائه: ويقال غيث هزيم ومنهزم، وأكثر ما يستعملان في صفة السحاب. وهو الذي لرعه صوت: يقال سمعت هزيمة الرعد، ولا يستعمل في صفة الودق. وفي معنى البيت يقول محمد بن بكار الموصلي:

يَا مَنَزِلَا ضُنَّ بِالسَّلَامِ سُقِّيتُ صَوْبًا مِنَ الْغَامِ
مَا تَرَكَ الْمَرْزُؤُ مِنْكَ إِلَّا مَا تَرَكَ السَّقْمُ مِنْ عِظَامِي

ويقول ابن وهب:

لَبِيسَا الْبِلِي فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحِبَّةِ مِثْلَ مَا أُجِدُ

وقال البحرى:

حَمَلَتْ مَعَا لِمُهِنَّ أَعْبَاءَ الْبِلِي حَتَّى كَأَنَّ نَحْوَهُنَّ نَحْوِي

(٢) غاض: نقص؛ والمصطر: الاصطبار؛ والجلد: القوة والصبر. يقول: كأن دموعي جارية من جلدي، لأنى كلما بكيت نقص صبرى، فكأن دموعي من صبرى.
(٣) الزفرات: الأنفاس الحادة؛ وكلف به: أوقع؛ ومن زفراتى: متعلق بمعنى أين، تقديره: أبعد جيبى من زفراتى أم قريب؟. يقول: أين من عشقته وأولعت به من معرفة ما بى من الشوق إليه والحسرة على فراقه؟ وأين تقع من صولتك أيها المددوح صولة الأسد؟ أنكر أن يعرف الحبيب حاله، وأن تكون صولة الأسد كصولة المددوح. وفيه من البديع حسن التخلص.

(٤) يقول: لما رجحت كفتك - وقد وضعت الدنيا وأهلها في الكفة الأخرى - علمت أن الرزاة للفضل، لا للأشخاص: أى إذا رجح الواحد على الكثير كان ذلك الكثير قليلا بالقياس إلى ذلك الواحد الراجح. قال البحرى:

مَا دَارَ فِي خَلْدِ الْأَيَّامِ لِي فَرَحٌ أبا عُبَادَةَ حَتَّى دُرْتُ فِي خَلْدِي (١)
مَلَكٌ إِذَا امْتَلَأَتْ مَالاً خَزَائِنُهُ أَذَاقَهَا طَعْمَ تُكْلِ الْأُمِّ لِلْوَلَدِ (٢)
مَا ضَى الْجَنَانِ يُرِيهِ الْحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدِ (٣)
مَاذَا الْبَهَاءُ وَلَاذَا الثُّورُ مِنْ بَشْرِ وَلَا السَّمَّاحُ الَّذِي فِيهِ سَمَّاحُ يَدِ (٤)

ولم أرَ أمثالَ الرجالِ تَفَاوَتَتْ لَدَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ
(١) الخلد : البال والرُوع . يقول . لم يقع في قلب الأيام أن تسرنى حتى وقعت أنت في قلبي أن أصمد إليك . والمعنى : ما أقبلت على الدنيا حتى أملتك وقصدتك . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسَامِي لَزَمَانَ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ
(٢) الشكل : فقد الأم ولدها . جعل الخزان كالأم ، والمال كالولد . يقول : إذا امتلأت خزائنه بالمال فرق بينه وبينها ، فكأنها أم فقدت ولدها ؛ وهذا كقول أبي نواس :

إِلَى فَتَى أُمِّ مَالِهِ أَبَدًا تَسْعَى بِجَيْبِ فِي النَّاسِ مَشْقُوقِ
(٣) الماضي : النافذ ؛ والجنان : القلب ؛ والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ فيه بالثقة . يقول : إن حزمه في الأمور يريه في يومه ما يكون بعد الغد ، فيرى بقلبه ما تراه عينه بعد غد : يعنى أنه يفتن إلى الأشياء قبل حدوثها كما قال أوس بن حجر :
الْأَلْمِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
ويقول أبو تمام :

وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ حَقٌّ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ (١)
ولقد كرر المتنبي هذا المعنى في شعره . والمراد بهذا كله : صحة الحدس وجوده الظن .
(٤) ماذا : أى ليس هذا البهاء ولا هذا النور الخ . فماذا : مركبة من ما النافية وذا الإشارية ؛ والبهاء : الحسن ؛ وسماح : من رفعه فهو على جعل «ما» تيمية ؛ ومن رواه بالنصب جعله خبرا لما ، وهى مشبهة بليس . يقول : أنت أجل من أن تكون بشراً ،

(١) من مدحة له في الوائق . ولذلك : أى لأننا كنا رأينا فيه الخلافة وتفرسناها فيه .

- أَيُّ الْأَكْفِ تَبَارَى الْغَيْثَ مَا اتَّفَقَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يَعْدِ (١)
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَجْدَ مِنْ مُضَرَ
حَتَّى تَبَحَّتْ فَهُوَ الْيَوْمَ مِنْ أَدَدِ (٢)
قَوْمٌ إِذَا أَمَّطَتْ مَوْتًا سُيُوفُهُمْ
حَسِبْتَهَا سُحْبًا جَادَتْ عَلَى بَلَدِ (٣)
لَمْ أَجْرِ غَايَةَ فِكْرِي مِنْكَ فِي صِفَةٍ
إِلَّا وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الْأَبَدِ (٤)

لأن ما نشاهده فيك من الحسن والنور لا يكون في بشر ، وليس سماحك سماح يد ، وإنما هو سماح غيث وبحر . وكل هذا مبالغة ، وفي معناه :

يَجَلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ لَا الْكَفُّ بَجَّةٌ وَلَا هُوَ ضَرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ حِيْذَمٌ
(١) باراه : عارضه وفعل مثل فعله . وقوله ما اتفقا : ما : مصدرية : أى مدة اتفاقهما ؛ وقد وقعت الجملة موقع الحال ، وضمير الثنى : يرجع إلى أى الأكف والغيث ؛ يقول : أى كف سوى كف هذا المدوح تبارى الغيث في الجود ما اتفقا ما طرين ، وإذا افترقا بإقلاع السحاب عادت الكف إلى عاداتها ولم يعد الغيث : يريد أن الغيث يمتطر ثم ينقطع ، وكفه تجود ولا ينقطع جودها ، فهى تزيد على الغيث . والمعنى أنها تعود إلى الجود وشيكا ، أما الغيث فلا يعود عوده ، لأنه قد ينقطع زماناً طويلاً .

(٢) مضر : هو ابن نزار بن معد بن عدنان . وتبحتر . انتسب إلى بنى بختر ؛ وهم حى من طيء من عرب اليمن . وأدد : ابن قحطان أبو اليمن : يقول : كنت أظن المجد مضرياً حتى نقله المدوح إلى بنى بختر ، فهو اليوم بخترى أددى .

(٣) يريد بالموت : الدم ، لأن سفوح الدم يسبب الموت ، وإذا أمطرت السيوف الدم فقد أمطرت الموت . شبهها - وهى تمطر الدم - بالسحب تجود بالمطر .

(٤) يقول : لم أفكر في صفة من صفاتك إلا وجدت غايتها لا تنتهى كغاية الدهر .

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَيْلَيْتَنَا الْمُنُوطَةُ بِالتَّنَادِ (١)

(١) أحاد : يريد أحاد ، خذف همزة الاستفهام للضرورة - وإن لم يكن بالفصح -
وأحاد من الأبنية التي سمعت عن العرب ، ومثلها ثناء ، وثلاث ، ورباع ، وقاسه المولدون
إلى العشرة ، قال الكمي :
فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرَّجَاءِ (١) خِصَالاً عُشَاراً

(١) فوق الرجاء أي فوق الرجاء الذي كانوا يرجون أنك تبلغه

« من قصيدة للكميت يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله .

رَجْوُكَ وَلَمْ يَبْلُغِ الْعَمْرَ سَنَكَ وَلَا نَبْتَ فَيْكَ اتْفَارَا

لَأَدْنَى خَسَا أَوْ زَكَ مِنْ سَنِيكَ إِلَى أَرْبَعِ فَبَقُونَ انتظارا

يقول ؛ تبينوا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا أن تكون سيداً أميراً
مطاعاً رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله ولا نبت فيك اتفارا أي أثرت ولم
تنبت أسنانك بعد .

قال أهل اللغة : إذا سقطت رواضع الصبي قيل ثغر فهو مشغور ، فإذا نبتت قيل :
اتغر ، وأصله اثتغر ، فقلبت الاء تاء ، ثم أدغمت .

وقوله : لأدنى خسا أوزكا ، فالخسا بفتح الحاء : الفرد « والزكا » بفتح الزاى :

الزوج و « خسارة » و « زكا » ينوان ولا ينوان .

والمعنى : أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقل ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة
أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للناس مادهم على ما رجوه منك
وتفرسوك عند كمال سنك .

وقوله : فبقون ، أي : انتظروك ، يقال : بقوت الشيء إذا انتظرته .

وانتظاراً منصوب بـ « بقون » لأنه في معنى انتظروك انتظارا ، ومعنى يستر يشوك
يجدونك رائثاً أي بطيئاً ، من « الريث » وهو البطء .

ورميت زدت ، يقال رمى على الخمسين وأرمى ، أي زاد .

يقول : لما نشأت نشء الرجال ، أسرع في بلوغ الغاية التي يطلبها طلاب المعالي ،
ولم يتعك ذلك ، حتى زدت عليهم بعشر خصال ، فقت السابقين وأياست الذين راموا أن
يكونوا لك لاحقين .

ولا يستعمل أحد في موضع الواحد ، فلا يقال هو أحد - أى واحد - إنما يقولون جاءوا أحاد : أى واحداً واحداً ، وكذلك سداس . واللييلة : تصغير ليلة ، والمراد بالتصغير ههنا : التعظيم ، على حد قول لبيد :

وكلُّ أناسٍ سوفَ تَدْخُلُ بينهم دُويهيَّةٌ تصفَرُ منها الأناملُ^(١)

(يعنى لبيد : الموت الذى هو أعظم الدواهي) والتنادى : يوم القيامة ، سمى كذلك لأن النداء يكثر في ذلك اليوم . قال الواحدى : أراد واحدة أمست في واحدة وست في واحدة - إذا جعلتها فيها كالشئ في الظرف ولم ترد الضرب الحسابى - سبع ، وخص هذا العدد لأنه أراد ليالى الأسبوع ، وجعلها اسماً لليالى الدهر كلها لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر إلى آخر الدهر . يقول : هذه اللييلة واحدة أم ليالى الدهر كلها جمعت في هذه اللييلة الواحدة حتى طالت وامتدت إلى يوم القيامة ؟ وعبرة بعض الشراح : يقول : إن هذه اللييلة منوطة بيوم القيامة ، فهى لطولها بمنزلة ليالى الدهر كلها ، إلا أن كل واحدة من تلك الليالى طويلة أيضاً حتى كأنها ست ليال في ليلة - أى سبع ليال - يعنى أن ليلته دهر بلياليه ، وكل ليلة منه أسبوع ، وهى نهاية المبالغة في الطول . وقال ابن جنى : يريد : ينادى أصحابه بما يهتم به ، ألا ترى إلى قوله :

* أفكر في معاقرة المنايا *

وعلى هذا استطال اللييلة التى عزم فى صباحها على الحرب ، شوقاً إلى ما عزم عليه ، وإنما حقر اللييلة لعظم طولها ؛ ومنه قول الحباب بن المنذر الأنصارى .

(١) قبله :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ألا كل ذى لب إلى الله واسل

ألا كل شئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وقوله أنحب فيقضى ، فالنحب النذر . يقول : أشئ أوجبه على نفسه فهو يسى فى قضائه أم ضلال ؟ .

كَأَنَّ بَنَاتِ نَعَشٍ فِي دُجَاهَا خَرَائِدُ سَافِرَاتٍ فِي حَدَادٍ^(١)
أَفْكَرٌ فِي مُعَاقَرَةِ الْمَنَايَا وَقَوْدِ الْخَيْلِ مُشْرِفَةٌ لِهَوَادِي^(٢)

* أَنَا جَذَيْلَهَا الْحَكِّكَ وَعُدَيْقَهَا الْمَرْجَبُ^(١) *

أقول : وهذا البيت - على غموضه وقبحه وأخطائه - لا يخرج عن معنى قوله :

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لِاصْبَاحِ لَهُ كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ

(١) بنات نعش : كواكب معروفة . وقوله في دجها : حال من بنات نعش ، عاملها معنى التشبيه ، والضمير في دجها : لقوله ليلتنا . والخرائد : العذارى لم يمسن ، أو الحيات الطويلات السكوت ؛ والسافرات : الكاشفات عن وجوههن ؛ والحداد : ثياب سود تلبس عند الحزن ؛ وقوله في حداد متعلق بسافرات ، أو حال من الضمير المستتر فيها . شبه بنات نعش - وهي مضيئة في سواد الليل - بالحسان السافرات في الثياب السود قال ابن جنى : لما شههن بياض النجوم في سواد الليل كان حقه أن يذكر جوارى ييضا . والخرد ليس من البياض في شيء ، إلا أنه في الأمر الغالب إنما يكون للبيض دون السود ألا ترى أن السود فيهن التبذل ؟ وأراد شيئاً ، فذكر ما يصحبه مستدلاً عليه ، فشبه بنات نعش في ظلمة الليل بوجوه جوار سافرات في ثياب سود . قال الواحدى : ولعله أراد أن الحياء يكون في البيض دون السود ، والبيت من قول ابن العتر :

وَأَرَى الثَّرِيَّاءَ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا خُرْدٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ

(٢) معاقرة المنايا : أى ملازمتها ، وأن يكون معها في عقر دارها ، وهو المعتك ، يعنى ملازمة الحروب ، ومشرفة الهوادى : أى طوال الأعناق حال ، وهى نكرة ، لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال والاستقبال : لم يتعرف بالإضافة إلى المعرفة ، لأن الإضافة فيه ينوب بها الاتصال . يقول : طالعت على هذه الليلة مما أفكر في الحرب ، وقود الخيل إلى الأعداء .

(١) الجذل ههنا : الأصل من الشجرة ، تحمك به الإبل فتشتفى به : أى قد جرتنى الأمور ، ولى رأى وعلم يشتفى بهما ، كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل ؛ والعديق . تصغير عديق - بالفتح - وهو النخلة ، والترجيب : إرفاد النخلة من جانب لمنعها من السقوط : أى أن لى عشيرة تعضدنى وتمنعنى وترفدنى .

زَعِيمٌ لِّلْقَنَا اَلْحَطِيَّ عَزْمِي بَسْفَكَ دَمَ اَلْحَوَاضِرِ وَالبَوَادِي (١)
إِلَى كَمْ ذَا التَّخْلَفُ وَالتَّوَانِي وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي التَّمَادِي (٢)
وَشُغْلُ النَّفْسِ عَن طَلَبِ اَلْمَعَالِي بِبَيْعِ الشُّعْرِ فِي سُوقِ اَلْكَسَادِ (٣)
وَمَا مَاضِي الشَّابَابِ بِمُسْتَرَدٍّ وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادٍ (٤)
مَتَى حَلَّظْتَ بِيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي فَقَدْ وَجَدْتَهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ (٥)

(١) زعيم: أي كفيلا، خبر مقدم عن عزمي. واقنا: الرماح. والحطي: المنسوب إلى الخط - موضع بالهامة؛ وقوله دم الحواضر والبوادي: أي دم سكانهما، وهما جمع حاضرة بادية، والحاضرة: اسم يقع على المدن والقرى والريف، ومساواها البادية، وهي الصحراء. يقول: عزمي كفيلا بسفك دم الناس جميعاً: حاضرهم والباد.

(٢) التماذي في الأمر: بلوغ مداه، والتماذي في التماذي: أن يتتابع تماذيه. يقول: إلى كم أتأخر عما أطلبه من المعالي وأقصر في ذلك؟ وإلى كم أتماذي في التقصير تماذيا متتابعاً؟

(٣) كسد الشيء: لم ينفق لقلة الرغبة فيه. يقول: وإلى كم أشغل نفسي عن طلب المعالي بنظم الشعر في مدح من لا قيمة عنده للشعر:
(٤) هذا كما قال:

* ولكن ما يمضي من العيش فائت *

يريد التحضيض على طلب المعالي: أي أطلب الأهم فالأهم، فإن أيامك لتذهب عمرك. وروى ابن حنبل في مسند - بدل بمستعاد.

(٥) يقول: متى رأيت عيني بياض الشيب في شعري فكأنني وجدته في سوادها كراهية له، وإذا أبيض سواد العين عمى صاحبها، فكأنه يقول الشيب كالعمى؛ وعبارة ابن جنبي: كأن مافي وجهه من الشيب نابت في عينيه؛ وعبارة الخطيب التبريزي: إذا لحظت بياض الشيب، فكأنما لحظت به بياضاً في العين، ولا يمكنه أن يلحظ سواد عينيه إلا في المرأة، ولولا أنه بين سواد العين لحل على سواد القلب لاحتاله ذلك. وهذا من قول أبي دلف:

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بِيضَاءً قَدْ طَلَعَتْ كَأَمَّا طَلَعَتْ فِي نَاطِرِ البَصْرِ
وَيَقُولُ أَبُو تَمَامٍ :

لَهُ مَنظَرٌ فِي العَيْنِ أبيضٌ ناصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي القَلْبِ أَسْوَدٌ أَسْفَعٌ

مَتَى مَا زِدْتُمْ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي (١)
 أَرْضَى أَنْ أَعِيشَ وَلَا أُكْفَى
 عَلَى مَا لِلْأَمِيرِ مِنَ الْيَادِي (٢)
 جَزَى اللَّهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا
 وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ (٣)
 فَلَمْ تَلَقْ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنَسِي
 وَفِيهَا قُوتٌ يَوْمَ الْقُرَادِ (٤)
 أَلَمْ يَكْ بَيْنَنَا بَلَدٌ بَعِيدٌ
 فَصَيَّرَ طُولَهُ عَرْضَ النَّجَادِ (٥)
 وَأَبْعَدَ بَعْدَنَا بَعْدَ التَّدَانِي
 وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ (٦)

(١) يقول : إذا بلغ الشباب نهايته ، فزيادة العمر بعد ذلك وفور النقصان لما هنالك من ضعف الشيخوخة ؛ وهو معنى بديع تعاوره الشعراء ، قال عبد الله بن طاهر :
 إذا ما زادَ عمرُكَ كانَ نقصًا ونقصانُ الحياةِ معَ التمامِ
 وقال آخر :

إذا اتسقَ الهلالُ وصارَ بدرًا تبيّنتَ الحماقَ مِنَ الهلالِ

(٢) الأيادي : النعم . يقول : كيف أرضى بحياتي ولا أجازي المدوح على ماله عندي من سالف النعم التي أسداها إلى ؟

(٣) المزاد : جمع مزادة ، وهي قربة الماء . يقول : إن إبلنا قد أضناها السير ، وهزلها حتى تركها كالمزاد التي كانت معنا وتقد ماؤها ، خفت طول السفر ، وعبارة ابن جني : يريد : قد هزلها وأضناها السير حتى صارت كالمزاد البالي ، حذف الصفة ، قال ابن فورجه لا دليل على حذف الصفة ، وإنما أراد كالمزاد التي نحملها في مسيرنا إذ قد خلت من الماء والزاد لطول السفر . والألف واللام - في المزاد - للعهد ، والمعنى : إن المسير إليه أذهب لحوم المطايا ، وأفنى ما تزودنا من ماء وزاد ، فلم يبق من المطايا لحم ، ولا في المزاد زاد .

(٤) العنسي : الناقة الصلبة . والقراد : دويبة تلزق بالابل ونحوها - كالقمل للانسان - يقول : لم تصل ناقتي إلى هذا المدوح إلا بعد أن أضناها السير حتى لم يترك فيها من الدم ما يقوت القراد :

(٥) الضمير في صير : للمسير . والنجاد : حمائل السيف ، والمراد بالبلد هنا : المفازة يقول : إن المسير أدنانى إليه حتى لم يبق بيني وبينه إلا مقدار عرض حمائل السيف . وهو غاية القرب ؛ والعرب تقدر في القرب : بقب القوس وحمائل السيف .

(٦) الضمير في الفعلين للمسير ، والمصدر الاول - في كل من الشطرين - مفعول به

فَلَمَّا جِئْتُهُ أُعْلَى حَمَلِي وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ (١)
 تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَأَلْقَى مَالَهُ قَبْلَ الْوَسَادِ (٢)
 نَلُومَكَ يَا عَلِيٌّ لِغَيْرِ ذَنْبٍ لِأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَيَّ الْعِبَادِ (٣)
 وَأَنَّكَ لَا تَجُودُ عَلَيَّ جَوَادٍ هِبَاتِكَ أَنْ يُلَقَّبَ بِالْجَوَادِ (٤)

والمصدر الثاني : مفعول مطلق . يقول : إن السير أبعد ما كان بيننا من البعد ، فجعله كبعد التداني الذي كان بيننا ، وقرب قربنا ، فجعله مثل قرب البعاد الذي كان بيننا : أي قربني إليه بحسب ما كان بيني وبينه من البعد ، فجعل البعد بعيداً عني وجعل القرب قريباً مني . وحاصل المعنى : أننا كنا في غاية البعد فصرنا في غاية القرب . قال العكبري : قال الحكيم أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الأجسام ، وأبعد البعد تنافر القلوب وإن تدانت الأجسام ، ثم قال العكبري : وأخذت المعنى فقلت :

وكم من قريب قلبه عنك نازحٌ وكم من بعيد قلبه بك مغرمٌ

(١) يقول : رفع منزلي في مجلسه حتى نلت من الرفعة ما كأني به فوق السموات

السبع . والشداد : الثقنة المحكمة الصنعة .

(٢) تهلل : تلاًلاً وجهه واستبشر بروي . والوساد : ما يتكأ عليه . ومثل هذا

قول الآخر :

إِذَا مَا أَنَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ عَلَيْهِ مَصَابِيحُ الطَّلَاقِ وَالْبِشْرِ

والمصراع الثاني من قول علي بن جبلة :

أَعْطَيْتَنِي يَا وَليَّ الْحَمْدِ مُبْتَدَأً عَطِيَّةً كَفَاتَ مَدْحِي وَلَمْ تَرْنِي

مَا شِمْتُ بَرِّقَكَ حَتَّى نَلْتُ رِيْقَهُ كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجَدْوَى تَبَادَرْنِي

فَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى شُكْرَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلْقِيحُ مَدْحٍ وَتَجْوِي شَاعِرٍ فَطْنِ

شُكْرٍ لِتَعْجِيلِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ مَنِّ عِنْدِي وَشُكْرٍ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

(٣) زريت على العباد : أي حقرت أفعالهم ومناقبهم بزيادتك عليهم .

(٤) هباتك . فاعل تجود ، وأن يلقب : مؤول بمصدر في موضع نصب بإسقاط

حرف الجر . يقول : إن هباتك لا تجود على أحد بلقب الجواد لأنه لا يستحق هذا اللقب

غيرك لأن جودك فوق كل جود .

كَأَنَّ سَخَاءَكَ الْإِسْلَامُ تَخَشَى إِذَا مَا حُلْتَ عَاقِبَةَ ارْتِدَادِ (١)
كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيُونَ ، وَقَدْ طُبِعَتْ سَيْوُفُكَ مِنْ رُقَادِ (٢)
وَقَدْ صُغَّتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ (٣)

(١) حلت : تحولت وتغيرت . يقول : إنك تدين بالسخاء وتعتمده كما تدين بالإسلام وتعد تحولك عنه كأنه الردة ، فتخاف هذا التحول كما تخاف الردة التي عقابها القتل ودخول النار . وهذا كقول أبي تمام :

مَضَوْا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتُ لَدَيْهِمْ - لِكثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ - شَرَائِعِ
ثم قلبه فقال :

كِرْمٌ تَدِينُ بِحُلُوهِ وَبِمِرِّهِ فَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ

(٢) الهام : الرءوس ، والهيجا : من أسماء الحرب ؛ تمد وتقصر ، وطبع السيف : طريقه وعمله . جعل الرءوس في الحرب كالعيون ، وجعل سيوفه كالرقاد يقول : إن سيوفك لاتقع إلا على الهام ولا تحل إلا في الرءوس : كالنوم محله في الجسد : العين . أو تقول : إن سيوفك ألقت الرءوس ألفة الرقاد للعين ، فلا تحل إلا فيها ، وعبارة الخطيب التبريزي : سيوفك كالرقاد ، فلا تمتع منه العيون ، بل تطرأ عليها : حبت أم كرهت .

(٣) الأسننة : نصال الرماح . ويخطر : إما بضم الطاء على إرادة الهموم ، وإما بكسرها على إرادة الرماح . يقول ؛ إن أسنتك لاتقع إلا في قلوب أعدائك ، كأنها الهموم لاملح لها غير القلوب ، والبيت منقول من قول أبي تمام :

كَأَنَّهُ كَانَ تَرَبَّ الْحَبِّ مُذْ زَمَنِ فَلَيْسَ يَحْجِبُهُ خَلْبٌ وَلَا كَيْدٌ (١)
وفي معنى البيت يقول دعبل في سيدنا على :

كَأَنَّ سِنَانَهُ أَبْدًا ضَمِيرٌ فَلَيْسَ لَهُ عَنِ الْقَلْبِ انْقِلَابٌ
وَصَارِمَةٌ كَبِيعَتُهُ بِحُمٍّ فَمَوْضِعُهَا مِنَ النَّاسِ الرِّقَابُ (١)

(١) الخلب : حجاب القلب ، وقيل حجاب ما بين القلب والكبد ، ومنه قيل للرجل الذي يحبه النساء إنه خلب نساء : أي يحبه النساء .

(٢) خم — بضم الخاء ، وقيل بفتحها — موضع بالجحفة ، بين مكة والمدينة ، قضبت فيه عين هناك .

وَيَوْمَ جَلَبْتَهَا شُعْتَ النَّوَاصِي مُعَقَّدَةَ السَّبَائِبِ لِلطَّرَادِ (١)
وَحَامَ بِهَا الْهَلَكَ عَلَى أَنْاسٍ لَهُمْ بِاللَّاذِقِيَّةِ بَغْيُ عَادِ (٢)
فَكَانَ الْغَرْبُ بَحْرًا مِنْ مِيَاهِهِ وَكَانَ الشَّرْقُ بَحْرًا مِنْ حِيَادِهِ (٣)
وَقَدْ خَفَقَتْ لَكَ الرِّيَّاتُ فِيهِ
فَظَلَّ يَمُوجُ بِالْبَيْضِ الْحِدَادِ (٤)

ويقول منصور التمرى :

وكان موقعه بجمجمة الفتى سُكْرُ المدامةِ أو نَعَاسُ الهاجع
ويقول مهلهل :

الطاعنُ الطعنة النجلاء تحسبها نَوْمًا أَنَاخَ بِجَفْنِ العَيْنِ يُغْفِيهَا
بِلَهْدَمٍ مِنْ هُمومِ النفسِ صِيغَتُهُ فليس ينفكُ يجرى في مجاريها

(١) الضمير في جلبتها : للخيل ، وإن لم يجر لها ذكر . لدلالة القرائن عليها ؛
والأشعث : المغبر ، والنواصي : جمع ناصية ، وهى شعر مقدم الرأس وجعلها شعث
النواصي لمواصلة السير عليها والحرب والغارة ؛ والسبائب : شعر العرف والذنب . وهذا
الشعر يعقد عند الحرب ، كما قال :

عقدوا النواصي للطعان فلا ترى فى الخيل - إذ يعدون - إلا أنزعا

وقوله ويوم إلح : أى أذ نرك ذلك اليوم ، قال العكبرى : المعنى ويوم جلبت الخيل
للقاتل مغبرة من كثرة الطراد عليها ، وقد عقدت نواصيها وأذناها ، يومئذ ظفرت
بمطوبك من الأعداء .

(٢) حام : دار ، من قولهم : حام الطير حول الماء : أى دار حوله ليشرب منه ؛
والباء فى بها : متعلقة بحام والضمير : للخيل ، والبغى الظلم : يقول : دار الهلاك
بجملتك على أناس بغوا باللادقية وظلموا ظلم عاد وعصوا عصيانهم .

(٣) يقول : إن الأعداء وقعوا بين بحرين : أحدهما من الجانب الغربى ، وهو بحر
الماء - لأن اللادقية على ساحل البحر - والآخر من الجانب الشرقى ، وهو جيش
المدوح ، شبه الخيل بالبحر لكثرتها ولما فيها من بريق الأسلحة .

(٤) فيه : أى فى بحر الجياد ، والبيض : السيف ، والحداد : الرقاق ، يقول
اضطربت الأعلام فى هذا البحر - بحر الجياد - وتحركت لك - لا عليك -
فظل ذلك البحر يموج ويتحرك بالسيف .

لَقَوْكَ بِأَكْبَدِ الْإِبِلِ الْأَبَايَا فَسَقْتَهُمْ وَحَدُّ السَّيْفِ حَادٍ (١)
 وَقَدْ مَزَقَتْ ثَوْبَ الْعَيِّ عَنْهُمْ وَقَدْ أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرَّشَادِ (٢)
 فَمَا تَرَكَوْا الْإِمَارَةَ لِاخْتِيَارٍ وَلَا انْتَحَلُوا وِدَادَكَ مِنْ وِدَادٍ (٣)
 وَلَا اسْتَفَلُّوا زُهْدِي فِي التَّعَالَى وَلَا انْقَادُوا سُرُوراً بِانْقِيَادٍ (٤)
 وَلَكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ فِي حَشَاهُمْ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي رَجْلِ الْجِرَادِ (٥)
 وَمَاتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمْ فَلَمَّا مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ (٦)
 غَمَدَتْ صَوَارِمًا لَوْ لَمْ يَتُوبُوا
 مَحْوَتَهُمْ بِهَا مَحْوَ الْمِدَادِ (٧)

(١) الأبوايا : جمع الأبية ، أى الآبية الممتنعة . يقول : لقوك عاصين غليظة أ كبادهم كأ كباد الإبل التى تأبى على أربابها ولا تنقاد إليهم ، فذللتهم وسقتهم أمامك كما تساق الإبل ، وحاديهم الذى يسوقهم هو حد سيفك ، والإبل توصف بغلظ الكبد كما قال :

* لَنَحْنُ أَعْظَمُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ *

(٢) يقول : أخرجتهم من ضلال العصية إلى رشد الطاعة ، وفيه من البديع المقابلة بين النى والرشاد .

(٣) انتحل الشيء : ادعاه . يقول : إنك اضطررتهم إلى ترك الإمارة فتركوها خوفاً ، وادعوا حبك ادعاء ، لا لأنهم يودونك حقيقة .

(٤) استفلوا من السفال : أى تسفلوا وانخطوا ؛ وانقادوا : أطاعوا .

(٥) هب : ثار واضطرب . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . والرجل من الجراد القطعة منه . يقول : إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك رغبة فى فعله ولكن لأن ربح الخوف عصفت بهم وفرقتهم كما تفرق الريح رجل الجراد .

(٦) يقول : ماتوا خوفاً منك قبل أوان موتهم ، فلما مننت بالعفو عنهم كان ذلك إحياء لهم قبل يوم البعث : وهذا منقول من قول أبى تمام .

مَعَادُ الْبُعْثِ مَعْرُوفٌ وَلَكِنْ

نَدَى كَفَيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعَادِي

(٧) الصوارم : السيوف القواطع . والمداد : الحبر ، يقول : سللت عليهم سيوفاً ، فلما عفوت عنهم أغمدتها ، ولو لم يتوبوا وينقادوا لك لمحتوهم محو المداد .

وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى

- بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْكِرَمِ التَّلَادِ (١)
فَلَا تَغْرُوكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تَقْلِبُنَّ أَفْئِدَةً أَعَادِي (٢)
وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْتِي لِبَاكٍ بَكَى مِنْهُ وَيَرَوَى وَهُوَ صَادٍ (٣)
فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادٍ (٤)
وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ
وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادٍ (٥)

(١) الطريف : المستحدث . وانتصف منه : استوفى حقه ، والتلاد : القديم . يقول إن الغضب الحادث وإن كان قويا نزاعا إلى الانتقام لا يغلب الكرم القديم الذى يقتضى العفو والصفح ، فلا ينتصف منه باستيفاء حق الانتقام .

(٢) موال : جمع مولى ، وهو الولي والصديق . يقول : إن ألسنتهم تظهر لك المودة والمحبة وقلوبهم تضمرك العداوة ، يريد لا تغتر بذلك ، لأن تلك الألسنة الموالية تقلبها أفئدة معادية .

(٣) رثى له رثى : إذا رحم ؛ والصادى : العطشان . يقول : كن قاسياً عليهم كالموت لا يرحم الباكي من خوفه ؛ ويروى بما يشرب من الدماء وهو مع ذلك عطشان لحرصه على الإهلاك . وقال ابن جنى : كأنه لطلبه الشرب بعد الرى صاد ، أى لطلب النفوس ؛ ومعنى يروى : ينال مالو أدركه لروى ؛ وفى معناه :

* كالموتِ لَيْسَ لَهُ رِىٌّ وَلَا شِمْعٌ *

(٤) نفر الجرح : هاج وورم بعد البرء . وقوله إذا كان البناء على فساد : أى إذا نبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد . يقول : إنهم يطوون العداوة فى أنفسهم إلى أن تمكنهم الفرصة . وهذا من قول البحترى :

إِذَا مَا الْجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَقْرِيطُ الطَّيِّبِ

قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد

أقرب إليه من الصلاح .

(٥) الجماد : الصخر ؛ والزناد : جمع زند ، وهو العود الذى تقدح بالنار .

يقول : إن العداوة تكمن فى الوداد كمن فى النار فى الزناد والماء فى الجماد . كما قال نصر بن سيار :

وَكَيفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ فَرَشَتْ جَنْبَهُ شَوْكَ الْقَتَادِ (١)
يَرَى فِي النَّوْمِ رُحْمَكَ فِي كِلَاهُ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ (٢)
أَشْرَتْ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمِ
نَزَلَتْ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادِ (٣)
وَظَنُونِ مَدْحَهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي (٤)

وَإِنَّ النَّارَ بِالزُّنْدَيْنِ تُوْرِي وَإِنَّ الْفِعْلَ يَقْدُمُهُ الْكَلَامُ

وكل هذا تحذير له من أعدائه ، أن لا يغفل عنهم ، وإن لم يكونوا أكفء له .
وعبارة ابن جنى : الأشياء تكمن وتستتر ، فإذا استترت ظهرت .

(١) يريد بالجبان : عدوه ؛ والقتاد : شجر له شوك . يقول : إن خوفه إياك
يحول دون نومه ، كما لو فرشت له شوك القتاد ، وعبارة بعض الشراح كيف يبیت عدوك
مضطجعاً . وكما ألقى جنبه للنوم وجد نفسه يتقلب على مثل شوك القتاد ، من خوفك .
يعنى : أنه لا يزال متيقظاً لك لا يأخذه نوم عن محاولة الكيد لك ودفع خوفك عنه .
(٢) يقول : لشدة ارتباعه وذعره يراك في نومه كأنك طعنت كليته برمحك ، فهو
يخشى أن يرى ذلك في اليقظة ، كما قال أشجع السلمي :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانَ ضَوْءِ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيْوْفَكَ الْأَحْلَامِ

ولقد قصر أبو الطيب في تعبيره عن اليقظة بالسهاد ، لأن السهاد امتناع النوم ليلاً ،
ولا يسمى المتصرف بالنهار ساهداً .

(٣) و (٤) يقول : مدحت قوماً أشرت على — يا أبا الحسين — بأن أمدحهم ،
فما كان إلا أن فارقتهم دون أن يزودوني شيئاً ، وظنوا أني كنت أمدحهم وأثنى عليهم
بذلك المديح ، مع أني إنما كنت أعنيك أنت بذلك المدح والثناء . وفي هذا المعنى
يقول أبو نواس :

وَإِنْ جَرَتْ الْأَلْفَاظُ مِنِّي بِمَدْحَةٍ لِعَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

ويقول كثير :

مَتَى مَا أَقْلُ فِي آخِرِ الدَّهْرِ مِدْحَةً فَمَا هِيَ إِلَّا لابنِ لَيْلِ الْمَكْرَمِ

وقد ذهب اليازجي — بعد أن اعترف بأن الرواية أشرت : بفتح الشين والثناء

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَغَادٍ
وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادٍ (١)
مُجِبُّكَ حَيْثَمَا اتَّجَهْتُ رَكَابِي
وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ (٢)

— إلى أن الأظهر أن تكون بكسر الشين وضم التاء ، من الأشمر ، وهو الفرح بالشيء والاعتزاز به ، كأنه يقول : إني اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيئاً ، وهو حسن في ذاته ، إلا أنه يفتقر إلى ثبت .

(١) الغدو الذهاب صباحاً ، ثم كثر حتى استعمل في مطلق الذهاب : أى وقت كان والبقاء : الساحة والمنزل . يقول : إني مرتحل عنك ، وقلبي مقيم عندك . قال العكبري وما أحسن ما قال عن فنائك ولم يقل عنك . وهذا كقول أبي تمام :

مُقيمُ الظنِّ عندكَ والأمانى وإنْ قَلِقْتُ رَكَابِي فِي الْبِلَادِ
(٢) يقول : حيثما توجهت فأنا محبك ، وحيثما كنت فأنا ضيفك ، لأننى إنما كل مما

أعطينى وزودتنى ، وهذا من قول أبي تمام :

وما سافرت في الآفاقِ إلا وَمِنْ جَدِّوَالِكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

وقال يمدح بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني ، وهو يومئذ يتولى حرب طبرية
من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨ .

أَحْمَلًا نَرَى أُمَّ زَمَانًا جَدِيدًا أُمُ الْخَلْقِ فِي شَخْصٍ حَتَّى أُعِيدَا^(١)
تَجَلَّى لَنَا فَأَضَانَا بِهِ كَأَنَّ نُجُومَ لَقِينَا سُـمُودَا^(٢)
رَأَيْنَا بَيْدِرَ وَآبَاءَهُ لِبَدْرِ وَلُودًا وَبَدْرًا وَلِيدَا^(٣)

(١) أم الأولى : متصلة معادلة للهمزة على معنى أى ، كأنه قال : أى هذين نرى ؟
فهو الآن مدح وقوع أحدهما لا محالة ؛ فخرى ذلك مجرى قولك أزيداً ضربته أم عمراً :
أى لست أشك في ضربك أحدهما ، ولكن أيهما هو . وأم — الثانية — منقطعة ،
وهي للاضراب — بمعنى بل — مع الاستفهام ؛ والخلق : مبتدأ ؛ وجملة أعيدا : خبر
يتعجب من جمال زمان المدوح . يقول : أهذا الذى نراه حلم أم صار الزمان جديداً ؛
فهو غير ما نعهده ؟ وانقطع الاستفهام ثم قال : بل أعيد الخلق — الذين ماتوا من قبل
— في شخص رجل حي — وهو المدوح — أى جمع فيه ما كان لهم من الفضائل
والمكارم وسائر المعاني المحمودة ، فكأنهم أعيدوا في شخصه ، كما قال أبو نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

(٢) أضاء : يكون لازماً ومتعدياً . يقول : ظهر لنا هذا المدوح فسرنا به في
الضوء : يعنى أعدتنا سعادته ، كالنجوم التي تسعد بروجها ،

(٣) ولوداً : أى والدآ ؛ ووليداً : أى مولوداً . يقول : رأينا برؤية بدر بن عمار
بدرآ مولودآ ، وبرؤية آباءه والدآ لبدر ؛ وعبرة الواحدى : رأينا برؤية بدر وآبائه
والدآ لقمر وقرآ مولودآ . جعله في الضياء والشهرة والعلو والحسن كالقمر ، والقمر
لا يكون مولودآ ولا والدآ ، فجعله كالقمر المولود وآباه كالوالد للقمر ، وعنى بالبدرين
الآخرين : قمرين ، ولو أراد بهما اسم المدوح : لم يكن فيه مدح ولا صفة . قال :
ويقال الإشارة في هذا إلى أن المدوح فيه معانى البدور من الضوء والحسن والكمال
لا معانى بدر واحد . وعبرة ابن جنى : رأينا هذا المدوح وآباه قد ولد منه قمر في
الحسن ، فكأنه قد صار للقمر والدآ ؛ ورأينا هذا المدوح قرآ وليدآ ، والبدر
لا يكون والدآ ولا مولودآ حقيقة ، ولكنه أراد الإغراب وحسن الصنعة فكأنه قال
أنت قمر وأبوك أبو القمر .

طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الذِّي رَضِينَا لَهُ فَتَرَ كُنَّا السَّجُودَ (١)
 أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ النَّدَى جَوَادٌ بِخَيْلٍ بَأَنَّ لَا يَجُودُ (٢)
 يُحَدِّثُ عَنْ فَضْلِهِ مُكْرَهًا كَانَ لَهُ مِنْهُ قَلْبًا حَسُودًا (٣)
 وَيُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَفِرَّ وَيَقْدِرُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَزِيدَ (٤)

(١) يقول : رضينا أن نسجد له لا مستحقاقه غاية الخضوع منا له ؛ فلم يرض ذلك ؛ فتركنا ما رضينا له — وهو السجود — طلباً لرضاه .

(٢) أمير خبر مبتدأ محذوف أي هو أمير ؛ وأمير الثاني خبر مقدم والندى مبتدأ مؤخر . أي هو أمير ، الندى أمير عليه ، أي ملك عليه أمره فلا يعصيه ، أي لا يكون بخيلاً ألبتة ؛ ثم قال : وهو جواد بكل شيء إلا بأن يترك الجود ، فإنه لا يجود بهذا الترك والمصرع الأول من قول النمرى :

وقفتُ على حالِكما فإذا النَّدى عليك — أميرَ المؤمنينَ — أمير
 وقول أبي تمام :

أَلَا إِنَّ النَّدَى أَضْحَى أَمِيرًا عَلَى مَالِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ
 (٣) يقول : لا يجب أن يمدحه أحد بحضرة تنزهها عن ذلك المدح ، كأن له من نفسه قلباً يحسده ، فلا يجب إظهار فضله ومناقبه ، كما قال :

أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتِكَ أَشْبَهُ تَأْتَى النَّدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتُكْرَهُ
 وقد قال أبو تمام :

وَكأَنَّمَا نَافَسْتَ قَدْرَكَ حَظَّهُ

وَحَسَدْتَ نَفْسَكَ حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسَدِ

اجتمع المتنبي وأبو تمام في حسد النفس والقلب ؛ فأبو تمام يقول كأنك نافست قدرك وحسدت نفسك فطفقت تباهى في الشرف ، وتزيد على كل غاية تصل إليها ، وإن كنت مفرداً فما ليس لك فيها شريك ؛ وأبو الطيب يقول : كأن قلبك يحسدك على فضائلك ، فهو يكره أن تشغل بذكورها ، وهذا نوع آخر من المديح لكنهما اجتماعاً في حسد النفس والقلب .

(٤) يقول : يقدم على كل عظيم إلا على الفرار في الحرب ، فهو أهول عنده من كل

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَعْضُ الْقَضَاءِ فَمَا تُعْطِي مِنْهُ نَجْدَهُ جُدُوداً^(١)
 وَرُبَّمَا حَمَلَةً فِي الْوَعْيِ رَدَدْتَ بِهَا الذُّبْلَ السَّمْرَ سُوداً^(٢)
 وَهَوْلٍ كَشَفْتَ وَوَصَلَ قَصَفْتَ وَرُمَحٍ تَرَكَتَ مُبَاداً مُبِيداً^(٣)
 وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلَا مَوْعِدٍ وَقِرْنٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْوَعِيداً^(٤)

كل هول ؛ ويقدر على كل صعب إلا على أن يزيد على ما هو عليه من علو الشأن وجلال
 القدر ، فإنه لا غاية له وراءه ، وهذا من قول أبي تمام :

فلو صورتَ نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطبع

(١) النوال : العطاء ؛ والجدود : جمع جد ، وهو البخت والسعد . يقول : كأن
 عطاءك مشتق من القضاء ، فإذا وصلت أحدا يبر سعد يبرك فصار برك حظاله . قال
 الواحدي : ويجوز أن يكون المعنى : أن القضاء سعد ونحس ، ونوالك سعد كله ، فهو
 أحد شقي القضاء .

(٢) التاء - في ربما - للتأنيث وما زائدة ، والذبل : جمع ذابل ؛ والذبل السمير :
 الرماح . يقول : رب حملة لك على أعدائك في الحرب رددت بها رماحك السمير سودا :
 أى لطحها بالدماء حتى جفت عليها فاسودت ، والدم إذا جف اسود .

(٣) وهول : عطف على حملة . يقول : ورب هول كشفته عن صجبك بنجدتك ،
 ورب سيف كسرته بقوة ضربتك ، ورب رمح أثلفته بالظعن في الأضلاع وقد أثلف
 نفس المطعون . فقوله مبادا مبيدا : حالان من الرمح ، ومثل هذا المعنى في السيف
 قول البعيث :

وَإِنَّا لَنُعْطِي الْمَشْرِفِيَّةَ حَقَّهَا فَتَقَطَّعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ

ويقول أبو تمام :

وما كنتَ إلا السَّيْفَ لَاقِي ضَرْبِيَّةً فَتَقَطَّعَهَا مُمَّ اثْنِي فَتَقَطَّعَا

(٤) القرن : الكفو في الحرب ، يقول رب مال وهبته بغير موعد ، بل تعطيه
 ابتداء ؛ ورب كفؤ لك في الحرب : سبقت إليه من غير تهديد ، وهذا كقوله :

لقدْ حالَ بالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعُودِ

بِهَجْرٍ سِيُوفِكَ أَعْمَادَهَا تَمَنَّى الطَّلَى أَنْ تَكُونَ الْعُمُودَا (١)
 إِلَى الْهَامِ تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ تَرَى صَدْرًا عَنْ وُرُودٍ وَوُرُودَا (٢)
 قَتَلْتَ نَفُوسَ الْعِيدَا بِالْحَدِيدِ حَتَّى قَتَلْتَ بِهِنَّ الْحَدِيدَا (٣)
 فَأَنْفَدْتَ مِنْ عَيْشِهِنَّ الْبَقَاءَ وَأَبْقَيْتَ مِمَّا مَلَكَتِ النَّفُودَا (٤)
 كَأَنَّكَ بِالْفَقْرِ تَبْنِي الْغِنَى
 وَبِالْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ تَبْنِي الْخُلُودَا (٥)

(١) الطلا : الأعناق ، والعمود : جمع غمد ، جفن السيف . يقول : إن سيوفك لأنها لاتفتقر عن ضرب الأعداء وممارسة الحروب - تبقى أبداً هاجرة أعمادها ، ومن ثم تمنى الاعناق أن تكون أعماداً لها حتى تنال من الهجر مانالت الأعماد : أى حتى تهجرها السيوف ولا تجتمع معها أبداً . وهو معنى دقيق رائع .

(٢) الهام : الرؤوس . يقول : إن سيوفه لاتعود إلى أعمادها أصلا فقد هجرتها إلى الرؤوس لأنها أبداً تصدر عن رأس لترد رأسا غيره ، فيكون صدورها عما وردت عليه ورودا على مثله . فقوله إلى الهام : متعلق بهجر في البيت السابق - أى بهجر سيوفك أعمادها إلى الهام ، ويكون البيت مضمنا . ولك أن تجعلها متعلقة بتصدر الواقعة حالا : أى صادرة عن مثل ما هجرت إليه . والصدر - فى الأصل - صدور الشاربة عن الماء بعد الرى ، والورود عكسه ؛ وصدرا وورودا : مفعولان لترى ، وورود : متعلق بصدر : (٣) يقول : مازلت تقتل الناس بالسلاح حتى قتلت السلاح بهن : أى كسرتة وثلمته وهذا مثل قول أبى تمام :

وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنْ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشَّمْرُ
 (٤) أنفدت : أفنيت ؛ والنفود : الفناء ؛ والضمير فى عيشهن : لنفوس الأعداء وأفنيت بقاء نفوس الأعداء : أى أهلكتهم بإحلال آجالهم ، وأبقيت نفود المال الذى تملك : أى أتلفته حتى لم يبق منه إلا العدم . يقول : إنك أهلكت أعداءك وفرقت أموالك .

(٥) يقول : لإفراط سرورك بالعباء وبذل المال كأنك تبني بذلك الغنى ؛ لأنك تسر بما تعطيه سرور غيرك بما يأخذه . فكأن الفقر عندك هو الغنى ، وكأن الموت فى الحرب خلود فلا تنفك تسعى إليه .

خَلَّاتِقُ تَهْدِي إِلَى رَبِّهَا وَآيَةُ مَجْدٍ أَرَاهَا الْعَبِيدَ (١)
مُهَذَّبَةٌ حُلُوةٌ مُرَّةٌ حَقَرْنَا الْبِحَارَ بِهَا وَالْأَسْوَدَ (٢)
بَعِيدٌ عَلَى قُرْبِهَا وَصَفُهَا
تَعُولُ الظُّنُونُ وَتُنْضِي الْقَصِيدَ (٣)
فَأَنْتَ وَحِيدٌ بَنِي آدَمَ وَلَسْتَ لِقَدِّ نَظِيرٍ وَحِيدًا (٤)

* * *

(١) فاعل أراها : ضمير يعود إلى الرب . يقول : هذه خلّاتق - يعنى ماذا كرفى الأبيات السابقة - يستدل بها على قدرة خالقها ؛ إذ هي أخلاق عجيبة لا يقدر عليها إلا الله الواحد القادر ، وهي آية مجد أراها الله عباده حتى يستدلوا بها على المجد والعلاء أو تقول : هذه خلّاتق من الكرم والفضل والإقدام ومحاسن الشيم تدل على ربها : أى صاحبها ، وهو المدوح ، وتدعو إلى معرفته ؛ وآية مجد أراها العباد كي ينهجوا منهجه .

(٢) يقول : هذه الخلّاتق مهذبة لا عيب فيها ، حلوة للأولياء بما تنبثق به عليهم من النعماء ، مرة على الأعداء بما تنصب عليهم من النعمة والأواء ؛ ولقد حقرنا بها الأسود والبحار لأنك تربو عليهما في الشجاعة والسخاء .

وقال ابن جنى : حلوة : فكل أحد يعشقها ويستحسنها . ومرة : لأن الوصول إليها صعب لبذل المال والمخاطرة بالنفس ، وحقرنا البحار لإفراط سخائك والأسود لإفراط إقدامك .

(٣) بعيد : خبر مقدم ؛ ووصفها مبتدأ مؤخر ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وغاله أهل كنه . وأنضاه : هنزله . يقول . إن وصف أخلاقك بعيد مع قربها منا ، لأننا نراها ، ولكن لا تقدر على وصفها ؛ إذ أن الظنون تهلك دون إدراك غايتها ، ويهزل الشعر إعياء قبل الوصول إلى حقيقتها .

(٤) يقول : أنت وحيد لأنه وجد لك نظير قديما ثم فقد ، وإنما لأنه لم يوجد لك نظير ألبتة في بني آدم . وعبارة الواحدى : لم تصر وحيدا ، لأنك فقدت نظيرا كان لك ، بل أنت وحيد لم تزل ، والوحدة لازمة لك ، فهي صفة لك ، وقال غيره : أنت وحيد بني آدم في كل خلّاتقك ، ولست بواحد لك نظيرا ، فلست مفردا من فقدك للنظير ، فأنت غير منفك من هذه الحال : أى أنت وحيد لم تزل .

وقال لما استعظم قوم ما قاله في آخر مرثية جدته :

يَسْتَعْظُمُونَ أَيْبَاتًا نَأَمْتُ بِهَا لَا تَحْسُدُنَّ عَلَيَّ أَنْ يَنْأَمَ الْأَسَدُ (١)
لَوْ أَنَّ نَمَّ قُلُوبًا يُعْقِلُونَ بِهَا أَنْسَاهُمْ الذُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدُ (٢)

وقال يمدح محمد بن سيار بن مكرم التيمي :

أَقْلُّ فَعَالِي بَلَهَ أَكْثَرَهُ مَجْدُ

وَذَا الْجِدُّ فِيهِ نِلْتُ أُمَّ لَمْ أَنْلِ جَدُّ (٣)

(١) أبيات : تصغير أبيات ، صغرها تحقيرا لها . ونأم الأسد زار : والأسد مفعول تحسدن ، ويعنى بالأسد نفسه . يقول : إنهم يستعظمون أيباتا هي عندي حقيرة . ثم قال لا تحسدن الأسد على زأرة .

(٢) ثم : بمعنى هناك ، والإشارة إلى حيث هم : أى لو أن لهم أو معهم قلوبا ، والضمير - في قوله تحتها - للأبيات ، والحسدا : مفعول أنسأهم . يقول : لو كان لهم قلوب يعقلون بها ماتضمنته أيباتي من الوعيد لأنسأهم الذعر منها الحسد .

(٣) الفعال هنا : مصدر فعل فعلا : كذهب ذهابا ؛ والفعال : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . وبله : اسم فعل بمعنى دع ، وأ أكثره منصوب به ، والجـد - بالكسر - الاجتهاد ، وبالفتح : الحظ ؛ يقول : أقل فعلى مجد دع أكثره : أى إذا عرفت أن الأقل مجد ، أعناك ذلك عن تعرف الأ أكثر . يعنى أنى لأفعل فعلا إلا ومرماى الجـد ، فكل أفعلى - قليلا وكثيرها - إنما هى فى سبيل المجد وهذا الجـد والإشاحة فى سبيل المجد ، وترك التوائى فى ذلك يعد حظا لى سواء نلت مطلوبى أم لم أنل ، لأن ذلك آية علو النفس وبعد الهمة ، وحسبى ذلك حظا . وعبارة الواحدى : معنى المصراع الأول من هذا البيت : أنى لا أفعل شيئا إلا ومغزأى المجد ، وإياه أطلب ولو صرح بالأقل لقال : نوى وأكلى وشربى للمجد ؛ ولو صرح بالأكثر لقال : تغيرى بنفسى وركوبى المهالك ؛ وشهودى الحرب كله مجد أى لأجل المجد وتحصيله . يقول : إذا عرفت كون الأقل مجدا أعناك ذلك عن تعرف الأ أكثر . وقوله وذا الجـد ، معناه أن الجـد فى طلب المجد معجل ، لأن استعمال الجـد فى الأمور جد ، لأنه يستمر عادة باستعمال الجـد فى الأمور .

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَائِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمَّوْا مُرْدٌ (١)
 ثِقَالٍ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا (٢)
 وَطَعْنٍ كَأَنَّ الطَّعْنَ لَا طَعْنَ عِنْدَهُ وَضَرْبٍ كَأَنَّ النَّارَ مِنْ حَرِّهِ بَرْدٌ (٣)
 إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِجٍ رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدٌ (٤)
 أَدُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَلَهُ فَأَعْلَمُهُمْ فَدَمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغَدٌ (٥)

(١) يقول : سأطلب حقي بالرماح وبصحب لي لايفارقون الحروب ، فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحاهم ، فكأنهم مرد والثام في الحرب عادة العرب ، لثلا تسقط عمائهم . وقال الواحدى : كنى بالقنا عن نفسه ، وبالمشايخ عن أصحابه . يعنى أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره ، وأراد أنهم محنكون مجربون ؛ ولذلك جعلهم مشايخ . هذا : والمشايخ جمع شيخ ، وكذا مشيخة ومشيخة وأشياخ وشيوخ . واللثام : ما يجعل على الوجه من فاضل العامة .

(٢) يقال وما بعده : نعت لمشايخ . ومراده بكونهم ثقالا : شدة وطأتهم على العدو ، أو ثباتهم لدى اللقاء ، وكنى بالخفة عن سرعة الإجابة إذا دعوا للنجدة ، وبالكثرة عن سد الواحد مسد الجماعة : أى أنهم - على قلتهم في العدد - يغنون غناء السواد الأعظم . وعبارة ابن جنى : وصفهم بالقلة ، لأنهم إذا اتصفوا من أعدائهم وغلبوهم في قلة عددهم فهو أخفر لهم من الكثرة .

(٣) وطعن عطف على القنا . والضمير - في عنده - يعود إلى الطعن الأول ، وجملة لاطعن عنده . في موضع رفع خبر كأن . يقول : وأطلب حقي بطعن شديد كأن كل طعن غيره بالقياس إليه لاشيء ، وبضرب حار كأن حر ، النار بالإضافة إليه برد ، وكل هذا مبالغة .

(٤) السابج : الفرس السريع الجرى . يقول : إنه مطاع في قومه ، فمضى شاء أحاطت به رجال يستعذبون طعم الموت كما يستعذب العسل : وقوله : في فمها ، أراد : في أفواهها ، فأوقع الواحد موقع الجمع .

(٥) صغر الأهل تحقيراً لهم . والفدم : العبي في ثقل وقلة فهم . والوعد : الأحمق الحسيس .

وَأَكْرَمَهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٌّ وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدٌ (١)
وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى
عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بَدُ (٢)

(١) وأكرمهم كلب: أى خسة الكلب . وأبصرهم عم : أى أبصرهم بالأمر - من البصيرة - أعمى القلب ، وأسهدهم فهد : أى أسهرهم وأيقظهم ينام نوم الفهد - وبه يضرب المثل فى كثرة النوم . وفى حديث أم زرع : وصفت امرأة زوجها ، فقالت إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد ، تصف زوجها باللين والسكون إذا كان معها فى البيت ، شبهته بالفهد إذا خلا بها ، وبالأسد إذا رأى عدوه ؛ ثم قالت : ولا يسأل عما عهد كرمًا ، منه وحسن خلق . والقرد يضرب به المثل فى الجبن والحذر ويقال : إن القرد لا ينام إلا وفى كفه حجر ، ولا ينام الليل حتى يجتمع إليه الكثير .

(٢) النكد : قلة الخير ، والمراد بالحر : الكريم - ضد اللئيم - يقول : من نكد الدنيا أن الكريم لا يجد مندوحة من إظهار الصداقة فيها لعدوه مع علمه أنه له عدو ، ليأمن شره ويدفع غائلته .

قال ابن جنى : لو قال : مامن مداجاته ، لكان أشبه ؛ والذى قاله أحسن فى اللفظ وأقوى فى المعنى وحسنه أنه ذكر العدو وضده . وفى قوة المعنى : أن المداجى : المساتر للعداوة وقد يساتر للعداوة من لا يظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد ، فهل يعانى من ذلك أمرًا عظيمًا ؛ ونكدًا فى الحياة ، فهو أسوأ حالا من المداجى . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد بهذا السلطان الذى لا بد من صداقته بإخلاس القول والنية ، فبأيها أخل دخل منه الضرر ، وهذا الذى يقوله الخطيب أشبه بمذهب المتنبي . هذا : وقوله : أن يرى مؤول بمصدر مبتدأ خبره من نكد . وقوله بد : اسم «ما» المشبهة بليس ، ومن صداقته: خبر . قال العكبرى : وأراد مامن إظهار صداقته فحذف المضاف . وفى الواحدى - بعد هذا البيت - هذان البيتان :

فَيَانَكِدِ الدُّنْيَا مَتَى أَنْتَ مُقْصِرٌ
عَنِ الْخُرِّ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ ضِدٌّ
يَرُوحُ وَيَعْدُو كَارِهًا لَوْصَالِهِ
وَتَضَطَّرَّهُ الْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ النَّكْدُ
وَلَا يُوْجِدَانِ فِي سَائِرِ نَسْخِ الدِّيْوَانِ .

بِقَلْبِي وَإِنْ لَمْ أَرَوْ مِنْهَا مَلَالَةً

وَبِي عَنْ غَوَائِنِهَا وَإِنْ وَصَلَتْ صَدُّ^(١)

خَلِيلَايَ دُونَ النَّاسِ حُزْنَ وَعَبْرَةً عَلَى فَقْدٍ مِنْ أَحْبَبْتُ مَا لَهُمَا فَقْدُ^(٢)

تَلَجُّ دُمُوعِي بِالْجُفُونِ كَأَنَّهَا جُفُونِي لِعَيْنِي كُلِّ بَاكِئَةٍ خَدُّ^(٣)

(١) بقلي : خبر مقدم عن ملالة ؛ والضمير في منها : الدنيا ؛ والغواني : جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بجملها عن الزينة . يقول : لقد مللت الدنيا وإن لم أستوف حظي منها ، لما أراه من قبيح صنعها ، من مثل الإساءة إلى أهل الفضل وقعودها بهم عما يستحقونه ، ومن ثم كان بقلي منها ملالة ، وبني إعراض عن نساءها ، وإن كنت من الشباب بحيث يرغب في وصالي ، والله أبو العلاء المعري حين يقول :

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي مُعْطٍ حَيَاتِي لِغَرٍّ بَعْدُ مَا غَرَضْتُ^(١)

(٢) جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس ؛ لأنهما يلازمانه ولا يفارقانه ، فكأنهما خليلان له . يقول : فقدت من كنت أحبه وصاحبني لفقده حزن وعبرة لست أقفدها . وقوله : دون الناس حال مقدمة عن النكرتين بعدها ، وعلى فقد : صلة الحزن ، أو العبرة على التنازع ، وجملة مالهما فقد : صفة .

(٣) يقال لج به الحزن ونحوه : لزمه : فلم يزايله ، ويروى تلج : من قولهم ألع السحاب بالمكان : إذا أقام به ، يقول : لا تخلو جفوني من الدموع فكأن جفوني خد كل باكية في الدنيا . يعنى أن ما يسيل من جفونه مثل الذي يسيل على خد كل باكية ، يريد المبالغة في كثرة ما يجري من جفونه . ولعل الأقرب أن يكون المراد : لست أخلو من بكاء ودموع ، كما لا تخلو الدنيا من باكية تجرى دموعها .

(١) غرضت : ضجرت وسممت . والغر : الذي لم يجرب الأمور ؛ وقبل البيت :

إِذَا الْفَتَى ذَمَّ عَيْشًا فِي شَبَابِهِ فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصَرَ الشَّبَابِ مَضَى

وَقَدْ تَعَوَّضْتُ مِنْ كُلِّ بِمَشَبِهِ فَمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصَّبَا عِوَضًا

وبعدها البيت وبعده :

جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ أَمْرِي غَرَضًا

وَأَيُّ لَتُّغْنِينِي مِنَ الْمَاءِ نَغْبَةً ، وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصْبِرُ الرَّبْدُ (١)
وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السَّنَانُ لِطَيْبِي ، وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ (٢)
وَأَكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءِ بَغِيئَةٍ ، وَكُلُّ أَعْتِيَابٍ جُهْدٌ مِنْ مَالِهِ جُهْدُ (٣)
وَأَرْحَمُ أَقْوَامًا مِنَ الْعَبِيِّ وَالغَبَا ، وَأَعْذِرُ فِي بُغْضِي لِأَنَّهُمْ ضِدُّ (٤)
وَيَمْنَعُنِي مِمَّنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ أَيَادٍ لَهُ عِنْدِي تَضِيقُ بِهَا عِنْدُ (٥)

(١) و (٢) النغبة : الجرعة من الماء . والربد : النعام : يقال ظليم أربد ونعامه ربداء . وذلك لما في لونها من العبرة . يضرب بها المثل في الصبر على العطش ، والطيبة المكان الذي تطوى إليه المراحل ويتوى القصد إليه وأطوى : أجوع ومعناه أطوى بطي عن الزاد . والمجلحة : الذئب المصممة . يقال جلع الذئب على القوم : إذا حمل عليهم غير مبال ، وإنما يفعل ذلك عند السعار وشدة الجوع . والعقد : جمع الأعد ، وهو الذي في ذنبه عقدة ، وقيل : الذي انعقد لحمه ضمراً وهزالاً . يصف المتنبي نفسه بالجلاد والمضاء والإشاحة في أموره ، وعدم إسفافه ، وقلة مبالاته بالمشرب والمطعم ، شنشنة النفوس الطموح الكبيرة التي لا يهملها بر البدن والاحتفال به .

(٣) الغيبة : الاسم من الاغتيال ، وهو الوقوع في عرض الغائب ؛ والجهد : الطاقة يقول : إنى أكبر نفسي أن أجازى عدوى بالاغتيال ، لأن ذلك طاقة من لا طاقة له بمواجهة عدوه ومحاربه . والله قول أياس ابن قنادة :

تَعَايَبُ أَيَدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا
وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

(٤) أصل العبي : العجز عن الحجة ؛ والعبي في الكلام : الحصر . والغبا : الغباوة : أي قلة الفطنة . يقول : إذا رأيت أناساً من أهل العبي والغبا رحمتهم وأشرفت عليهم ، وإذا أبغضوني عذرتهم ، لأنهم أضداد لي بسبب ما بيننا من التباين ، والضد يبغض ضده .

هذا ومفعول أعذر - كما قال العكبري - محذوف ، والمفعول يحذف كثيراً كقوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) أي شيئاً .

(٥) الأيادي : النعم ؛ يقول : يمنعني من الانصراف إلى غيره ماله عندي من النعم التي يضيق لفظ عند عن أن يجعل ظرفاً لها لكثرتها وتوافرها إذ لا يسعها مفهوم هذا اللفظ .

تَوَالِي بِلَا وَعْدٍ وَلَكِنَّ قَبْلَهَا شِمَائِلُهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ بِهَا وَعْدٌ^(١)
سَرَى السَّيْفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ صَاحِبِي
إِلَى السَّيْفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللَّهُ لَا الْهِنْدُ^(٢)
فَلَمَّا رَأَى مُقْبِلًا هَزَّ نَفْسَهُ إِلَى حُسَامٍ كُلِّ صَفْحٍ لَهُ حَدٌّ^(٣)

هذا ، وقال العكبري : رفع عند - وهي لا تستعمل إلا ظرفاً - لأنه حمل الكلام على المعنى فكأنه قال : يضيق بها المكان ؛ وكقول الرجل لصاحبه ينازعه في الأمر : كذا عندي . فيقول الآخر : أو لك عند ؟ أي أولك فهم ؟ فجعلها اسماً ، وعند : أوسع من أخواتها الظروف لأن القائل إذا قال فوق وتحت ووراء وقدام فقد خص جهة من الجهات المذكورة ، وإذا قال : الخير عند فلان ، احتمل الكلام أن يكون في كل الجهات . قال : وقال يونس يوماً في كلامه : عند ، فقال أبو عبيدة : أيقال عند ؟ فقال : نعم ، يقال عند وعند وعند وعند . وقال أبو عبيدة : ما كان عندي ذلك ، فقال له أو لك عند ؟ وقال الطائي :

وما زال منشوراً على نواله وعندى حتى قد بقيت بلا عند

(١) توالى - بحذف إحدى التاءين - أي تتوالى . ويروى : توات . والضمير للأيدى ؛ وشمائله : أي أخلاقه ، اسم لكن ، وخبرها وعد . وفي البيت تقديم وتأخير وتحرير الكلام : ولكن شمائله قبلها وعد بها من غير وعد ، أي أن هذه النعم تتتابع منه ابتداءً من غير أن يسبقها وعد ولكن سبق العهد بكرم أخلاقه وماله من عوائد الجود يقوم مقام الوعد بها وإن لم يعد .

(٢) صاحبى : بدل من السيف يقول . سرىت إليه ومعى السيف يصحبنى في طريق فكان مسرى سيفي إلى سيف آخر - يعني الممدوح - إلا أن سيفي مما طبعته - أي عملته - الهند ، أما هذا السيف فهو مما طبعه الله .

(٣) حسام - أي سيف قاطع - فاعل هز ؛ أو بدل من ضميره على جعل الفعل للممدوح ، وصفح السيف جانبه ، وله نعت صفح . يقول : لما رأني مقبلاً عليه هز نفسه للقاتل كما هتز السيف . وقوله كل صفح له حد ، من أحسن الكلام : أي كل وجه من صفحيه حد ينفذ في أعدائه ، فهو يقطع بصفحه كما يقطع بحده .

فَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْرَ نَحْوَهُ
وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تَعَانِقُهُ الْأَسَدُ (١)
كَأَنَّ الْقِسِيَّ الْعَاصِيَاتِ تُطِيعُهُ هَوَىٰ أَوْ بِهَا فِي غَيْرِ أَنْمَلِهِ زُهْدُ (٢)
يَكَادُ يُصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمِيهِ وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرَّدُّ (٣)
وَيُنْفِذُهُ فِي الْعَقْدِ وَهُوَ مُضَيِّقٌ مِنَ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ وَاللَّيْلِ مُسْوَدُّ (٤)
بِنَفْسِي الَّذِي لَا يَزِدُّهُ بِخُدَيْعَةٍ ، وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ (٥)

(١) قال الواحدى : تحقيق الكلام : فلم أرقبلى من مشى نحوه رجل كالبحر فى الجود ، وعانقه رجل كألسد فى الشجاعة .

(٢) أراد بالعاصيات : القسى الشديدة التى تستعصى على النازع فلا يستطيع جذبها يقول : إنها تطيعه إذا جذبها حباً له أو زهداً فى غير أنامله .

(٣) ويمكنه عطف على يصيب . يقول ، إن الاصابة لمساعدتها إياه تسكاد تسبق رمية ، ويكاد السهم لا تقياده له يرجع من طريقه إليه ؛ وهذا مبالغة فى وصف اقتداره على الرمي .

(٤) وينفذه : عطف أيضاً على يصيب ؛ قال أبو العلاء : وإذا عطفته على «يكاد» ففيه سرف وفيه إغرابات التنبي فى شعره ويقوى ذلك أيضاً أن يكون أراد به فى الحقيقة يصيت عقد الشعرة ، والعقد : العقدة . يقول : ويكاد ينفذ سهمه فى العقدة الضيقة من الشعرة السوداء فى الليل المظلم ، وكل هذا من المبالغة التى تعد غلوا .

(٥) ازدهاه : استخفه : والذرائع : الوسائل . يقول : أفدى بنفسى الممدوح الذى هو من الفطنة وثقوب البصيرة بحيث لا يعتر بأعدائه الذين يتقربون إليه بشق وسائل الود والولاء وقلوبهم مطوية على البغض والحسد والموجدة . وقال ابن جنى : هذا هجو كأنه قال : بنفسى غيرك أيها الممدوح ، لأنى أزدهيك بالخدعة وأسخر منك بهذا القول ، لأن هذا مما لا يجوز مثله . قال : وهذا مذهبه فى أكثر شعره ، لأنه يطوى المدح على هجاء حقاً منه بصنعة الشعر ، كما كان يقول فى كافور من أبيات ظاهرها مدح وباطنها هجاء : قال ابن فورجة - يرد على ابن جنى - : إنما فعل ذلك فى مدائح كافور استهزاء به ، لأنه كان عبداً أسود لم يكن يفهم شيئاً ، ولم يفهم ما ينشده ، فأما على بن محمد ابن سيار فمن صميم بنى تميم ، عربى لم يزل يمدح وتتنابه الشعراء ، وليس فى هذا البيت ما يدل (٧ - المتنبي ٢)

وَمَنْ بَعْدَهُ قَرُّهُ وَمَنْ قُرْبُهُ غِنَى ، وَمَنْ عَرَضَهُ حُرٌّ وَمَنْ مَالُهُ عَبْدٌ (١)
وَيَصْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ مُبْتَدئًا بِهِ وَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذَمَّهُ حَمْدٌ (٢)

على أنه يعنى غيره بل يعنيه به . يقول : بنفسى أنت ، ووصفه وأتبع ذلك بأوصاف كثيرة على نسق واحد لو كان كلهاوصفا لغيره كانت هذه القصيدة خالية من مدحه ، وليس في إنفاذ الرحى في عقدة من شعره في ليل مظلم أول محال ادعى للمدوح ، وما هذا إلا هوس عرض له قذفه .

(١) ومن عرضه حر : أى لا معجز فيه عزيزة الحر ، ومن ماله عبد : أى تمتهن

مذلول في سبيل المجد . وفي البيت من الطباق ما لا يخفى :

(٢) يقول : إنه يعطى المستحقين وذوى القدر قبل أن يسألوه ، ويمنع معروفه عن

كل ساقط لئيم ؛ إذا ذم أحداً كان ذمه حمداً له لدلالة ذلك على أنه لا يشا كله * وعبارة ابن جنى : يصنع المعروف مع المستحقين ، ويعطى من له قدر ومن يزكو عنده المعروف ويمنعه من كل ساقط . إذا ذم أحداً فقد مدحه ، يصفه بالتقيظ ومعرفة ما أتى وما يدع . قال ابن الشجرى - لما ذكر كلام ابن جنى هذا - : لا يخلو من أحد معنيين . أحدها أنه يورى عن الذم الصريح بكلام يشبه المدح ، أو يريد أن يضع المدح الصريح موضع الذم . وليس يلحقه بهذين عيب ولا يستحق أن يحرم معروفاً ؛ والمعنى غير ما ذهب إليه ، وذلك أنه وصف المدوح بالتقيظ ومعرفة ما أتى وما يدع . فيضع الصنائع في مواضعها فيعطى ذوى الأقدار قبل أن يسألوه ، كما قيل : السخى من جاد بماله تبرعاً ، وكف عن أموال الناس تورعاً ، ويمنع ماله من كل دنىء : إذا ذمه الناس فقد مدحوه ، الذم له مقام المدح لغيره ، يعنى أنه يقل عن المدح والهجاء كما قال :

صَغُرَتْ عَنِ الْمَدِيحِ فَقَلَّتْ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَغُرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ

والذم : مضاف إلى المفعول ، والفاعل محذوف ، والتقدير من ذم الناس إياه حمد ، كقوله تعالى «لقد ظلمك بسؤال نعجتك» أى بسؤاله ؛ وابن جنى ذهب إلى أن الذم مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف . ففسر على هذا التقدير ، فأفسد المعنى لأنه أراد من ذمه الناس حمد . ومن في قوله نكرة والجملة بعده نعت له فكأنه قال : من كل إنسان ذمه حمد ولا يجوز أن يكون بمعنى الذم لأن «كلا» لا يضاف إلى معرفة ، إلا أن يكون مما يصح تبعيضه ، كقولك رأيت كل البلد ، ولا تقول لقيت كل الرجل الذى أكرمته ؛ فإن قلت : بكل رجل أكرمته : حسن ذلك ، وصحت إضافته إلى المفرد النكرة ، كما تصح إضافته إلى الجمع المعرفة ، نحو لقيت كل الرجال الذين أكرمتهم .

وَيَحْتَقِرُ الْحَسَادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ^(١)
وَتَأْمَنَهُ الْأَعْدَاءُ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ ،

وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الَّذِي يُذْنِبُ الْحَقْدُ^(٢)

فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرَمٍ انْقَضَى فَإِنَّكَ مَا الْوَرْدُ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ^(٣)

(١) يقول : إنه يحتقر حساده فيعرض لاعتنابهم أو مؤاخذتهم حسب ، بل حتى عن أن يجرى ذكرهم له على لسان لأنهم لديه والعدم سواء . وعبارة بعض الشراح : يحتقر الحساد عن أن يتكلم فيهم ، وإذا لم يذكرهم كانوا كأنهم معدومون لم يخلقوا بعد ، لأن من لم تذكره لم يذكره الناس وذل قدره .

(٢) على قدر خبر مقدم ؛ والحقد : مبتدأ مؤخر . يقول إن أعداءه يأمنون جانبه لأنه ضعيف ذليل لا يستطيع إيذاءهم ، ولكن لأن الحقد يكون على قدر الذنب ، فإن كان حقيراً لم يحقد عليه ، وإذا لم يحقد عليه أمن الذنب : يعني أنه يحتقر أعداءه ولا يكثر لهم لأنهم ليسوا هناك ، وقال ابن جنى : ليس يؤخذ الذنب بقدر جرمه وإنما يؤخذ على قدر الذنب ولا قدر عنده لمن أجرم ، فهو لا يعاب بأحد من أعدائه ، لأنه أكبر قدراً من أن يعاقب أمثالهم .

(٣) يقول : إن كان جدك قد مات فإن فضائله ومحاسنه باقية فيك فلم يفقد إلا شخصه كماء الورد يبقى بعد الورد وهو خلاصته ؛ وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

يُحْيِي بِحُسْنِ فِعَالِهِ أفعالَ والدهِ الخِلاصِ^(١)
كالوردِ زَالَ وماؤُهُ عِيقُ الرَّوَّاحِ غيرُ زائلٍ

هذا : وقد كرر المقنبي تفضيل الفرع على الأصل في غير موضع فقال :

* فَإِنَّ فِي النخْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ *
وقال :

* فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَرَالِ *

(١) الخلاص : السيد في عشيرته ، والشجاع والتام .

مَضَى وَبَنُوهُ وَأَنْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدٌ (١)
لَهُمْ أَوْجُهُ غُرٌّ وَأَيْدٍ كَرِيمَةٌ وَمَعْرِفَةٌ عِدٌّ وَالسِّنَّةُ لُدٌّ (٢)

(١) يقول : مضى جدك وبنوه وبقيت وحدك منفردا بفضائلهم جميعا . فأنت واحد صورة ، جماعة معنى ، كالألف الذى هو واحد فى الصورة ، جمع فى المعنى . وفى هذا المعنى يقول البحرى :

وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الرَّجَالِ تَفَاوَتْ إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ
وقال غيره :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ كَقَبِيلَةٍ يُعَدُّ وَأَلْفٌ لَا يُعَدُّ بِوَاحِدٍ
هذا : وقد أنث الألف فى قوله جمعت على معنى الجماعة ، وعطف وبنوه على الضمير المرفوع . وهو مذهب الكوفيين . ومنعه أهل النصرة . قال العبرى النحوى الكوفى وحجتنا مجيئه فى الكتاب العزيز ، وفى أشعار العرب : فى الكتاب العزيز « ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » أى فاستوى جبريل ومحمد - صلى الله عليه وسلم - فعطف وهو على الضمير المستكن فى استوى ، فدل على جوازه ؛ وفى الشعر قول عمر بن أبى ربيعة

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزُهُرٌ تَهَادَى كَنْعَاجِ الْفَلَا تَعَسَّفَنَ رَمَلًا

فعطف على الضمير المرفوع فى أقبلت من غير توكيد . وقال الآخر :

وَرَجَا الْأَخِيْطَلُ فِي سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لَيْنٌ أَلَا

فعطف على الضمير المستكن فى يكن من غير توكيد ؛ وحجة البصريين أنه قد جاء فى الكتاب العزيز بالتوكيد نحو « اسكن أنت وزوجك الجنة » ، و « اذهب أنت وربك » و « يراكم هو وقبيله » . . وقالوا : لا يخلو إما أن يكون مقدرآ فى الفعل ، أو ملفوظا به ، فإن يك مقدرآ - نحو قمت قام وزيد - فكأنه قد عطف اسماً على فعل وإن كان ملفوظا به - نحو قمت وزيد - فالتاء تنزل منزلة الجزء من الفعل ، فصار كعطف الاسم على الفعل .

(٢) لهم : أى لآل سيار الذين انفرد المدوح بمناقبهم . والغر : جمع أعر ، وهو الأبيض المشرق ، والعرب تتمدح ببياض الوجه ، وإنما يريدون بذلك النقاء والطهارة مما يعاب ، كما أنهم يكتنون عن العيب والفضيحة بسواد الوجه ؛ وأيد كريمه : أى بالعطاء ومعرفة عد : أى قديمة كثيرة لاتقطع مادتها كلماء العد : أى الغزير الذى لاتنقطع

وَأَرْدِيَّةٌ خُضْرٌ وَمُلْكٌ مُطَاعَةٌ ، وَمَرْ كَوْزَةٌ سُمْرٌ وَمُقْرَبَةٌ جَرْدٌ (١)
وَمَا عَشَتْ مَا مَاتُوا وَلَا أَبَوَاهُمْ تَمِيمٌ بْنُ مَرٍّْ وَأَبْنُ طَابِحَةَ أَدُ (٢)
فَبَعْضُ الَّذِي يَبْدُو الَّذِي أَنَا ذَاكِرٌ
وَبَعْضُ الَّذِي يَخْفَى عَلَيَّ الَّذِي يَبْدُو (٣)
أَلْوَمٌ بِهِ مَن لَّامَنِي فِي وَدَادِهِ
وَحَقٌّ لِحَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ خَيْرِهِ الْوُدُ (٤)

مادته . واللد : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة . يريد ألسنة قوية في مواطن الكلام
(١) خضرة الرداء : يكنى بها عن السيادة ، وذلك أن الخضرة عندهم أفضل الألوان
لأن خضرة النبات تدل على الخصب وسعة العيش . والملك : السلطان ، يذكر ويؤنث
ولذا قال مطاعة . أو تقول : إنه أراد الملكة . ومركوزة سمر : أى رماح تركز في
الأرض وتنصب ، والمقربة : الخيل تربط قريبة من البيوت ولا ترسل إلى المرعى للحاجة
إليها أو للبخل بها ، والجرد : القصار الشعر .

(٢) يقول : مادمت حياً فلم يمت أحد من آبائك ومن تقدمهم في النسب لأن جميع
محاسنهم موجودة فيك فهم حينئذ بك أحياء لأموات . فما الأولى : شرطية زمانية ، وما
الثانية : نافية . وكان الوجه أن يقول : فما ماتوا ، ولكنه حذف انفاء ضرورة كقوله :

مَنْ يَنْفَعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا

وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

أراد فالله يشكرها . وتميم بن مر ، وأد بن طابحة : قبيلتان مشهورتان من العرب ،
إليهما ينتسب المدوح . وتميم وماعطف عليه : بدل تفصيل .

(٣) يقول : إن الذي أذكركه وأشيد به من فضائله هو بعض ما يظهر لى والذي
يظهر لى هو بعض ما كان خافياً على ، يعنى أنه قد بقى من تلك الفضائل ما لم يعلمه ، وبقى
ما علمه ما لم يذكره . يريد كثرة فضائله . فبعض - فى الشطرين - خبر مقدم عن الموصول الثانى

(٤) يقول : من لامنى فى وده لمته بما وصفت من فضله فيتبين أنه خلى بمودتى .
لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء ، وجدير بخيرة الناس أن يود بعضهم بعضا . وحق
له كذا - بضم الحاء - إذا كان جديراً به ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

كَذَا فَتَنَحَّوْا عَنْ عَلِيٍّ وَطُرُقِهِ
بَنِي اللُّؤْمِ حَتَّى يَعْزُبَ الْمَلِكُ الْجَعْدُ^(١)
فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ الْعَلِيِّ
وَلَا فِي طِبَاعِ التُّرْبَةِ الْمَسْكُ وَالنَّدُ^(٢)

وودع صديقاً له يقال له أبو البهي فقال ارتجالاً عند مسيره عنه :

أَمَّا الْفِرَاقُ فَإِنَّهُ مَا أَعْهَدُ هُوَ تَوَأمِي لَوْ أَنَّ بَيْنَنَا يُوَلَدُ^(٣)

(١) كذا : أى كذا هو كما وصفت ، فتنحوا عن طريقه حتى يعبر فإنكم لستم ممن يجاريه في طرق المجد ؛ وبني اللؤم : أى يابني اللؤم . والجعد الكريم . شبه بالثرى الجعد ، وهو اللين الندى ، وإذا قيل فلان جعد اليدى أو جعد الأنامل ؛ أرادوا أنه بخيل لئيم لا يبيض حجره . وأنكر الأصمعي الجعد بمعنى الكريم ، قال : زعموا أن الجعد : المسخى ، وأنا لا أعرف ذلك ، وإنما الجعد : البخيل .

(٢) يقول : ليس في طبائعكم أن تنازعوه العلي ، كما أنه ليس في طبع التراب أن يفوح بالمسك والند .

(٣) التوأم : ما يكون مع غيره في بطن واحد . فتلد المرأة اثنين ، أو الشاة أو غيرها ويقال لل اثنين إذا ولدا في بطن : هما توأمان ؛ وفي التأنيث توأمة وتوأمتان ، والجمع توأم وتوأم . قال عنتره :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمٍ^(١)

(١) مدح ممدوحه بأربع خصال كرام : أحدها أنه جعله بطلا : أى شجاعا . الثاني : أنه جعله طويلا شبهه بالسرحة - وهى الشجرة الكبيرة - الثالث أنه جعله شريفا للبسه نعال السبت . الرابع أنه جعله تام الخلق ناميا ، لأن التوأم يكون أنقص خلقا وقلقا وقوة وعقلا ، والسبت الجلد المدبوغ .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّنَا سَنُنْطِيعُهُ لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّنَا لَا نَحْلُدُ^(١)
 وَإِذَا الْجِيَادُ أَبَا الْبُهَيِّ نَقَلْنَا عَنْكُمْ فَأَرَادُوا مَارَكِبَتِ الْأَجُودِ^(٢)
 مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ^(٣)

وقال يمدح الحسين بن علي الهمداني :

لَقَدْ حَازَنِي وَجِدُّ بَيْنَ حَازِهِ بَعْدُ فَيَا لَيْتَنِي بَعْدُ وَيَا لَيْتَهُ وَجِدُّ^(٤)
 أُسْرُ بَتَجْدِيدِ الْهُوَى ذِكْرَ مَا مَضَى وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى لَهُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ^(٥)
 سَهَادٌ أَتَانَا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا رُقَادٌ وَقَلَامٌ رَعَى سَرُّبَكُمْ وَرْدُ^(٦)

يقول : أما الفراق فهو شيء أعهد من قديم ، حتى لو أنه مما يولد لقلت : هو توأمي .
 أي لا أتفك من فراق حبيب ، فلو كان الفراق مولودا لحكمت بأنه توأمي . وقال
 الواحدي : يجوز أن يكون المعنى : حقيقة الفراق ما أعهد من فراقك ؛ يعني إن وجد
 فراق هذا الحبيب ، فقد وجد فراق كل أحد ، حتى كأن الفراق فراقه هو : لافراق غيره .
 (١) يقول : لما علمنا أن خلودنا في هذه الدنيا محال : علمنا أن الفراق حتم علينا
 لازب ، فلا مندوحة لنا عن الانقياد لحكمه : إن عاجلا وإن آجلا . وعبرة الواحدي :
 لما كنا نموت ونفني ، علمنا أننا نقاد للفراق .

(٢) أبا البهي : أي يأبا البهي — وهي كنية الممدوح — يقول : إذا نقلتنا الخيل
 عنكم وبعدت ما بيننا فإن أجودها حينئذ أردوها . لأنه يكون أسرع في إبعادنا عنكم .
 (٣) يقول : من يخص الفراق بالذم من بين سائر أشياء هذا الدهر ، فأنا الذي لأرى
 في الدهر شيئا محمودا : يعني أن كل الأشياء مذمومة عندي لا أحص الفراق دون غيره .
 (٤) يقول : لقد ضمنى واشتمل على وجد بحبيب قد ضمه البعد واشتمل عليه ، فياليتني
 بعد لأحوزه فأكون معه ، وياليتي وجد ليحوزني ويتصل بي : أي فيجتمع ولا نفترق .
 (٥) الصلْد : الشديد الصلب . يقول إنني أسر بأن الهوى يجدد لي ذكر ما مضى من
 أيام الوصال ولدادتها ، وإن كان هذا الذكر مما يذوب له الحجر الأصم تأسفا عليه
 وحينئذ إليه .

(٦) في العين وعندنا : صلة رقاد . والقلام : نبت من الحمض يكون في السبخ . قال
 ابن البيطار في مفرداته عن أبي حنيفة الدينوري القلام تسميه الأنباط قاقلي ، وهو من
 الحمض ، والناس يأكلونه مع اللبن ، والسرب — بالفتح المال الراعي ، وبالكسر : القطيع

مُمَثَّلَةٌ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ تَفَارِقِ ،

وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَضْلِكَ الْوَعْدُ^(١)

وَحَتَّى تَكَادِي تَمْسَحِينَ مَدَامِي ، وَيَعْبَقُ فِي ثَوْبِي مِنْ رِيحِكَ النَّدَى^(٢)

إِذَا غَدَرْتُ حَسَنَاءَ وَفَتَّ بَعِيدَهَا فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ^(٣)
وَإِنْ عَشِقْتَ كَأَنَّ أَشَدَّ صَبَابَةً ،

وَإِنْ فَرَكْتَ فَأَذْهَبُ فَمَا فَرَكَهَا قَصْدُ^(٤)

يقول : إن السهاد إذا كان لأجلكم لد في أعيننا كالرقاد ؛ والقلام : الذي ترعاه ماشيتكم طيب عندنا كأنه ورد ، يعنى : لحبي إياكم أستلذ الأمل ويحسن في عيني ما ليس بالحسن .

(١) ممثلة : خبر عن محذوف : أى هى - المخاطبة - ممثلة ، يقول : أنت مصورة فى

خاطرى حتى لكأنك حاضرة عندى لم تفارقينى ، وحتى كأن يأسى من وصلك وعدمك بالوصل

(٢) يقول : وحتى تكادى - لتخيلك حاضرة بجاني - تمسحين مدامى بيدك فيعقب

طبيك فى ثوبى . قال ابن جنى ، ومثله :

* لَيْنٌ بَعُدَتْ عَنِّي لَقَدْ سَكَنْتُ قَلْبِي *

(٣) يقول : إذا غدرت الحسناء لم تعد سجايها ؛ لأن شذنتها الغدر ؛ وقد وف

بالعهد : إذا غدرت ؛ لأن عهدها أن لا تبقى على عهد ؛ فوفأؤها - إذن - غدر .

(٤) فركت المرأة زوجها تفركه فركا : أبغضته : فهى فارك وفروك ، وكذلك فركها

زوجها ، والفرك - بكسر الفاء - البغض . قال رؤبة :

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْغَسَقِ وَلَمْ يُضِعْهَا بَيْنَ فِرْكِ وَعَشَقِ

قال اللغويون : إن هذا الحرف يختص بالمرأة وزوجها ؛ ولم يسمع فى غير الزوجين .

ورجل مفرك : لا يحظى عند النساء . وامرأة مفركة لا تحظى عند الرجال ، أنشد

ابن الأعرابي :

مُفْرَكَةٌ أَرْزَى بِهَا عِنْدَ زَوْجِهَا وَلَوْ لَوَطَّطَهُ هَيَّيَانُ مُخَالَفِ^(١)

(١) مخالف : أى مخالف عن الجودة . يقول : لو لطخته بالطيب ما كانت إلا مفركة

لسوء مخبرتها ، كأنه يقول : أرزى بها عند زوجها منظر هيان : أى يهاب ويفزع من

وَإِنْ رَضِيتَ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حَقْدٌ وَإِنْ حَقَدَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا رِضَى
 كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا
 يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ (٢) وَلَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِي الصَّبَا
 مُكَافَأَةً يَغْدُو إِلَيْهَا كَمَا تَغْدُو (٣) سَقَى ابْنُ عَلِيٍّ كُلَّ مُزْنٍ سَقَتَكُمْ

يقول : إن المرأة إذا عشقت كان عشقها أشد من عشق الرجال ؛ لأن النساء أرق طبعاً وأقل صبراً ؛ وإذا أبغضت : تجاوزت الحد كذلك في البغض ، وفي هذه الحالة لا تطمع في تلافى بغضها ، واذهب وشأنك ، لأن بغضها ليس عن قصد منها وإنما هي مغلوبة على أمرها - وقال الواحدى : وإن شئت قلت : فاذهب في ذلك الفرك .

(١) يقول : هذه هي أخلاق النساء ، بيد أنهن مع ذلك يسحرن ألباب الرجال حتى يضل بهن من يهدى غيره ويخفى عليه الرشد فيبتلى بهن . وعبارة ابن جنى : يخلصن في أول الأمر فإذا تمكن من قلوب الرجال نكصن عن وصلهن ، وهذا كالتهميد لما سيغذره عن نفسه في البيت التالى . كأنه يقول : وإني مع طبي بأخلاق النساء وتحذيرى منهن لم أصن قلبي عن هواهن ووقعت في شراكهن .

(٢) قلنا: إن هذا كالاعتذار عن حبه إياهن بعد ما أبان مساوىء أخلاقهن . يقول : ولكن حبا خالط قلبه في زمن الصبا واستحکم فيه قبل أن تحكمه التجارب فلم يقدر بعدها على تركه ، لأنه قد ألفه حتى صار ديدناً له .
 يزداد ويشتد على كره الغداة ومر العشى . وخامر : خالط .

(٣) يدعو للسحب التي سقت قوم المحبوبة بأن يسقيها جود المدوح مكافأة لها على ما فعلت ، فيغدو إليها بالسقيا كما تغدو هي إليهم ، جعل المدوح يسقى السحاب لأنه أكثر منها ندى . وفي البيت من حسن التخلص مالا يخفى . هذا : والمزن جمع مزنة وهي المطرة ؛ قال أوس بن حجر :

ألم تر أن الله أنزل مزنَةً وعُفِرُ الطَّبَاءِ فِي الْكِنَاسِ تَقَمُّعٌ (١)

دنا منه ، أى أن منظر هذه المرأة شيء يتحامى فهو يفرع ؛ وقيل: إنما الهيمان المخالف هنا ابنه منها ، إذا نظر إلى ولده منها أبغضها ولو لطحته بالطيب .

(١) يقال : تقمعت الطيبة : إذا لسعتها القمعة ودخلت في أنفها فحركت رأسها من ذلك ، والقمعة ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب، وقيل: يركب رءوس الدواب فيؤذيها

لَتَرَوِي كَمَا تَرَوِي بِلَادًا سَكَنْتَهَا
وَيَنْبِتَ فِيهَا فَوْقَكَ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ (١)
بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ
وَيَخْرَقُ مِنْ زَحْمٍ عَلَى الرَّجْلِ الْبُرْدُ (٢)
وَتُلْتَقِي وَمَا تَدْرِي التَّمَانُ سِلَاحَهَا
لِكثْرَةِ إِيْمَاءٍ إِلَيْهِ إِذَا يَبْدُو (٣)
ضُرُوبٌ لِهَامِ الضَّارِبِي الهَامِ فِي الْوَعْيِ
خَفِيفٌ إِذَا مَا أَثْقَلَ الْفَرَسَ اللَّبْدُ (٤)
بَصِيرٌ بِأَخْذِ الْحَمْدِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ
وَلَوْ خَبَائِثُهُ بَيْنَ أَنْيَابِهَا الْأَسَدُ (٥)
بِتَأْمِيلِهِ يَغْنَى الْفَتَى قَبْلَ نَيْلِهِ
وَبِالذُّعْرِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَنْدِ يَنْقُدُ (٦)

والمزنة أيضاً : السحابة البيضاء ، وسقى وأسقى : لغتان فصيحتان .

(١) يقول : لترتوي السحاب بنداها كما تروي بلادك بمطرها ، وينبت فوقك الفخر والمجد ، لأن عطايك تورث المجد والشرف فتشرف السحاب بما تنال من جدواه ، ويكون الفخر والمجد نابتين فيها لما شربت من سقياه ، قاله ابن جنى والواحدى والعكبرى .

(٢) بمن : متعلقة بتروي ، أو ينبت : أى لتروى السحاب بهذا الممدوح أو ينبت به الفخر : أى بجوده أو بسببه ، والبرد : الثوب . يقول : إن الناس يوم ركوبه تشخص أبصارهم إليه لحسن منظره وجلالة قدره . ويكثر زحامهم حواليه حتى تتخرق ثيابهم . وزحم ، مصدر زحمه ، ومصدر زاحمه ، زحام .

(٣) يقول : لشغلهم بالنظر إليه والإيماء نحوه يلقون مافي أيديهم ولا يشعرون به ، قال الواحدى : كأن هذا مقتبس من قوله تعالى « فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن » (٤) الهام : الرؤوس . والوعى : الحرب واللبد : ماتحت السرج . يقول : إنه شجاع

ضروب لرهوس الأبطال ميدان القتال ، خفيف مسرع إلى الوعى أو خفيف لحذقه بالفروسية حتى لا يشعر الفرس بثقله وهو قد بلغ منه الجهد إلى حد أنه يجد لبده ثقيلًا .

(٥) يقول : إنه يتسبب إلى إحراز الحمد بكل الأسباب من إحسان وإقدام وما إليهما ، بصير بكسبه من حيث يعجز عنه غيره ، فلو لاح له الحمد في فكي الأسد لأحرزه جبا فيه .

(٦) النيل : العطاء ؛ والمهند : السيف الهندى ؛ وتأميله : متعلقة بيغنى ؛ وبالذعر متعلق بيقول . يقول : إذا أمله الإنسان استغنى بذلك الأمل قبل أن يأخذ عطائه لأنه لا يخيب مؤملا . وإذا خافه إنسان تقطع من خوفه قبل أن يقتله بسيفه .

وَسَيْفِي لِأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا تَسْلُهُ

لِضَرْبٍ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغَمْدُ^(١)
وَرُحِّي لِأَنْتَ الرُّمْحُ لَا مَا تَبْلُهُ^(٢) نَجِيعًا وَلَوْلَا الْقَدْحُ لَمْ يُثَقِّبِ الزُّنْدُ^(٣)
مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ^(٤) لِأَسْدِي إِلَيْهِمْ بَأْسٌ يُسَدُّو^(٥)
فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانِ شُكْرٌ عَلَى النَّدَى
وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ^(٤)
صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ جِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو^(٥)

(١) الواو في قوله وسيفي : للقسم ، ومما السيف منه : خبر مقدم عن الغمد ،
والهير في منه : يعود إلى ما . يقسم بسيفه تعظما له ، يقول : إني أقسم بسيفي على أنك
إذا سللت سيفا للضرب فأنت السيف في الحقيقة ، لاهو ، لأن مضاه إنما هو بك .
ولما جعله سيفا جعل غمده من الحديد الذي السيف منه يعنى الدرع ، والمعنى : إذا لبست
الدرع كنت فيه كالسيف ، وكان لك كالغمد . وعبارة ابن جنى : لأنت السيف ، لا الذي
تسله الأعداء . أى أنت في الحقيقة سيف لا الذي يطبع من الحديد ، فإذا لبست الدرع
والجوشن كنت كالسيف ، وكان لك كالغمد .

(٢) النجيع : الدم ، ونجيعا : تمييز ، والزند : ما يقتدح به ؛ وثقّب : يورى نارا
يقول : وحق رحي لولاك ولولا جودة طعنك لم يعمل الرمح شيئا كما أنه لولا قدح
القادح لم يور الزند .

(٣) قوله من القاسمين : أى هو من القوم القاسمين . وأسدى إليه : أحسن ؛
وأسدى إليه معروفا اتخذه عنده . يقول : هو من القوم الذين يشكروننى على الاخذ
والقبول كما أشكرهم على الإنعام . إذا أحسنوا إلى أحد فقبل إحسانهم ع . واذلك إحسانا
منه إليهم يستحق الشكر على حد قول زهير :

* كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ *

(٤) جعل شكرهم له على أخذ عطاهم هبة ثانية منهم له ، فهو يشكرهم على العطاء
وعلى الشكر الذي هو عطاء ثان . وفي هذا المعنى يقول أبو يعقوب الحريرى :

كَأَنَّ عَلَيْهِ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ يُقَلِّدُ نِيهَا بَادِيًا وَيُعِيدُهَا

(٥) صيام : أى واقفة ، تقول صام الفرس : إذا وقف . يقول : إن خيلهم واقفة

وَأَنْفُسُهُمْ مَبْدُولَةٌ لَوْفُودِهِمْ ، وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارٍ مَنْ لَمْ يَفِدْ وَفَدٌ^(١)
 كَانَ عَطِيَّاتِ الْحَسَنِ عَسَاكِرُ فِيهَا الْعَبْدَى وَالْمُطَهَّمَةُ الْجُرْدُ^(٢)
 أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَيْسَ الْعَالَا
 رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّعْرَ أَخْدُ^(٣)
 وَغَالَ فُضُولَ الدَّرْعِ مِنْ جَنَابَتِهَا عَلَى بَدَنِ قَدْ الْقَنَاةَ لَهُ قَدْ^(٤)
 وَبَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَدًا ، وَكَانَ كَذَا أَبَاؤُهُ وَهُمْ مُرْدُ^(٥)
 مَدَحَتْ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي
 مِنَ الْعُدْمِ مَنْ تَشَفَى بِهِ الْأَعْيُنُ الرَّمْدُ^(٦)

بأبوابهم ؛ وهى كأنها تعدو فى قلوب أعدائهم لشدة خوفهم ، يعنى أنهم مخوفون وإن لم يقصدوا أحداً .

(١) الوفود : جمع وفد ، جمع وافد ، بمعنى زائر . يقول : إنهم غير محجوبين عمّن يقصدهم من الوالدين ، وأموالهم ترد على من لم يأتهم لأنهم يعشونها إليهم ، فأموالهم مبدولة للحاضر والغائب .

(٢) العبدى : جمع عبد ؛ والمطهمة : الخيل الحسان التامة الخلق ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول : عطاياه كالعساكر فيها كل شىء ، حتى العبيد والخيل .
 (٣) جعل المدوح قرأً وأباه شمساً ، يريد رفعتهما وشهرتهما ، وجعل القمر ابن الشمس إشارة إلى أن نور القمر مستفاد من نور الشمس . يقول : قد لبس العلى ثوباً ثم خاطبه وقال تمهل حتى ينبت الشعر فى وجهك : أى حتى تكبر ؛ يعنى أنه قد بلغ ما بلغ وهو صغير لم يبلغ حد الرجولية .

(٤) غالها : ذهب بها : أى رفعها من الأرض ؛ وفضول الدرع : ما يفضل منها عن البدن إذا كانت واسعة ، وهو جمع فضل ؛ وجناباتها : جوانبها ، والقناة : عود الرمح يقول : إنه من ذوى البسطة فى الجسم قد ملأ الدرع فلم يبق منها ما يفضل عن بدنه ، وقده مع ذلك طويل معتدل كقناة القناة ، ليس بأعس ولا بأحذب .

(٥) أبكار المكارم : أى التى لم يسبقه أحد إليها . يقول : إنه باشر المكارم وتخلق بها وهو بعد ناشئ أمرد ، وكذلك كان يفعل أبأؤه .

(٦) من فى قوله من تشفى به : فاعل شفى : من باب وضع الظاهر موضع المضمّر أو بدل من ضميره ؛ جعل العدم — أى الفقر — كالداء الذى يطلب له الشفاء ، وأن

حَبَابِي بِأَثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَهَا مَخَافَةَ سَيْرِي إِنَّهَا لِلنَّوَى جُنْدٌ (١)
 وَشَهْوَةَ عَوْدٍ إِنْ جُودَ يَمِينِهِ ثُنَاءً ثُنَاءً وَالْجَوَادُ بِهَا فَرْدٌ (٢)
 فَلَا زِلْتُ أَلْتَقِي الْحَاسِدِينَ بِمِثْلِهَا ، وَفِي يَدِهِمْ غَيْظٌ وَفِي يَدِي الرَّفْدُ (٣)

أبا الممدوح شفاه بجوده وعطائه وأن من نظر إليه — أى إلى أبي الممدوح — قرت عينه بما يشاهد من بشره وطلاقة وجهه حتى لو كان به رمد لشفى. وهذا كما يقول ابن الرومي:

يَا رَمِدَ الْعَيْنِ قُمْ قِبَالَتَهُ فَدَاوِ بِاللَّحْظِ نَحْوَهُ رَمَدَكَ

هذا : والعدم والعدم إذ ضمنت الأول : سكنت الثاني ، وإن فتحته فتحت الثاني :

كالسقم والسقم ، والرشد والرشد والحزن والحزن والرمد جمع رمة ، ورمد الرجل : هاجت عينه فهو رمد وأرمد .

(١) حبابي : أعطاني ؛ والسوابق : الخيل ، ودونها : حال من السوابق . يقول :

أعطاني أثمان الخيل — أى المال الذي تشتري به الخيل السوابق — ولم يعطني الخيل مخافة أن أسير عليها وأفارقه ، لأن الخيل يجريها تعين على السفر والبعد فهي من أسباب الفراق وأعوانه . وقوله : إنها ، لك أن تقرأها بكسر الهمزة على الاستثناف ويكون الكلام قد تم بسيرى ؛ وبفتحها على تقدير اللام : أى حبابي بذلك لأنها .

(٢) شهوة : عطف على مخافة . وبها : صلة الجواد ، والضمير للأثمان أو لقوله ثناء ؛ لأنها عطايا ثناء : أى مثني مثني . يقول : حبابي بأثمان السوابق شهوة عود منه إلى حبابي مرة أخرى قبل انصرافي لأن جوده مثني وإن كان هو فردا لانظير له .

(٣) بمثلها : أى بمثل أثمان الخيل ، أو بمثل عطايه المذكورة في قوله : ثناء ثناء —

كما سبق — . يدعو لنفسه يقول : لازلت أثيراً لديه محظوظاً عنده ألتقي عطايه وألتي بها حسادي فأفطر قلوبهم ، فلا يكون لهم إلا أن يموتوا بغيظهم . ويروى غيض بدل غيظ : أى فراغ من غاض الماء إذا نقص وجف والرفد — بالكسر — العطاء والصلة ، وبالفتح : المصدر رفته رفته رفقاً أعطاه ؛ ومنه الرفادة وهي شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية فيخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالا عظيماً أيام الموسم فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب للنبيد ، فلا زالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج ، وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم ؛ والسدانة واللواء لبني عبد الدار ، وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف ، وسمى هاشماً لهشمه التريد : والرافدان دجلة والفرات . قال الفرزدق يعاتب يزيد بن عبد الملك في تقديم ابن المثني عمر بن هبيرة الفزاري على العراق ويهجوهم .

وَعِنْدِي قَبَاطِيُّ الْهُمَامِ وَمَالُهُ وَعِنْدَهُمْ مِمَّا ظَفِرْتُ بِهِ الْجَحْدُ^(١)
يَرُومُونَ شَاوِي فِي الْكَلَامِ وَإِنَّمَا يُحَاكِي الْفَتَى فِيمَا خَلَا الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ^(٢)
فَهُمْ فِي جُمُوعٍ لَا يَرَاهَا ابْنُ دَأِيَّةٍ ، وَهُمْ فِي ضَجِيحٍ لَا يُحْسِبُ بِهَا الْخُلْدُ^(٣)
وَمِنِّي أَسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيبَةٍ ؛

فَجَازُوا بِتَرْكِ الذَّمِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ^(٤)

بَعَثَتْ إِلَى الْعِرَاقِ وَرَافِدِيَةَ فَزَارِيًّا أَحَدَ يَدِ الْقَمِيصِ^(١)

(١) القباطي : جمع قبطية . وهي ثياب بيض تعمل في مصر ؛ والجحد : إنكار الشيء مع العلم به . يقول : ولا زال عندي ثياب الممدوح وماله ، وعند حاسدي إنكار ما ظفرت به من نعمته ؛ يقولون : لم يعطه ولم ينل جميع ما يدعى حسداً لي وسترأ لما فضلت به عليهم ، وقال ابن جنى في معنى المصراع الأخير : هذا دعاء عليهم بأن لا يرزقوا شيئاً حتى إذا قيل لهم : هل عندكم خير أوبر من هذا الممدوح؟ قالوا: لا، فذلك هو الجحد وليس شيء .

(٢) الشاؤ : الغاية : يقول : إن هؤلاء المتشاعرين يحاولون أن يبلغوا غايي في الشعر وهم بالقياس إلى كالقرد بالقياس إلى الإنسان ، يحاكيه في جميع أفعاله ما خلا المنطق فإنه يعجز عنه وكذلك هم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل كلامي .

(٣) ابن دأية : هو الغراب ، يقع على دأية البعير - الدبر - فينقرها قال الشاعر :

إِنْ ابْنُ دَأِيَّةَ بِالْفِرَاقِ لَمَوْلَعٌ وَبِمَا كَرِهْتُ لِدَأِئِمُّ التَّنْمَابِ

وهو يوصف بحدة البصر . والخلد : نوع من الفأر أعمى ، يضرب به المثل في قوة السمع . يقول : هم في جموع قليلة ، لا يبصرها الغراب مع حدة بصره ، ولا يسمع أصواتهم الخلد مع حدة سمعه . والمعنى أنهم غاية في الحفارة ودقة الشان ، حتى لو أن ذلك كان في أجسامهم ، ما رأى جموعهم الغراب ، أو في أصواتهم ، ما سمعها الخلد .

(٤) قوله فجازوا : أمر من المجازاة . يقول : مني استفاد الناس كل شعر بارع رائع بديع وانتحلوه . ثم انتفت إلى خطابهم وقال : فإن لم تجازوني بالحمد على قصائدي فليكن

(١) يصفه بالغلول وسرعة اليد . وقوله أخذ يد القميص : أراد أخذ اليد ، فأضاف إلى القميص حاجته ، وأراد خفة يده في السرقة ، وقيل : إن الأخذ المقطوع ، يريد أنه قصير اليد عن نيل المعالي ، فجعله كالأخذ الذي لا شعر لذنبه .

وَجَدْتُ عَلِيًّا وَابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ
وَهُمَّ خَيْرُ قَوْمٍ وَأَسْتَوَى الْخُرُّ وَالْعَبْدُ^(١)
وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ
وَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ^(٢)

جزائي منكم ترك ذمي ! يريد جماعة الشعراء الذين يسرقون كلامه ثم ينتقصونه ويصغون إناؤه . وقال ابن جني : قوله فجازوا : هو كما تقول هذا الدرهم يجوز على خبث نقده : أى يتسامح به ، فغايتهم أن لا يذموا ، فأما أن يحمدوا فلا ... قال العروضي - ينتقده - قضيت العجب ممن يخفي عليه مثل هذا ، ثم يدعى أنه أحكم سماع تفسيره منه ، وإنما يقول : الناس استفادوا مني كل شعر غريب وكلام بارع ، ثم رجع إلى الخطاب فقال : فجازوني على فوائدي بترك الذم إن لم تحمدوني عليها .

(١) على : أبو المدوح ؛ وابنه : الحسين ، والضمير في قومه : لعل ؛ يقول : هو وابنه خير قومه ، وقومه خير قوم في الدنيا ، وبعد ذلك يستوى الأحرار والعبيد في انحطاط الجميع عن منزلتهم ، وهذا كقول أبي تمام :

مُتَوَاطِئُ عَقَبَيْكَ فِي طَلَبِ الْعَلَا وَالْمَجْدُ مَمَّتَ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ
(٢) منهما : حال من مكانه ، وفي مكانه : خبر أصبح ، والضمير : للشعر ؛ يقول : وأصبح شعري من على وابنه في المكان الذي ينبغي أن يكون فيه ، لأنهما أهل لأن مدحا به فزاد حسنه ، كما أن العقد إذا حصل في عنق الحسناء ازداد حسنه . وهذا كقوله أيضاً .

وقد أطال ثنائى طول لابسِه إن الثناء على التنبالِ تنبألُ

[التنبال : القصير]

وساير أبا محمد بن طفج وهو لا يدري أين يريد ؛ فلما دخل كفرديس قال :

وَزِيَارَةٌ عَنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ كَالْغَمُضِ فِي الْجَفْنِ الْمَسَدِ^(١)
مَعَجَتُ بِنَا فِيهَا الْجِيَا دُمَعَ الْأَمِيرَ أَبِي مُحَمَّدٍ^(٢)
حَتَّى دَخَلْنَا جَنَّةً لَوْ أَنَّ سَاكِنَهَا مُحَمَّدٌ
خَضْرَاءَ حَمْرَاءِ التَّرَا بِ كَانَهَا فِي خَدِّ أَغَيْدٍ^(٣)
أَحْبَبْتُ تَشْبِيهَا لَهَا فَوَجَدْتُهُ مَا لَيْسَ يُوجَدُ^(٤)
وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْحَقَا ثِقِ فَهِيَ وَاحِدَةٌ لِأَوْحَدٍ^(٥)

(١) المسد : الذي منع النوم لثلث لهم . يقول : اتفقت لنا زيارة هذه القرية بغتة فكانت لطيبها كالنوم في جفن الساهد .

(٢) المعج : أن يعتمد الفرس على إحدى عضادتي العنان : مرة في الشق الأيمن ، ومرة في الشق الأيسر . وقيل : ضرب من السير لين سهل ، قال الشاعر :

يَصِلُ الشَّدَّ بَشَدٍّ فَإِذَا وَنَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعَجٌ

(٣) شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بخضرة العذار على حمرة خد أغيد ، والأغيد الوسنان المائل العنق اللين الأعطاف ، وهو من أوصاف العلمان الحسان . قل الواحدى والغيد لا ينبىء عن الحمرة ، لكنه أراد أغيد مورد الحد حيث شبه الخضرة على الحمرة بما فى خده ، كما قال الشاعر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمَةِ أَيْدِي جَوَارِ بَتْنِ نَاعِمَاتِ

يريد أن أيدى الإبل انخضبت من الدم ، كما أن أيدى الجوارى الناعمات حمر بالخطاب ، وليست النعومة من الخطاب فى شىء .

(٤) يقول : أحببت أن أشبهها بشىء فوجدت التشبيه معدوماً . ويجوز أن يراد بالتشبيه الشبه به : يقول : أردت مشبها لها فكان مستحيل الوجود ، يريد أنها لا نظير لها .

(٥) أى هى واحدة فى الحسن لأوحد فى المجد .

وهم بالنهوض قأفعدہ أبو محمد فقال :

يَا مَنْ رَأَيْتُ الْحَلِيمَ وَغَدَاً بِهِ وَحُرَّ الْمُلُوكِ عَبْدَاً^(١)
مَالَ عَلَى الشَّرَابِ جِدًّا ، وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ أَهْدَى^(٢)
فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِانْصِرَافِي عَدَدَتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْدًا^(٣)

وأطلق أبو محمد الباشق على سُمَانَاة فأخذها فقال :

أَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَلَغْتَ الْمُرَادَا ، وَفِي كُلِّ شَأْوٍ شَأَوْتَ الْعِبَادَا^(٤)
فَمَاذَا تَرَكَتَ لِمَنْ لَمْ يَسُدْ ، وَمَاذَا تَرَكَتَ لِمَنْ كَانَ سَادَا^(٥)
كَانَ السَّمَانِي إِذَا مَا رَأَتْكَ تَصَيْدُهَا تَشْتَهِي أَنْ تُصَادَا^(٦)

(١) الوغد : الرذل الدنيء الضعيف العقل ؛ والوغد : خادم القوم ، وقيل : الذى يخدم بطعام بطنه ، تقول منه : وغد الرجل - بضم العين - ومنه الوغد : قدح من سهام الميسر لا نصيب له يقول : رأيت العاقل الثبت الرزين به رذلا دنيئاً أحقق ، وأحرار الملوك عبيداً ، يعنى شرفه وسيادته .

(٢) يقول : إن الشراب - شراب الراح - قد نال منه ، وأنه أراد النهوض فمنعه ، ثم قال : وأنت أعرف بكل شيء وأهدى الناس إلى المكارم .

(٣) رِفْدًا : أى إنعاما ، يريد : أنا أحمد لا أنصرف ، فإن تفضلت بانصرافى عددته منك عطية .

(٤) الشأو : الغاية ؛ وشأه : سبقه .

(٥) يقول : لم تدع من السيادة شيئاً يناله من لم يسد ، ولا شيئاً يذكر لمن ساد .

(٦) السمانى : الطائر المعروف فى مصر بالسمان ، يكون واحداً ويكون جمعا ، ويقال فى الواحدة أيضاً سماناة . وتصيدها - بحذف إحدى التاءين - أى تصيدها . يقول : إن السمانى استسلمت للباشق ، فكأنها تشتهى أن تصاد لتفتخر بمصولها فى يدك .

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال ، فأثارت الغلمان خَشْفًا ، فتلقفته الكلاب ،

فقال :

وَشَامِخٍ مِنْ الْجِبَالِ أَقْوَدِ فَرَدِّ كَيْأَفُوحِ الْبَعِيرِ الْأُصِيدِ^(١)
يُسَارُ مِنْ مَضِيْقِهِ وَالْجَمَدِ فِي مِثْلِ مَتْنِ الْمَسَدِ الْمُعْقَدِ^(٢)
زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ^(٣)
بِكُلِّ مَسْقِي الدَّمَاءِ أَسْوَدِ مَعَاوِدِ مُقْلَدٍ مَقْلَدِ^(٤)
بِكُلِّ نَابِ ذَرَبٍ مُحَدَّدِ عَلَي حِفَافِي حَنَكِ كَالْمِبْرَدِ^(٥)
كَطَالِبِ الثَّارِ وَإِنْ لَمْ يَحْدِدِ يَقْتُلْ مَا يَقْتُلُهُ وَلَا يَدِي^(٦)

(١) وشامخ : أى ورب جبل شامخ : أى عال ؛ والأقود : المنقاد طولا ، والأصيد : الملتوى العنق لداء ، والصيد : داء يصيب أعناق الإبل . يريد أن هذا الجبل مرتفع فى اعرجاج ، فشبهه بيافوخ البعير الأصيد لعلوه واعوجاجه .

(٢) الجماد : الصخر . والمسد : الجبل من ليف . يقول : إن السائر فى هذا الجبل يسير منه فى طريق ضيق ذى صخور ، قد تعرج واشتبك بعضه فى بعض فأشبهه لذلك ما بين قوى الجبل المعقد .

(٣) لك أن تقرأ يعهد : بضم الياء - على المحبول - وبفتحتها : على أنه من فعل الجبل . والمراد بالتمرد : طغيان النشاط . وقوله للصيد : بدل تفصيل من الأمر ، والنزهة : الابتعاد عن مجامع الناس ومواقع الغمق وفساد الهواء . يقول : أتينا هذا الجبل للصيد والنزهة والمرح مما لم يعهد فى مثله أو لم يعهده هو فى نفسه من قبل لفرط علوه ووعورة مسالكه .

(٤) أى زرناه بكل كلب يسقى دم ما يصيده ، أسود اللون ، تعود الصيد ومارسه كثيراً ، مقود : أى جعل له مقود يقاد به إلى الصيد ، مقلد من القلادة ، وهى الطوق يجعل فى العنق .

(٥) أى معاود للصيد بكل ناب ، أو تقول : يسطو بكل ناب ذرب : أى حاد ماض ، والحفافان : الجانبان ، شبه حنكه بالمبرد ، لما فيه من التضاريس والظرائق .

(٦) ودى القتل يديه : أعطى ديته ، وهى ثمن الدم . يقول : كأن له عند الصيد نارا يطلبه وإن لم يضطغن عليه ، فهو يقتل ما يقتله ولا دية عليه .

يَنْشُدُ مِنْ ذَا الْحُشْفِ مَا لَمْ يَفْقِدِ
 فَتَارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدَى (١)
 كَأَنَّهُ بَدَأَ عِذَارِ الْأَمْرَدِ فَلَمْ يَكِدْ إِلَّا لِحِنْفٍ يَهْتَدِي (٢)
 وَلَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى بَطْنِ يَدٍ وَلَمْ يَدْعُ لِلشَّاعِرِ الْمُجَوِّدِ (٣)
 وَصَفًا لَهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْأَمْجَدِ الْمَلِكِ الْقَرَمِ أَبِي مُحَمَّدٍ (٤)
 الْقَانِصِ الْأَبْطَالِ بِالْمُهَنْدِ ذِي النَّعَمِ الْغُرِّ الْبَوَادِي الْعَوْدِ (٥)
 إِذَا أَرَدْتُ عَادَهَا لَمْ تُعَدِّدِ ،
 وَإِنْ ذَكَرْتُ فَضَّلَهُ لَمْ يَنْفَدِ (٦)

(١) الحُشْفُ : ولد الظبية . ونشد الضالة : طلبها وتعرف مكانها . وقوله : من أخضر أى من مكان أخضر . يقول : يطلب من هذا الحُشْفِ ضالة لم يفقدها من قبل ، فتار الحُشْفِ بين يديه من مكان معشوشب أخضر خضل ندى :

(٢) و (٣) قوله كأنه الخ : شبه النبات الأخضر بشعر العارضين أول ما يبدو في خد أمرد . وقوله : فلم يكد الخ يقول : لما ثار الحُشْفُ أمام الكلب انسدت عليه مسالك الفرار فلم يكد يهتدى منها طريقا إلا كان فيها هلاكه لإدراك الكلب إياه ، ولم يقع إلا على بطن يد الكلب فحصل فيها . وقال الواحدى : إنه لما يئس من القوت مد يديه لاطئا بالأرض .

(٤) يقول : ولم يدع الكلب للشاعر وصفا يصفه به لدى الأمير ، لأنه لا يقدر أن يأتى بشيء أكثر مما رآه من أفعاله ، والقرم : السيد . وأصله من البعير المكرم ، وهو الذى لا يحمل عليه ولا يذلل .

(٥) سُمى أخذه الأبطال بالسيف قصا : لمشاكلة المقام ؛ والغر : البيض ، والبوادي العود : أى التى تظهر أولا ثم تعود ولا تكون مرة واحدة . ويحتمل أن تكون البوادي أصلها الهمز ، نخفها للوزن .

(٦) لم تعدد : تروى لم أعدد ؛ وينفد : يفرغ .

وقال ارتجالاً يودعه :

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِيدِ
هَذَا الْوَدَاعُ وَدَاعَ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ (١)
إِذَا السَّحَابُ زَفْتَهُ الرِّيحُ مُرْتَفِعًا
فَلَا عَدَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ بَلَدِ (٢)
وَيَا فِرَاقَ الْأَمِيرِ الرَّحْبِ مَنزِلُهُ
إِنْ أَنْتَ فَارَقْتَنَا يَوْمًا فَلَا تُعَدِ (٣)

(١) الوامق : الحب . يقول : ليس هذا الوداع وداع محب لحبيبه ، وإنما هو وداع روح لجسدها . وفي هذا المعنى يقول القائل :

أَتَتْ وَدْمُوعَهَا فِي الْخَدِّ تَحْكِي قَلَانُذْهَا وَقَدْ جَعَلَتْ تَقُولُ
غَدَاةً غَدٍ تَحْتُ بِنَا الْمَطَايَا فَهَلْ لَكَ مِنْ وَدَاعٍ يَا خَلِيلُ
فَقَلْتُ لَهَا : لَعْمَرِكَ لَا أَبَالِي أَقَامَ الْحَيَّ أُمَّ جَدِّ الرَّحِيلِ
يُهَدِّدُ بِالنَّوَى مَنْ كَانَ حَيًّا وَهِيَ أَنَا قَبْلَ بَيْنِكُمْ قَتِيلُ

(٢) زفته : سلقته ؛ والرملة : بلد المدوح ؛ وعدا : جاوز ؛ ومن بلد : تميز ؛ ومن : زائدة . دعا له بالسقيا والحصب والبركة يقول : إذا أرسل إليه سحابا فلا جاوز بلادك .

(٣) منزله : فاعل الرحب . يقول : إن فارقتنا - أيها الفراق يوما بأن اجتمعنا - فلا تفرقنا ثانية .

ودخل على أبي العشار الحسين بن علي بن حمدان يوماً فوجده على الشراب ،
وفي يده بطيخة من الغد في غشاء من خيزران ، عليها قلادة لؤلؤ ، وعلى رأسها
عبر قد أدير حولها ، فحياه بها وقال : أي شيء تشبه هذه ؟ فقال ارتجالاً :

وَبِنْيَةٍ مِنْ خَيْرِ زُرَانٍ ضُمَّتْ بِطِيخَةٍ نَبَتَتْ بِنَارٍ فِي يَدٍ (١)

نَظَّمَ الْأَمِيرُ لَهَا قِلَادَةَ لَوْلُؤٍ كَفِعَالِهِ وَكَلَامِهِ فِي الْمَشْهَدِ (٢)

كَالْكَاسِ بِأَشْرَاهَا الْمِزَاجُ فَأَبْرَزَتْ

زَبَدًا يَدُورُ عَلَى شَرَابٍ أَسْوَدٍ (٣)

(١) البنية : المبنية ، يريد الخيزران الذي اتخذ وعاء لهذه البطيخة ، ولما قال بطيخة
أثبت لها النبت على سبيل الترشيح ، إلا أنه جعل نبتها بنار في يد ؛ لأنها أديرت في
يد صانعها على النار حتى تمت صنعها .

(٢) شبه القلادة المنظومة في حسنها بفعله وكلامه الذي يتكلم به في مشهد من الناس
(٣) المزاج : الماء الذي يمزج به ؛ والزبد : ما يطفو على وجه الكأس ؛ جعل
الشراب أسود لتسود به الكأس ثم جعله ممزوجاً ليعلوه الزبد فيشبهه القلادة التي عليها ؛
وقال ابن جنى : هو تشبيه واقع ، وإن كان على شراب أسود ، وفي لفظه ما ليس في
لفظ الشراب الأصفر والأحمر ، إلا أنه شبه ما رأى بما أشبهه . ألا ترى إلى قول القائل
في تشبيهه :

لو ترائي وفي يدي قدح الدُّوِّ شاب أبصرت بازيًا وغزالاً (١)

(١) الدوشاب - كما في مفردات ابن البيطار - نبيذ التمر ؛ روى نفطويه عن أحمد
ابن حمدون ، قال : تذاكرنا يوماً بمحضرة المكتفي فقال : أفيكم من يحفظ في نبيذ
الدوشاب شيئاً ؟ فأنشدته قول ابن الرومي :

إذا أخذت حبه ودبسه ثم أجدت ضربه ومرسه

ثم أطلت في الإناء حبسه شربت منه البابلي نفسه

فقلل المكتفي : قبحه الله ما أشهره ! لقد شوقني في هذا اليوم إلى شرب الدوشاب

وقال فيها ارتجالاً أيضاً :

وَسَوْدَاءٌ مَنْظُومٌ عَلَيْهَا لَأَلِيٌّ لَهَا صُورَةٌ الْبَطِيخِ وَهِيَ مِنَ النَّدِّ (١)
كَأَنَّ بَقَايَا عَنَبٍ فَوْقَ رَأْسِهَا
طُلُوعُ رَوَاعِي الشَّيْبِ فِي الشَّعْرِ الْجَعْدِ (٢)

وعمل أبياتاً بديهاً ، فتعجب أبو العشائر من سرعته فقال :

أَتُنَكِّرُ مَا نَطَقْتُ بِهِ بِدِيهَاً ، وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ سَبَقُ الْجُودِ
أَرَأَيْكَ مِعْوَصَاتِ الشَّعْرِ قَسْرًا فَأَقْتُلَهَا وَغَيْرِي فِي الطَّرَادِ (٣)

* * *

هذا : والكأس مؤنثة ، قال الله تعالى « بكأس من معين بيضاء » وقال أمية ابن الصلت :

مَارْغَبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحْيَا قَلِيلاً فَالْمَوْتُ لَاحِقُهَا
يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرْمًا لِلْمَوْتِ كَأْسٌ وَالْمَرءُ ذَائِقُهَا (١)
وقيل : لا تسمى كأساً حتى يكون فيها الشراب .

(١) و (٢) رواعى : جمع راعية . وهو أول شعرة تبيض شيئاً . وروى الخوارزمي دواعى الشيب : يعنى أوائله التى تدعو سائر الشعر إلى البياض . يقول : هذه البطيخة السوداء التى عليها لآلىء هى من الند . وكأن بقايا العنبر عليها أول الشيب فى السواد ، يريد هى سوداء واللون أبيض ، فشبه اللون بأول الشيب فى الشعر الأسود . قال ابن جنى : الجعد الأسود لأن السواد أبداً يكون مع الجعودة . قال ابن فورجه : ليس كذلك لأن الزنج يشيون ولا تزول الجعودة ، وإنما أتى بالجعد للقفية .

(٣) أرا كض : أطارد ، ومعوصات الشعر : أى عويصاته ، وهى التى لا يهتدى لوجهها

والدبس : غسل التمر وعصاراته ؛ والمرس : مصدر مرس التمر إذا دلكه فى الماء حتى يتحات فيه .

(١) مات عبطة : أى شابا . وقيل : شابا صحيحاً

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

أَوْدُ مِنْ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ ، وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ (١)
يُبَاعِدُنْ حَبًّا يَجْتَمِعُنْ وَوَصْلُهُ فَكَيْفَ بِحَبِّ يَجْتَمِعُنْ وَصَدَّهُ (٢)
أَبَى خَلْقُ الدُّنْيَا حَبِيبًا تَدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ (٣)
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيرًا تَكَلَّفُ شَيْءٌ فِي طِبَاعِكَ ضِدَّهُ (٤)

يصف نفسه بسرعة الخاطر وقوة البادرة ، وشبه الشعر بالصيد . يقول : إنه يطارد العويص من الشعر فيأخذه قهراً ، وأما من عداه من الشعراء فباق في مطاردته لم يدرك شيئاً .
(١) بيننا : فراقنا . يقول : أحب من الأيام الإنصاف وأن تجمع بيني وبين أحبتي ، وذلك ما لا توده الأيام ، وأشكو إليها فراقنا وإنما هي جند الفراق ، لأنها سبب البعد والتفريق ، فكيف أرجى أن تصنى إلى شكائي ؟

(٢) يباعدن : أي يبعدن ؛ والحب : المحبوب : ووصله : وصدّه ؛ معطوفان على الضمير في يجتمعن دون أن يأتي بتوكيد ، وهو جائز عند الكوفيين — كما أسلفنا — وجعل الأيام تجتمع مع الوصل والصد لأنهما يكونان فيها ، والظرف يتضمن الفعل ، وإذا تضمنه فقد لا بسه : فكأنه اجتمع معه . يقول : إذا كانت الأيام تبعد عنا الحبيب المواصل لنا فكيف تقرب الحبيب المقاطع ؟ يعني أن الأيام تبعد عنا الحبيب ووصله موجود ، فكيف الطمع في حبيب صده موجود ؟

(٣) قال الواحدى : أى أن الدنيا قد أبت أن تديم لنا حبيباً على الوصال فكيف أطلب منها حبيباً تمنعه عن وصالنا؟ أو كيف أطلب منها أن ترده إلى الوصل بعد أن أعرض وهرج؟ وهذا كما قيل لبعضهم : قد ظهر نبي يحيى الأموات ، فقال : ما نريد هذا ، بل نريد أن يترك الأحياء فلا يميتهم ، وبشارة بعض الشراح : أى أن الدنيا لا تديم الحبيب الحاضر ، فكيف ترد الحبيب الغائب وهى سبب غيبته ؟ وقال ابن جنى : إذا كان ما فى يدك لا يبقى عليك ، فما قد مضى أبعده من الرجوع إليك .

(٤) فعلت : نعت مفعول ، وتغييراً : تمييز ، وتكلف : خبر أسرع . يقول : إن الدنيا لو أسعدتنا بقرب أحبتنا لما دام لنا ذلك لأن الدنيا بنيت على التغير والتنقل ، فإذا فعلت غير ذلك كانت كمن تكلف شيئاً هو ضد طباعه ، فليس إلا أن يدعه وشيكا ويعود إلى طبيعه ، كما قال حاتم :

رَعَى اللهُ عَيْسًا فَارْقَتْنَا وَفَوْقَهَا مَهَا كُلُّهَا يُوَلَّى بِجَفْنِيهِ خَدَهُ (١)
بِوَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ وَقَدْ رَحَلُوا جِيدَهُ تَنَاطَرَ عِقْدَهُ (٢)
إِذَا سَارَتِ الْأَحْدَاجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ تَفَاحَ مِسْكُ الْغَائِنِيَاتِ وَرَنَدَهُ (٣)

وَمَنْ يَبْتَدِعُ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَتَرْجِعُهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِعُ
ومثله قول الأعور الشني:

وَمَنْ يَقْتَرِفُ خُلُقًا سَوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَتَغْلِبُهُ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ
وَأَدْوَمُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَا نَشَأَ بِهِ ، وَأَقْصَرُ أَعْمَالِ الرِّجَالِ الْبِدَائِعُ
ومثله :

يَأْيِهَا الْمُتَحَلَّى غَيْرَ شَيْمَتِهِ إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخَلْقُ

(١) العيس : الإبل ، والمها : بقر الوحش . تشبه بها النساء الحسان . ويولى - من
الولى - وهو المطر الذي يلي الوسمى . يدعو للإبل التي حملت الحبايب وذهبت بهن ، ثم
ذكر أنهن يبكين لأجل الفراق فقال : كلها يولى - أي يطر - خده بجفنيه . جعل بكاءهن
كالمطر من جفونهن .

(٢) بواد : متعلق بفارقنا - في البيت السابق - والضمير في رحلوا : لقوم الحبايب ،
والجيد ، العنق ، يقول : فارقنا بواد به من الوجد والوحشة لفراقهم ما بالقلوب : أي
استوحش وتعير لارتحالهم ، فصار كأنه جيد تناثر عقده ، يعنى أن الوادى كان مزيناً بهم
فلما ارتحلوا تعطل من الزينة وعبارة ابن جنى : بقى الوادى مستوحشاً لرحيلهم عنه كالجيد
إذا سقط عقده وبه ما بالقلوب : أي قد قتله الوجد لفقدهم . قال : ويجوز أن يكون شبه
تفرق الحمولة والظعن بدر تناثر فتفرق ؛ وقال ابن القطاع - بعد أن أورد كلام ابن جنى
هذا - يصف زهر الوادى وحسنه فتعوض بالعتل من الحلى .

(٣) الأحداج : مراكب النساء فوق الإبل كالموادج : جمع حدج ، وهو جمع قلة ،
وجمع الكثرة حدوج ، وحدجت البعير أحدجه - بالكسر - حدجا : إذا شددت عليه
الحدج . قال الأعشى :

أَلَا قَلِّ لِمِثَاءَ مَا بَالِهَا أَلْبَيْنَ تَحْدَجُ أَحْمَالُهَا ؟

[ويروى : أجمالها - بالجيم - أي تشد عليها]

وَحَالٍ كَمَا حَادَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوغَهَا

وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبَعْدَهُ (١)

والرند : نبات من شجر البادية ، طيب الرائحة ، يشبه الآس . يقول : إذا سارت
مرا كبهن فوق نبات هذا الوادى وهو من الرند وهن قد تضحخن بالمسك - اختلطت
ريح الرند بريح المسك فتفواح الريحان ، قال ابن جنى : قال لى المتنبي : لما قلت هذه القصيدة
وقلت : تفواح أخذ شعراء مصر هذه اللفظة فتداولوها بينهم قال ابن جنى : وهى لفظة
فصيحة مستحسنة . قال العكبرى : سألت شيخى بالحرم مكى بن ريان الماكسى عند قراءتى
عليه هذا الديوان سنة تسع وتسعين وخمسمائة : ما بال شعر المتنبي فى كافور أجود من شعره
فى عضد الدولة وأبى الفضل ابن العميد ؟ فقال : كان المتنبي يعمل الشعر للناس
لا للمدوح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة فى بلاد خالية من الفضلاء ، وكان
بمصر جماعة من انفضاء ، والشعراء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم ، وكذلك
كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء ، فكان يعمل
الشعر لأجلهم ولا يبالى بالمدوح ، والدليل على هذا ما قال أبو الفتح - ابن جنى - عنه
فى قوله : تفواح ، لأنه لما قالها أنكراها عليه قوم حتى حققوها ، فدل أنه كان يعمل الشعر
الجيد لمن يكون بالمكان من الفضلاء .

(١) غول الطريق : ما يغول سالكه ؛ أى يهلكه إنضاء . يقول : ورب حال هى
فى الصعوبة والامتناع وتعذر المنال كإحدى هؤلاء النسوة حاولت أن أبلغها ، وقبل
الوصول إليها بعد الطريق وما فيه من المهالك : يعنى أنه يطلب أحوال عظيمة . لا يقدر
على الوصول إليها كما أنه لا يقدر على الوصول إلى إحدى هؤلاء الغانيات . وقال ابن جنى
ويجوز أن تكون الحال حسنة كإحدى هؤلاء الغوانى فى الحسن . هذا : وإليك كلمة
على «رب» للعكبرى . قال : قوله وحال : أى ورب حال ؛ قال أصحابنا : واو رب تعمل
فى النكرة الحذف بنفسها : وإليه ذهب البرد : وقل البصريون : العمل لرب مقدرة ،
وحجتنا أنها نائبة عنها ، فلما نابت عملت الحذف بنفسها وكانت كواو القسم لأنها نابت عن
الباء ؛ ويدل على أنها ليست عاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به . ونحن نرى
الشاعر يبتدى بالواو فى أول القصيدة كقوله :

* وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسُ *

وَأَتَعَبُ خَلْقَ اللَّهِ مِنْ زَادِ هَمِّهِ ، وَقَصَرَ عَمَّا تَشْتَهَى النَّفْسُ وَجَدَهُ (١)
 فَلَا يَنْحَلِّلُ فِي الْمَجْدِ مَالِكَ كَلَّهُ فَيَنْحَلِّلَ مَجْدُهُ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدَهُ (٢)
 وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدَهُ (٣)

ومثله كثير ، يدل على أنها ليست عاطفة ، وحجة البصريين على أن الواو واو عطف وحرف العطف لا يعمل شيئاً ، أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، وحرف العطف غير مختص ، فوجب أن يكون عاملاً ، وإذا لم يكن عاملاً وجب أن العامل «رب» مقدره . ويدل على أن رب مضمرة أنه يجوز ظهورها معها نحو ورب بلدة .

(١) الهم : الهمة ، والوجد : السعة . قال الواحدى : هذا مثل ضربه لنفسه كأنه يقول أنا أتعب خلق الله لزيادة همى وقصور طاقى من الغنى عن مبلغ ما أهم به ، وهذا مأخوذ مما فى الحديث : إن بعض العقلاء سئل عن أسوء الناس حالاً ؟ فقال : من قويت شهرته وبعدت همته واتسعت معرفته وضائق مقدرته ، وقد قال الخليل بن أحمد :

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أُرْزَقْ مَرْوَةً وَمَا الْمَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
 إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً تَقَاعَدِى عَمَّا يُنَوِّهُ بِأَسْمِى رِقَّةُ الْحَالِ

(٢) هذا نهى عن تبذير المال والإسراف فى إنفاقه ، يقول : لا يذهبن مالك كله فى طلب المجد ، لأن من المجد مالا ينعقد إلا بالمال ، فإذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذى كان ينعقد بالمال ، قال عبد الله بن معاوية :

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ يُقَصِّرُ دُونَ مَبْلَغِهَا مَالِي
 فَلَا نَفْسِي تُطَاوِعُنِي لِبَخْلِى ، وَلَا مَالِي يَبْلَغُنِي فَعَالِي

يتأسف على قصور ماله عن مبلغ مراده ، وأبو الطيب يقول : ينبغى أن تقتصد فى العطاء وتدخر المال لتطيعك الرجال فتنال العلى وتصل إلى الشرف ، ثم ضرب لهذا مثلاً بالبيت التالى .

(٣) يقول : دبر مالك تدبير من إذا خاض الوغى للطعان والنزال جعل المجد بمثابة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب ، يعنى أنه بالمجد تقاد الجيوش ، وبالمال ينفق عليها ، فالمجد والمال كلاهما متوقف على الآخر ، كما أبان عن ذلك فى البيت التالى ،

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ، وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَمَرَ كُوبُهُ رِجَالَهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ (١)
وَلَكِنَّ قَلْبًا بَيْنَ جَنبَيْ مَالِهِ مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحَدُهُ (٢)
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ (٣)
يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ عَلِيْقِي مَرَاعِيَهُ وَزَادِي رَبُّدَهُ (٤)
وَأَمْضَى سِلَاحٍ قَلَدَ الْمَرْءِ نَفْسَهُ
رَجَاءَهُ أَبِي الْمَسْكَ الْكَرِيمِ وَقَصْدَهُ (٥)

(١) يقول : في الناس من هودئي الهمة يرضى بما تيسر له من العيش وبالدون منه ويمشى على قدميه عارياً ، فلا تسمو نفسه إلى ما وراء ذلك من الثراء والعلاء . والميسور : ما تيسر . وهو من المصادر التي جاءت على مفعول .

(٢) يقول : لكن لي قلباً ليس له غاية تنتهي عند مطلوب أجعل له حداً ، يعني أنني إذا جعلت حداً لمطلوب لي لا يرضى قلبي بذلك بل يطلب ما وراءه .

(٣) الشفوف : جمع شف ، وهو اثوب الرقيق ، وثرته : تنميه وتنعمه . يقول : إن قلبي هذا يرى الجسم الذي هو فيه يترفه متنعماً بلبس الثياب الرقيقة فيأبى ذلك ويؤثر عليه أن يكسى دروعاً تهده بثقلها ، يعني أنه لا يرضى بالترف والنعيم وهو معمور ويأبى لإراكوب الصعاب في سبيل الحمد والسيادة .

(٤) التهجير : السير وقت الهجرة ، وهي حر نصف النهار والمهمة : الفلاة الواسعة ؛ والربد : النعام الذي خالط سواده بياض . يقول : إن قلبي يكلفني التهجير والسير في كل فلاة بعيدة مترامية الأطراف ينفذ فيها مامعي من العليق والزاد فلا عليق لفرسي إلا أن يرتع في مراعيها ولا زاد لي إلا النعام أصيده فأكله .

(٥) يقول : وأمضى سلاح قلد المرء نفسه إياه لمقاومة النوائب هو رجأه أبا المسك وقصده إياه ، يعني أن رجاءه كافوراً وقصده إياه هما اللذان هونا عليه مشقات الطريق وأخطاره فكأنه قاتل بهما هذه الأخطار والخاوف : فقلوله : أمضى مبتدأ ، خبره رجاء ؛ ونفسه : مفعول أول لقلد ؛ والثاني : محذوف ، أي قلد نفسه إياه ؛ وهذا المخلص من أحسن المخلصين

هُمَا نَاصِرًا مِّنْ خَانِهِ كُلُّ نَاصِرٍ
 وَأُسْرَةٌ مِّنْ لَّمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ (١)
 أَنَا الْيَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ فِي عَشِيرَةٍ
 لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُعْقِدِيهِ وَوَلَدُهُ (٢)
 فَمِنْ مَالِهِ مَالُ الْكَبِيرِ وَنَفْسُهُ ،
 وَمِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ (٣)
 نَجْرٌ الْقَنَا الْخَطِيُّ حَوْلَ قِبَابِهِ ،
 وَتَرْدِي بِنَا قِبُ الرِّبَاطِ وَجُرْدُهُ (٤)
 وَنَمْتَحِنُ النَّشَابَ فِي كُلِّ وَابِلٍ
 دَوِيُّ الْقِسِيِّ الْفَارِسِيَّةِ رَعْدُهُ (٥)

(١) أسرة الرجل أهله الأذنون يقول إن رجاء كافور وقصده ، هما ينصران على الزمان من خذله أنصاره فأصبح بغير ناصر ، وهما عشيرة من لا عشيرة له ، بهما يعز فيغنيانه عن العشيرة .

(٢) الولد - بالضم - بمعنى الولد - بالفتح - يقع على الواحد والجمع قال الشاعر :

فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وَوَلَدَ حِمَارِ

يقول : إن كافوراً وهب له غلماناً وأنه منهم في عشيرة ، إذ يحفون به ويركبون معه ، وكافور له ولهم كالوالد وهم له كالأولاد البررة يقدونه بأنفسهم .

(٣) الدر : اللبن يقول : إن بره عم الكبير والصغير ، فالذي يملكه الكبير حتى نفسه - أي حياته - من ماله ، لأنه إنما يعذى بنعمائه ؛ ومهد الصغير واللبن الذي يرتضعه كذلك من ماله ، وكل ذلك لأنه ملك عظيم له الأمر والتصرف في كل شيء . وقال ابن جني : يهب للناس أنفسهم كما يهب لهم المال ، لأنه مالك الجميع : كبيرهم وصغيرهم .

(٤) القنا : الرماح ؛ والخطى : نسبة إلى الخط ، وهو موضع باليمامة تقوم فيه الرماح وقبابة : خيامه . وتردى - من الرديان - وهو ضرب من العدو . والقب : الضامرة البطون ، جمع أقب ؛ والرباط : اسم لجماعة الخيل ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول : يعنى نفسه ومن معه من الغلمان - في خدمته أينما نزل ونصبت خيامه ، وتعدو بنا الخيل في صحبته أينما سار . وقوله وجرده : وحد الضمير ولم يقل وجردها لأن الرباط اسم واحد غير متكرر بمنزلة القوم والرهط .

(٥) نمتحن : نختبر ، والنشاب : السهام . والوابل : المطر الغزير . والقسي الفارسية أي المنسوبة إلى فارس ، يريد صنعة العجم . يقول : ونمتحن بين يديه الترامي بالسهام ونحن منها في مثل الواابل لكثرتها ، وأصوات القسي في ذلك الواابل كالرعد : يعنى أنهم يترامون

فَإِلَّا تَكُنْ مِصْرُ الشَّرِيِّ أَوْ عَرِينُهُ

فَإِنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ النَّاسِ أَسَدُهُ (١)
 سَبَائِكُ كَأُفُورٍ وَعَقِيَانُهُ الَّذِي
 بِصَمِّ الْقَنَا لَا بِاصَالِيعِ نَقْدُهُ (٢)
 بِلَاهَا حَوَالِيهِ الْعَدُوُّ وَغَيْرُهُ (٣)
 وَجَرَبَهَا هَزْلُ الطَّرَادِ وَجِدُهُ (٤)
 وَأَبُو الْمِسْكِ لَا يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ
 وَلَكِنَّهُ يَفْنَى بِعُدْرِكَ حَقْدُهُ (٥)
 فَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالْجِدِّ سَعِيهِ (١)
 وَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالسَّعْيِ جَدُّهُ (١)

بالسهام ويتلاعبون بالأسلحة ليتبين أيهم أشد وأبعد غلوة عند الرماة ، كعادة الفرسان والشبان في الحرب .

(١) الشري : الموضع الكثير الأسد ، وأصله مأسدة بجبل سلمي من بلاد طيء ؛ والعرين : الأجمة . وقوله : فإن الذي . رواها ابن جنى : فإن التي ، قال : لأنه أراد الفئمة والجماعة . ولكن رواية الذي : أجود وأشهر . يقول : إن لم تكن مصر هي الشري ولا عرينه ، فإن الناس الذين فيها هم أسود الشري ، فالضمير في أسده : للشري .

(٢) السبائك : جمع سبيكة ، وهي القطعة من فضة أو ذهب ذوبت وأفرغت في قالب ؛ والعقيان : الذهب . وصم القنا : أي الرماح الصلبة يقول : هؤلاء الناس - الذين ذكرهم - هم ذخائر كافور وعدته في مطالبه . فهم له بمنزلة السبائك والذهب لغيره ، ولما جعلهم سبائك وعقيانا ذكر أنه انتقدهم بالرماح - لا بالأصابع كما ينتقد الذهب - أي أنه امتحنهم بطعان الفرسان ، واصطفاهم بعد أن أبلوا في الحرب .

(٣) بلاها ؛ اختبرها ، وهزل الطراد : مردود إلى قوله وغيره ، وجده إلى العدو على طريق النشر الغير المرتب ، يقول : اختبرها الأعداء في الحرب حوالى كافور ، لكثرة ما حاربوا أعداءه وشهدوا معه المعارك فصاروا مجربين بكثرة القتال ، واختبرها غير العدو في أوقات لعب الفرسان حين يطارد بعضهم بعضا : أي جربت في حالات الجد والهزل وتمرست بالقتال في سائر الأحوال .

(٤) يقول : إنه كثير العفو ، وإن عفوه أ ثر من ذنب المذنبين ، وإنه ليس بمحقود وإذا اعتذر إليه الجاني ذهب حقه .

(٥) الجد - هنا - السعد . يقول : إن السعي والسعادة قد اجتمعا له ، فإذا سعى في أمر نصر السعد سعيه فيصير مجدودا في ذلك السعي ويدرك ما يريد من سعيه ، وإذا

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي فَأَخْلَفْتَ طَيْبِهِ ، وَمَا ضَرَّ نِي لِمَا رَأَيْتُكَ فَقَدَهُ (١)
 لَقَدْ شَبَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَهْوُهُ لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ (٢)
 أَلَا لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرَّهُ فَتَسْأَلُهُ وَاللَّيْلِ يُخْبِرُ بَرْدَهُ (٣)
 وَلَيْتَكَ تَرَ عَائِي وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ فَتَنَعَّمَ أُنِي مِنْ حُسَامِكَ حَدَّهُ (٤)

حضرته السعادة إلى نيل مطلوب نهض إليه بسعيه ولم يعتمد على السعد وحده ، وإذا اجتمع السعد والسعي للإنسان بلغ أقصى المبالغ .

(١) تولى : ولى ، وقده فاعل ضر . يقول : ولى الصبا عنى وذهب ، فأخلفت على طيبه : أى جعلت له خلفاً بما أجد من طيب أياحى عندك ، يعنى أنى مبتهج بك ابتهاجى بالشباب حتى لم يضرنى فقده مع رؤيتك .

(٢) هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق : يقول : إن الكهول بما يلاقونه فى ذراك من رغد العيش وبشاشة الحياة ونور العدل صاروا شبابا والمرد عند غيرك صاروا شيبا لما يلاقون من البؤس وجهد الحياة وظلمة الظلم . وقال ابن جنى : هذا تعريض بسيف الدولة ، أى صاروا عند غيرك بظلمه وسوء سيرته شيبا . ويجوز أن يكون هذا من المقلوب هجوا . يريد أن الكهول عندك لما ينالهم من النذل والظلم والاحتقار كحال الصبيان ، وأن المرء - وهم الشبان عند غيرك بالاحترام لهم ورفع أقدارهم - صاروا شيبا : أى موقرين توقير الشيوخ .

(٣) يذكر أنه قاسى فى مسيره إليه حر النهار وبرد الليل يقول : ليهما يخبران فتسألها عما قاسيت . هذا وقوله : والليل عطف على يوم وحره فاعل يخبر وكذا برده . وقوله فتسأله : نصبه ، لأنه جواب التنى . وقال العكبرى - لمناسبة حر النهار وبرد الليل - وهذا يكون فى أواخر أيام الصيف وأوائل الخريف لأن النهار يكون كرابا والليل بارداً . قال : وما أحسن ما جمع بعضهم الفصول الأربعة فقال :

إِذَا كَانَ يُؤْذِيكَ حَرُّ الْمَصِيفِ وَكَرَبُ الْخَرِيفِ وَبَرْدُ الشِّتَا
 وَيُلْهِمُكَ حُسْنُ زَمَانِ الرَّبِيعِ فَفِعْلِكَ لِلْخَيْرِ قُلْ لِي مَتَى

(٤) ترعانى - هنا - بمعنى ترانى وتراقبى ؛ وحيران : ماء بالشام على يوم من سامية ومعرض : أى ظاهر ، من أعرض الشئ : بدا للنظر ، ومنه :

وَأَعْرَضَتْ الْيَمَامَةُ وَأَشْمَخَرَتْ كَأَسْيَافِ بَأَيْدِي مُصْلِتِينَا

وَأَنْتِ إِذَا بَاسَرْتِ أَمْرًا أُرِيدُهُ تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ وَهَانَ أَشَدُّهُ (١)
 وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي إِلَيْكَ فَلَمَّا لَحْتُ لِي لَاحَ فَرْدُهُ (٢)
 يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتُ جَيْشًا وَرَبَّهُ أَمَامَكَ رَبُّ رَبِّ ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ (٣)
 وَأَلْقَى الْقَهْمَ الضَّحَاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بَدِي الْكَفِّ الْمُدَاةِ عَهْدُهُ (٤)
 فَزَارَكَ مِنِّي مَنْ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ
 وَفِي النَّاسِ إِلَّا فِيكَ وَحُدُوكَ زُهْدُهُ (٥)
 يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً ، وَيَأْتِي فَيَدْرِي أَنَّ ذَلِكَ جَهْدُهُ (٦)

يقول : ليتك كنت تراني وأنا عند هذا الماء فترى جلدي وإشاحتي في السير فتعلم أني ماض في الامور مضاء حد سيفك .

(١) يصف نفسه بالجلد والشجاعة والإقدام . يقول : إنه إذا حاول أمرا تدانت أباعدده وهان أصعبه لعزمه وبعد همته .

(٢) يشتهون : يتشابهون ، ولي : متعلق بيشتهون . وإليك : متعلق بمخدوف حال من ضمير التثنية قبله : أي وأنا قاصد إليك . يقول : ما زال أهل الدهر يتشابهون عندي في مسيري إليك ، فلا أرى بينهم فرقا حتى ظهرت لي ، فإذا أنت فردهم الذي لا يشبهه أحد منهم وهذا كقوله :

* الناسُ ما لم يروك أشباهُ *

(٣) يقول : إذا رأيت جيشا ومملكه فاستعظمتها قيل لي : قدامك ملك هذا الملك الذي تراه عبده فكيف هو ؟ . قال الواحدى : وهذا كالتفسير للبيت السابق فالذين رآهم هم الذين اشتبهوا له والذي قيل له : رب هذا الجيش عبده ، هو الفرد الذي لاح له .

(٤) يقول : إذا لقيت إنسانا ضاحكا علمت أنه قريب عهدك بكفك وأخذ عطاءك فإنتى عنك مسرورا . فقوله بدى الكف . أى بهذه الكف وهى متعلقة بعهدك ؛ وقريب : خبر مقدم ، وعهدك : مبتدأ مؤخر ، وعبارة ابن جنى : لما قبل كفك كسته الضحك لبركتها وسعادة من يصل إليها لأنك أغنيته فكثرت ضحكك .

(٥) من نكرة موصوفة والجملة بعدها نعت لها ، أى زارك منى رجل اشتياقه كله إليك أنت — يعنى نفسه من باب التجريد — وزهده فى الناس كلهم إلا فىك وحدك يعنى أنه زاهد فى قصد سواه .

(٦) يخلف : أى يترك خلفه ؛ والجهد : الطاقة والوسع . يقول : إن دار المدوح

فَإِنْ نِلْتُمْ مَا أَمَلْتُمْ مِنْكُمْ فَرَبِّمَاءَ شَرِبْتُمْ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وَرِزْدُهُ (١)
وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لِأَنَّهُ
نَظِيرُ فَعَالِ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ (٢)
فَكُنْ فِي أَصْطِنَاعِي مُحْسِبًا كَمَا جَرَّبِ
يَبِينُ لَكَ تَقْرِيْبُ الْجُودِ وَشَدُّهُ (٣)

هي غاية القصد ومنتهى المتعجبين ، فمن لم يأتيها فقد ترك وراءه غاية لم يدركها ، فإذا أتاها علم أنه قد بلغ جهده الذي لاجهد بعده كما قال :

* هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى *

وعبارة العكبرى : غاية كل طالب مرتبة دارك ونهاية ما يأتيه مكتسب المجد ، أن يقصدك . فمن لم يأت دارك فقد خلف غاية إذا أتاها علم أن ذلك جهده في ابتناء المجد واكتساب المال .

(١) بماء : أي من ماء ، والورد : إتيان الماء . يقول : إن بلغت أملى فيك فلا أعجب فكم بلغت المتعجب الذي لا يدرك من الأمور ، وجعل الماء الذي لا يرده الطير مثلا للمتعب من الأمور . قال الواحدي : وإنما ضرب هذا المثل لأمله فيه لبعده الطريق إليه . قال ابن جنى : يمكن أن يقلب هذا هجاء ، ومعناه إن أخذت منك شيئاً على بخلك وامتناعك من العطاء ، فكم قد وصلت إلى المستصعبات واستخرجت الأشياء المعتادة ؟ ولعل المتبني يشير بما أمله منه إلى ما كان يطلبه من تفويض ولاية إليه ، وكان كافور قد وعده بذلك حياء منه وهو لا يريد ، وقد سئل في ذلك يوماً فقال : يا قوم إذا أعطينا من ادعى النبوة ولاية ، أفلا ترونه يدعى الملك ؟ فقال أبو الطيب ذلك . يشير إلى بعد هذا المأمول وصعوبة نياله .

(٢) الضمير — في لأنه : ضمير الشأن . ووعد — في آخر البيت — مبتدأ مؤخر . ونظير : خبر مقدم . والفعال — هنا — الفعل . يقول : إن وعدك بمثابة الفعل الذي يقع دون أن يتقدمه وعد لأن من كان صادق القول لا يرجع عن وعده . فوعده نظير فعله : أي أنه إذا وعد ، فكأنه قد فعل .

(٣) اصطنعه : اختاره موضعاً لصنيعته : أي بره ومعروفه . والتقريب والشد : ضربان من جرى الخيل . قال ابن جنى : أي جربني ليظهر لك صغير أمرى وكبيره ؛

إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَأَبْلُهُ

- فَأِمَّا تُنْفِيهِ وَإِمَّا تُعِدُّهُ (١)
 وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النَّجَادُ وَغَدُهُ (٢)
 وَإِنَّكَ لَلْمَشْكُورُ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْبَشَاشَةُ رِفْدُهُ (٣)
 فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَانَ
 فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِي نِدُهُ (٤)
 وَإِنِّي لِنِي بَجْرٍ مِنْ أٰخِيْرٍ أَصْلُهُ عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَهَا وَهِيَ مَدُّهُ (٥)

فإما اصطعنتى وإما رفضتني ، فلا فضل بيني وبين غيري إذا لم تجربني . وقال الواحدى :
 جربني فى اصطناعك إياى ليتبين لك أنى موضع للصنعة ، فبال تجربة يعرف الفرس
 وأنواع جريه من التقريب والشد .

(١) فابله : فاختبره . ويقال نفاه ؛ ونفاه : مخففا ومشددا . وهذا مثل فى معنى
 البيت السابق . يقول : إذا جربت السيف بان لك صلاحه وفساده ، فإما ألقيته لأنه
 كهام ، وإما أعددته للحرب لأنه حسام : يعنى جربني فإن وجدتني أهلا لما شئت فاصطنعني
 وإلا فارفضني .

(٢) الصارم : السيف القاطع . والنجاد : حمالة السيف . وهذا تأكيد لما ذكره
 فى البيتين السابقين ، يقول : إن السيف القاطع الهندى لا يظهر فضله على غيره من
 السيوف حتى يسلب ويضرب به ، وبذلك يعرف مضآؤه . وقد قلنا : إن التنبي كان يطلب
 من كافور ولاية ، فهو يقول له : جربني لتعرف ما عندى من الكفاية ، وأنى أصلح لأن
 أكون واليا . وهذا من قول أبى تمام :

لَمَّا انتصيتُكَ للخطوبِ كَفَيْتَهَا والسيف لا يكفيك حتى يُنتَضَى

(٣) للمشكور ، اللام فيه للتوكيد ، والرغد : العطاء . والضمير فيه : يرجع إلى المشكور
 يقول : أنت مشكور من جهتي على كل حال وإن لم ألتق منك إلا بشاشة وجهك وطلاقته
 (٤) النوال : العطاء ، والطرف : العين ، ونده : نظيره . يقول : نظرك إلى نظير
 كل عطاء منك أخذته أو سأخذه : أى أن نظرة منك لى تقوم مقام عطائك .

(٥) أصله عطايك : مبتدأ وخبر : والمد : زيادة الماء ، وهو ما قابل الجزر . يريد كثرة

وَمَا رَغَبْتِي فِي عَسَجِدِ اسْتَفِيدُهُ وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرِ اسْتَجِدُهُ (١)
يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الْجُودَ جُودُهُ
وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ (٢)
فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النَّحُوسُ بِكَوْكَبٍ ، وَقَابَلْتَهُ إِلَّا وَوَجْهَكَ سَعْدُهُ (٣)

ما يصل إليه من البر والصلوات . يقول : أنا في بحر من الخير ، وأصل هذا البحر عطايك ، وأنا أرجو زيادة عطايك ، فإنها زيادة ذلك البحر ، وهي مادته .

(١) العسجد : الذهب . يقول : لست أرغب من جهتك في ذهب ومال ، ولكن في فخر جديد — يعنى الولاية — وهذا كقوله الآتى :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلْبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلْبِ الْمَعَاشِ
وفى هذا المعنى يقول المهلبى :

يَا إِذَا الْيَمِينِينَ لَمْ أُرْزَكَ وَلَمْ
زَارَكَ بِي هِمَّةٌ مَنَازِعَةٌ
أَصْحَبَكَ مِنْ خَلَةٍ وَلَا عَدَمٍ
إِلَى جَسِيمٍ مِنْ غَايَةِ الْمَهْمِ

ومثله :

لَمْ تَزِرْنِي أَبَا عَلِيٍّ سِنُو الْجَدِّ بٍ وَعِنْدِي مِنَ الْكَفَافِ فَضُولٌ
غَيْرَ أُنَى بَاغٍ جَلِيلًا مِنَ الْأُمْرِ وَعِنْدَ الْجَلِيلِ يُبْنَى الْجَلِيلُ
وقال ابن الزيات :

لَمْ أَمْتَدِحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لَتُبْلِسَنِي التَّجْمِيلَ وَالغُرْرَا
ويقول أبو تمام
وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَاهِمَ
فَإِنِّي لَمْ أَخْدُمُكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
ويقول أيضا :

يا ربما رفعة قد كنت أملها لديك لافضة أبغى ولا ذهباً
(٢) يجود به : أى بالفخر . يقول : تجود به أنت ، وجودك فاضح لجود غيرك
زيادته عليه ، وأحمدك عليه أنا ، وحمدى يفصح حمد غيرى لأنه فوقه .
(٣) يقول : إذا مرت النحوس بكوكب وقابلته بوجهك زال النحس عنه وحل محله
السعد : يعنى أنك تسعد النحوس . وتطرد البوس ، وهذا كما يقول أبو تمام :

واتصل قوم من الغلمان بابن الأخشيد مولى كافر وأرادوا أن يفسدوا الأمر على كافر فطالبه بتساميهم إليه فسلهم بعد أن امتنع من ذلك مُدِيدَةً مما سبب بينهما وحشة ، و بعد أن تسلمهم كافر ألقاهم في النيل ثم اصطلحوا فقال :

حَسَمَ الصَّلْحُ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحَسَّادِ (١)
وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسُ حَالَ تَدْبِيرِكُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرَادِ (٢)
صَارَ مَا أَوْضَعَ الْمُخْبُونَ فِيهِ مِنْ عِتَابٍ زِيَادَةً فِي الْوَدَادِ (٣)
وَكَلَامُ الْوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى الْأَحْبَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ (٤)
إِنَّمَا تُنْجِحُ الْمَقَالَةَ فِي الْمَرْءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوَى فِي الْفُؤَادِ (٥)

تَلَقَى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ وَتَجَبَّبَهُ وَعَلَيْكَ مَسْحَةٌ بَغْضَةٍ فَتُحِبُّ (١)

(١) يقول : اشتهى الأعداء أن يهيج بينكما شر ، وأذاع الحساد ذلك ، ولكن الصلح حسم — أى قطع — ماشتهوه وأذاعوه .

(٢) يقول : وحسم الصلح ماأرادته أنفس حجت تدبيرك بينهم وبين ماأرادوه من إثارة الشر فما — من قوله ماينها — زائدة ؛ وحال : اعترض .

(٣) أوضع الراكب بعيره : إذا حثه على السير السريع . والمخبون : الذين يحملون مطيهم على الخبب ، وهو ضرب من العدو ؛ ومن عتاب : بيان لما . يقول : صار سعى من سعى بينكما في الفساد زيادة في الوداد ، لأن الود بعد العتاب أصفى ، وهذا المعنى قريب من قول أبي نواس :

كأنا أئنوناً ولم يعالوا عليك عندي بالذي عابوا

(٤) على الأحباب : في موضع نصب خبرا ليس : واسمها : مستتر يعود على كلام . وسلطانه على الأضداد : جملة استئنافية مبتدأ وخبر ؛ ولك أن تجعل سلطانه : اسم ليس وعلى الأضداد : صلة سلطان ؛ وتقدير الكلام : وكلام الوشاة ليس له على الاحباب السلطان الذى له على الأضداد . ومعنى البيت : إن كلام الوشاة لا يؤثر في الأجرة ، إنما يؤثر في الأعداء .

(٥) يقول : إنما يبلغ القول النجاح إذا سمعه من يوافق هواه ذلك القول ، وكان هذا تبرئة لابن مولاه من موافقة قلبه كلام الوشاة .

(١) يقول : إذا أتيت هذا المدوح تسعد برؤيته وتصير محبوبا عند الناس بإقباله عليك وإن كنت بغضاً لديهم من قبل ؛ وفي رواية : وتجبه .

- وَلَعَمْرِي لَقَدْ هُزِّزْتَ بِمَا قِيلَ فَأَلْفَيْتَ أَوْثِقَ الْأَطْوَادِ (١)
وَأَشَارْتَ بِمَا أَبَيْتَ رِجَالٌ كُنْتَ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الْإِرْشَادِ (٢)
قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى الْمَشِيرُ وَلَمْ يَجْهَدْ وَيُسْوِ الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ (٣)
نَلْتَ مَا لَا يُنَالُ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ وَصُنْتَ الْأَرْوَاحَ فِي الْأَجْسَادِ (٤)
وَقَنَا الْخَطَّ فِي مَرَاكِزِهَا حَوْ لَكَ وَالْمُرْهَفَاتُ فِي الْأَنْعَمَادِ (٥)
مَا دَرَوْا إِذْ رَأَوْا فُؤَادَكَ فِيهِمْ سَاكِنًا أَنْ رَأَيْهِ فِي الطَّرَادِ (٦)

(١) ألفت : أى وجدت ؛ وأوثق : أقوى ؛ والأطواد : الجبال . يقول : لقد حركت إلى الشر بما نقل إليك من الوشائيات ، فكنت كأقوى الجبال : أى لم يؤثر فيك قول الوشاة الساعين بالنميمة ، يريدون بذلك الفساد .

(٢) يقول : أشار عليك قوم بالشقاق والخلاف فأبيت ذلك ، لأنك لم تجده من الرشاد ، وإنما وجدت الرشاد فى الأناة والمسألة ، وبذلك أرشدتهم إلى ما هو خير مما أشاروا به عليك ، فكنت أعرف منهم بما هو الأصلح :

(٣) أشوى يشوى : إذ أخطأ ، ورماه فأشواه : إذا لم يصب المقتل .
قال الهدلى :

فإن من القول التى لا شوى لها إذا زل عن ظهر اللسان انفلاتها (١)

يقول : قد يصيب المشير الذى لم يجتهد فى مشورته ، وقد يخطئ المجتهد فى مشورته بعد الاجتهاد ، يعنى أن الذين أعملوا الرأى قد أخطأوا حين أشاروا عليك بإظهار الخلاف ، وأنت أصبت الرأى عفواً حين ملت إلى الصلح والمسألة ، فكان رأيك أرشد وأسد من رأيهم .

(٤) البيض : السيوف ، والسمر : الرماح . يقول : أدركت بالصلح ما لا يدرك بالسيوف والرماح وحفظت الأرواح فلم ترق دماً ولم تقتل نفساً وذلك أنه صالحه على أن يسلمه الساعين ففعل وقتلهم كافور .

(٥) القنا : الرماح ؛ والخط : موضع تنسب إليه الرماح . وحولك حال من مراكزها ، والمرهفات : السيوف المحددة . يقول : وصلت إلى مرادك والرماح مركوزة لم تتحرك للظعن ، والسيوف مغمدة لم تسل للضرب .

(٦) يقول : لم يعلم الناس حين رأوك ساكن القلب أنك تطارد برأيك وتعمل على طلب الصواب حتى أدركته .

(١) يقول : إن من القول كلمة لا تشوى ولكن تقتل .

فَفَدَى رَأْيِكَ الَّذِي لَمْ تُفْذِهِ كُلُّ رَأْيٍ مُعَلِّمٌ مُسْتَفَادٌ (١)
وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعٍ لَمْ يُحَلِّمْ تَقَادُمُ الْمِيلَادِ (٢)
فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدَّتْ يَا كَا فُورٌ وَاقْتَدَّتْ كُلَّ صَعْبِ الْقِيَادِ (٣)
وَأَطَاعَ الَّذِي أَطَاعَكَ وَالطَّاعَةَ لَيْسَتْ خَلَائِقَ الْأَسَادِ (٤)
إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَائِلُ طِعُ أَخِي مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ (٥)
لَا عَدَاةَ لِلشَّرِّ مَنْ بَغَى لَكُمْ الشَّرَّ

وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ (٦)
أَنْتُمْ مَا اتَّفَقْتُمْ الْجِسْمَ وَالرُّشُوحَ فَلَا أُحْتَجُّمًا إِلَى الْعُودِ (٧)

(١) يقول: يفدى رأيك الذي لم تستفده بتجربة وتعليم وإنما هو نتاج أناتك ورويتك كل رأي مستفاد بالتعليم؛ وعبارة العكبري وسائر الشراح: يريد أن رأيك تلاد قديم — معك لم يفدك إياه أحد. إنما هو إلهام من الله. ففداه كل رأي مستفاد معلم
(٢) الحلم: الأناة والعقل. يقول: إذا لم يكن الحلم غريزة وجبلة طبع عليها المرء وفطر لم يفده بالكبر وتقادم السن، ومن ثم ليس الشيخ أولى بجودة الرأي من الشباب قال العكبري: وهذا من قول الحكميم: بالغرزة يتعلق الأدب، لا بتقادم السن.
(٣) يقول: بهذا الرأي الذي رأيت في هذا الحادث — وبمثله في غيره — سدت الناس وانقاد لك ما لا ينقاد لعيرك

(٤) يقول: وبمثل هذا الرأي أطاعك الناس الذين أطاعوك مع أنهم أسود بأسا وشجاعة فلم يعرفوا الطاعة والالتقياد لأحد قبلك لأن الطاعة ليست من أخلاق الأسود:
(٥) يقول: إنما أنت في تربيتك ابن الأخشيد وقومتك -ليه كالوالد، والوالد القاطع أبر بالولد من الولد الواصل بأبيه وأخى منه -ليه. يريد: أنك ربيت ابن سيدك وأنت أشفق -ليه من كل أحد.

(٦) عدا: جاوز. وبغى: طلب، وهذا دعاء. يقول: لاجاوز الشر من طلب لكما الشر ولا تعدى الفساد أهل الفساد: أي لازال في الشر من أراد أن يوقع بينكما الشر، ولا فارق الفساد من حاول فساد ذات بينكما.

(٧) قوله ما اتفقما: فما: مصدرية زمانية: أي مدة اتفاقكما. يقول: مثلكما في اتفاقكما مثل الروح والجسد: إذا اتفقا صلح البدن ولم يعد به حاجة إلى الطبيب والعواد

وَإِذَا كَانَ فِي الْأَنْبَابِ خُلْفٌ وَقَعُ الطَّيْشُ فِي صُدُورِ الصَّعَادِ (١)
أَشْمَتَ الْخُلْفُ بِالشَّرَاةِ عِدَاهَا ، وَشَنَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِيَادِ (٢)

وإذا تنافرا فسد البدن . ثم قال : فلا احتجبتا إلى العواد ، أى لا وقع بينكما خلاف ، وشر ،
وبعارة أخرى : أنما ما دتما متفقين كالجسم والروح اللذين يقوم بهما البدن ويعيش
بائتلافهما . وقوله : فلا احتجبتا إلى العواد ؛ لما جعلهما كالجسم والروح جعل اختلافهما
بمؤلة الداء الذى يختل به أمر البدن ويكون محوجا إلى عيادة الأطباء : أى فلا اختل
أمركما بما يحوج إلى دخول السفراء والمشيرين .

(١) أنابيب الرمح : ما بين كل عقدتين . والخلف : الاختلاف . والبطيش - هنا -
بمعنى الاضطراب ، والصعاد : جمع صعدة ، وهى قناة الرمح : أى إذا اختلفت أنابيب
الرمح اضطرب صدره فلم يستقم عند الطعن . وهذا مثل : جعل الانابيب مثلا للأتباع
والصدور مثلا للرؤساء . يقول : إن اختلاف الخدم يؤدى إلى النزاع بين الرؤساء ، قال
ابن جنى : لو قال فى رءوس الصعاد لكان أولى ، لأن الطيش يكون فيها ، ولأنه أقرب
إلى الرياسة بسبب العلو .

(٢) الشراة : الخوارج ؛ سموا أنفسهم بذلك يعنون أنهم شروا أنفسهم من الله بالقتال
فى دينه . ورب : فارس كسرى . وإياد : حى من معد قال أبو دواد الأيادى :

فِي فُتُوِّ حَسَنِ أَوْجُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مِضْرٍ (١)

يريد المتنبي أن يقول : إن الشقاق بين الجماعات قديماً أدى إلى شماتة أعدائهم بهم ،
إذ سبب التنازع بينهم تمكن أعدائهم منهم كما كان من الخوارج ، لم يظفر بهم المهلب بن
أبي صفرة إلا بعد أن نزع الشيطان بينهم ، فقد قاتلهم المهلب نحو من ثلاثين شهراً فلم
يقدر عليهم ، ثم وقع الخلف بينهم واقتتلوا فوهنت شوكتهم وتمكن المهلب منهم فلم ينبج
إلا القليل . قال العكبرى : لما كان الخوارج مجتمعين لم يقو المهلب عليهم فاحتال على
نصال كان يتخذ لهم نصالاً مسمومة ، فكتب إليه المهلب : وصل ما بعثت لنا من النصال
المخترمة للأجال وحمدنا ففعلك وشكرنا فضلك وسنرفع ذكرك ونعلى قدرك إن شاء الله .
وبعث الكتاب على يد من أعرههم عليه ، فاختلفوا فى قتله ، فصوبته طائفة وخطأته
أخرى ، فاقتلوا حتى قل عددهم وأما إياد فقد كانت يداً واحدة ثم تفرقت كلمتهم وتشتتوا
بأرض الجزيرة فنهد إليهم سابور ذو الأكتاف وأبنى منهم خلقاً كثيراً وتفرق سائرهم فى البلاد .

(١) فتو : جمع فتى والفتى : الشاب ، والسخى واليكريم .

وَتَوَلَّى بَنِي الْيَزِيدِيِّ بِالْبَصْرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ (١)
 وَمُلُوكًا كَأَمْسٍ فِي الْقُرْبِ مِنَّا وَكَطَسْمٍ وَأُخْتَهَا فِي الْبِعَادِ (٢)
 بِكَمَا بَتُّ عَائِدًا فِيكُمْ مِنْهُ وَمِنْ كَيْدِ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِ (٣)
 وَبَلْبَيْكُمْ الْأَصِيلِينَ أَنْ تَفْرُقَ صُمْ الرِّمَاحَ بَيْنَ الْجِيَادِ (٤)
 أَوْ يَكُونَ الْوَلِيُّ أَشَقَى عَدُوًّا بِالَّذِي تَدْخُرَانِهِ مِنْ عَتَادِ (٥)

(١) وتولى بني اليزيدي : أى تولاهم الخلف : أى اختلفوا ؛ فضمير تولى ؛ للخلف وبنو اليزيدي : كتاب وثبوا بالبصرة واستولوا عليها فى خلافة المنصور وأخرجوا ابن رائق ، فعظم شأنهم وكانوا إخوة ثلاثة — أبو عبد الله وأبو بوسف وأبو الحسين — ثم اختلفوا فقتل أكبرهم أوسطهم ، فما كان إلا أن حوى نجمهم ، وذهب ملكهم ، وهلكوا جميعاً .

(٢) وملوكا : عطف على بنى اليزيدي . وأخت طسم : جديس ، وهما قبيلتان قديمتان بادتا بحروب كانت بينهما . يقول : وتولى الخلف ملوكا قرب عهدهم منا كأمس وآخرين بعد عهدهم منا كطسم وجديس ، فأهلكهم هذا الخلف .
 (٣) بكما : قال الواحدى : أى لأجلكما : وقال العكبرى : متعلق بمحذوف تقديره بت عائداً بالله أن يقع بكما وفيكما : أى بينكما ؛ ومنه : أى من الخلف . والعادى الظالم ، يقال : عدا عليه : فهو عاد عدواً وعداء ، ومنه قوله تعالى « فيسبوا الله عدواً بغير علم » وأصله تجاوز الحد بالظلم . يقول : أعوذ بكما من وقوع الخلف بينكما ومن كيد أهل البغى والعدوان الذين يريدون بكما السوء .

(٤) اللب العقل . والأصيلين : الراسخين أو الجيدين ؛ وصم الرماح : صلابها . والجياد : الخيل . يقول : وأعوذ بما لكما من اللب الأصيل أن تختلفا فتصيرا طائفتين تقتتلان ، فتحول الرماح بين خيلكما التى هى جماعة واحدة فتصير جماعتين .

(٥) يقول : وأعوذ بكما أن يقتل بعضكم بعضاً بما تدخرانه من السلاح ، فيصير الصديق الذى يشقى به عدواً ؛ لأن السلاح إما يعد للأعداء لالأصدقاء ، فإذا قتل به بعضكم بعضاً فقد صرتم أعداء . فالولى : الصديق ، والعتاد : العدة : أى الشيء الذى تعده لأمر ماوتهيه له ، يقال أخذ للأمر عدته وعتاده : أى أهفته وآلته . قال الجوهري وربما سموا القدح الضخم عتادا ؛ وأنشد أبو عمرو :

فَكَلَّ هَنِيئًا ثُمَّ لَا تُزْمَلِ وَادْعُ هُدَيْتَ بَعْتَادِ جُنْبَلِ

هَلْ يَسْرَنَ بَاقِيًا بَعْدَ مَاضٍ
مَا تَقُولُ الْعِدَاةُ فِي كُلِّ نَادٍ^(١)
مَنْعَ الْوُدِّ وَالرَّعَايَةِ وَالشُّوْءُ دُدُّ أَنْ تَبْلُغَا إِلَى الْأَحْقَادِ^(٢)
وَحَقُوقُ تَرْقُقُ الْقَلْبَ لِلْقَلْبِ وَلَوْ ضُمْنَتْ قُلُوبَ الْجَمَادِ^(٣)
فَعَدَا الْمَلِكُ بَاهِرًا مَنْ رَأَهُ شَاكِرًا مَا أَتَيْتُمَا مِنْ سَدَادِ^(٤)

(الجنبل : قدح غليظ من خشب) .

(١) يقول : إذا اقتتلتما وأفنى أحكما الآخر فهل يسر الذى يبقى منكما أن يتحدث الأعداء فى المحافل بغيره وتركه حرمة صاحبه ؟ وهذا استفهام إنكارى ، أى لا يسر الباقى منكما ذلك . هذا : والعداة جمع عدو ، وكذلك العدى ، قال ابن السكيت : لم يأت فعل فى النعوت إلا حرف واحد ، يقال هؤلاء قوم عدى ؛ وأنشد لسعد بن عمرو بن حسان :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدَى لَسْتَ مِنْهُمْ

فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيْبٍ

(٢) الرعاية : حفظ العهود ؛ والسؤدد : السيادة ؛ والحدق : الضغن . يقول : إن ما بينكما من الود ورعاية الحقوق وما فيكما من النبل والسؤدد — كل أولئك يمنعكم من أن يحقد أحكما على صاحبه ويصر على عدائه إياه .

(٣) وحقوق . عطف على الود . يقول : ويمنع أن يحقد أحكما على صاحبه تلك الحقوق — حقوق التربية وقيام كافر بأمر ابن الأخشيد — وهو طفل — تلك الحقوق التى لو كانت فى قلب الحماد لرق بعضه لبعض .

(٤) يقول : باتفاقكما وتصافيكما أب إلى الملك بهاؤه وروثقه ، ومن ثم شكر لكما حسن صنعكما وما كان منكما من صواب . « هذا » : ويقال بهره يهره بهرا : أى قهره وعلاه وغلبه ، وبهرت فلانة النساء غلبتهن حسنا ؛ وبهر القمر النجوم : غمرها بضوئه . قال ذو الرمة يمدح عمر بن هيرة :

مَازَلْتَ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مُرْتَقِيًا تَنْمِي وَتَسْمُو بِكَ الْفُرْعَانُ مِنْ مُضَرَا

فِيهِ أَيْدِيكُمَا عَلَى الظَّفْرِ الحُلُوِّ وَأَيْدِي قَوْمٍ عَلَى الأَكْبَادِ (١)
هَذِهِ دَوْلَةُ المَكَارِمِ والرَّأْفَةِ وَالمَجْدِ والنَّدَى والأَيْدَى (٢)

حَتَّى بَهَّرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أُمَّةٍ لَا يَعْرِفُ القَمْرَ (١)
والسداد - بفتح السين - الصواب ؛ يقال: إنه لدوسداد في منطقته وتدييره : أى
إصابة ؛ وكذلك في الرمي ، يقال: سد السهم يسد إذا استقام ، واستد الشيء : أى استقام قال:

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي (٢)
أما السداد - بكسر السين - فهو كل شيء سددت به خلا ، ولهذا سمي سداد
القارورة - بالكسر - وهو صمامها لأنه يسد رأسها ؛ وسداد الثغر - بالكسر - إذا
سد بالخليل والرجال . قال العرجي :

أضاعوني وأى فَنَّى أضاعوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرٍ
قال الجوهري : وأما قولهم: فيه سداد من حرز وأصبت به سدادا من عيش : أى
ماتسد به الخلة : فيكسر ويفتح ، والكسر أفصح :

(١) فيه : أى في هذا الصلح ، أو تقول : أى فيما أتيتا من سداد ، وعلى الظفر
وعلى الأكباد: متعلقان بمحذوف ، والتقدير ثابتة . يقول : في هذا الصلح أو في هذا السداد
الذى أتيتما وضعتما أيديكما على الظفر الحلو ، ووضع الحاسدون أيديهم على أكبادهم تألما
مما فعلتا وحسرة على إحقاق مسعاهم ، وجعل هذا الظفر حلواً إذ لم ترق فيه الدماء .
(٢) الندى : الجود ؛ والأيدى : النعم . يقول : إن دولتكم دولة الأشياء التي
ذكرت فلا تعرضنها للخلاف .

(١) حتى بهرت : أى علوت كل من يفاخرك فظهرت عليه ؛ وقد أورد
الجوهري : وقد بهرت ، قال ابن بري : وصوابه حتى بهرت ، قال : وقوله على أحد :
أحد : ههنا بمعنى واحد ، لأن أحداً المستعمل بعد النفي - في قولك ما أحد في الدار -
لا يصح استعماله في الواجب « المثبت » .

(٢) قال ابن بري : رأيت هذا البيت في شعر عقيل بن علفة يقوله في ابنه عميس
حين رماه بسهم ، وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى وشلت منك حاملة البنان
قال الأصمعي : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء .

كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْسُ

- سُ ، وَعَادَتْ وَنُورُهَا فِي أُرْدِيَادٍ^(١)
 يَرْحَمُ الدَّهْرَ رُكْنَهَا عَنْ أَذَاهَا بِفَتَى مَارِدٍ عَلَى الْمُرَادِ^(٢)
 مُتَلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِي أَبِي عَالِمٍ حَازِمٍ شَجَاعِ جَوَادِ^(٣)
 أَجْفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أَبِي الْمَسْكَ وَذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْعِبَادِ^(٤)

(١) كسفت الشمس وكسفها الله : يتعدى ولا يتعدى ، قال جرير :

فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
 يعنى جرير : أنها طالعة تبكى عليك ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لأنها في
 طلوعها خاشعة باكية لا نور فيها . وروى الليث هذا البيت :

الشَّمْسُ كَاسِفَةٌ لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
 وقال : أراد ما طلع نجم وما طلع قمر ، وهذا كما تقول : لا أتيك مطر السماء : أى
 ما مطرت السماء ، وطلوع الشمس : أى ما طلعت الشمس . وفي هذا سمع بعضهم ابن
 الأعرابي يقول : تبكى عليك نجوم الليل والقمر : أى ما دامت النجوم والقمر . والمراد
 بكسوف الدولة ما كان بينهما من الوحشة . يقول : كان ذلك مدة قصيرة كما تكسف
 الشمس مديدة ، ثم انجلى فعادت الدولة بعودة صفائهما وهى آنق وأجمل كالشمس إذا
 ذهب كسوفها عادت أبهى وأنور .

(٢) يعنى بـ «ركنها» : قوتها وسعادتها . يقول : إن ركن هذه الدولة يدفع الدهر عن
 أذاها بفق مارد على المراد — يعنى كفوراً — أى أنه لا ينقاد لمن تمرد
 عليه وطغى ، وإنما يعصف به عصفاً « هذا » والمراد من الرجال : العاتى الشديد ؛
 وقد مررد يمررد مرودا ومرادة : فهو مارد ومريد ؛ والمريد : الشديد المرادة ، مثل السكير
 وأصله من مرده الجن والشاطين . أو تقول : المارد الحبيث . قال تعالى : « من كل
 شيطان مارد » والمراد : جمع مريد .

(٣) أى متلف للأموال بالعطاء ، ومعوضها بسيفه . وأبى ؛ أى أنوف عزيز النفس
 يأبى الذل . وعالم : أى بتدبير الرعية وبالْحَرْبِ . والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ
 فيه بالثقة . والجواد : السخى . يقول : يدفع الدهر عن أذاها بفتى هذه صفاته .

(٤) أجفل الناس : أسرعوا فى الهرب . يقول : أسرع الناس ذاهبين عن طريقه

كَيْفَ لَا يُتْرَكُ الطَّرِيقُ لِسَيْلٍ

ضَـضِيقٍ عَنِ أَتْيِهِ كُلِّ وَادٍ (١)

وقال يهجوهم في يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة
خمسین وثلاثمائة (*) :

عِيدٌ بِأَيَّةٍ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرِ فَيْكَ تَجَدِيدُ (٢)

فتركوه له ولم يعارضوه لقصورهم عنه ، وذلت له رقاب الناس فملكهم . قال ابن جنى :
ولو انقلب لكان هجوا .

(١) الأتى : السيل ، يأتي من موضع بعيد إلى آخر . يقول : كيف لا يترك الطريق
لسيل يضيق عن مائه الوادى . ومتى كان الماء غالبا وضاق عنه بطن الوادى فكل موضع
أتى عليه صار طريقاً له . وهذا مثل . يقول : إن كافورا يغلب غلبة السيل الأتى والسيل ،
لا يرد عن وجهه ، كذلك هو لا يعارضه أحد ، قال العكبرى : من روى ضيق - بالخفض -
جعلناه نعتا لسيل ، وهذا كقولك : مررت برحل حسن وجهه ، وهذه صفة سببية ؛ ومن
روى ضيق - بالرفع - فهي جملة ابتداء ، وخبر ، وهى فى موضع جر صفة لسيل ؛ وعن
أبيه : يتعلق بضيق .

* أقام المنبى بمصر - بعد أن قال قصيدته البائية - عاما لا يأتي كافورا ولكن يسير
معه فى الموكب لثلاث يوحشه وتذهب ظنون كافور مذاهبا ، وفى الوقت نفسه يعمل فى
خفية على الرحيل عنه ؛ فأعد الإبل وخفف الرحل وقال هذه القصيدة فى يوم عرفة قبل
رحيله بيوم واحد .

(٢) عيد : خبر مبتدأ محذوف : أى هذا عيد : وقوله : بما مضى ، أى أبما مضى ؟
يقول : هذا اليوم الذى أنا فيه عيد ، ثم أقبل يخاطب العيد فقال : يا عيد بأية حال
عدت ؟ أى مع أية حال عدت على ؟ وأية حال أعدتها على أبا الحال التى عهدتها من قبل ،
أم أحدث فىك أمر جديد؟ . وقال العكبرى : الباء فى قوله : بأية ، يجوز أن تكون للتعدية
فيكون المعنى : أية حال . « هذا » والعيد : واحد الأعياد . قال الجوهرى : وإنما
جمع بالياء - وأصله الواو - للزوم الياء فى الواحد ، ويقال للفرق بينه وبين أعواد
الحشب ، وهو من عاد يعود . قال ابن الأعرابى : سمي العيد عيدا لأنه يعود كل سنة
بفرح مجدد ، وأصل العيد : ما اعتادك من هم وشوق ونحوهما ؛ قال الشاعر :

أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ
فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدًا^(١)
لَوْلَا الْعُلَى لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا
وَجَنَاءُ حَرْفٌ وَلَا جَرْدَاءُ قَيْدُودٌ^(٢)
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَةً أَشْبَاهُ رَوْثِقِهِ الْغَيْدُ الْأَمَالِيدُ^(٣)

* والقلبُ يعتاده من حبِّها عيد *
وقال يزيد بن الحكم الثقفي يمدح سليمان بن عبد الملك :

أَمْسَى بِأَسْمَاءِ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عَيْدَا
كَأَنِّي يَوْمَ أَمْسَى مَا تَكَلَّمَنِي ذُو بُغْيَةٍ يَبْتَغِي مَا لَيْسَ مَوْجُودَا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانِ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لَنَا سُنَّةَ الْعَيْنِينَ وَالْجَيْدَا
والشاهد : في قوله: يعتاده عيداً؛ ونصبه لأنه في موضع الحال، تقديره: يعتاده السكر
عائداً؛ وقد أسلفنا القول على ذلك :

(١) البيداء: الفلاة، جمعها بئيد. سميت بذلك لأنها تبيد سالكها. يتأسف على بعد أخته عنه
يقول : أما الأحبة فبعيدون عني ، فليتك أيها العيد كنت بعيدا عني وكان ما بيني وبينك
من البعد ضعف ما بيني وبين الأحبة؛ يعني أنه لا يسر بعود العيد مع بعد الأحبة كما قال الآخر:

مَنْ سَرَّهُ الْعَيْدُ الْجَدِيدُ فَمَا لَقِمْتُ بِهِ الشَّرُّورَا

كَانَ السَّرُّورُ يَتِمُّ لِي لَوْ كَانَ أَحْبَابِي حُضُورَا

(٢) جاب المكان يجوبه : قطعه ؛ ووجناء : فاعل تجب ؛ والوجناء : الناقة الصلبة
الشديدة ، مشتقة من الوجين . التي هي الأرض الصلبة أو الحجارة . وقيل : هي العظيمة
الوجنتين . والضمير في بها : للوجناء ؛ والحرف : الضامرة . والجرداء : الفرس
القصير الشعر ؛ والقيدود : الطويلة ؛ وما - من قوله ما أجوب بها - اسم موصول في
موضع نصب : أي الفلاة التي أجوب . يقول : لولا طلب العالم أفرار أحبتي ، ولم
تقطع بي ناقة ولا فرس ما أجسمها قطعه من الفلوات . وقال الواحدى : ما أجوب بها :
يعني الفلاة ، كناية عن المراحل .

(٣) العيد : جمع عيداء ، وهي المثنية لنا ، والأماليد : الناعمت المستويات القامات :

لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَيْدِي
 شَيْئًا تَنْيِمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدٌ^(١)
 يَا سَاقِيَّ أَحْمَرَ فِي كُؤُسِكَمَا أُمُّ فِي كُؤُسِكَمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدٌ^(٢)
 أَصْخَرَةٌ أَنَا؟ مَالِي لَا تَحْرَكُنِي هَذِي الْمَدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ^(٤)
 إِذَا أَرَدْتُ كَمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودٌ^(٥)

غلام أملود وجارية أملودة : والأملود — في الأصل — الغصن الناعم: يقول : ولولا طلب العلى لما اخترت مضاجعة السيف وعدلت عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونق السيف في بياض بشرتهن وتقائهما . وقوله مضاجعة : روى معانقة ، وهو تمييز .
 (١) تيمه الحب : عبده وذلة ؛ والجيد : العنق . يقول : إن الدهر بأحداثه ونوابه جرد قلبه من هوى العيون والأعناق فلا ينزع إليها لأنه ترك اللهو والغزل وتجرد للجد والإشاحة والتشمير .

(٢) يقول — لساقيه — : أحمر ماتسقانيه أم هم وسهاد ؟ يعنى ما أشربه لا يزيدنى إلا هما وسهرا ، لأن قلبى مفعم بالمحوم فليس فيه موضع للطرب والمرح . وذلك لان أحبته بعيدون عنه ؛ أولأنه وافر اللب لا يؤثر فيه الشراب

(٣) اللدام : الخمر ؛ والأغاريد : الأغاني . وقوله : لا تحركنى ، حال من الياء فى مالى . يتعجب من حاله وأن الخمر والغناء لا يطربانه ولا يؤثران فيه حتى لكانه صخرة صماء لا يؤثر فيها الشراب والغناء « هذا » وأصل الغرد التطريب فى الصوت والغناء . وغرد الإنسان : رفع صوته وطرب ، وكذلك الحمامة والمكاء والديك والذباب ، والتغريد والتغريد أيضا صوت معه بحج ، وقد جمعها امرؤ القيس فى قوله يصف حماماً :

يُغَرِّدُ بِالسَّحَارِ فِي كُلِّ سُدْفَةٍ تَغَرَّدُ مَرِيحُ النَّدَايِ الْمُطَرَّبِ

وقال الأصمعي : التغريد الصوت :

(٤) الكميت : الأحمر فيه سواد ؛ يوصف به الذكر والؤنث ، ويريد خمرأ كميت اللون . وفى رواية : كميت الخمر . يقول : إذا طلبت الخمر وجدتها ، وإذا طلبت الحبيب لم أجده : يتشوق إلى أحبته يقول : إن الخمر لا تطيب إلا مع الحبيب . وحبيبي بعيد عني فلا معنى إذن للشراب . وقال ابن جنى : حبيب القلب عنده المجد ، وإذا تشاغل بشرب الخمر فقد المعالى . ويجوز أن يكون عني بحبيب النفس : أهله . لبعده عنهم . ولمناسبة الكميت قال سيويوه : سألت الخليل عن الكميت فقال : هو بمنزلة جميل — يعنى الذى

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبَهُ أُنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسُودٌ^(١)
 أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خَازِنًا وَيَدًا أَنَا الْغَنِيُّ وَأُمُورِي الْمَوَاعِيدُ^(٢)
 إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَلَفِيهِمْ عَنِ الْقَرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودٌ^(٣)

هو البلبل — وقال: إنما هي حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها — صغروها — لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما، فيقال له: أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب، وإنما هذا كقولك: هو دوين ذاك.

(١) أعجبه: مبتدأ، خبره ما بعده ورواية الواحدى: وأعجبها: كأن الضمير للدنيا والتذكير أوجه. يشكو مالمقيه من تصارييف الدهر ونوازل الدنيا وأحوالها، ثم يقول: وأعجب ما لقيته منها أنى محسود بما أشكوه وما أنا بك منه — يعنى انتجاعه كافوراً وانقطاعه إليه — يريد أن الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكاته وبكائه. قال العكبرى: وهذا من قول الحكيم: استبصار العقلاء ضد لتنى الجهلاء فالجاهل يحسد العاقل على ما يبيكه. قال الحلال التى يبيكى العاقل منها يحسده الجاهل عليها. ولقد نظمه أبو الطيب فأحسن، ومنه: رب مغبوط بدواء هو داؤه.

(٢) أروح: من الراحة. وخازنا ويذا: منصوبان على التمييز. والمثرى: الغنى. واثراء: المال. يقول: إننى من الأغنياء ذوى الثراء، ولكن خازنى ويذى فى راحة من تعب حفظ المال، لان أموالى إنما هى مواعيد كافور، وهى أموال لا تحتاج لحفظها إلى يدى وخازنى. قال العكبرى: وهذا من قول الحكيم: لاغنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانى،

(٣) يقول: إنهم كذابون: فلاهم يقرونه، ولاهم يتركونه يرحل عنهم. هذا؛ والقرى: قري الضيف. تقول: قريت الضيف قري، مثال قليته قلى وقراء: أحسنت إليه: إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت: ومحدود: أى ممنوع. تقول: حددت فلانا عن الشر: أى منعته؛ ومنه قول النابغة:

إلا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ قُمْ فِي الْيَرِيَّةِ فَاحْدِدهَا عَنِ الْفَنَدِ

والحداد: البواب والسجان لأنهما يمنعان من فيه أن يخرج. قال الشاعر:

يقول لى الحداد وهو يقودنى إلى السجن لا تفرع فما بك من باس
 وهذا أمر حدد: أى منيع حرام لا يحل ارتكابه. ومن ذلك الحدود، لأنها تمنع

الحدود عن المعاصى

جُودُ الرَّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ
 مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ^(١)
 مَا يَتَّبِعُ الْمَوْتَ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ
 إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُدُ^(٢)
 مِنْ كُلِّ رِخْوٍ وَكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِقٍ لَا فِي الرَّحَالِ وَلَا النَّسْوَانِ مَعْدُودُ^(٣)
 أَكَلَمًا اغْتَالَ عَبْدُ الشُّوءِ سَيِّدَهُ
 أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ^(٤)

(١) يقول : إن هؤلاء الكذابين إنما يجودون بالمواعيد ولا يجودون بالمال على خلاف اليهود ، فإن الأجواد إنما جودهم بالعطاء ، ثم دعا عليهم فقال : لا كانوا ولا كان جودهم ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

وأقل الأشياء محصولَ نَفْعٍ صِحَّةُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالُ مَرِيضُ
 فالضمير في جودهم ؛ للكذابين . وقوله : ولا الجود ، عطفه على الضمير المتصل
 للفصل بلا ، كما في قوله تعالى « ما أشركنا ولا آباؤنا » .

(٢) هذا مثل ، يقول : إن أرواحهم من النتن والقدارة خسة ولو ما بحيث إذا أراد الموت قبضها لم يباشرها بيده ، وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة .

(٣) يريد أنه - أي كافورا - خصى هو والخصيان الذين كانوا معه . والوكاء : ما تشد به القربة ، ومعنى رخو وكاء البطن : أنه ضراط فساء لا يوكى على مافي بطنه من الريح . والمنفتق : الواسع الجلد لكثرة لحمه ، كأنه انفتق وانشق . وقوله : لا في الرجال الخ : أي لا هو معدود في الرجال ، إذ لا ذكر له ولا لحيه ، ولا في النساء : إذ لا فرج له .

(٤) اغتاله : قتله غيلة ، وأخذته على غفلة . يشير إلى ما فعله كافور بالأخشيذ وقتله إياه واستقلاله بملك مصر بعد ، يقول : أكلنا أهلك عبد سوء سيده مهد أمره في مصر وملكه أهلواها عليهم وانقادوا له وأطاعوه . وهذا استفهام إنكار : أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا .

صَارَ الْخَصِيَّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبِدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودٌ^(١)
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفَنَّى الْعَنَاقِيدُ^(٢)
الْعَبْدُ لَيْسَ حُرًّا صَالِحًا بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودٌ^(٣)
لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ
إِنَّ الْعَبِيدَ لِأَنْجَاسٍ مَنَاقِيدُ^(٤)

(١) الآبق : الهارب من سيده . ومستعبد : مذل . ومعبود : مطاع يقول : إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافر عنده وأحسن إليه لأنه مثله في الحيانة والتمرد على سيده ، فهو إمام الآبقين .

(٢) النواطير : جمع ناطور ، وهو في الأصل حافظ الزرع والتمر والكرم ، قيل إنها عربية ، وقيل من كلام أهل السواد . قال ابن جنى : أقره التنبي بالمهمله ، والمعروف بالمعجمة لأنه من نظرت ، وقيل ، هو بالعربية بالمعجمة - نواطير - وبالنبطية - بالمهمله - والمراد هنا بنواطير مصر : ساداتها وأشرافها ، والمراد بثعالبها : عبيدها وأرذلها ، وبالعناقيد : الأموال . وبشم فلان : أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل . يقول : لقد غفلت سادات مصر عن أرذلها حتى عاثوا في أموال الناس وأكلوا فوق الشبع . ثم قال وما تفنى العناقيد .. يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال ، وأنهم كلما نهبوا شيئاً جد لهم غيره ، فلا ينفكون يطلبون المزيد .

(٣) يقول : إن العبد لا يؤاخي الحر ، لما بينهما من التباين في الأخلاق ، ولو ولد العبد في ملك الحر ، وهذا إغراء لابن سيده . يريد أن كافوراً وإن أظهر له الود فليس له مضاف مخلص . فقوله : لو أنه . يريد : ولو أنه ، فحذف ، والجملة في موضع الحال وقوله في ثياب الحر : قال الواحدى : أى وإن ولد العبد في ملك الحر ؛ وعلى هذا قال في الحر : للعهد ؛

(٤) المناكيد : جمع منكود ، وهو القليل الخير . يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والهوان . قال بشار :

* الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ *

وقال الحكم بن عبد الأسدى :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ يُسَىءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مُحَمَّدٌ^(١)
وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَقِدُوا
وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودٌ^(٢)
وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدِ الْمَثْقُوبِ مِشْفَرُهُ^(٣)
تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدِ^(٤)
جَوْعَانُ يَا كُلُّ مَنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي
لَكِنِّي يُقَالُ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودٌ^(٥)

والعبدُ لا يطلبُ العلاءَ ولا يُرضيكَ شيئاً إلا إذا رهباً
مِثْلُ الْحَمَارِ الْمَوْجِعِ الظُّهْرِ لا يُحْسِنُ الْمَشْيَ إلا إذا ضُرِباً^(١)
(١) أحسبني : أى أحسب نفسي ، ويقال أساء به وأساء إليه ، قال كثير عزة :
* أسيتى بنا أو أحسنى لا ملومة *
ويجوز أن يكون يسىء بى على معنى يهزأ بى ويسخر منى ، فعداه بالباء على المعنى ،
لا على اللفظ ، يقول : ما كنت أظن أجلى يمتد بى إلى زمن يسىء إلى فيه شر الخليفة ،
وأراني مع ذلك مضطراً إلى مدحه وحمده ، ولا أستطيع أن أظهر الشكوى .

(٢) كناه بأبي البيضاء سخريه منه . يقول : ولم أتوهم أن الكرام فقدوا حتى خلت
البلاد لمن شاءها ، ولا أن مثل هذا موجود حتى رأيت على عرش مصر .
(٣) العضاريط : جمع عضروط ، وهو الذى يخدم الناس بطعام بطنه ؛ والرعيدي :
الجبان ، وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً له فى عظم مشافره بالبعير الذى يثقب مشفروه للزمام ؛
والمشفر - فى الأصل - شفة البعير . يقول : ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر
يستعوى هؤلاء اللئام الأندال الذين حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه . يريد بوصفهم
بالعضاريط الرعايد تقريعبهم على طاعتهم إياه ، وأنهم قد صاروا بهذه الطاعة كذلك .
(٤) وصفه بالجوع على معنى أنه للؤمه وشحه لا تسخو نفسه بشيء ولا يبض حجره .
وقوله : يأ كل من زادى ، قال الواحدى : لهذا وجهان : أحدهما أن المتنبي أتاه بهدايا
وألطف ولم يكافئه عنها ، والآخر : أن المتنبي كان يأ كل من خاص ماله عنده وينفق

(١) الموقع الظهر : الذى به آثار الدبر ، والدبر : الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة .

على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئاً ومنعه من الطلب ، وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئاً من غلمانته وخدمته ثم أخذه ولم يعطه شيئاً . يقول : هو يسكنى عنده كي يتجمل بقصدى إياه فيقول الناس إنه عظيم القدر يقصده المنتبى مادحا « هذا » وقوله جوعان . يقال جائع وجوعان ، وجمع جوعان جوعى ، وجباع ؛ وجمع جائع : جوع . وقوله عظيم القدر : خبر عن محذوف : أى هو عظيم القدر . وقوله لكي يقال : قال العكبرى الكوفى : كي حرف ناصب ، وذهب البصريون إلى أنها يجوز أن تكون حرفاً خافضاً ؛ وحجتنا أنها من عوامل الأفعال ، وما كان من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف جر لأنه من عوامل الأسماء ؛ وعوامل الأسماء لا تكون من عوامل الأفعال . والدليل على أنها ليست حرف جر : دخول اللام عليها ؛ كقولك أتيتك لكي تكرمنى ، وهذه اللام عندهم حرف جر ، وحرف الجر لا يدخل على حرف الجر ؛ وأما قول القائل :

فلا والله لا يُبقي لما بى ولا للمأ بهم أبدا دواء^(١)

فمن الشاذ المصنوع الذى لا يعرج عليه ؛ وإذا قيل إنها تدخل على ما الاستفهامية كما يدخل عليها حرف الجر في قوله : كيمه ، كما تقول : له — قلنا : مه من « كيمه » ليس لكي فيه عمل ، وليس هو في موضع خفض ، وإنما هو في موضع نصب لأنها تقال عند ذكر كلام لا يفهم . كقولك : أقوم كي تقوم ، فيسمعه المخاطب ، ولم يفهم تقوم فيقول : كيمه ؛ أى كيمه . والتقدير كي تفعل ماذا ، فحذف تفعل ، فمه في موضع نصب على مذهب المصدر والتشبيه به ، وليس لكي فيه عمل . وحجة البصريين دخولها على ما الاستفهامية لدخول اللام عليها فيقولون كيمه : كما يقولون له ، وهى في موضع جر ، لأن ألف ما الاستفهامية لا تحذف إلا إذا كانت في موضع جر واتصل بها الحرف الجار : كقولهم : لم وبم وفيم ، وإذا وقعت في صدر الكلام لا تحذف كقولك : ما تريد وما تصنع ؛ وذهب أصحابنا إلى أن لام كي هى الناصبة للفعل من غير تقدير أن ، نحو قولك جئتك لتكرمنى ؛ وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل أن مقدره بعدها . وحجتنا أنها قامت مقامها . ولهذا تشتمل على معنى كي ، فكما تنصب كي الفعل فكذلك اللام . وحجة البصريين أن اللام

(١) من قصيدة لمسلم بن معبد الوالى شاعر من شعراء الدولة الأموية .

يقول ، لا يوجد شفاء لما بى من الكدر ولا لما بهم من داء الحسد

« أنظر القصيدة في خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٢٧٠ سلفية »

إِنَّ أُمَّرَأَةً أُمَّةٌ حُبَلَى تَدْرِيهِ لِمُسْتَضَامٍ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْثُودٌ (١)
 وَيَلْمَهَا خُطَّةً وَيَلْمُ قَابِلَهَا لِمِثْلِهَا خَلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ (٢)
 وَعِنْدَهَا لَذَّةٌ طَعَمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ إِنَّ الْمَنْيَّةَ عِنْدَ الذَّلِّ قِنْدِيدٌ (٣)
 مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً
 أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ أُمَّ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ (٤)

من عوامل الأسماء ولا يجوز أن تكون من عوامل الأفعال ، فوجب أن يكون الفعل منصوباً بأن مقدرة لأنها تكون مع الفعل بمنزلة المصدر الذي يحسن أن يدخل عليه حرف الجر . هذه حجة حسنة لهم .

(١) المستضام : الذي أدركه الضيم ، وهو الظلم . ورجل مفثود : جبان ضعيف الفؤاد ، مثل النخوب . والمفثود أيضاً : الذي لا فؤاد له ولا فعل ، والمفثود : الذي أصيب فؤاده بوجع . وسخين العين : محزون . جعل الأسود أمة لفقدانه آلة الرجال لأنه خصى ، وجعله حبلى لعظم بطنه . وهذا تعريض بابن سيده . يقول : إن الذي آل تديره إلى من هذه صفته لمظلوم مفثود وسخين العين يرثي لحاله .

(٢) ويلمها : كلمة تقال عند التعجب وأصلها : وى لأمها ، ثم حذفت الهمزة ، واللام تسكسر على الأصل وتضم على حذف حركتها ، وإلقاء حركة الهمزة عليها وفي الحديث في قوله لأبي بصير . « ويلمه مسعر حرب » . . تعجبا من شجاعته وجرأته وإقدامه . ومنه حديث علي : ويلمه كيلا يغير ثمن لو أن له وعا . . أى يكيل العلوم الجملة بلا عوض إلا أنه لا يصادف واعياً . وهى - كما قلنا - كلمة تعجب . وينصب ما بعدها على التمييز . والخطبة : الأمر والشأن . والمهريّة : المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، بطن من قضاة تنسب إليه الإبل . والقود : الطوال الظهور والأعناق . يقول : ما أعجب هذه الحال وما أعجب من يقبلها ، وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها .

(٣) القنديد : عصارة قصب السكر إذا جمد ، والحجر ، وقيل : القنديد ، عصير عنب يطبخ ويجعل فيه أفواه من الطيب . يقول : عند هذه الحال - طاعة الأسود والاستخذاء له والنزول على حكمه - يستلذ طعم الموت ، لأن الموت أيسر من ذلك الذل . ولد الشيء : وجده لذيذا .

(٤) البيض هنا : الكرام : أى يبيض الأعراض . والصيد الملوك . يقول : إن هذا الأسود لا يعرف المكرمة ما هى ، لأنه عبد أسود لم يرث آباءه مجدداً ولا مكرمة .

أَمْ أُذُنُهُ فِي يَدِي النَّحَّاسِ دَامِيَةً أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَسِيِّنِ مَرْدُودٌ^(١)
أَوْلى اللِّثَامِ كَوَيْفِيرٌ بِمَعْدِرَةٍ فِي كُلِّ لَوْيْمٍ وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدٌ^(٢)
وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةً
عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخُصِيَّةُ الشُّودُ^(٣)

* * *

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، ويهينه بعيد النيروز ،
ويصف سيفاً قلده إياه ، وفرساً حمله عليه ، وجائزة وصله بها ، وكان قد عاب قصيدته
الرأئية الآتية:

جَاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ ، وَوَرَّتْ بِاللَّيِّ أَرَادَ زِنَادُهُ^(٤)

(١) النحاس . بياع الرقيق . والفلس : قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها ،
ودامية : حال . وبالفلسين : متعلق بمردود . وأذنه - بسكون الذال ، وضمها - لغتان .
يقول : إنه مملوك اشترى بثمان ، إن زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لحسته . وهذا غاية
في التحقير لشأنه .

(٢) التفنيد : اللوم وتضعيف الرأي . وكويفير : تصغير كافور ، والمراد : التحقير .
يقول : هو أولى اللثام بأن يعذر على لؤمه لخبث أصله وخسة قدره وعجزه عن المكارم ،
وهذا العذر لوم له وهجاء وتوبيخ على الحقيقة . وقد صرح بعذره في البيت التالي :

(٣) الخصية : جمع خصى . يقول : إن الكرام عاجزون عن فعل الجميل فكيف
يقدر عليه اللثام . ! قال الواحدى . عرض في المصراع الأول بغيره من الملوك .

(٤) النيروز : أحد أعياد الفرس . قال في التاج : مغرب نوروز ؛ فردته العرب
إلى فيعول ، حتى يكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما . وهو أول يوم من السنة
عند حلول الشمس في أول الحمل . والزناد : جمع زند ، وهو الحجر يقندح به : وورى
الزند إذا أخرج نارا ، وورى الزناد - كناية عن بلوغ المراد ؛ تقول العرب: ورت بفلان
زنادى : أى أدركت به حاجتى ومرادى . يقول : جاء هذا اليوم وأنت مراده ومقصوده
بمجيئه تيمنا بطلعتك ، وقد تحقق مراده وظفر به حين وفد عليك وراك .

هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَآلَهَا مِنْكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنْ الْحَوْلِ زَادُهُ (١)
يَنْثَنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ نَظِرٌ أَنْتَ طَرَفُهُ وَرُقَادُهُ (٢)
نَحْنُ فِي أَرْضِ فَارِسٍ فِي سُورٍ ذَا الصَّبَاحِ الَّذِي نَرَى مِيلَادَهُ (٣)
عَظَمَتُهُ مَمَالِكُ الْفَرَسِ حَتَّى كُلِّ أَيَّامِ عَامِهِ حُسَّادُهُ (٤)
مَا لَبِسْنَا فِيهِ إِلَّا كَالِيلَ حَتَّى لَبِسْتَهَا تِلَاعُهُ وَوَهَادُهُ (٥)

(١) زاده - آخر البيت - خبر هذه . يقول : هذه النظرة التي ظفر بها النيروز منك اليوم إنما تزودها إلى أوان مثلها من العام القابل - أي أنها له كالزاد يعاش به : لأنه لا يزورك إلا مرة واحدة في كل عام .

(٢) ناظر : فاعل ينثني ؛ والناظر : العين . يقول : عند انسلاخ هذا اليوم ينثني عنك ناظره الذي أنت ضياؤه وطيبه فيفارقك على حزن وأسف . وقال ابن جنى : إذا انصرف عنك هذا اليوم بانتهائه خلف طرفه - أي بصره - ورقاده لديك فبقى بلا ضياء ولا نوم إلى أن يعود إليك ؛ والمعنى أنه يفارقك وهو آسف محزون ، فلا ينام ولا يسر برؤية غيرك حتى يراك ثانياً .

(٣) في أرض فارس : حال من ضمير المتكلمين في الظرف بعده ، وهو خبر نحن وقوله : ذَا الصَّبَاحِ : مبتدأ ؛ وميلاده : خبر ؛ والجملة : صفة لسرور . يقول : نحن في سرور بأرض فارس ، وقد ولد هذا السرور في هذا الصباح - أي صباح عيد النيروز - لأن الناس يفرحون فيه ويمرحون . وقوله : الَّذِي نَرَى ، يروى : الَّذِي يَرَى .

(٤) يقول : إن ممالك الفرس قد عظمت هذا اليوم حتى حسدته كل أيام السنة لتفضيلهم إياه عليها . ومما لك : إما جمع ملك - مثل مشايخ وشيوخ - وإما على حذف مضاف : أي أهل ممالك الفرس .

(٥) التلاع : جمع تلعة ، وهي ما ارتفع من الأرض . والوهاد : جمع وهدة ، ما انخفض من الأرض . والأكاليل جمع إكليل ، وهو في الأصل ما يجعل على الرأس كالتاج . قالوا : كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجلس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والزهر فيضعوها على رؤوسهم . يقول المتنبي : ما لبسنا الأكاليل في هذا اليوم حتى كسيت الأرض - جبالها ووهادها - مثل الأكاليل من النبات والأزهار . والإضافة في «تلاعه ووهاده» : على معنى « في » ؛ والضمير : للنيروز . والبيت من قول أبي تمام :

عِنْدَ مَنْ لَا يُقَاسُ كِسْرَى أَبُو سَا عَرَبِيٌّ لِسَانُهُ ، فَلَسَنِي كَلِمًا قَالَ نَابِلٌ أَنَا مِنْهُ
سَانَ مُلْكَأَ بِهِ وَلَا أَوْلَادُهُ (١)
رَأْيُهُ ، فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهُ (٢)
سَرَفٌ ، قَالَ آخَرُهُ : ذَا أَقْتِصَادُهُ (٣)

حَتَّى تَعْمَمَ صُلْعُ هَامَاتِ الرُّبَا مِنْ نَبْتِهِ وَتَأَزَّرَ الْأَهْضَامُ (١)

وقال ابن جنى : يريد - المتنبى - أن الصحراء قد تكامل زهرها فجعله كالأكليل عليها . . قال العروضى - ناقدا - كيف يصح ما قال - ابن جنى - وأبو الطيب يقول : مالمسبنا ولم يقل ما لبست الصحراء وما يشبه هذا مما يكون دليلا على ما قال ابن جنى . ولكن كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجالس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكليل من النبات والأزهار فيجعلوها على رؤوسهم ، ثم أنشد بيت أبي تمام المتقدم ثم قال : وهذا البيت - بيت أبي تمام - سليم ، ووجه قول المتنبى أنه أراد حتى لبستها تلاعه والتحف بها وهاده ، فيكون من باب علفتها تبنا وماء باردا . ومعنى البيت : أن النبات قد عم الأرض مرتفعها ومنخفضها ؛ وبيت أبي تمام أحسن سبكا .

(١) يقول : إن ملك المدوح - ابن العميد - أعظم من ملك الأكاسرة . وكسرى : لقب الساسانية من ملوك الفرس من ولد كيهمن بن ساسان الأكبر . وكسرى : معرب خسرو ، ومعناه واسع الملك ؛ وتنطقه العرب بفتح الكاف وبكسرها ، وقد أنشدوا بالفتح بيت الفرزدق :

إِذَا مَا رَأَوْهُ طَالَعًا سَجَدُوا لَهُ كَمَا سَجَدَتْ يَوْمًا لِكِسْرَى مَرَازِبُهُ
(٢) يقول : هو عربي اللسان ، ورأيه رأى الفلاسفة ، لأنه حكيم ؛ وأعياده أعياد فارسية كالنيروز والمهرجان . والبيت - كما ترى - مركب من ثلاث جمل : كل جملة مبتدأ وخبر ، قدم فيها الخبر على المبتدأ .

(٣) النائل : العطاء ؛ والسرف : التبذير ؛ ومنه : حال مقدمة من سرف ، والاقتصاد ضد السرف . يقول : إنه كلما بالغ في العطاء - أى أعطى كثيرا - فقال ذلك العطاء البالغ الكثير : أنا سرف منه وتبذير ؛ أتبعه بعطاء أكثر منه وأبلغ يقول - أى هذا العطاء الأكثر - كان العطاء الأول اقتصادا . وهذا تمثيل ، لأن العطاء لا يقول شيئا ،

(١) الأهضام : جمع هضم ، وهو المطمئن من الأرض . . جعل ما على الربا بمنزلة العمامة ، وما على الأهضام بمنزلة الإزار .

كَيْفَ يَرْتَدُّ مِنْكِبِي عَنْ سَمَاءِ وَالنَّجَادُ الَّذِي عَلَيْهِ نَجَادُهُ^(١)
 قَلَدْتَنِي يَمِينُهُ بِحَسَامٍ أَعْقَبْتُ مِنْهُ وَاحِدًا أَجْدَادُهُ^(٢)
 كَلَّمَا أَسْتَلَّ ضَاكَكْتَهُ إِيَاةُ تَزَعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرَادَهُ^(٣)

ولكن يستدل بحاله ، فكأنه قائل . وملخص المعنى : أنه إذا استكثر الناس منه عطاء قل ذلك في جنب ما يتبعه ،

(١) النجاد : حمالة السيف . يقول ؛ كيف أنكل عن مفاخرة ذى نخر ؟ وكيف يقصر منكبي عن أن يزحم السماء علواً والنجاد الذى عليه — أى على منكبي — هو نجاده — أى نجاد المدوح — الذى بلغ بي أقصى الشرف ؟ يشير إلى السيف الذى قلده إياه : وملخص المعنى : أنه تشرف بتقلده سيفه حتى صار يماجد به كل ماجد .

(٢) أعقب الرجل : ترك عقباً ، أى ولداً ، يقول : قلدى سيفاً ماضياً لم تعقب أجداه منه — أى لم تلد من نوعه — إلا واحداً . يعنى هذا السيف نفسه وأراد بأجداد السيف معادن الحديد التى يستخرج منها ، وملخص المعنى : قلدى سيفاً لم يطبع مثله ، فلا نظير له .

(٣) إياة الشمس : ضوءها وشعاعها ونورها وحسنا ، قال طرفة بن العبد :

سَقَّتَهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ إِلَّا لِثَاتِهِ أُسِفَ وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِأَيْمِدِ^(١)

وكذلك الآياء — مفتوح الأول بالمد — والإيا — مكسور الأول ، بالقصر، والآرآد جمع رآد ، وهو ارتفاع الضحى ورويقه ، يقول : كلما جرد هذا الحسام من غمده برقت فى صفحه إياة من الشمس كأنما تضاحكه ، ولشدة بريق الإياة تنخدع الشمس لدى رؤيتها فتحسب الحسام شمساً أخرى قد التعت هذه الإياة من أشعتها . يشير إلى أن شعاع هذا السيف يضاهى شعاع الشمس وأن الشمس تقرب بأن ضوءها كضوءه، والضمير فى أنها : للإياة ، قال الواحدى وإنما جمع الأرآد مع توحيد الإياة حملا على المعنى ، فإن عند كل سلة مضاحكة

(١) من معلقة طرفة . يقول : سقى نعر محبوبته شعاع الشمس : أى كأن الشمس أعارته ضوءها ثم استثنى اللثات ، لأن اللثة — وهى مغرز الأسنان — لا يستحب بريقها ، ثم قال : أسف : أى ذر الإئمد — وهو الكحل — على اللثة ولم تكدم — أى تعض — بأسنانها على شيء يؤثر فيها ، ونساء العرب تذر الإئمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان .

مَثَلُوهُ فِي جَفْنِهِ خَشِيَّةَ الْفَقْدِ فِي مِثْلِ أَثَرِهِ إِغْمَادُهُ (١)
 مُنْعَلٌ لِأَنَّ الْحَفَا ذَهَبًا يَحْمِلُ بَحْرًا فَرْنَدُهُ إِزْبَادُهُ (٢)
 يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لَا يَسْلَمُ مِنْ شَفْرَتَيْهِ إِلَّا بِدَادِهِ (٣)

بينه وبين إياة الشمس . وقال العكبري : يجوز أن يكون أراد جمع رُد ، وهو الترب ، قال كثير ولم يهمز :

وقد دَرَّعُوهَا وَهِيَ ذَاتُ مُوَصَّدٍ مَجْبُوبٍ وَمَا يَلْبَسُ الدَّرْعَ رِيْدُهَا (١)

(١) الأثر : الفرند ، وهو جوهر السيف . ومثله في جفنه : أي جعلوا غمد هذا السيف على مثاله . وذلك بأن غشوه فضة . وقوله : ففي مثل أثره إغماده : يعني أنه يغمد في غمد عليه آثار كأثره . أي فرنده . وهو جوهر السيف - يقول : إن مانسج من الفضة على غمده تصوير وتمثيل لما على متنه من الفرند ، وإنما فعل به ذلك إرادة أن لا تفقده العين إذا أغمد ، بل يكون كأنها ناظرة إليه : أي أنه لحسنه لا يود مالكة أن يفقد منظره بإغماده ، ومن ثم مثله في جفنه . وقال الواحدى : خشية الفقد : يريد أن الناس يقولون : إن هذا السيف عزيز ، فلغزه وخوف فقده غشوا جفنه بالفضة . وقال ابن جنى : صوتاً للجن من الصدا لئلا يأكله . . . وقال الخطيب التبريزى : إنما جعل غمده مشبها له فيقوم مقامه ، وفي معناه :

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم سرايبهم من مثلها والعائم

(٢) منعل : أي ملابس نعلا ، وهو ما يصاغ في طرف الغمد . والحفا : يريد الحفاء - بالمد - وهو المثنى بلا نعل ؛ وذهبا : مفعول ثان لمنعل ؛ والضمير في فرنده : للسيف ؛ ومن إزباده : للبحر . يقول : إن هذا الجفن قد جعل له نعل من الذهب وليس ذلك للحفاء ، وهو يحمل من هذا السيف بحراً ، يعني كثرة مائه ، ولما جعله بحرا جعل تموج الفرند فيه بمنزلة الزبد « هذا » والسيف لا يوصف بالحفاء ، ولكن ذكره افتنانا لإيهام لفظ النعل .

(٣) المدجج : المغطى بالسلاح . والبداد : خشية تجعل في جانب السرج ، وهما بدادان يقول : إذا ضرب به الفارس الملقع في سلاحه قطعه نصفين من فوق إلى أسفل ، وقطع السرج أيضا ، فلا يسلم منه إلا جانب السرج ، لانحرافهما على الجانبين . وقوله : من شفرتيه - والحال

(١) المؤصد : صدار تلبسه الجارية - الوليدة - فإذا أدركت درعت ، وكل شىء قطع وسطه فهو مجبوب ، ومنه سمى جيب القميص .

جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدِيَهُ وَثَنَائِي فَاسْتَجَمَعَتْ آحَادُهُ (١)
وَتَقَلَّدْتُ شَامَةً فِي نَدَائِهِ جِلْدُهَا مِنْفَسَاتُهُ وَعَتَادُهُ (٢)

أن السيف إنما يقطع بشفرة واحدة - لأنه أراد بأى شفرته ضرب، عمل هذا العمل .
(١) يقول : إن الدهر جمع حد هذا السيف ويدي المدوح في الضرب وشعري في وصفه ، فاجتمعت بذلك آحاد الدهر التي لانظير لها ؛ فلا سيف كهذا السيف ولا يد في الضرب به كيد المدوح ولا ثناء كثنائي .

(٢) الشامة : الحال - بثرة سوداء في الجسم حولها شعر . وقوله : في نداء ، أى في جملة نداء : أى جوده : والمنفسات : الأشياء النفيسة ، جمع منفس ؛ والعتاد : العدة ؛ يقول : تقلدت سيفاً هو على نفاسته وجلالة قدره في جنب ما أهدانيه - من نفائس الخيل والثياب والأسلحة - يعد قليلاً كالشامة في الجلد . شبه السيف الذي قلده إياه بالشامة ، وسأرت هداياه بالجلد الذي تكون فيه الشامة . وقد اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت اضطراباً أشفقنا عليهم منه ، لأنهم على أستاذيتهم ذهبوا في تأويله مذاهب بعيدة لم تخطر للمتنبى على بال ، فضلاً أن البيت ينبو بمثلها . وإذا أبيت إلا ذكرها فأليكها . قال الواحدي : حكى أبو علي بن فورجة عن أبي العلاء المعري في هذا البيت قال : يعنى أن الغمد بما عليه من الخلى والذهب أنفس من السيف ، لأنه كان محلى بكثير من الذهب ، فجعل الغمد جلداً ؛ إذ جعل السيف شامة . قال أبو علي : والذي عندي أنه أراد بجلده ظاهره الذي عليه الفرند ، لأن أنفس ما في السيف فرنده ، وبه يستدل عليه في الجودة . وقال أبو الفتح : يعنى أنه يلوح فيما أعطاه كما تلوح الشامة في الجلد لحسنه ونفاسته . وقوله : جلدها منفساته وعتاده : أى ما يلي هذا السيف مما تقدم منه وتأخر كالجلد حول الشامة . وقال أبو الفضل العروضي منكرًا على أبي الفتح : ألم يجد المتنبى مما يحسن في الجسد شيئاً فوق الشامة كالعين الحسناء لكنه أراد أن هذا السيف - على حسنه وكثرة قيمته - كالنقطة فيما أعطاه . ألا تراه يقول جلدها منفساته ؟ أى قدر هذا السيف وهو عظيم القيمة فيما أعطاه كقدر الشامة في الجلد . قال الواحدي : وهؤلاء الذين حكينا كلامهم كانوا أئمة عصرهم ، ولم يكشفوا عن معنى البيت ولا بينوه بياناً يقف المتأمل عليه ويقضى بالصواب ؛ ومعنى البيت : أنه جعل ذلك السيف شامة ، والشامة تكون في الجلد ، ولما سماه شامة سمي ما كان معه من الهدايا - التي كان السيف في جملتها - جلداً ؛ والكناية - في المنفسات والعتاد - يعودان إلى المدوح ؛ وذلك أنه أهدى إليه أشياء نفيسة من الخيل والثياب والأسلحة ، فهو يقول هذا السيف في جملتها شامة في جلد ؛ قال : وقول ابن فورجة هوس لاشيء . وقال ابن

فَرَسْتَنَا سَوَابِقُ كُنَّ فِيهِ فَارَقَتْ لِبَدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهُ (١)
 وَرَجَتْ رَاحَةً بِنَا لَا تَرَاهَا وَبِلَادُ تَسِيرُ فِيهَا بِلَادُهُ (٢)
 هَلْ لِعِذْرِي عِنْدَ الْهَمَامِ أَبِي الْفَضْلِ قَبُولٌ سَوَادُ عَيْنِي مِدَادُهُ (٣)
 أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ مَكْرُمَاتُ الْمُعَلِّهِ عَوَادُهُ (٤)

القطاع : يريد : أن السيف - على جلالته قدره وما عليه من الذهب - كالشامة في جنب مأخذت منه . وقوله : جلدها ، يريد ما عليه من الفرند الذي من أجله يستعد ويغالى في ثمنه ، وقيل : يريد بجلده جفنه وما عليه من الذهب والفضة والجوهر المكمل .

(١) كن فيه : أى كن في نداءه ؛ واللبد : ما تحت السرج . يقول : كان في جملة عطائه خيل سوابق فارقت سرج ابن العميد إلى سروجنا فصيرتنا فرسانا وتعلمنا الطراد بركوبها بما تعلمت لديه من آداب المطاردة ، فقلوله : فرستنا أى علمتنا الفروسية . وفارقت لبدته ؛ يريد فارقت سرج ابن العميد إلى سرجي حين أعطاناها . وفيها طراده : أى وفيها تقويمه وأدب طراده . وقال ابن جنى : أى قد صرت معه كواحد من حملته إذا سار إلى موضع سرت معه وطاردت بين يديه ، فكأنه هو المطارد عليه ... وعلى هذا يكون معنى فرستنا حملتنا حتى صرنا فرسانا . وقوله : وفيها طراده ، أى عليها . قال العروضى : كلام ابن جنى كلام من لم ينتبه عن نومة الغفلة . إنما يقول : فارقت هذه الخيل لبدته ، وفيها تأديبه وتقويمه ، ثم قال : والمعنى : إن الخيل السوابق التي كانت عنده بما أعطانا علمتنا الفروسية . لأنها قد فارقت لبدته حين أعطاناها . وفيها ماعلمه بطراده وبتأديبه .

(٢) يقول : إن هذه الخيل التي أهداها إلينا لما انتقلت إلى رجت أن تستريح من طول كده إياها ، لكنها لا ترى ما ترجوه مادمنافى بلاده ، لأننا لا نزال نغزومعه بغزواته ونطارده عليها مع إذا ركب للصيد ، وإنما تستريح إذا فارقتنا خدمته ، ونحن لا نفارق خدمته وبلاده فقلوله : وبلاد ألخ : جملة حالية من مبتدأ وخبر .

(٣) يشير إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية ، ويعتذر عما فرط فيها مما يؤاخذ به . يقول : هل يقبل عذري ؟ أو هل لديه قبول لعذري ؟ وقوله : سواد عيني مداده : جملة استئنافية دعائية : أى جعل الله سواد عيني مدادا له وإنما دعا له بذلك إشارة إلى أن ابن العميد من أهل الأدب والعلم ، المشتغلين بالكتابة والتأليف . والمداد : الخبر ، والهمام : السيد الشجاع السخى .

(٤) العواد : جمع عائد ، وهو زائر المريض . يقول : أنا لشدة حياي كالعليل ،

مَا كَفَانِي تَقْصِيرُ مَا قُلْتُ فِيهِ عَنْ عَلَاهُ حَتَّى ثَنَاهُ اُنْتِقَادُهُ (١)
إِنِّي أَصِيدُ الْبُرَاةَ وَلَكِنَّ أَجَلَ النُّجُومِ لَا أَصْطَادُهُ (٢)
رُبَّ مَا لَا يُعْبِرُ اللَّفْظُ عَنْهُ

وَالَّذِي يُضْمِرُ الْفَوَادُ اُعْتِقَادُهُ (٣)

مَا تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِي الْفَضْلِ وَهَذَا الَّذِي أَتَاهُ اُعْتِيَادُهُ (٤)

وهذا الذي أعلني تأتيني كل يوم كأنها عواد تعودني . وإنما كان شديد الحياء لأن ابن العميد نقد شعره . ولذا جعله معالاه ؛ وقد شرح ذلك في الأبيات التالية .

(١) عن علاه : متعلق بتقصير ؛ وثناه : صار ثانيه . والضمير : للتقصير ، يقول : ما كفاني تقصير شعري عن علاه وعجزى عن وصفه حتى شفعه بنقده ، فتقصير شعري ونقده هما سبب شدة حيائي .

(٢) أصيد : أفعل تفضيل ، من الصيد ، يقول : أنا في الشعراء كالبازي الأصيد في البراة ، ولكن البازي مهما كان بارعاً في الصيد ليس في مكنته أن يبلغ النجوم فيصيدها ، يعني : أني وإن كنت حاذقاً في الشعر وبالغاً منه الغاية التي لا بعدها فإن كلامي لا يبلغ أن يصف ابن العميد ويقوم بما يجب من مدحه وقال ابن جني : لو استوى له أن يقول : أعل النجوم — بدل أجل النجوم — لكان أليق ، وقال الواحدى : يريد بأجل النجوم زحلا ، جعل هذا مثلاً للممدوح .

(٣) يقول : رب أمر يعتقده القلب ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لبلوغه مبلغاً لا يحيط به الوصف ، وهذا اعتذار عن قصوره في وصفه ومدحه فما — من قوله رب ما — نكرة موصوفة بمعنى شيء ، أو أمر . وقوله : والذي الخ : حال ؛ والضمير من اعتقاده : يرجع إلى ما .

(٤) يقول : لم أعود أن أمدح مثله ، فإن قصرت عن كنه وصفه كنت معذوراً ؛ لأن عادتي لم تجر بمدح مثله ، والذي ورد عليه من الشعر شيء معتاد عنده لأنه لا يزال يمدح ، فهو أعلم الناس بالشعر . أو تقول : وهذا الذي أتاه — أى هذا الذى فعله من النقد — هو عادته لبصره بالشعر ونقده قال الواحدى : وهذا يدل على تحرز أبي الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد في شعره تواضعه لابن العميد . وقال ابن جني : يريد لم أمدح مثله ، فلذلك قصرت عن وصفه له ، والذي أتاه من الكرم عادة له لم يتطبع به . قال الواحدى : وهذا الذى يقوله ابن جني ليس بشيء ، لأنه ليس في وصف كرمه ، وإنما يعتذر إليه في تقصيره .

إِنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْغَرِيقِ كَعِذْرًا وَاصِحًّا أَنْ يُفَوِّتَهُ تَعْدَادُهُ^(١)
لِلنَّدَى الْغَلْبُ إِنَّهُ فَاضٍ وَالشَّعْرُ عِمَادِي وَأَبْنُ الْعَمِيدِ عِمَادُهُ^(٢)
نَالَ ظَنِّي الْأُمُورَ إِلَّا كَرِيمًا لَيْسَ لِي نُظْقُهُ وَلَا فِي آدِهِ^(٣)
ظَالِمُ الْجُودِ كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ سِيمَ أَنْ تَحْمِلَ الْبِحَارَ مَزَادَهُ^(٤)
غَمَّرْتَنِي فَوَائِدُ شَاءَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أُفَادُهُ^(٥)
مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ الْعَطَايَا
فَأَشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فَوَائِدُهُ^(٦)

(١) يقول: إن فانتى عد بعض أوصافك فلم آت على جميعها، كان عذرى واضحا، لأنى غرقت فيها لتوافر محامدك، والغريق فى البحر إن لم يستطع تعداد الأمواج كان عذره واضحا، وتلخيص المعنى: أن فكرى غرق فى فضائلك، فليس لى إلى استيفاء وصفها من سبيل. وقوله: أن يفوته: أى فى أن يفوته، وهو من صلة العذر؛ والتعداد: العد.

(٢) يقول: إن لجوده الغلبة فهو غالبى؛ لأن عماده ابن العميد وعمادى الشعروهو ناقد، فكيف لى أن أغالبه بالشعر؟! فالندى: الجود؛ والضمير فى عماده: للندى.
(٣) الظن - ههنا - بمعنى العلم؛ ويروى: طيب، وهو بمعنى العلم أيضا، والآد: القوة. يقول: لقد قتلت الأمور علما، غير أنى قاصر عن مدح كريم ليس لى فصاحته فى الكلام ولا قوته فى علم الشعر.

(٤) المزداد: جمع مزادة، وهى القربة. يقول: إن جوده ظالم، وذلك أنه كلما صمد إليه ركب أصدق عليهم من عطاياه مالا يطيقون حمله، وهذا ظلم، لأنه غير ممكن، وهل يمكن حمل البحر فى القرب؟! فقولته: ظالم الجود، من إضافة الوصف إلى فاعله. وسيم: كلف.

(٥) يقول: إنه أرشده بانتقاده شعره إلى صواب القول، ونبهه بذلك إلى ما كان غافلا عنه، فكان حسن القول وصحة الكلام، من جملة الفوائد التى أفادها منه.

(٦) يقول: لم نسمع قبله بجواد يحب الإعطاء ويتمنى أن يكون قلبه من جملة عطاياه يريد: أن ما أفاده العلم هو نتاج عقله ونبات فكره، فكأنه أعطاه عقله؛ والفؤاد هنا: بمعنى العقل.

خَلَقَ اللَّهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طَرًّا فِي مَكَانٍ أَعْرَابُهُ أَكْرَادُهُ^(١)
وَأَحَقَّ الْغَيْوُثِ نَفْسًا بِحَمْدٍ فِي زَمَانٍ كَلُّهُ الثُّفُوسِ جَرَادُهُ^(٢)
مِثْلَمَا أَحْدَثَ الثُّبُوتَةَ فِي الْعَا لَمْ وَالْبَعَثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُهُ^(٣)
زَانَتِ اللَّيْلَ غُرَّةَ الْقَمَرِ الطَّا لَعِ فِيهِ وَلَمْ يَشْنَهُ سَوَادُهُ^(٤)
كَثَرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نَهْدَى كَمَا أَهْدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُهُ^(٥)
وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْلِ فَمِنْهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُهُ^(٦)

(١) يريد بأفصح الناس : الممدوح . يقول : إنه أفصح العرب ، وهم أفصح الناس ، بيد أنه في بلد أهله أكراد لا عرب . يريد أهل فارس . وروى ابن جنى : أفضل الناس ، وليس بشيء .

(٢) وأحق : عطف على أفصح . يقول : وخلق الله غيثاً هو أخلق الغيوث بالحمد - يعني الممدوح - لعموم صلاحه ، فأوجد هذا الغيث في زمان قد استشرى فساد أهله وشاع في الأرض ، فكانوا كالجراد . وقال ابن جنى : جعله غيثاً وجعل الناس كلهم - لا حتياهم إليه - جراداً ، فإن الجراد حياته في الغيث والكلاء .

(٣) يقول : لما شاع الفساد في العالم بالناس الذين جعلهم كالجراد : خلق الله ابن العميد ليتدارك به ذلك الفساد ، كما أنه لما عم الكفر والشرك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . وهذا من قول الفرزدق :

بُعِثَتْ لِأَهْلِ الدِّينِ عَدْلًا وَرَحْمَةً
وَبُرْءًا لِأَثَارِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ
كَمَا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
عَلَى فِتْرَةِ النَّاسِ مِثْلُ الْبِهَامِ

فقوله : والبعث ، أى بعث الرسل ، عطف على النبوة .

(٤) غرة القمر : طلعه وضوؤه . ويشنه : يعبه . لما ذكر عموم الفساد في الناس والزمان : ذكر أن ذلك الفساد لا يتعدى إليه ، وأنه سبب لإصلاحه كالقمر يطلع فيجلو سواد الليل ولا يشينه ذلك السواد .

(٥) و (٦) يقول : كثر الفكر في كيف نهدي إليك شيئاً كما يهdy العميد إلى أربابها وكل ما عندنا من المال والخيول فمن عندك وهبته وقدمته إلينا . فقوله : إلى ربها أى سيدتها ؛ والضمير : لعباده . وعباده : أى عبيده ؛ والرئيس بدل من « ربها » والذى - إلى آخر البيت - حال . وفي البيت الثانى طى ونشر لا يخفى . وهذا من قول ابن الرومي :

قَبَعْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهْرًا كُلُّ مِهْرٍ مِيدَانُهُ إِنْشَادُهُ (١)
عَدَدُ عَشْتِهِ يَرَى الْجِسْمَ فِيهِ أَرْبَابًا لَا يَرَاهُ فِيمَا يُزَادُهُ (٢)
فَارْتَبَطَهَا فَإِنَّ قَلْبًا نَمَاهَا مَرَبُطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ حِيَادُهُ (٣)

مِنْكَ يَا جَنَّةَ النِّعَمِ الْهَدَايَا أَفْهَدِي إِلَيْكَ مَا مِنْكَ يَهْدِي

(١) المهار : جمع مهر . يروى بالنصب على الحال ، لأن في المهر معنى الفتي والفرس إذا كان فتيًا كانت الرغبة فيه أشد ، ويروى بالجر : على أنه بدل من أربعين ، أو بيان لها . وقوله : كل مهر الح ، نعت لمهار : أى كل مهر منها . كنى بالمهار عن أبيات القصيدة لأنها أربعون بيتا ، وجعل ميدانها الإنشاد لأنها تعرف به كما يعرف المهر في الميدان إذا جرى فيه عرف جريه يقول : فبعثنا إليك بأربعين بيتًا من الشعر ، ميدان كل بيت إنشاده : أى أنه إذا أنشد عرف قدره : كما أن المهر إذا أجرى في الميدان عرف .

(٢) عدد : خبر مبتدأ محذوف : أى أن الأربعين هى عدد الح : وقوله عشته : دعاؤه ، يدعوه بأن يعيش هذا العدد من السنين علاوة على ما عاشه ؛ قال الواحدى . وكان ابن العميد فى ذلك الوقت قد جاوز السبعين وناهز الثمانين ، وقوله : يرى الجسم فيه الح : أى أن عدد الأربعين يرى الإنسان فيه من أرب العيش وحاجه مالا يراه فى السنين التى يزيدها بعد ذلك : أى فلماذا اختار هذا العدد ، فجعل القصيدة أربعين بيتا : وقال ابن جنى : الأربعون إذا تجاوزها الإنسان نقص عما يعهد من أحواله فى جسمه وتصرفه .

(٣) نماها : أى ارتفع إليه نسبها ، فهو من نماء النسب : وعبر بذلك جريا على عادة العرب فى حفظ أنساب الخيل : لما سمي الأبيات مهرا عبر عن حفظها وإمساكها بالارتباط ليتجانس الكلام : يقول : فاحتفظ بها فإن القلب الذى صدرت منه واتصلت نسبتها إليه تسبق جواده جواد كل مربط : يعنى أن الشعر الذى يقوله أفضل من شعر سواه .

وورد عليه كتاب ابن العميد يشوقه فقال ارتجالاً :

بِكِتَابِ الْأَنَامِ كِتَابٌ وَرَدُّ
فَدَتِ يَدَ كَاتِبِهِ كُلِّ يَدٍ^(١)
يَعْبُرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا ،
وَيَذْكَرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدُ^(٢)
فَأَخْرَقَ رَائِيَهُ مَا رَأَى ،
وَأَبْرَقَ نَائِدَهُ مَا انْتَقَدُ^(٣)
إِذَا سَمِعَ النَّاسُ الْأَفَاطَهُ
خَلَقْنَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ الْحَسَدَ^(٤)

(١) أى يفدى بكتب الأنام جميعاً هذا الكتاب الوارد على لأن شرفه وقدره عظيم وقوله: فدت الح: جملة دعائية .

(٢) يقول: إن ذلك الكتاب يعبر عن الشوق الذى لكاتبه عندنا؛ أى أنا نشتاق إليه كما يشتاق هو إلينا، ويذكر من شوقه إلينا ما نجد من الشوق إليه .

(٣) أخرق: أدهش وحير؛ من خرق الطي: دهش فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض؛ وقد أخرقه الفزع فخرق وأبرق: حير؛ تقول: برق بصره: تحير فلم يطرف قال ذو الرمة:

وَلَوْ أَنَّ لِقْمَانَ الْحَكِيمَ تَعَرَّضَتْ

لِعَيْنَيْهِ مَيِّ سَافِراً كَادَ يَبْرَقُ

يقول المتنبي: إن الذى رأى هذا الكتاب حيره ما رآه من حسن خطه ، والذى انتقد لفظه أدهشه ما انتقد من فصاحته .

(٤) يقول: إن ألفاظه تحدث له الحسد فى القلوب فتحسده قلوب السامعين على حسن لفظه .

قُتِلْتُ ، وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِقِينَ
كَذَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ ابْنُ الْأَسَدِ (١)

(١) فرس الناطقين افترسهم : جعل إحرازه الغاية من الفصاحة دون غيره من الناس كلافتراس ، أى أنه وصل في غلبهم والاستيلاء على ألبابهم بما ألقى عليهم من الدهش والحيرة إلى مثل ما يصل إليه الأسد إذا افترس فريسته : ولما وصفه بالافتراس جعله أسداً في المصراع الثانى ، لأن الافتراس من أفعال الأسد . قال الواحدى : ولو خرس المثني ولم يصف كتاب أبى الفتح ابن العميد بما وصف لكان خيراً له ، وكأنه لم يسمع قط وصف كلام ! وأى موضع للاخراق والإبراق والفرس فى وصف الألفاظ والكتب هلا احتذى على مثال قول البحرى يصف كلام ابن الزيات :

فى نظامٍ من البِلاغةِ ماشكٌ امرؤٌ أنه نظامٌ فرید
وبدیعٍ كأنه الزَّهرُ الضَّاحِكُ فى رَوْنَقِ الرَّبيعِ الجدید
مُشرقٍ فى جوانبِ السَّمعِ ما يُخْلِقه عَوْدُهُ عَلَى المُستعید
ومعانٍ لو فصَّلتها القوافى هَجَّنتِ شِعْرَ جَرولٍ ولید
حُزْنَ مُستعملِ الكلامِ اختیاراً وتجنَّبَ ظلمةَ التَّعقیدِ

وورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره ؛ فقال عند مسيره مودعا ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة :

نَسِيتُ وَمَا أُنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ وَلَا خَفْرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةٌ أَخَذْتُ^(١)
وَلَا لَيْلَةَ قَصَرْتُمُهَا بِقَصُورَةٍ
أَطَّلَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُحْبَةَ الْعَقْدِ^(٢)
وَمَنْ لِي بِيَوْمٍ مِثْلَ يَوْمِ كَرِهْتُهُ قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ^(٣)

(١) الحفر . الحياء . يقول : نسيت كل شيء ولا أنسى ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصدود ، ولا الذي غشيه عند ذلك من الحياء الذي ازدادت به حمرة وجهه . يعنى إن أنس لا أنس ذلك . وكثيراً ما يذكر الشعراء ماجرى بينهم وبين الحبيب عند التوديع ، وذلك كما يقول أحدهم :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ قَوْلَهَا يَوْمَ وَدَّعْتُ وَقَدْ رُحِلَتْ أَجْمَالُنَا وَهِيَ وَقَفَتْ
أَأَنْتَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا فَلَسْنَا وَحَقَّ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ نَصْدِفُ
فَقَلْتُ لَهَا حِفْظِي لِعَهْدِكَ مُتَلَفِي وَلَوْلَا حِفَاظُ الْعَهْدِ مَا كُنْتُ أَتَلَفُ
ومثله كثير ، ويروى نسيت - بالبناء للجهول - أى نسيت الحبيب .

(٢) القصورة والقصيرة : المحبوسة فى خدرها ، المنوعة من التصرف ؛ قال كثير :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَى وَمَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرُ
عَنِتُّ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ قِصَارَ الْخُطَى - شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَائِرُ

« البحر : القصير المجتمع الخلق » . يقول المتنبي : لا أنسى ليلة قصرت على لطيب

محالسى لهذه الخدرة ومعانقتى إياها حتى طالت يدي فى جيدها مثل صحبة العقد لجيدها .
فقوله صحبة العقد : أى مثل صحبة العقد ، فهو منصوب على المصدرية .

(٣) يقول : من يكفل بأن يكون لى يوم آخر مثل يوم الوداع وإن كرهته لأنى

قربت فيه من فراقهم . يتمنى أن يكون له مثل هذا اليوم ، وهم أبداً يتمنون مثل يوم التوديع ، لأن المودع يحظى فيه بالنظر إلى أحبته والتسليم عليهم كما قال الآخر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْوَدَاعَ فإِنِّي أَشْتَبِيهِ لِعِلَّةِ التَّسْلِيمِ

وَأَنْ لَا يَخْصُ الْمَقْدُ شَيْئًا فَإِنِّي
فَقَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِي وَلَا وَجْدِي ^(١)
تَمَنَّ يَلِدُ الْمُسْتَهَامُ بِمِثْلِهِ ،
وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِي فَتَيْلًا وَلَا يُجْدِي ^(٢)
وَعَظِظٌ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَدِّ ^(٣)

إِنْ فِيهِ أَعْتِنَا قَةً لِدَوَاعٍ وَأَنْتَظَارُ أَعْتِنَا قَةً لِقُدُومِ
وَلَكُمْ فُرْقَةٌ وَغَيْبَةٌ شَهْرٍ هِيَ أَجْدَى مِنْ امْتِنَاعِ مُقِيمٍ
(١) يقول : ومن لى بأن لا يكون الفقد فى ذلك اليوم مخصوصاً بشئء دون شئء
فإنى فقدت فيه أجبى ولم أفقد بكأى ولا وجدى : يتمنى أن يكون الفقد عاماً شاملاً حتى
يفقد البكاء والوجد أيضاً :

(٢) تمن : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هذا تمن ؛ والمستهام : الذى هيمه الحب وشرده ؛
ويقال لى يلى ، والتد يلى ، وتلذذ كذا ألىه لىذاذاً ولذىة ، وهو لى ولذى ؛ والفتيل
ما يكون فى شق النواة ، وقيل هو ما تفتله بين أصبعيك من الوسخ ، وهو نائب مفعول
مطلق : أى لا يغنى غناء حقيراً مثل الفتيل : يقول : إن هذا الذى ذكرته هو تمن
لا حقيقة له ، ولكن المستهام يلى بالتمنى وإن كان ذلك لا ينفعه ولا يغنى عنه شيئاً : وفى
معنى البيت يقول القائل :

أَمَانِيَّ مِنْ لِيلى حَسَانًا كَأَمَّا سَقَمْتِي بِهَا لِيلى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا
مُنِيَّ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
ويقول البحرى :

تَمَنَيْتُ لِيلى بَعْدَ فَوْتِ وَإِمَّا تَمَنَيْتُ مِنْهَا خُطَّةً لَا أَنَاهَا
ويقول الآخر :

وَأَعْلَمُ أَنْ وَصَلَك لَيْسَ يُرَجَى وَلَكِنْ لَا أَقَلَّ مِنْ التَّمَنَى
(٣) القد : سير يشد به الأسير : يقول : لى غيظ على الأيام يلىتهب فى الحشاشتهاب
النار ، ولكنه غيظ على مالا يكثر ولا يبالى بغيظى ، لأن الأيام لا تتواتبنى ولا تنزل
على مرادى ، ومن ثم كان كغيظ الأسير على ما يشد به من القد :

فَأَمَّا تَرَيْنِي لَا أُقِيمُ بِيَلَدَةٍ فَاَفَةُ غَمْدِي فِي دُلُوقِي وَفِي حَدِّي (١)
يَجُلُّ الْقَنَا يَوْمَ الطَّعَانِ بَعْقَوْتِي فَأَحْرَمُهُ عِرْصِي وَأَطْعَمُهُ جِلْدِي (٢)
تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي

نَجَابٌ لَا يُفَكِّرَنَّ فِي النَّحْسِ وَالسَّعْدِ (٣)
وَأَوْجُهُ فَتِيَانٍ حَيَاءً تَلْتَمُّوا عَلَيْهِنَّ لَا خَوْفًا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ (٤)
وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الدُّبِّ شِيْمَةً وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيْمَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ (٥)

(١) الدلوق : سرعة انسلال السيف وخروجه من غمده : يقول - معتذراً للعبية من فراقه لها وقلة مقامه في البلدان ومواصلته السير والتطواف - إن رأيتني منزحاً لا أقيم ببلدة فإن ذلك لمضائي وبعد همتي كالسيف الحاد إذا أغمد أكل غمده واندلق منه وقال ابن جنى : الذي ترينه من شجوى وتغيرى إنما هو لمواصلة السير والطواف في البلاد لبعد همتي ، كالسيف الحاد إذا أكثر سله وإغماده أكل جفنه : قال الواحدي : وليس مما ذكره شيء في البيت ، لكنه ما محس له في خاطره فتكلم به ، وإما - من فأما - هي إن الشرطية ، وما الزائدة :

(٢) العقوة : الساحة وما حول الدار والمحلة ؛ يقال نزل : بعقوته : يقول . إذا كان يوم الطعان أطعمت الرماح جلدي وجعلته وقاية لعرضي : يعني أنه يؤثر وقوع الرماح في جلده على أن يهرب فيعاب عرضه بالهرب ؛ وهذا من قول الجاهلي :

أخو الحربِ أمّا جلدهُ فمَجْرَحٌ كَلِيمٌ ، وَأَمّا عِرْصُهُ فَسَلِيمٌ

(٣) النجائب : جمع نجبية ، وهي الناقة الكريمة : وفكر في الشيء وأفكر فيه وفكر : بمعنى : يقول : إن هذه النجائب بمضين بي مصمات لا يلتفتن إلى نحس ولا سعد فتبديل على بمضين الأيام والمعاش والديار ، وكذلك المسافر له كل يوم منزل وأصحاب .

(٤) وأوجه : عطف على نجائب : وأراد بالفتيان : غلمانه الذين يسرون معه : يقول : تبدل أيامى نجائب وأوجه فتیان : أى أنا أبداً مسافر على هذه النجائب في صحبة هؤلاء الفتیان الذين ألفوا الاسفار ، ومن ثم لا يباليون بالحر والبرد ، وإعما تلتموا على وجوههم لشدة حياهم ، لا اتقاء الحر والبرد ؛ والحياء شيمة الكرام .

(٥) الشيمة : الطبيعة والخلق والعادة . والاسد الورد : الذي في لونه حمرة مثل

إِذَا لَمْ تَجْزِهِمْ دَارَ قَوْمِ مَوَدَّةٍ أَجَازَ أَلْقِنَا وَأَخُوفُ خَيْرٍ مِنْ أُوْدٍ^(١)
يَحِيدُونَ عَنْ هَزَلِ الْمُلُوكِ إِلَى الَّذِي تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ عَلَى الْجُدِّ^(٢)
وَمَنْ يَصْحَبِ أَسْمَ ابْنَ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ
يَسِرُّ بَيْنَ أُنْيَابِ الْأَسَاوِدِ وَالْأَسَدِ^(٣)
يَمُرُّ مِنَ الشَّمِّ الْوَحِيِّ بِعَاجِزٍ ، وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ عَلَى دُرْدٍ^(٤)

الورد . يمدح الحياء ؛ يقول : إن الذئب المعروف بالحيث والساوى ليس الحياء من شيمته وإنما شيمته القحة ، ولكن الحياء شيمة الأسد ، وذلك أن في طبعه كرما وحياء ؛ فيقال إن من واجبه وأحد النظر في وجهه استحيا منه ولم يفترسه ، والمعنى أن حياءهم ليس بمزربهم ، كما أنه لا يزرى بالأسد حياؤه ، يصفهم بالإقدام مع فرط الحياء .

(١) يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث إذا مروا في أسفارهم بدار قوم لم يكن بينهم وبين قطانها مودة يجوزون أرضهم بها جازوها برماحهم ولم يخافوا أهل تلك الناحية ثم قال : والحدوف خير من الود : أى أن تخاف خير من أن تحب ، لأن من أطاعك خوفا منك أبلغ طاعة ممن يطيعك مودة ، كما تقول العرب : رهبت خير من رحمت : أى لأن ترهب خير من أن ترحم . وقال ابن جنى : إذا خافوا من عدو اعتصموا منه بالقنا ... قال ابن فورجه — ناقدًا — : أين ذكر خوفهم العدو ، وأين ذكر الاعتصام ؟ وإنما يقول : إذا لم يمكنهم أن يحتازوا على ديار بالمودة حاربوا فيها وجازوها .

(٢) حاد عن الشيء : تباعد عنه وتجنبه . وتوفر على الشيء : صرف همهته إليه . يقول إن هؤلاء الفتيان يجتنبون من يهزل من الملوك : أى الذى عمله اللهو من طراد وشراب وما إليهما ، ويأتون من توفر على الجد وترك اللهو : يعنى ابن العميد .

(٣) الأسود : الأفاعى . يقول : من جعل اسم ابن العميد صاحباً له في سفره أمكنه السير بين أنياب الحيات والأسود ، يعنى إذا عرف المسافر بأنه يقصده وينتسب إليه لم يتعرض له أحد هيبه له ورهباً . فالأسود والاسد مثل لمن تخشى غائلته . وعبارة الخطيب التبريزى : من نسب إليه في خدمة أو زيارة أو مدح فإنه ناج من الخافة لا يقدم عليه أحد . وفى الكلام حذف ، تقديره : يسر بين أنياب الحيات والأسود ناجياً سالماً آمناً من الخافة .

(٤) الوحى : السريع . والدرد : جمع أدرد ، وهو الذى ذهبت أسنانه . وهذا البيت مرتب على الطى والنشر ، وهو تقرير للبيت السابق . يقول : إن من يستصحب اسم ابن العميد لا يعمل فيه سم الأفاعى السريع ولا أنياب الأسود حتى لكأنها درد . ويمر

كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعَيْسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ جَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءَ سِوَى الرَّعْدِ (١)
إِذَا مَا اسْتَجَبْنَ الْمَاءَ يَعْزُضُ نَفْسَهُ كَرِعْنَ بِسَبْتٍ فِي إِنْاءٍ مِنَ الْوَرْدِ (٢)

ويعبر : في موضع الحال من قوله «يسر» أى يسر ماراً عابراً ؛ ولك أن يجعل يمر بدل من يسر .

(١) يقول : يركته أخصب الربيع وكثر مطره ورعده فأغننا عن تجشم حداء الإبل في المسير إليه ، لأن الرعد أغنى غناء الحداء . فالعيس : الإبل . وكفانا العيس ، أى كفانا حدها . والحداء : سوق الإبل بالغناء وقوله : من بركاته - أى بركات المدوح - تعليل لكفى :

(٢) يعرض نفسه : حال ؛ وكرعن : شرين ؛ وأصله من إدخال أكارع الشاربة في الماء للشرب ؛ والسبت : جلود البقر المدبوغة بالقرظ ، تحذى منه النعال السبتية . يقول : إذا مرت هذه الإبل بلباه التي غادرتها السيول فصارت لكثرتها كأنها تعرض نفسها عليها ، فأجبتها الإبل وأقبلت عليها للشرب كرعتم منها بمشافر لينة كالسبت * وقد أحدق الورد - والمراد الزهر أياً كان - بذلك الماء ، فصار كأنه إناء له . وقد روى البيت إذا ما استحين بدل إذا ما استحين ، وكرعن بشيب : بدل بسبت . واستحين : من الحياء ، والشيب : صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال في اللسان : والشيب - بالكسر - حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال ذو الرمة - يصف إبلا تشرب في حوض مثلم ، وأصوات مشافرها شيب شيب .

تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ فِي مُتَثَلِّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسِلَامٍ (١)

* هم يشبهون المشفر بالسبت في لينه ، قال طرفة بن العبد :

وَحَدُّهُ كَقِرطَاسِ الشَّامِيِّ وَمَشْفَرُهُ كَسِبَتْ الْيَمَانِي قَدَّهُ لَمْ يُجْرِدْ

لم يجرد : روى بالحاء المهمله ، وعليها اقتصر الخطيب التبريزي . قال : أى لم يجل ؛ يصف أمها شابة فتية ، وذلك أن الهرمة والهرم تمل مشافرها ؛ وروى لم يجرد - بالجيم - أى أن شعره عليه .

(١) من قصيدة لذي الرمة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وقبله .

كَأَنَّ أَرَادَتْ شُكْرَنَا الْأَرْضُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُحْلِنَا جَوْهُ هَبْطِنَاهُ مِنْ رَفْدِ (١)
لَنَا مَذْهَبُ الْعِبَادِ فِي تَرْكِ غَيْرِهِ وَإِتْيَانِهِ نَبْغِي الرَّغَائِبَ بِالزَّهْدِ (٢)
رَجُونَا الَّذِي يَرْجُونَ فِي كُلِّ جَنَّةٍ بِأَرْجَانِ حَتَّى مَا يَسْنَأُ مِنَ الْخُلْدِ (٣)

البصرة : حجارة رخوة إلى البياض ؛ والسلام - بكسر السين - الحجارة الصلبة » .
(١) الجو - هنا - ما اتسع من الأودية ، كما جاء في قول طرفة :

✽ خَلَالَكَ الْجَوْ فَبِيضِي وَأَصْفَرِي ✽

والرفد : العطاء : يقول : إن كل موضع نزلناه في طريقنا إليه أصبنا به ماء وكلاء .
فسكان الأرض أرادت أن نشكرها عنده تقربا إليه .

(٢) الرغائب : جمع رغبة - الأمر المرغوب فيه . يقول : لنا في ترك غيره من الملوك
وقصدنا إليه ، مذهب الزهاد الذين يهدون في الدنيا لينالوا خيرا مما تركوا في الآخرة :
وذلك لأننا نصيب منه أكثر مما نصيب من سواه ، فنحن إنما نطلب الرغائب عنده
بزهنا في غيره .

(٣) يرجون : أى العباد ، وأرجان : صلة رجونا ، وأرجان هى أرجان - بتشديد

وَكَمْ عَسَفَتْ مِنْ مَنَهْلٍ مَتَخَطِإٍ أَفْلٌ وَأَقْوَى فَالْجَمِ طَوَامِي
إِذَا مَا وَرَدْنَا لَمْ نَصَادِفْ بِجَوْفِهِ سِوَى وَارِدَاتٍ مِنْ قَطَاً وَحَمَامِ
إِذَا سَاقِيَانَا أَفْرَغَا فِي إِزَائِهِ عَلَى قَلْصٍ بِالْمُقْفِرَاتِ حِيَامِ
تَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الشَّيْبِ الْبَيْتِ

يصف قطعه القفار على إبله ، و « العسف » الأخذ على غير هدى ، والضمير إلى
الإبل ، و « المنهل » المورد ، و « المتخطأ » الذى تخطأه الناس فلم يزلوه ، و « أفل »
أى لم يصبه المطر ، و « أقوى » خلا ، و « الجمام » جمع « حجة » المكان الذى يجتمع
فيه ماءؤه ، و « طوامى » مملوءة و « ساقيانا » أى اللذان يستقيان من البئر ، و « الإزاء »
مصب الماء فى الحوض ، و « على قلص » صلة أفرغا ، و « القلص » جمع « قلوص »
الناقة الشابة ، و « الحيام » جمع « حوم » القطيع الضخم من الإبل ، و باللقفات صفة
لقلص ، و « تداعين » أى دعا بعض القلص بعضاً ، و « الشيب » - كما قلنا - حكاية
أصوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصوت : شيب شيب ، جعل هذا الصوت مما
يدعوهن إلى الشرب ، و « المتثلم » أراد : فى حوض متثلم .

تَعَرَّضُ لِلزُّوَارِ أَعْنَاقُ خَيْلِهِ تَعَرَّضَ وَحَشَ خَائِفَاتٍ مِنَ الطَّرْدِ (١)
وَتَلَقَى نَوَاصِيهَا الْمَنَايَا مَشِيحَةً وَرُودَ فِطًّا صُمَّ تَشَائِحْنَ فِي وِرْدِ (٢)

الراء - بلد بفارس ، يقيم فيه ابن العميد ، وخفف الراء للضرورة . يقول : رجونا أن ننال لديه من النعيم ما يرجو العباد نيله في جنة الخلد ، وذلك أنه محقق رجاء من رجوه ، ومن ثم نرجو يبلده ما يرجو العباد في الجنان حتى كدنا لا نياس من الخلود فيها ، لأنها كالجنة التي هي دار الخلود .

(١) تعرض - بحذف إحدى التاءين - أي تتعرض : أي توليهم عرضها : أي جانبها . والمعنى : تعرض عنهم وتزور . يقول : إن خيله تزور عن زواره خوفاً ونقاراً كما تفعل الوحش تخاف طرد الصائد ، وذلك لأنها تتوقع أن يهبها لهم ، وهي لاتبغى مفارقتة . قال العكبري : ليس في هذا البيت حسن مدح . . . ولو عكس المعنى وقال : إن خيله تفرح بازوار - كي يهبها لهم لتستريح من الكد وملاقاتة الحروب - لكان أمدح . هذا : والطرْد - بفتح الراء وسكونها - لغتان فصيحتان .

(٢) المشيح : المجد المسرع الحذر . قال ابن الإطنابة :

وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
وَشَايِحِ الرَّجْلِ : جَد فِي الْأَمْرِ ؛ قَالَ أَبُو ذُؤَيْبِ الْهَذَلِيِّ يَرْتِي رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ ،
وَيَصِفُ مَوَاقِفَهُ فِي الْحَرْبِ :

وَزَعَّتْهُمْ حَتَّى إِذَا مَا تَبَدَّدُوا سِرَاعًا وَلَا حَتَّ أَوْجُهُ وَكُشُوحُ

بَدَرَتْ إِلَى أَوْلَاهُمْ فَسَبَقَتْهُمْ وَشَايَحَتْ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْخُ

وقال ابن الأعرابي الإشاحة ، الحذر . وأنشد لأوس بن حجر

فِي حَيْثُ لَا تَنْفَعُ الْإِشَاحَةُ مِنْ أَمْرٍ لَمَنْ قَدِ يَجِئُ الْبِدْعَا

« والإشاحة ؛ الحذر والخوف لمن حاول أن يدفع الموت ومحاولته دفعه بدعة »
قال : ولا يكون الحذر بغير جد مشيحا ، وأشاح بوجهه عن الشيء : نحاه وجد في الإعراض والورود والورد : إتيان الماء . يقول : وتلقى خيله المنايا في الحرب مجدة مسرعة إليها كما ترد القطا الماء مسرعة في الورود . وجعلها صمماً كي لا تسمع شيئاً تتشاغل به عن الطيران فيكون أسرع لها .

وَتَنْسَبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نَفُوسَهَا إِلَيْهِ وَيَنْسَبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الْهِنْدِ (١)

إِذَا الشَّرَفَاءُ الْبَيْضُ مَتُوا بِقَتْوِهِ أَيْ نَسَبَهُ أَعْلَى مِنَ الْأَبِ وَالْجَدِّ (٢)

قال :

رِدِي رِدِي وَرَدَ قَطَاةٍ صَمًّا كِدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا

والنواحي : جمع ناصية ، شعر مقدم الرأس ، وتشايحن : تسارعن . وقوله : ورود :

مفعول مطلق لتلقى .

(١) يقول : إن أفعال سيوفه تنسب نفوسها إليه : أي أنها حصلت بقوته وأيده ،

وتنسب السيوف إلى الهند : أي أنها عملت فيها ، يعني أن ضربات سيوفه لجودتها دلت على أنها حصلت بكف المدوح ، ودلت أيضاً على أنها حصلت بسيف هندي ، أي أنه اجتمع فيها قوة الضارب وجودة النصل . فالضمير في نفوسها وفي ينسبن : عائد على الأفعال .

وقال ابن جنى : أفعال السيوف أشرف من السيوف ، وأنعالها تشببه بأفعاله في مضائه وحدته

وتنسب السيوف إلى الهند : ألا ترى أنه يقال : سيف هندي وسيف يمان وفعل السيف

أشرف منه ؟ لذلك أنت أشرف من الهند . . . قال ابن فورجه : قد خلط ابن جنى حتى

لا أدري أي أطراف كلامه أقرب إلى المحال ؟ ولم يجر ذكر التشبيه ، وإنما يقول : إنها

تنسب أفعالها إليه : أي تقول هذه الضربة العظيمة من فعله لامن فعلنا ، وهذا كقوله :

إِذَا ضَرَبَتْ بِالسَّيْفِ فِي الْحَرْبِ كَفَهُ تَبَيَّنَتْ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ

والمعنى أنها تنسب الفعل إلى كفه وتنسب السيوف إلى الهند . وهذا معنى لطيف ،

يقول : إن ضربة السيف العظيمة تنسب نفسها إليه ، لأنها حصلت بقوته وتنسب السيف

أيضاً إلى الهند ، لأنها دلت على جودة ضربته وعمله ، فالضربة قد دلت على قوة الضارب ودلت

على جودة السيف ، وليس في هذا البيت أنه أشرف من الهند .

(٢) البيض : السادة ، من قوله : فلان أبيض : أي نقي العرض كريم . وفلان يمت

إلى فلان بكذا : يتقرب به إليه . والقنوق : الخدمة ، وقيل : حسن خدمة الملوك ، والمقتوى :

الخدام ، والجمع : مقتوون ، قال عمرو بن كلثوم :

تُهَدِّدُنَا وَتُوْعِدُنَا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مَقْتَوِينَا

يقول : إذا تقرب الأشراف إليه بخدمته حصل لهم نسب أعلى وأشرف من نسب الأب

والجد : أي أنهم يصيرون بخدمته ، أعز منهم بأبائهم وأمهاتهم .

فَتَى فَاتَتْ الْعُدْوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنَهُ فَمَا أُرْمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ الرَّمْدِ (١)
 وَخَالَفَهُمْ خَلْقًا وَخَلْقًا وَمَوْضِعًا فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَى بِشَيْءٍ وَأَنْ يُعْدَى (٢)
 يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي عَلَى الْعِدَى بِمَنْشُورَةِ الرَّايَاتِ مَنْصُورَةِ الْجُنْدِ (٣)
 إِذَا أُرْتَقَبُوا صُبْحًا رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ
 كِتَابٌ لَا يَرِدُ الصَّبَاحُ كَمَا تَرِدِي (٤)
 وَمَبْثُوثَةٌ لَا تُتَّقَى بِطَبِيعَةٍ وَلَا يُحْتَمَى مِنْهَا بِغُورٍ وَلَا بِجُدٍ (٥)

(١) و (٢) العدو : أن يعدى الشيء الشيء فيصير مثله ؛ والرمد : جمع رمد وأرمد وهو المريض العين بالرمد . يقول : إن عينه فاتت العدو فلم يعدها رمد غيرها . وهذا مثل ، يعنى : أنه تنزه عن عمى الناس عن دقائق الكرم فلم يعده هذا العمى النفسى : أى لم تعده عيوب الناس على كثرتها ، فهو بصير بالمكارم طب بها والناس عمى عنها ، ثم قال — فى البيت الثانى : هو أجمل من سائر الناس خلقاً وأنبل خلقاً ورتبة ، فهو أجل من أن يعديه الناس بشيء حتى يشاركرهم فى خلالهم ، ومن أن يعديهم هو ؛ لأنه شأهم وفات طورهم إلى ما ليس فى مكنتهم الوصول إليه من الأخلاق العالية النبيلة .

(٣) يقول : إنه يغير على أعدائه ألوان الليالى ، فإذا كانت مظلمة صيرها مشرقة منيرة يريق أسلحة جيوشه التى هى منشورة الرايات — أى الأعلام — منصوره الجند ، وإذا كانت الليالى مقمرة جعلها مظلمة بسواد النقع — الغبار — وقال بعض الشراح : لكثرة عساكره إذا سارت بالليل أو قدت المشاعل ؛ إما للاستضاءة ، وإما لإحراق ديار الأعداء حينئذ تنجاب الظلمة .

(٤) الكتاب : جمع كتبية ، وهى الجماعة من الخيل ؛ وردى يردى : أسرع من ردت الخيل رديا ورديانا : رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها . يقول : إن جيوشه إذا أتت الأعداء فى ديارهم قبل الصبح أسرع إليهم إسراعاً لا يسرع الصبح فأتت عليهم — أهلكتهم — قبل أن ينشق ضوءه .

(٥) ومبثوثة : عطف على كتاب ، وهى الغارة التى تشن ؛ والغور : ما انخفض من الأرض ؛ والنجد : ما ارتفع .

يقول : ورأوا خيلاً متفرقة فى كل ناحية لا يستطيعون أن يتوقوها بالطلائع — وهى التى ترسل لتستطلع طلع العدو — لأنهم لا يشعرون إلا وقد دهمتهم ، ولا أن يتحرزوا منها بمنخفض من الأرض أو مرتفع منها .

يَعْنُ إِذَا مَا عُدْنَ فِي مُتَّفَقِدٍ مِنْ الْكُثْرَانِ بِالْعَبِيدِ عَنِ الْحَشْدِ (١)
 حَتَّ كُلُّ أَرْضٍ تَرْبَةً فِي غُبَارِهِ فَهِنَّ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ فِي الْبُرْدِ (٢)
 فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ مِنْ بَانَ هَدِيَهُ فَهَذَا وَإِلَّا فَالْمَهْدِيُّ ذَا فَمَا الْمَهْدِيُّ (٣)
 يُعَلِّلُنَا هَذَا الزَّمَانُ بِذَا الْوَعْدِ وَيَخْدَعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ (٤)

(١) يعنن : أى خيله ، من العوص ، وقوله : فى متفقد ، أى فى جيش يفقد بعضه بعضاً لكثرتة واضطرابه ، كما قال الآخر :

* بجمع تفضلُّ البُئقُ فى حُجراته *

فقوله: من الكثر ، أى لأجل كثره . وغان : أى مستغن ، والحشد : الجمع ، يقول : إذا عادت سراياه أو خيله إلى معسكره الذى بلغ من الكثرة وتراعى الأطراف مبلغاً فقد فيه الشيء فلا يوجد ، والذى استغنى بعبيد المدوح عن أن يحشد إليه الغرباء - إذا عادت إليه سراياه أو خيله بعد تفرقها غاصت وبانت ضآلتها بالقياس إلى جمهرة العسكر وتوافره وهذه الجيوش المتكاثرة كلها عبيد المدوح ليسوا أو باشا أخلاطاً ، وروى بدل يعنن : يعنن - من غاض الماء : نقص - يعنى أن هذه السرايا إذا تغلغت فى سائر جيشه غابت فيه لكثرتة كالماء إذا غاض فى الأرض

(٢) حتت : أى ذرت وسفت وأطارت ، وقوله : فى غباره ، أى غبار العسكر المتفقد ، وهن - أى الترب - جمع التربة ، والطرائق : الخطوط ، والبرد : الثوب المخطط ، يقول إن جيشه - لبعده عزوانته وكثرة أسفاره - يمر بأمكنة مختلف ترايبها فيثير تقع كل مكان فتختلف ألوان غباره حتى تصير بخطوط البرد : منها أسود ، ومنها أحمر ، ومنها أبيض ، ومنها أصفر ، وهذا معنى حسن ،

(٣) المهدي : هو الذى يظهر آخر الزمان ويملا الأرض عدلاً كما ملكت جوراً وظلماً كما هو معروف لدى المسامين على خلاف فى ذلك - كما هو مبسوط فى مقدمة ابن خلدون ، فراجعها إن شئت - يقول : إن كان المهدي الموعود هو من ظهر سمتة وصلاحه وهدها : فهذا الذى نراه - أى المدوح - هو المهدي الموعود ، وإن لم يكن هو الموعود فالذى نراه - من تقواه وحسن سيرته - هو الهدى كله ، فما معنى المهدي بعد هذا ؟

(٤) يعللتنا أى يلهينا ويشاغلنا ، والنقد : خلاف الوعد : أى العتيد الحاضر ، يقول : إن الزمان يعدنا خروج المهدي فيعللتنا بوعده طويل ويخدعنا عما عنده من النقد بالوعد ، يريد : أن المدوح هو المهدي نقداً حاضراً ، وانتظار ظهوره خداع وتعليل .

هَلْ أَخَيْرُ شَيْءٍ لَيْسَ بِأَخَيْرٍ غَائِبٌ أَمْ الرُّشْدُ شَيْءٌ غَائِبٌ لَيْسَ بِالرُّشْدِ (١)
 أَحْزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكْرَمَ ذِي يَدٍ وَأَشْجَعَ ذِي قَلْبٍ وَأَرْحَمَ ذِي كَبِدٍ (٢)
 وَأَحْسَنَ مُعْتَمٍ جُلُوسًا وَرَكْبَةً عَلَى الْمَنْبَرِ الْعَالِيِّ أَوْ الْفَرَسِ النَّهْدِ (٣)
 تَفَضَّلْتَ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا فَلَمَّا حَمَدْنَا لَمْ تَدْمِنَا عَلَى الْحَمْدِ (٤)
 جَعَلَنَ وَدَاعِي وَاحِدًا لِثَلَاثَةٍ جَمَالِكَ وَالْعِلْمِ الْمُبْرَحِ وَالْمَجْدِ (٥)

(١) الاستفهام هنا : إنكارى . وأم : بمعنى بل ، التى للاضراب . يقول : لا ينبغي أن يظن أن الخير والرشد المنتظرين من المهدي هما شيء آخر غير الخير والرشد الحاضرين لأن الشيء لا يغير نفسه ، وإذن : فالخير والرشد ما تالان فى المدوح ، وما ينتظر من المهدي مائل فيه ، فلم لا يكون هو المهدي ؟ .

(٢) و (٣) أحزم : نصب ، على أنه منادى مضاف ، وهو أفعل تفضيل ، وكذلك ما بعده ؛ والحزم : سداد الرأى ؛ واللُب : العقل . وجلوساً : تمييز . والركبة : هيئة الركوب . يقول : يا أحزم ذوى العقل وأكرم ذوى الأيادى - النعم - وأشجع الشجعان وأرحم الرحمين وأحسن من تعمم - لبس العمامة - وجلس على المنبر ، وأحسن الناس ركوباً على الفرس النهدي - الجسم الحسن العالى - فقله على المنبر العالى الخ : من باب الطى والنشر . وقال ابن جنى : شبه ارتفاع مجلسه بالمنبر ، ولم يكن ذا منبر ولا خطيباً فى الحقيقة . . . قال ابن فورجه : ظن ابن جنى أن الخطبة عيب بالمدوح ، وما ضر ابن العميد أن يدعى له المتنبي أنه يصعد المنبر ويخطب قومه كالحليفة فى الناس ؟ !

(٤) يقول : حمدنا الايام على أن جمعت بيننا فلم تدم لنا ذلك الحمد ، لأنها أوجبت إلى الرحيل والانصراف عنك ، فمفعول حمدنا : محذوف ، تقديره حمدناها ، أو حمدنا الأيام ، وقوله : بالجمع بيننا ، تعظيم لنفسه ، لأن معناه أن ابن العميد كان يحب الاجتماع معه ، كما كان المتنبي يحب ذلك . وكذلك قوله : حمدنا ، إذ جعل الحمد منهما ، فهو بذلك يعظم من حال نفسه .

(٥) يقول : إن الأيام جعلت وداعى لك وداعا لثلاثة أشياء : هى جمالك والعلم المبرح والمجد ، وكل واحد منها يعز على فراقه . هذا ؛ ولم يصف أحد العلم بأنه مبرح غير أبى الطيب ، إنما يستعمل التبريح فيما يشتد على الإنسان يقال : وجد مبرح مثلاً ، فلعله من قولهم برح الخفاء : أى انكشف ؛ أى العلم الذى يكشف عن الحقائق . أو تقول : العلم المبرح فراقى إياه .

- وَقَدْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ أُنَى غَيْرِ أُنَى يُعَيِّرُنِي أَهْلِي بِإِذْرَاكِهَا وَحَدِي (١)
وَكُلُّ شَرِيكِ فِي الشَّرُورِ بِمُصْبِحِي
أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لَا يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِي (٢)
فَجَدُّ لِي بِقَلْبٍ إِنْ رَحَلْتُ فَأِنْتِي مُخَلِّفٌ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضَلُهُ عِنْدِي (٣)
وَلَوْ فَارَقْتَ نَفْسِي إِلَيْكَ حَيَاتَهَا لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ (٤)

(١) المنى ؛ جمع منية ، وهي الشيء الذي تتمناه . يقول ؛ إنني أدركت عندك من الغنى والسعادة ونيل المراد ما كنت آتمناه ، ولكن إذا انفردت به واستأثرت دون أهلي ولم أرجع إليهم ، عيروني بتلك الأثرة والأناية .

(٢) قوله بمصباحي : متعلق بالسرور ، وهو مصدر بمعنى الإصباح . والضمير في قوله بعده وفي يري : راجع لكل ؛ وفي مثله : راجع لمن - من قوله من لا يرى . يقول : كل من شاركني في السرور بإصباحي عنده حين أعود إليه من أهلي وغيرهم ورأى ما أوتيته ، أرى منك اليوم يا ابن العميد بعد مفارقتي إياه إنسانا لا يرى هو مثله ، لأنه لا نظير لك في الدنيا ؛ يعني أنه مع سروره بالعودة إلى أهله وغير أهله وسرورهم به فإنه مع هذا السرور لا يزال منغصاً لفراق ابن العميد ، لأنه لا يرى عندهم بعد عودته إليهم رجلاً آخر مثله .

(٣) يقول : إنني أفارقك وأرتحل عنك وأخلف قلبي لديك لأنك أغدقت علي أفضالك فأسرت قلبي . وهذا معنى متداول .

(٤) يقول : لو فارقت نفسي حياتها إليك وآثرت البقاء لديك على الحياة معي لقلت إنها أصابت فيما فعلت ولم أنسبها إلى سوء العهد ، لأنك أربها مني .

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع ويذكر هزيمة وهشودان :

أزأرُ يا خيالُ أمْ عائدُ أمْ عندَ مولاكَ أنِّي راقِدُ^(١)
 لَيْسَ كما ظنَّ غَشِيَةٌ عَرَضَتْ فِجئتِي في خِلالِها قاصِدُ^(٢)
 عُدْ وأعدْها فحَبَّذا تلفُ ألصقَ نَدْيِي بِنَدْيِكَ النَّاهِدُ^(٣)
 وَجُدْتَ فِيهِ بما يَشِخُّ بِهِ مِنَ الشَّيْثِ المَوْشَرِّ البَارِدُ^(٤)
 إِذا خِيالَتُهُ أَطْفَنَ بِنَا أَضْحَكُهُ أَنَّنِي لَهَا حامِدُ^(٥)

(١) يقول - مخاطباً خيال المحبوب - : أزأراً جئتني أيها الخيال أم عائداً؟ أي أنى مريض من الحب فأنا خالق منك بالعبادة ، ثم قال : أم عند مولاك - أي صاحبك ، وهو الحبيب - الذى أرسلك إلى - أنى راقد ؟ أي أم اعتقد مولاك أنى راقد فأرسلك إلى على هذا الاعتقاد ؟ .

(٢) قاصد : حال ، سكنه للضرورة ، واسم ليس : ضمير الشأن ؛ وغشية عرضت : جملة مستأنفة . يقول : ليس الأمر على ما ظن من أنى راقد حين زرتنى ، وإنما هى غشية - أى همة لارقدة - أدركتني من الألم ، فجئتني في خلال تلك الغشية . يريد أنه لم يكن نائماً ، وإنما يزور الخيال النائم .

(٣) الناهد : الشاخص . يقول : عد أيها الخيال ثانية وأعد الغشية التى لحقتني وإن كان فيها تلفي ، فحَبَّذا تلف يكون سبباً لقربك ومعانقتك . قال الواحدى : وكان من حقه أن يقول للغشية : عودى وأعيدى الخيال ، لأن الغشية كانت سبب زيارة الخيال ، لا الخيال سبب لحاق الغشية ؛ ولكنه قلب الكلام في غير موضع القلب . وهذا بديع من الواحدى

(٤) جدت فيه : عطف على ألصق في البيت السابق - والضمير : للتلف ؛ وشرشيت : مفرق مفلج ، والمؤشر : الذى فيه أشر : أى تحزير . يقول : وجبنا هذا التلف الذى جدت فيه بما يرضن به مولاك من تقبيل اشعر المفلج المحرز البارد الرقيق ، يريد أنه قبل الطيف وارثشف رضاه .

(٥) يقول : إذا ألمت بنا خيالات الحبيب وزارتنا فحمدت زيارتها : أضحك الحبيب ذلك الحمد ، لأن الخيال فى الحقيقة ليس بشيء « هذا » والخيالات يجوز أن يكون جمع خيالة ؛ قال أبو تمام :

وَقَالَ إِنْ كَانَ قَدْ قَضَى أَرْبًا مِنْهَا فَمَا بَالُ شَوْقِهِ زَائِدٌ^(١)
لَا أَجْحَدُ الْفَضْلَ رُبَّمَا فَعَلْتُ مَا لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا وَلَا وَاِعِدُّ^(٢)
لَا تَعْرِفُ الْعَيْنُ فَرَقَ بَيْنَهُمَا كُلُّ خِيَالٍ وَصَالُهُ نَافِدٌ^(٣)
يَا طِفْلَةَ الْكَفِّ عِبْلَةَ السَّاعِدِ عَلَى الْبَعِيرِ الْمُقْلَدِ الْوَاحِدِ^(٤)

فلست بنازل إلا أَلَمَّتْ بِرَحْلِي أو خَيَّأْتُهَا الْكَذُوبُ^(١)

ويجوز أن يكون جمع خيال كجواب وجوابات ، والخيال والخيالة : ما تشبه لك في في اليقظة والحلم من صورة ، أو الشخص والطيف .

(١) الأرب : الحاجة . يقول : وقال الحبيب : إذا كان قد أدرك حاجته منا بزيارة الخيال فم زاد شوقه إلينا ؟ وسكن « زائد » للقافية .

(٢) يقول : وعلى هذا لأجحد فضل الخيالات ، لأنها فعلت من الزيارة ما لم يفعله الحبيب ، ولم يعد به ، فضلا أن يفعله .

(٣) نافذ : أى فان ذاهب ؛ قال الأسود بن يعفر الأيادى :

وَأَرَى النِّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلَهِّئِي بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَنَفَادِ

يقول : إنه لافراق بين الحبيب وبين خياله ، لأن كلا منهما لا يدوم وصاله ، إذا واصل لا يعتمد أن يصرم فلا يبقى إلا خيالا : وقال ابن جنى : لافرق بينها وبين خيالها ؛ لأن كل شيء إلى نفاذ ما خلا الله وحده قال ابن فورجه - وما أمر نقه - : هذه موعظة وتذكيرة ، وإنما يقول : هذه المرأة لو واصلت لم يدم الوصال ، كما أن خيالها إذا وصل لم يدم ؛ وأما قوله كل خيال : فهو الذى غلط أبا الفتح وكلفه أن يورده ما أورده ، وإمعانى بكل : كلا من المذكورين ، كما تقول : خرج زيد وعمرو وكل راكب ؛ والسكل يستعمل فى الاثنين كما يستعمل فى الجمع ؛ ولما قال : لا تعرف العين فرق بينهما : علم أنه يشير بالكل إليهما ، لا إلى جماعة غيرهما ، وأبو الطيب فى غزل وتشبيب ؛ فما معنى الموعظة هنا؟ ويقول كل شيء فان إلا الله؟ وما أقبح ذكر الموت والمواعظ فى الغزل والتشبيب « هذا » وقوله فرق بينهما أراد لا تعرف العين فرقا بينهما . فأضاف على سلخ بين عن الظرفية .

(٤) يخاطب حبيبته . والطفلة : الناعمة الرخصة . والعبلة : الممتلئة . والبعير المقلد

(١) وقيل : إنما أنت على إرادة المرأة .

زَيْدِي أَدَى مُهَجَّتِي أَرْدَكِ هَوَى فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقٌ حَاقِدٌ^(١)
 حَكَيْتَ يَالَيْلُ فَرَعَهَا الْوَارِدُ فَأَحْكِ نَوَاهَا لِحَفْنِي السَّاهِدُ^(٢)
 طَالَ بُكَائِي عَلَى تَذَكُّرِهَا وَطُلْتَ حَتَّى كِلَا كَمَا وَاحِدٌ^(٣)
 مَا بَالُ هَذِي النُّجُومِ حَارَّةً كَأَنَّهَا الْعَمَى مَا لَهَا قَائِدٌ^(٤)
 أَوْ عُصْبَةٌ مِنْ مُلُوكِ نَاحِيَةٍ أَبُو شُجَاعٍ عَلَيْهِمْ وَاحِدٌ^(٥)

أى الذى عليه قلائد : أى من العهن - الصوف - والواحد : أى المسرع فى السير :
 والبيت مصرع ، قال العكبرى : وهذا البيت ردى لوقيل فى زماننا لهرب فائله من الحياء
 (١) يقول : إن أذاك مستحلى - لأن الحبيب يحلولى منه كل شىء يصدر عنه ،
 قال : زيدىنى أذى أزدك هوى وجباً لأن العاشق لا يحقد على محبوبه ، فإن حقد عليه
 شيئاً كان ذلك منه جهلاً وعدم معرفة بمقامات الهوى .

(٢) حكيت أشبهت ، أو مثلت ، والفرع : الشعر ؛ والوارد من الشعر : الطويل
 المسترسل . والنوى : البعد . والساهد : الساهر . يقول : أشبهت باليل شعرها فى السواد
 فأشبه بعدها عنى : أى ابعد عنى كما بعدت ولا تطل على .

(٣) يقول : طال بكأى لأجلها وطلت - أيها الليل - حتى كلا كما واحد فى الطول
 وروى ابن جنى تذكرة : أى الفرع .

(٤) حائرة : حال . وقوله : مالها قائد : حال من العمى . يقول : لم حارت النجوم
 فلا تسرى لتغيب كأنها العمى ليس لها من يقودها ؟ يريد : طول الليل وأن النجوم كأنها
 واقفة . وهذا من قول بشار :

وَالنَّجْمُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحِيْرٌ مَا لَدَيْهِ قَائِدٌ

(٥) أو عصبة : عطف على العمى . وواجد : غضبان . يقول : أو كأنها جماعة من
 ملوك النواحي قد غضب عليهم أبو شجاع فبقوا حيارى رهبة وفرقا . وفى هذا البيت من
 البديع حسن التخلص « هذا » ولعل الناظر فى ديواننا يلحظ أننا اتبعنا فى مثل عليهم
 قراءة أبى عمرو بن العلاء أن نكسر الميم لا تبايع كسرة الهاء ، وإن كان الأكثرون
 على ضمها : وفى ذلك يقول عماؤنا : إذا تحركت الميم عند التقاء الساكنين تحرك بالضم
 والكسر ، والضم أولى من الكسر ، والكسر لا تبايع كسرة الهاء : وقد قرأ القراء

إِنَّ هَرَبُوا أَدْرَكُوا وَإِنْ وَقَفُوا خَشُوا ذَهَابَ الطَّرِيفِ وَالتَّالِدِ (١)
 فَهَمُّ يَرْجُونَ عَفْوَ مُقْتَدِرٍ مُبَارَكِ الْوَجْهِ جَائِدٍ مَاجِدِ (٢)
 أَبْلَجَ لَوْ عَادَتِ الْحَمَامُ بِهِ مَا خَشِيَتْ رَامِيًا وَلَا صَائِدِ (٣)
 أَوْ رَعَتِ الْوَحْشُ وَهِيَ تَذْكُرُهُ مَا رَاعَهَا حَابِلٌ وَلَا طَارِدِ (٤)
 تُهْدِي لَهُ كُلُّ سَاعَةٍ خَبْرًا عَنِ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بَائِدِ (٥)
 وَمَوْضِعًا فِي فِتَانٍ نَاجِيَةٍ يَحْمِلُ فِي التَّاجِ هَامَةَ الْعَاقِدِ (٦)

الستة - سوى أبي عمرو - « عليهم الذلة » بضم الميم ، وما أشبهه حيث وقع :
وكسره أبو عمرو .

(١) الطريف : المكتسب : والتالد : الموروث : يقول : - ذا كراً سبب تخيرهم -
إنهم لا يجدون منه ملجأ لا بالهرب - لأنهم لو هربوا أدركهم وأوقع بهم - ولا بالإقامة -
لأنهم لو أقاموا خشوا أن يغير عليهم فلا يبق على شيء .
(٢) يقول : إن هؤلاء ملوك النواحي يرجون عفو هذا الملك المبارك ذي
الجود والمجد .

(٣) و (٤) الأبلج المشرق الوجه وعادت لجأت ، وراعها ، أفزعها والحابل ،
الذي ينصب الحباله ، وهى الشرك ، يقول : إنه عزيز الجانب مهيب ، من لجأ إليه أو
استأمن بذكره ، أمن حق الطير والوحش .
(٥) كل ساعة ، فاعل تهدي ، والجحفل : الجيش ، والبائد : المالك ، يقول :
لا تمر ساعة إلا وتهدي إليه خبراً عن جيش من جيوش أعدائه قد هلك تحت سيفه
يعنى تتابع أخبار فتوحه لكثرة سراياه إلى النواحي .

(٦) وموضعا ، عطف على خبراً - فى البيت السابق - والموضع ، المسرع فى سيره ؛
والفتان ، غشاء للرحل من آدم ؛ والناجية : الناقة السريعة ؛ والهامة : الرأس ؛ والعاقد
عاقد التاج ، يقول : وتهدى له كل ساعة رسولا مسرعا فى رحل ناقة خفيفة ييدشره
بقتل عدو وفتح ناحية ، وأخذ ملك ذى تاج يحمل إليه رأسه وتاجه ، وكان قد ورد
الخبر على عضد الدولة بهزيمة وهشودان بعد الكرة الأولى وضربت الدبابد * على باب
عضد الدولة ، وهذا ما يشير إليه التنبي .

(*) الدبابد ؛ الطبول ؛ وأصل الدبابة ؛ الصياح والجلبة .

يَا عَضُدًا رَبُّهُ بِهِ الْعَاضِدُ وَسَارِيًّا يَبْعَثُ الْقَطَاَ الْهَاجِدَ^(١)
 وَمُمْطِرَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مَعًا وَأَنْتَ لَا بَارِقُ وَلَا رَاعِدَ^(٢)
 نَلْتِ وَمَا نَلْتِ مِنْ مَضْرُوتٍ وَهَشُودَانَ مَا نَالَ رَأْيُهُ الْفَاسِدَ^(٣)
 يَبْدَأُ مِنْ كَيْدِهِ بَغَايَتِهِ ،
 وَإِنَّمَا الْحَرْبُ غَايَةُ الْكَائِدِ^(٤)

(١) العاضد : العين ؛ وبه : صلة العاضد ، والباء للاستعانة ، والساري ، السائر ليلا ، ويبعث : يثير ، والهاجد ، النائم . أى يعاضد الدولة التى يعضدها الله سبحانه به ، ثم قال : ويامن تسرى فقطع الصحارى بجيوشك فتثير القطا عن أفاحيصها وهى نائمة ، يريد كثرة غاراته وسيره إلى الأعداء ليلا .

(٢) يقال ، برقت السماء ورعدت ، وأبرقت وأرعدت ، يقول ، أنت تمطر الموت على أعدائك بالقتل وتحيي أولياءك بالبذل والإحسان ، فكأنك سبحانه يمطر الموت والحياة ، غير أنه لا برق لك ولا رعد ، يعنى أنك تفعل ذلك على غير احتفال ولا استعداد .

(٣) وهشودان ؛ هو ملك الديلم ، ويقال نال من عدوه ؛ إذا أنزل به كيد ، وقوله من مضرة ؛ صلة أحد الفعلين على التنازع ، وقوله مانال مفعول نلت الثانى ، يضعف رأى وهشودان بأنه جنى على نفسه الشر بمحاربة ركن الدولة ، يقول : نلت من وهشودان وألحقت به المضرة ما أردت ، وما بلغت من مضرته ما بلغ رأيه ؛ يعنى أن فساد رأيه كان أبلغ فى مضرته من قتالك له ، وهذا من قبيل قوله ؛

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وقد ذكر فساد رأيه فى البيت التالى .

(٤) الضمير فى غايته ؛ للكيد ؛ والغاية المنتهى ؛ والكائد ؛ صاحب الكيد ، وأراد بغاية الكيد ؛ الحرب ، كما بين ذلك فى عجز البيت . يقول ؛ إنه بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فابتدأ الكيد من آخره ، لأن الحرب لا يلجأ إليها إلا إذا لم تجد الوسائل ؛ يعنى أنه كان الأحزم له أن لا يحاربكم إلا إذا اضطر إلى المحاربة .

(*) خلافاً للأصمعي فإنه لا يجوز أبرقت وأرعدت .

مَادَا عَلَيَّ مَنْ أَتَى يُحَارِبُكُمْ فَدَمَّ مَا اخْتَارَ لَوْ أَنِّي وَافِدٌ^(١)
بِلَا سِلَاحٍ سِوَى رَجَائِكُمْ

فَفَازَ بِالنَّصْرِ ، وَأُنْتَنَى رَاشِدٌ^(٢)

يُقَارِعُ الدَّهْرَ مَنْ يُقَارِعُكُمْ عَلَى مَكَانِ الْمَسُودِ وَالسَّائِدِ^(٣)

وَلَيْتَ يَوْمِي فَنَاءَ عَسْكَرِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ دَانِيًا وَلَا شَاهِدًا^(٤)

وَلَمْ يَنْبَغِ غَائِبُ خَلِيفَتِهِ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَّهُ الصَّاعِدِ^(٥)

وَكَلُّ خَطِيئَةٍ مُتَّفِقَةٌ يَهْرُهَا مَارِدٌ عَلَى مَارِدٍ^(٦)

(١) و (٢) ذم ؛ عطف على أتى ، والوافد ؛ الذى يفد طلبا للعطاء وأراد وافدا بالنصب ولكنه وقف عليه بالإسكان ضرورة ؛ وبلا سلاح ؛ متعلق بأنى يقول ؛ الذى أتاكم محاربا ثم ذم ما اختاره من حربكم لإخفافه ماذا كان عليه لو جاءكم سائلا واستعان عليكم بالرجاء بدل السلاح ؛ إنه لو فعل ذلك لفاض ورجع غائبا راشدا .

(٣) يقارع ؛ يحارب ، من المقارعة بالسلاح ، والمسود ؛ الذى سادته غيره ، والسائد الذى ساد غيره ، يقول : من يحاربكم ويتمرد عليكم يحاربه الدهر على مقداره رئيسا كان أو مرءوسا ، وفى هذا المعنى نظر إلى قول محمد بن وهيب - قل العكبرى ؛ كتبت جارية إلى مولاها - وقد باعها ، وكانت تهواه ؛ وهب الله لطرف يشكو إليك الشوق حظا من رؤيتك ، فما أشبه إبعاد الدهر لى عنك إلا بقول محمد بن وهيب ؛

وَحَارَبَنِي فِيهِ رَبُّ الزَّمَانِ كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقٌ

(٤) وليت ؛ توليت ؛ والدانى ؛ القريب ؛ والشاهد ؛ الحاضر ، يقول : توليت فناء عسكر وهشودان فى اليومين اللذين انهزم فيهما ، وأنت لم تحضر القتال فى الموقعتين بنفسك ولم تكن قريبا منهما ؛ يعنى أنه كتب لك النصر فيهما وإن كنت غائبا ، لأن سعدك ناب عنك فى قتالهم ؛ كما قال فى البيت التالى . وعبارة الواحدى ؛ يريد اليومين اللذين هزم فيهما أبوه وهشودان ، ولم يكن عضد الدولة فيهما ، بل كان أبوه هو الذى هزمه ؛ يريد أن من هزمه جيش أليك فقد هزمته أنت .

(٥) يقول ؛ وإن لم تحضر القتال فقد كان لك فيه خليفتان ؛ جيش أليك ، وحظك الصاعد فى مراقي السعد ، فكا أنك لم تغب ، لأنه إذا حصل النصر بهذين فكأنه حصل بك (٦) وكل ؛ عطف على جيش - فى البيت السابق - والحطية المثقفة ؛ الرماح المقومة

سَوَافِكُ مَا يَدْعُنْ فَاصِصَةً بَيْنَ طَرِيٍّ الدَّمَاءِ وَالْجَاسِدِ^(١)
إِذَا الْمَنَايَا بَدَتْ فَدَعَوْتُهَا أَبْدِلْ نُونًا بِدَالِهِ الْحَائِدِ^(٢)
إِذَا دَرَى الْحِصْنَ مَنْ رَمَاهُ بِهَا
خَرَّ لَهَا فِي أُسَاسِهِ سَاجِدٌ^(٣)
مَا كَانَتْ الطَّرْمُ فِي عَجَاجَتِهَا إِلَّا بَعِيرًا أَضْلَهُ نَاشِدٌ^(٤)
تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلَاعِ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةٌ شَارِدٌ^(٥)

المستوية . والمارد ؛ الذى لا يطاق خيما وعتوا . يقول ؛ وكان خليفتك فى اقتال الرماح المقومة يهزها رجل مارد على فرس مارد أو على رجل مارد مثله ؛ قال العكبرى : وهو أبلغ إذا لقي الشجاع شجاعا مثله ، وهذا تفصيل بعد إجمال ، لأن هؤلاء كانوا من جيش أبيه وقد ذكروهم .

(١) سوافك ؛ خبر مبتدأ محذوف تقديره ؛ هى - الخطية - سوافك الخ . والجاسد ؛ اللازق الذى قد جف . يقول : هذه الرماح سوافك إذا أراقت دما جف أردفته دما طريا دون أن تفصل بينهما . فقوله : ما يدعن فاصلة ؛ أى من غير فصل بينهما ؛ وقال ابن جنى ؛ أى ما يدعن بضعة أو مفصلا إلا أسلنه دما . وهذا معنى بعيد .

(٢) الحائد ؛ نائب فاعل أبدل ؛ وجملة أبدل الخ ؛ خبر دعوتها . يقول ؛ إذا ظهرت المنايا وكشرت عن نايها عند اشتباك الجيوش دعت بأن يصير الحائد - الذى على الحياذ وخام عن القتال - من جيش عضد الدولة - حائنا ؛ أى هالكا ؛ والمعنى ؛ أن عسكر عضد الدولة يقولون لدى الوغى ؛ جعل الله الحائد منا هالكا .

(٣) الضمير فى بها ولها ؛ للخيلى ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرأين . يقول ؛ إذا علم حصن العدو أن عضد الدولة هو الذى رماه بالخيلى سقط ساجدا وانقضت حيطانه لها هية له .

(٤) الطرم ؛ قلاع وهشودان . والعجاجة ؛ واحدة العجاج ؛ الغبار ؛ وفلان ينشده ضالته ؛ يطلبها . يقول ؛ إن الطرم كانت فى غبار الخيل كأنها بعير أضله طالبه ، فهو ينشده ؛ أى أن العجاج أحاط بها لكثرتة حتى غابت فيه وخفيت عن الأنظار .

(٥) تسأل ؛ أى الطرم - قلاع وهشودان - أو الخيل ، يقول ؛ تسأل الطرم أهل القلاع عن وهشودان ، وقد مسخته الخيل نعامة شرودا ؛ يعنى أنه أسرع فى الحرب

تَسْتَوْحِشُ الْأَرْضُ أَنْ تَقَرَّ بِهِ
 فَكُلُّهَا مُنْكَرٌ لَهُ جَاحِدٌ^(١)
 فَلَا مُشَادٌ وَلَا مُشِيدٌ حَمَى وَلَا مَشِيدٌ أَغْنَى وَلَا شَائِدٌ^(٢)
 فَاعْتَظْ بِقَوْمٍ وَهَشُودَ مَا خُلِقُوا إِلَّا لِغَيْظِ الْعَدُوِّ وَالْحَاسِدِ^(٣)
 رَأُوكَ لَمَّا بَلَّوْكَ نَابِتَةً يَا كُلُّهَا قَبْلَ أَهْلِهِ الرَّائِدِ^(٤)
 وَخَلَّ زِيًّا لِمَنْ يُحَقِّقُهُ مَا كُلُّ دَامٍ جَبِينُهُ عَابِدٌ^(٥)

كالنعامة عند إقبال خيلك خوفا ورعبا ، والعرب تصف النعامة بشدة الفور والشرود ، والنعامة ، تقع على الذكر والأنثى ، كالبقرة والبطة والحمامة ، ومن ثم وصفها بالشارد ، (١) يقول ، تخاف الأرض أن تقر به ، أى تعترف بموضعه منها فتنطأها خيلك ، فكل موضع ينكره ويوجد أنه رآه ، يريد شدة إمعانه في الحرب وتواريه حتى لا يهتدى أحد إلى مكانه ، وقد روى بدل منكر ، أنه - بالمد وكسر النون - يقال أنه بأنه أنها وأنوها ، إذا زحر من ثقل يجده .

(٢) المشاد ، البناء المرفوع المطول ، والمشيد العلى للبناء ، وحمى ، يروى على أنه فعل ماض ، ويروى مضافا لمشيد ، فيكون اسما للمكان الحمى ، والمشيد ، المطلق بالمشيد ، وهو الجص أو الكلس ، والشائد ، فاعل منه ، يقول : لم يحم وهشودان البناء ولا البانى من بطش عضد الدولة ، أى لم تغن عنه قلعته ولا جنده ، (٣) وهشود : ترخيم وهشودان . يقول : كن أبداً مغتاطاً بقوم لم يخلقوا إلا غيظاً للأعداء والحساد . يعنى قوم عضد الدولة .

(٤) بلوك . أى اختبروك . ونابطة مفعول ثان لرأوك ، والرائد : الذى يرسل فى طلب الكلاء ، يقول : إن هؤلاء القوم اختبروك فرأوك من الضعف والقلّة بمنزلة نبات يرعاه الرائد قبل أهله . يعنى أن طلائع ركن الدولة تولت حرب وهشودان والظفر به وحدها دون أن يكون فيها ركن الدولة ولا عضد الدولة ، لانها رأته من الضعف بحيث لا يستأهل مسير أحدها . فالضمير فى أهله : للرائد .

(٥) وخل : عطف على اغتظ ؛ وجبينه فاعل دام . يقول : إن زى الملوكية لا يليق بك فاتركه لمن هو أحق به منك ، فليس كل من تزى بزى الملوكة ملكا ، كما أنه ليس كل من دعى جبينه يكون ذلك من كثرة العبادة والسجود

(١) إِنْ كَانَ لَمْ يَعْمِدِ الْأَمِيرُ لِمَا لَقِيتَ مِنْهُ فَيَمْنَهُ عَامِدٌ
 يُفْلِقُهُ الصُّبْحُ لَا يَرَى مَعَهُ بُشْرَى بَفَتْحِ كَأَنَّهُ فَاقِدٌ (٢)
 وَالْأَمْرُ لِلَّهِ رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدٌ (٣)
 وَمَتَّقِ وَالسَّهَامُ مُرْسَلَةٌ يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدٍ (٤)
 فَلَا يُبِيلُ قَاتِلٌ أَعَادِيَهُ أَقَامًا نَالَ ذَاكَ أَمَّ قَاعِدٌ (٥)
 لَيْتَ ثَنَائِي الَّذِي أَصَوغُ فِدَى مَنْ صَبِغَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَالِدٌ (٦)

- (١) يعمد يقصد واليمن : السعد . يقول : إن كان الأمير لم يقصدك بنفسه ليحك بك ما لقيت منه فإن يمنه قصدك : أى فأنت قتيل سعده وإقباله إن لم تكن قتيل سلاحه .
- (٢) يقول : إذا أصبح ولم يرد عليه من يبشره بفتح قلق كأنه فقد شيئاً ، وقال ابن جنى : معنى كأنه فاقد ، أى كأنه امرأة فقدت ولدها . قال ابن فورجه : مثل عضد الدولة لا يشبه بامرأة في حال من الأحوال . وليس إذا كان يقال للمرأة الثكلى : فاقد يمتنع أن يسمى الرجل فاقدًا . وقوله : لا يرى معه . جملة حالية من الصبح .
- (٣) يقول : ليس من شريطة الاجتهاد نيل المراد ، فقد يخيب الجاهد وينال مراده القاعد . يريد أنه ما أهلكه إلا اجتهاده في طلب الملك بتعرضه لهؤلاء القوم ، فصار اجتهاده سبب فشله وخيبته ، لأن الأمر لله ، لا للمجتهد ، قال عبد الله بن المعتز : تدل الأشياء للتقدير ، حتى يصير الهلاك في التدبير .
- (٤) ومتق ؛ عطف على مجتهد ؛ والحابض ؛ خلاف الصارد ؛ يقال حبض السهم ؛ إذا وقع بين يدي الرامى لضعف الرمى ، والصارِد ؛ السهم النافذ في الرمية والبيت في معنى الذى سبقه يقول : ورب متق خائف على نفسه من السهام إذا رميت فهرب من سهم لا ينفذ إلى سهم ينفذ فيه فيكون فيه هلاكه
- (٥) يقول ؛ من قتل عدوه فلا يبالي ، أقتله قائماً أم قاعداً ، يعنى أنه مادام الغرض هو قتل العدو ، فإذا كفيته بغيرك وأنت قاعد فليس ذلك بذى بال ؛ أى ليس بهمهم أن تقتله بنفسك قال الواحدى ؛ كان حقه أن يقول لا يبالي - بحذف الياء الأخيرة - للجزم ، ولكنه قاس على قولهم ؛ لا تبلى ، بمعنى لا تبالي ، وإنما جاز ذلك لكثرة الاستعمال ، ولم يكثر استعمالهم «لا يبيل» ، فيجوز فيه ما جاز في غيره .
- (٦) يقول : إن هذا الشعر الذى أصوغه فى الثناء على الممدوح هو باق مخلد فى

لَوَيْتُهُ دُمْلَجًا عَلَى عَضُدٍ لِدَوْلَةٍ رُكْنُهَا لَهُ وَالِدٌ (١)

وقال في صباه :

وَشَادِنِ رُوحٍ مَنْ يَهْوَاهُ فِي يَدِهِ

سَيْفُ الصَّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلِّدِهِ (٢)

مَا أُهْتَزَّ مِنْهُ عَلَى عَضُوِّ لَيْبَتَرِهِ إِلَّا اتَّقَاهُ بَتْرُسٍ مِنْ تَجَلِّدِهِ (٣)

ذَمَّ الزَّمَانَ إِلَيْهِ مِنْ أَحَبَّتِهِ مَا ذَمَّ مِنْ بَدْرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ (٤)

الكتب ، فليته فدى الذى عمل فيه — أى الممدوح — حتى لا يهلك ويبقى خالدًا .

(١) الدملج : ما يلبس من الحلى فى العَضُدِ . يقول : جعلت مديحى حلية له كما يخلى العَضُدُ بالدملج . وهو عَضُدٌ لدولة ركن تلك الدولة والد له : أى أنها ملاك الدولة وقوامها ، فهو عَضُدُها وأبوه ركنها . وسمى شعره دملجاً لذكر العَضُدِ .

(٢) الشادن : الظبي يقوى ويطلع قرناه ويستغنى عن أمه . والمقَدُّ فى الأصل : العنق ، لانه موضع القلادة ، والمراد هنا : موضع تقليد السيف . يقول : إنه يقتل بصدوده ؛ فكأنه تقلد سيفاً من الصدود . « هذا » وقد جعل الواحدى — وتبعه العكبرى — صدر هذا البيت قوله :

* سَيْفُ الصَّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلِّدِهِ *

أما العجز فقالوا : إنه لم يحفظ ، فقال قوم هو :

* بِكَفِّ أَهْيَفَ ذَى مَطْلٍ بِمَوْعِدِهِ *

وقال آخرون هو :

* يَفْرِى طُلَى وَامِقِيهِ فِي تَجَرِّدِهِ *

أما الرواية التى أثبتناها فى رواية ابن القطاع .

(٣) البتر : اقطع ؛ والتجلد : التصبر ؛ والضمير فى اهتز ؛ للسيف ، وفى منه ؛ للشادن ؛ وفى اتقاه — المرفوع — للعاشق ، والمنصوب ؛ للسيف ، يقول ؛ لم يهتز هذا السيف — سيف الصدود — من الشادن على عضو من أعضاء العاشق ليقطعه إلا استقبله بتجلده وتصبره ، يعنى ، أنه كلما قصده بالصدود عارضه بالصبر .

(٤) اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت ، وأوجه المعانى أن تقول يقول المتنبي ؛

شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَاقَتْهُ عَلَى فَرَسٍ
تَرَدَّدَ التُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ (١)
إِنْ يَقْبَحُ الْحُسْنُ إِلَّا عِنْدَ طَلْعَتِهِ فَالْعَبْدُ يَقْبَحُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِهِ (٢)

إن الزمان ذم إلى المتنبى العيب الذى ذمه المتنبى من بدر الزمان عند حمده هذا الرجل المسمى أحمد ، وذلك العيب هو النقص والتغير اللذان فى مودة الأعبة ، وفى القمر بالنسبة إلى المدوح - فأحبهت يحفونه ويصدون عنه ؛ والبدر - على بهائه وحسنه - دون أحمد هذا ، فالضمير فى بدره وأحمده للزمان ، وسائر الضمائر ؛ للعاشق - أى المتنبى ، وإليك أقوال الشراح ، قال ابن جنى : البدر هو المعشوق ، جعله بدر الزمان مبالغة فى حسنه ؛ وأحمد ؛ هو المتنبى ، وجعل نفسه أحمد الزمان ، يريد ؛ ليس فى الزمان أحمد مثله ، والمعنى ؛ أن العاشق كان يذم بدر الزمان الذى هو كبدر الزمان حسنا يذم منه جفاه وهجره ، واجتمع معه الزمان على تلك الحال من معشوقه فى حال حمد الزمان لأحمد المتنبى ؛ فالزمان يذم هجر أحبه ويحمده هو لفضله ونجابه قال الواحدى : قد تهوس أبو الفتح فى هذا البيت وأتى بكلام كثير لافائدة فيه ، ومعنى البيت ؛ إن الزمان ذم إلى المتنبى من أعبة المتنبى ، لأنهم يحفونه ماذم الزمان فى بدره يعنى القمر فى حمد أحمد ، يعنى المدوح ، والمعنى ؛ أن البدر مذموم بالإضافة إلى هذا المدوح ، يعنى ، أن البدر على بهائه وحسنه دون أحمد هذا ، وقال ابن اقطاع ، يريد ، أن الزمان يذم معه هجر أحبه كما ذم هو بدره ، أى حبيبه ،

(١) على فرس ؛ حال من الهاء فى لاقته ؛ أى وهو على فرس يقول : هو شمس إذا رأته الشمس وهو يحول فى ميدانه على فرس مترددا تردد نوره فى هيولى الشمس ، لأنه أضوا منها ، فالشمس تستفيد منه النور .

(٢) هكذا روى البيت سائر الشراح قائلين ، إن «إن» ، شرطية ، وجوابها ، فالعبد ، والمعنى ، هو مولى الحسن ، والحسن فى كل أحد قبيح إلا فى طلعه كالعبد لا لحسن عند كل أحد حسنه عند مولاة ، وقال اليازجى ، إن قوله يقبح - فى عجز البيت خطأ فى الرواية ، والعباب يحسن ، فتسكون إن ، نافية ، والمعنى ، إن الحسن فى غير هذا المدوح لا يظهر قبيحا إلا عند مقابلته بطلعه لما فيها من السكال وفى غيرها من النقص فكل ذى حسن إنما يستحسن عند انفراده عنه ، كما أن العبد إنما يستحسن عند انفراده عن سيده ، فإذا قوبل به ظهر قبيحا بالنسبة إليه وهذا وجه من القول حسن جميل بارع لولا الرواية .

قَالَتْ عَنِ الرَّفْدِ طَبَّ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا
لَا يَصْدُرُ الْخَيْرُ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ (١)
لَمْ أَعْرِفِ الْخَيْرَ إِلَّا مُذْ عَرَفْتُ فِتْيَ
لَمْ يُولَدِ الْجُودُ إِلَّا عِنْدَ مَوْلِدِهِ
نَفْسٌ تُصَغَّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ لَهَا نَهْيٌ كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرِهِ (٢)

(١) الرفد ، العطاء ، ويصدر ، يرجع ، وطب نفسا عنه ، أى دعه ولا تطلبه
يقول قالت : العاذلة طب نفسا عن العطاء ، أى دعه ولا تطلبه فإنه غير مبدول ، فقلت
لها ، إن الحر إذا قصد أمرا لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه ، أى لا بدلى من
بلوغ ما أطلب

(٢) الضمير فى كهله وأمرده : للدهر ، والنهى : جمع نهيّة : العقل . يقول : إن
نفسه - فى عظمها وكبرها - تصغر نفس الدهر الذى هو مجمع الخير والشر .

قافية الذال

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

أَمْسَاوِرُ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا أَمْ لَيْثُ غَابٍ يَتَقَدَّمُ الْأَسْتَاذَا (١)
 شَمٌّ مَا أُنْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكَتْ ذُبَابَهُ قِطْعًا ، وَقَدْ تَرَكَ الْعِبَادَ جُذَاذًا (٢)
 هَبِّكَ ابْنَ يَزْدَاذٍ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ أَتَرَى الْوَرَى أَضْحَوْا بِنِي يَزْدَاذًا (٣)
 غَادَرْتَ أَوْجُهُمْ بِحَيْثُ لَقِيَتَهُمْ أَقْفَاءَهُمْ وَكَبُودَهُمْ أَفْلَاذًا (٤)
 فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمْ فِي ضَنْكِهِ وَأُسْتَحْوَذَ أُسْتَحْوَاذًا (٥)

(١) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وقدم يقدم : إذا تقدم : قال تعالى « يقدم قومه يوم القيامة » والوزير : يسمى الأستاذ في بعض لغة أهل الشام . شبهه في حسنه : بقرن الشمس ، وفي شجاعته : بليث الغاب ، وكان يتقدم الوزير .

(٢) يقول : اغمد سيفك الذي سللته من الغمد ، فقد فلتت حد طرفه بكثرة استعمالك إياه ، وقد ترك سيفك الناس قطعاً . فشم أمر ، من شام السيف إذا أغمده . وانتضاه : استله ، وذباب السيف : حده ، والجذاذ . جمع جذاذة ، وهي القطعة المكسورة .

(٣) هبك : أي احسب نفسك . يقول : احسب أنك حطمت ابن يزداذ ومن معه ، أفطن الناس كلهم أعداء لك مثل ابن يزداذ فتعاملهم معاملتك إياهم وتحاول أن تفنيهم جميعاً ، فابن يزداذ : مفعول حطمت . وهو لا ينصرف للعجمة ، ولكنه صرفه للضرورة .

(٤) يذكر ما فعله بهم يقول : إنك هزمتهم في الموضع الذي لقيتهم فيه فولوك أقفاءهم حتى قامت مقام وجوههم في استقبالك ، وتركت أKBادهم قطعاً صغاراً . وقيل المعنى : طمست وجوههم بالضرب حتى صارت كالأقفاء ، فقوله غادرت : فعل وفاعل وأوجههم : مفعول أول ؛ وأقفاءهم : مفعول ثان . وقوله وكبودهم : أي وغادرت كبودهم أفلاذاً ، والأفلاذ : جمع فلذ ، القطعة من الكبد .

(٥) يقول : كان هذا الفعل منك في معركة ضيقة وقف الموت عليهم فبسبهم في ضيقها حتى استولى على نفوسهم واستأصلهم جميعاً . فالحمم : الموت ؛ والضنك : الضيق .

جَمَدَتْ نَفْسَهُمْ فَلَمَّا جَثَّتْهَا أَجْرِيَّتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْفُؤْلَاذًا (١)
لَمَّا رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُحَمَّدًا فِي جَوْشَنِ وَأَخَا أَبِيكَ مُعَاذًا (٢)

ومنه قوله تعالى « معيشة ضنكا » أى ضيقة . والضمير فى ضنكه : لموقف ؛
واستحوذ : استولى .

(١) الفولاذ : من الحديد معروف ، وهو مصاص الحديد ، المنقى من خبثه
دخيل . قال ابن جنى : يعنى قست قلوبهم وصبروا وشجعوا فاشتدوا كالنبيء الجامد ،
ثم قال المتنبي : فلما جثتها أجريتها — أى أجريت نفوسهم : أى أسلت دماءهم على
سيوفك ، فكأنك جعلتها سقيا لها كما يسقى الفولاذ الماء . وقال الواحدى : فى « جمدت »
أقوال : أحدها أنها جمدت خوفا منك ، والخوف يجمد الدم ، وعليه يتأول
قول الشاعر :

فَلَوْ أَنَّا عَلَى جُحْرِ ذُبْحَنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبْرِ اليَقِينِ (١)

يريد : أن دى يسيل لآتى شجاع ، ودمك لا يسيل لأنك جبان . والثانى أن
دماءهم كانت محقونة ، فلما جثتها أجمتها بسيوفك ، فجعل حقنها كالجمود ؛ إذ كان يذكر
بعده الإجراء ، ثم أورد كلام ابن جنى الذى أوردناه .

(٢) الجوشن : الدرع . يقول : لما رأوك رأوا أباك وعمك لأنك تشبهها ، فلصحة
شبهك بها كأنهم رأوها : يعنى اجتمع فيك فضلها وشجاعتها وكرمها .

(١) قبل هذا البيت :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا رَبَّاحٍ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ مُنْذُ حِينِ
لِيُبَغِضُنِي وَأُبَغِضَهُ وَأَيْضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي

وهذه الأبيات نسبت إلى عدة شعراء ، وأصحها — كما قال ابن دريد — أنها لشاعر
اسمه على بن بدال ابن سليم ،

واتسكشر : المباسطة من « السكشر » وهو : التبسم ، و « ججر » بضم الجيم
وسكون الحاء : الشق فى الأرض وأراد « بالخبر اليقين » ما اشتهر عند العرب من أنه
لا يمتزج دم المتبغضين .

قال ابن الأعرابى : يريد لم يختلط دى ودمه ، من بغض له وبغضه لى بل يجرى
دى يمنة ودمه يسرة .

وقل بعضهم : معناه لو ذبحنا على ججر لعلم من الشجاع منا من الجبان يجرى دى
وجمود دمه ، لأنهم يزعمون أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان يجمد .

أَعَجَبْتَ أَلْسِنَهُمْ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَنِ قَوْلِهِمْ لَا فَارِسَ إِلَّا ذَا (١)
 غِرٌّ طَلَعَتْ عَلَيْهِ طِلْعَةٌ عَارِضٌ مَطَرٌ الْمَنِيَا وَابِلًا وَرَدَاذَا (٢)
 فَعَدَا أَسِيرًا قَدْ بَلَلَتْ ثِيَابَهُ بَدِيمٌ وَبَلٌّ بِبَوْلِهِ الْأَفْخَاذَا (٣)
 سَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشْرِفِيَّةُ طَرْفَهُ فَانْصَاعَ لَا حَلْبًا وَلَا بَعْدَاذَا (٤)
 طَلَبَ الْإِمَارَةَ فِي الشُّغُورِ وَنَشِوَهُ مَا بَيْنَ كَرْخَايَا إِلَى كَلُوَاذَا (٥)
 فَكَانَتْهُ حَسْبَ الْأَسِنَّةِ حُلُوءَةً أَوْ ظَهَّرَهَا الْبُرْنِيَّ وَالْآرَاذَا (٦)

(١) يقول : لما رأوك ورأوا شجاعتك أرادوا أن يقولوا لافارس إلا هذا ، لكنك بادرتهم بالقتل فلم يتمكنوا أن يقولوا هذا القول : أى لو أمهلهم سيفك لأقروا بأنك قريع دهرك وأوحده فروسية وشجاعة . « هذا » : والألسن جمع لسان على تأنيثه . يقال فى التأنيث : ثلاث ألسن : كذراع وأذرع ، ومن ذكره قال ثلاثة ألسنة : مثل حمار وأحمرة ، وهذا قياس ماجاء على فعال من المذكر والمؤنث .

(٢) غر : أى هو ابن زداد - غر ؛ والغر ؛ والغافل ؛ والغارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ والواابل : المطر الشديد . والزناد : الحفيف وهما حالان . يقول كان غافلا عنك حتى طلعت عليه كما يطلع السحاب ، ولما جعله كالسحاب جعل مطره الموت قتلا وجرحاً وأسراً .

(٣) يريد : أنه تلتطخ بالدم والبول جميعاً

(٤) المشرفية : السيوف المنسوبة الى مشارف اليمن ، وهى قرى هناك تعمل بها السيوف . وانصاع : انثنى وولى : وبعداذ : لغة فى بغداد ، يقول : انهزم وتلدد فى أمره فلم يقصد الشام ولا العراق ، لأن سيوفك أخذت عليه هذه الطرق ؛ وحلبا وبغدادا : منصوبان بمضمر أى لا يقصد حلب ولا بغداد وصر فيها ضرورة

(٥) كرخايا وكلوآذا : فريتان بسواد العراق . يقول : حاول أن يكون أميراً على الثغور ، وهو إنما نشأ فى سواد العراق : أى أنه لا يصلح لما طلب ، لأنه سوادى خسيس .

(٦) الأسننة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والبرنى والآزاد : نوعان من التمر كثيران بالعراق . يقول : إنه تعود أكل الرطب والتمر ، وليس هو من أهل الطعان

لَمْ يَلْقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اُخْتَلَفَ الْقَنَا
جَمَلَ الطَّعَانَ مِنَ الطَّعَانِ مَلَاذًا^(١)
مَنْ لَا تَوَافِقُهُ الْحَيَاةُ وَطَيْبُهَا
حَتَّى يُوَافِقَ عَزْمُهُ الْإِنْفَاذًا^(٢)
مُتَعَوِّدًا لُبْسَ الدَّرُوعِ يَخَالُهَا
فِي الْبَرْدِ خَزَاً وَالْهُوَاجِرِ لَازًا^(٣)

والحرب ، فكأنه ظن الحرب تمرأياً كله . « هذا ، والمشهور في الآزاد القصر ، لكنه مده لإقامة الوزن .

(١) القنا : الرماح . والمراد باختلافها أن يطبخ هذا مرة وذاك أخرى والملاذ : الملحأ . يقول : لم يلق قبلك رجلاً إذا اختلف الرماح عند المطاعنة لم يهرب من الطعان إلا إلى الطعان ولم يلجأ إلا إلى النزال لإقدامه وحفاظه وعلمه أنه لا يحمي حقيقته إلا بالطعان ، كما قال : الحصين بن الحمام

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبِقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ

لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

(٢) من : في موضع نصب ، بدل من من الأولى . - يقول : إنه لا يلتذ طعم الحياة إلا إذا أمضى عزمه فأنفذه لا يرجع فيه إلى الوراء : أي أن طيب عيشه في إنفاذ عزمه فإذا رجع عن شيء لم ينفذه لم يطب عيشه ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم « لا يجد طعم الحياة من لا يجد لشهوته دركا . ولا لأمره تصرفاً » .

(٣) الحز : ثياب غليظة تعمل من الحرير ؛ واللاذ : ثوب رقيق من الكتان ، والهواجر : جمع هاجرة ، وهي وقت شدة الحر في نهار الصيف . يقول : لم يلق قبلك إنساناً متعوداً لبس الدروع يظنها في صبارة البرد خزاناً يقيه البرد : وفي حمارة القبط إذا يلاذ به من الحر . فلتعودك لبسها صارت عندك كلبس هذين النوعين من الثياب ، فقله : متعوداً ، نعم لمن - على أنها نكرة - « هذا » : وفي البيت عطف على معمولي عاملين مختلفين ، لأن الهواجر معطوفة على البرد ، ولاذا : عطف على خز ، وإنما جوزه كون عامل أولهما جاراً . وأنشدوا على جوازه قول الشاعر .

أَعْجَبُ بِأَخْذِكُهُ ، وَأَعْجَبُ مِنْكُمْ
أَنْ لَا تَكُونِ لِمِثْلِهِ أَخَذًا (١)

أَكُلُ أَمْرِي تَحْسَبُ بَيْنَ أُمْرًا ،

وَنَارٍ تَأْجَجُ بِاللَّيْلِ نَارًا

(١) يقول : ما أعجب أخذك إياه في قوته وعدده ! وأعجب من ذلك لو لم تأخذه

لأنك مظفر منصور على أعدائك لا يفلت منك أحد تقصده .

قافية الراء

وقال يمدح سيف الدولة وقد سأله المسير معه لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة ،
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

سِرَّ حَلَّ حَيْثُ تَحَلَّهُ النُّوَارُ وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْمُقْدَارُ^(١)

وَإِذَا أُرْتَحَلْتَ فَشَيِّعَتِكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ أُتَجَّهْتَ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ^(٢)

وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تُحَاوِلُ فِي الْعَيْدَى

حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ^(٣)

وَصَدْرَتَ أَغْنَمَ صَادِرٍ عَزْ مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةً لِقَدُومِكَ الْأَبْصَارُ^(٤)

(١) النوار: كالنور ، واحدته نواره . وهو الزهر . وقيل : النوار والنور الأبيض
والزهر الاصفر ؛ وذلك أنه يبيض ثم يصفر ، والمقدار قدر الله . يدعوله ، يقول : سر
واذهب لطيتك حل النوار حيث تحل : أى سقى الله المواضع التى تحلها حتى ينبت فيها
الزهر ، فجعل نبات الزهر كناية عن السقى . ثم قال : ووافقك المقدار على ما تريده من
المطالب فأعانك على بلوغه ؛ وقال الواحدى : ويجوز أن يريد أنك نور المكان الذى
تنزله فحيثما نزلت نزل النوار والقضاء موافق لما تريد .

(٢) الديمة المطر يدوم ساعات دون برق ولا رعد ، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل
وأكثره ما بلغ من العدة ، قال لبيد :

أَتَتْ وَأَسْبَلَتْ وَكَيْفَ مِنْ دِيمَةٍ يُرْوَى أُخْمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا^(١)

والمدرار : الدائم الدار : أى السيلان . يقول : شيعتك السلامة - أى صحبتك
حيث كنت ، وكذلك المطر ينبت لك النبات فتحصب .

(٣) يقول : وأراك الدهر ما تريده فى أعدائك من الظفر بهم ، حتى كأن حوادثه
ونوبه أعوان لك على ما تريد .

(٤) الإصدار : الاثناء عن الماء ؛ والورود ورود الماء . يقول : وردك الله علينا
وأنت أغنم آيب تتطلع إليك أبصار من خلفهم مشرّبة شوقا إلى رؤيتك ، وهذه
الآيات كلها دعاء له .

(١) من معلقة لبيد . يقول : باتت البقرة بعد فقدها ولدها فى مطر دائم الهطلان

أَنْتَ الَّذِي بَجَحَ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَتَزَيَّنْتَ بِجَدِيثِهِ الْأَسْمَارُ^(١)
 وَإِذَا تَنَكَّرَ فَأَلْفَنَاهُ عِقَابُهُ وَإِذَا عَفَا فَعَطَاوَهُ الْأَعْمَارُ^(٢)
 وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ مَوَاهِبُ دَرُّ الْمُلُوكِ لِذَرِّهَا أَغْبَارُ^(٣)
 لِلَّهِ قَلْبُكَ مَا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى ، وَيَخَافُ أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ الْعَارُ^(٤)
 وَتَحِيدُ عَنِ طَبَعِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِ ، وَيَحِيدُ عَنْكَ الْجَحْفَلُ الْجَرَارُ^(٥)

(١) بجح : فرح ؛ قال الجوهرى : بجح بالشيء وبجح به أيضا - بالفتح - لغة ضعيفة فيه وأبجحه الأمر وبجحه أفرحه . وفلان يتبجح أى يفخر ويباهى بشيء ما، وقيل يتعظم وقد بجح بيجح قال الراعى .

وما الفقرُ عن أرض العشيِّرة ساقنا إليك ولكنَّا بقربك نبجحُ
 والسمر : حديث الليل . يقول : يبتهج الزمان مفتخرًا إذا ما ذكرت في جملة أهله وأبنائه وتحسن الأسمار بالحديث عنك .

(٢) يقول : إذا غضب على قوم عاقبهم بالهلاك والاستئصال ، وإذا عفا عن العقوبة ترك القتل ، فكانت الأعمار عطاء منه ونوالا .

(٣) الدر : اللبن ؛ والأغبار : جمع غبر بضم الغين - بقية اللبن في الضرع . يقول : إن عطاياه تعد عطايا الملوك بالقياس إليها كاللبن القليل إلى اللبن الكثير .

(٤) لله قلبك : تعجب ؛ كقولهم : لله درك . يقول : إن قلبك الإلهى لا يتوقى الهلاك ، ولكنه يتوقى أن يدانك شيء فيه عار . وقوله : ما يخاف ويخاف يرويان ما تخاف وتخاب على الخطاب .

(٥) تحيد : تعدل ؛ والطبع : الدنس . والخلائق : الأخلاق . والجحفل الجيش الكثير . والجرار : اشميل السير الذى لا يقدر على السير إلا رويداً لكثرتة . وقال العكبرى : قيل هو فعال من جر إذا جنى كأنه بكثرتة وشدة وطئه الأرض يجنى عليها بإثارة التراب ويجنى على السماء بارتفاع الغبار إليها ؛ وقيل سمي جراراً لأنه يجر ذيله في التراب فيرى له أثر عظيم ، يقول : تتسكب كل شيء يدنس الأخلاق من اللؤم وما إليه ويتسكبك الجيش الكثير انقاء بأسك فانت هارب من وجهه ، مهروب عنه من وجهه وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وَأَجِبْنَ عَنْ تَعْرِيبِ عَرَضِ لُجَاهِلٍ وَإِنْ كُنْتَ بِالْإِقْدَامِ أَطْعَنَ فِي الصَّفِّ

يَأْمَنُ يَعِزُّ عَلَى الْأَعِزَّةِ جَارُهُ ، وَيَذِلُّ مِنْ سَطَوَاتِهِ الْجَبَّارُ (١)
 كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوقَةٌ دُونَ اللَّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ (٢)
 وَبِدُونِ مَا أَنَا مِنْ وَدَادِكَ مُضْمِرٌ يُنْضَى الْمَطِيُّ وَيَقْرُبُ الْمُسْتَارُ (٣)
 إِنْ الَّذِي خَلَفْتُ خَلْفِي ضَائِعٌ مَالِي عَلَى قَلْبِي وَإِلَيْهِ خِيَارُ (٤)
 وَإِذَا صَحِبْتَ فَكُلُّ مَاءٍ مَشْرَبٌ لَوْلَا الْعِيَالُ وَكُلُّ أَرْضٍ دَارُ (٥)
 إِذْنُ الْأَمِيرِ بَأَنْ أَعُودَ إِلَيْهِمْ صِلَةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الْأَشْعَارُ (٦)

(١) يقول : إن جاره الذليل يعز على الأعزة ، فلا يقدر أن ينالوه بسوء ، والمتكبر العاتى العظيم يصير ذليلا لديه إذا غضب .

(٢) تحول : تعترض وتمنع ، واتبوفة الفلاة المترامية الأطراف ، ويشط : يبعد . يقول : كن حيث شئت من الأرض فما يمنعنا عن لقائك بعد المسافة ولا يبعد علينا مزارك ، وفي هذا نظر إلى قول القائل

قَرِيبٌ عَلَى الْمُشْتَقِ أَوْ ذِي صِبَابَةٍ وَأَمَا عَلَى الْكَسْلَانِ فَهَوَ بَعِيدٌ
 (٣) المستار : مفتعل من السير قال الراجز :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْغَنَّارُ ثُمَّ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْمُسْتَارِ

وقوله : وبدون ، أى بأقل ، وأنضى راحلته هزلها بطول السير . والمطى . جمع مطية ، وهى الركوبة ، أو اسم جمع لها . يقول : بأقل مما أضمره لك من المودة تهزل الدواب بالسير وتقرب المسافة ، فكيف ومودتى إليك كثيرة متوافرة ؟ يعنى أن الحب مها بعد عنه محبوبه فهو زائر ، إذ البعيد عنده قريب .

(٤) على : بمعنى مع . وإليه متعلقة بقلقى على تضمينه معنى الشوق ونزاع النفس . والخييار : بمعنى الاختيار . يقول : إن من خلفته ورأى من أهلى ضائع بخروجه من عنده ، إذ قد آثرت صحبتك عليهم مع قلقي واشتياقي إليهم ولا اختيار لى فى إيثارك عليهم ، فأنا مضطر إلى ذلك لأنك قيدتى بإحسانك

(٥) يقول : إذا صحبتك طاب لى كل ماء وواقفتى كل أرض حتى كأنها دارى لولا

من خلفت من العيال :

(٦) يقول : إن إذنك لى بالعود إلى عيالى عطية منك أشكرها لك فى شعرى .

وهذا كقول المهلبى :

وخيره بين فرسين دهماء وكميت فقال :

اخْتَرْتُ دَهْمَاءَ تَيْنِ يَا مَطْرُ وَمَنْ لَهُ فِي الْفَضَائِلِ الْخَيْرُ^(١)
 وَرُبَّمَا قَالَتْ الْعُيُونَ وَقَدْ يَصْدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ النَّظْرُ^(٢)
 أَنْتَ الَّذِي لَوْ يُعَابُ فِي مَلَأٍ مَا عِيبَ إِلَّا بَأَنَّهُ بَشَرُ^(٣)
 وَأَنْ يُعْطَاهُ الصَّوَارِمُ وَالْخَيْلُ وَسُمُرُ الرِّمَاحِ وَالْعَكْرُ^(٤)

فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيًا فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ غُنْمًا كَثِيرًا
 (١) قوله دهماء تين : أى الدهماء من هاتين . كما تقول : اخترت فاضل هذين :
 أى الفاضل منها . فتين : بمعنى هاتين . وتا : بمعنى هذه . وتثنيها : تان . وقوله
 يامطر : أى ياشبيه المطر في الجود . وقوله ومن له : أى ويامن له الاختيار في الفضائل فيختار
 منها ما يستحسن . فالخير : جمع خيرة . اسم من الاختيار والخير ؛ قال الواحدي : يروى
 الخبر يريد الاشتهار في الفضائل

(٢) يقال : فال رأيه يفيل فيلولة : أخطأ وضعف . فقوله : قالت العيون ، أى أخطأت
 يقول إنى اخترت الدهماء ، ولكن ربما كنت مخطئا في الاختيار . فإن النظر قد يصدق
 في العيون فتصيب ؛ وقد يكذب فتحطىء .

(٣) يقول : ليس فيك من عيب ، ولا تعاب إلا بكونك بشراً ، أى أنت أجل
 قدرا من أن تكون بشراً آدمياً ، لأن ما فيك من الفضائل لا يكون في بشر . والملا
 جماعة القوم

(٤) إعطاءه : مصدر ، وضع موضع العطاء الذى هو الاسم ؛ والعكر جمع عكرة
 القطيع الضخم من الإبل . يقول : إنهم لو عابوك ما عابوك إلا بسخائك وإسرافك في هذا
 السخاء . يعنى أنهم لا يعيبونك إلا بما لا عيب فيه ، وهذا من قبيل قول النابغة .

وَلَا عِيبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُفْهِمُ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ
 وقول عبد الله بن قيس الرقيات

مَا تَقَمُّوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْمُونَ إِنْ غَضِبُوا
 وقال ابن جنى : يريد قدرك أن يكون عطاؤك فوق هذا فإذا فعلت هذا فكأنك معيب
 به لقلته بالإضافة إلى قدرك ... قال ابن فورجة : إن كان التفسير على ما ذكره ابن جنى
 فهو هجو ، وكيف تهجى الكبار بأكثر من أن يقال : ما وهبت يسير في جنب

فَأَضِحْ أَعْدَائِهِ كَأَنَّهُمْ لَهُ يَقِيلُونَ كَلِمًا كَثُرُوا (١)
 أَغَاذِكَ اللَّهُ مِنْ سِهَامِهِمْ ، وَمُخْطِئٍ مَنْ رَمِيَهُ الْقَمَرُ (٢)
 وجاءه رسول سيف الدولة برقعة فيها بيتان للعباس (٣) بن الأحنف يسأله
 إجازتهما فقال :

رِضَاكَ رِضَايَ الَّذِي أَوْثُرُ وَسِرِّكَ سِرِّي فَمَا أَظْهَرُ (٤)
 كَفَمْتِكَ الْمُرُوءَةَ مَا تَتَّقِي ، وَأَمْنَكَ الْوُدَّ مَا تَحْذَرُ (٥)

قدرك فيجب أن تهب أكثر من ذلك ... ولكن العكبري قال: الذي ذكره ابن جني صحيح؛ وقد يمدح الإنسان الكثير العطايا بأن قدره يقتضى أكثر مما يعطى؛ كقوله أيضاً :

* يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا *

(١) يقول : إنه يفضح أعداءه بظهور فضله عليهم وتخليفهم عنه وتوافر فضائله ؛ فإذا قيسوا به وضيفوا إليه فلو أدق وحقارة وإن كانوا كثيرين عدداً وكمية ؛ وهذا معنى دقيق بديع ؛ وقوله : كأنهم له ، أى لاجله .
 (٢) يدعو له أن يحفظ الله من سهام الأعداء ؛ ويحتمل أن يكون خبراً . وقوله ومخْطِئ من رميه القمر ؛ فالرمي : المرعى . يقول : إنهم لا يصيبونك برميهم كما لا يصيب القمر من رماه . لأنه أرفع محلا من أن يبلغه سهم راميهِ وكذلك أنت
 (٣) والبيتان هما :

أَمِنِّي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحِطِّي فِي سِتْرِهِ أَوْفَرُ
 وَلَوْلَمْ أَصْنَهُ لِبُقْيَا عَلِيكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

« قوله : لبقياء عليك : أى لإرعاء عليك ورحمة : أى لولم أصن سرك إرعاء عليك من إفشائه لصنته إرعاء على نفسى أنا وخشية أن تفسد حالى معك إذا اطلع الناس على ما بيننا

(٣) أوثر : أختار ؛ والعائد محذوف : أى أوثره ؛ وقوله : فما أظهر ، استفهام إنكارى . يقول : إذا رضيت أمراً فهو رضى الذى أختاره وسرنا واحد ، فأى شيء أظهر منه ؛ أى لا أظهر سرك لأنه سرى .
 (٥) يقول : اطمئن من جهتي لأنى ذو مروءة ، وذو المروءة لا يكون مديعاً

وَسِرُّكُمْ فِي الْحِشَاءِ مَيِّتٌ إِذَا أَنْشَرَ السِّرَّ لَا يُنْشَرُ (١)
 كَأَنِّي عَصْتُمْ مُقْلَتِي فِيكُمْ وَكَاتَمْتُ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ (٢)
 وَإِفْشَاءُ مَا أَنَا مُسْتَوْدَعٌ مِنَ الْغَدْرِ وَالْحُرِّ لَا يَغْدِرُ (٣)
 إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَظْقَةٍ فَإِنِّي عَلَى تَرْكِهَا أَقْدَرُ (٤)
 أَصْرَفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي وَأَمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ (٥)
 دَوْلَتِكَ يَا سَيِّفَهَا دَوْلَةٌ وَأَمْرِكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَأْمُرُ (٦)

للأسرار ، وأنا - مع ذلك - محب لك ، والمحب لا يسيء إلى حبيبه بإفشاء سره .
 والمروءة كرم الأخلاق وعلو الهمة ؛ وكفاه الشيء : أغناه عن معاناته ، وتثق : تحذر
 و«ما» في ماتثق وما تحذر - اسم موصول بمعنى الذي ، وهي فيها مفعول ثان للفعل قبلها .
 (١) أنشر : من النشور ، وهي بعث الأموات يوم البعث يقول : إن سركم في
 قلبي كالميت الذي لا يحيا بعد موته ، أي أنه - لشدة إخفائه السر - أماته إمامة حتى لا بعث
 له بعدها : وهذا من قول الآخر :

إِنِّي لِأَسْتَرُ مَا ذُو اللَّبِّ سَاتِرُهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأُمَبْتُ السِّرَّ كِتْمَانًا
 وَكَقَوْلِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ .

وإني من القوم الذين صد دورهم إذا استودعوا الأسرار فهى قبورها
 (٢) يقول : كأن عيني لما نظرت إليكم أخفت عن قلبي ما رأيت ، فلم يعلم بذلك .
 فكيف أظهره والعين قد كاتمت قلبي الذي أبصرت فلم يصل إليه ؟ ويقال : كاتمه سرى
 أى كتمته عنه . وما تبصر مفعول ثان : لكاتمت ولك أن تقول : إن بين قوله ، عصت
 وكاتمت تنازعا ، على أن الفعلين واقعان على القلب ، أو تقول : إن الماد بالأول مجرد
 إثبات العصيان للمقلة ، فلا يكون له مفعول :

(٣) الحر : الكريم

(٤) يقرب : إنه على الكتمان أقدر منه على الإفشاء لأن الإفشاء فعل ، والكتمان ترك
 الإفشاء ومن قدر على الفعل كان على ترك الفعل أقدر . والنطقة : المرة من النطق .

(٥) القنا : الرماح . يقول : إنه يملك نفسه قادر على ضبطها وتصريفها على مراده
 لا تغلبه نفسه على شيء لا يريد . وأنه يملك نفسه ويصبرها على مكاره الحرب إذا
 احمرت الرماح بالدماء ، أفلا يملكها في كتمان السر ؟

(٦) يقول : دالت لك الدولة وتناولتها دولة بعد دولة ، وأمرك : أى مر أمرك

أَتَانِي رَسُولُكَ مُسْتَعْجِلاً فَلَبَّاهُ شِعْرِي الَّذِي أَدْخَرُ
وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ وَغَى قَاتِماً لَلْبَّاهُ سَيِّفِي وَالْأَشْقَرُ (١)
فَلَا غَفَلَ الدَّهْرُ عَنْ أَهْلِهِ فَإِنَّكَ عَيْنٌ بِهَا يَنْظُرُ (٢)

وقال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك (*):

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ أَزُورَارًا وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا (٣)
تَرَ كَتَنِي الْيَوْمَ فِي خَجَلَةٍ أَمُوتُ مِرَارًا وَأُحْيَا مِرَارًا (٤)

فهو مطاع فأمرك ؛ مفعول مطلق لمر ، ودواليك : نصب على المصدر ؛ أى دالت لك الدولة دولا بعد دول ، وهو من المصادر التي استعملت مثناة . والغرض التوكيد ، ومثله ليك وسعديك وحنانيك . ونصب دولة : على التمييز

(١) اسم كان : مضمّر ، تقديره : ولو كان دعاؤك إياي ، أو لو كان ما نحن فيه من الحال . والقاتم : المظلم الذي علاه الغبار . يقول : ولو كان دعاؤك إياي يوم حرب لأجبتك مسرعاً بسيفي وبفرسي الأشقر : وقال بعض الشراح : اسم كان ضمير ، الرسول ، وخبرها ؛ محذوف دل عليه ما قبله : أى ولو كان أتاني . وهذا البيت والذي قبله من قول البحري :

جَعَلْتُ لِسَانِي دُونَهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَهَابُوا بِسَيْفِي كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرَفِي
(٢) يقول : أنت عين الدهر التي ينظر بها إلى الناس ، فلا غفل الدهر عن الناس بهلاكك ، أى بقيت ، فإن ما يصيب الناس من إحسان وإساءة إنما هو منك ؛ فلو أنت مت لبطل ذلك كله ، فيصير الدهر كأنه غافل عن الناس .

* كان قد تأخر مدحه عن سيف الدولة ، فعاتبه مدة ثم لقيه في الميدان فرأى منه انحرافاً عنه وأنكر تقصيره فيما كان عوده من الإقبال إليه والسلام عليه ، فعاد إلى بيته وأرسل إليه هذه الأبيات .

(٣) الأزورار : العدول والانحراف . يعتب عليه يقول : صار طويل السلام مختصراً ، وصار ذلك القرب منك عدولا عنى وانحرافاً .

(٤) يقول : أنا في خجلة من الناس لإعراضك عني كلما ساورتني ذكراها صرت كالميت ، وإذا زالت حييت ، فأموت في اليوم مرات كثيرة وأحيامرات كثيرة .

أَسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِيًّا وَأَزْجُرُ فِي الْخَيْلِ مُهْرِي سِرَارًا^(١)
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا أَعْتَذَرْتُ إِلَيْكَ أَرَادَ أَعْتِدَارِي أَعْتِدَارًا^(٢)
كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرًا تِإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي أُخْتِيَارًا^(٣)
وَلَكِنْ حَمَى الشُّعْرَ إِلَّا الْقَلِيلَ هَمَّ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا^(٤)
وَمَا أَنَا أَسَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ، وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا^(٥)

(١) السرار : مصدر ساره إذا كلمه سرآ . يقول : وأنظر إليك لحياى منك مسارقة ومخالسة ، وإذا زجرت مهري فى الميدان زجرتة بصوت خفى ، ولم أجسر أن أرفع صوتى حياء منك

(٢) يقول : إنما يعتذر المجرم ، فإذا اعتذرت إليك من غير ذنب اجترمه كان هذا الاعتذار شيئاً منكراً يجمّل أن أعتذر منه أيضاً لأنه فى غير محله . وقال بعض الشعراء : الاعتذار من غير ذنب كذب ، والكذب مما يعتذر منه

(٣) يقول : جحدت ما غمرتنى به من مكارمك الباهرة التى ليس فى مكنته أحد أن يجحدها إن كان تركى مدحك وتأخير شعرى اختياراً منى ، ولكن حمى الشعر إلخ . وقوله كفرت إلخ : قسم من أروع ما يقسم به العرب ، ولا يزال مثله جارياً بيننا الآن : كما يقول الرجل : أكون رجلاً ندلاً إذا حصل منى كيت وكيت .

(٤) الغرار النوم القليل قال الفرزدق فى مراثية الحجاج :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ مِنْ ثَقِيْفٍ هَالِكٌ تَرَكَ الْعُيُونَ فَنَوَّهْنَّ غِرَارُ

أى قليل ، وقيل الغرار القليل من النوم وغيره . ومنه الحديث : لا غرار فى صلاة ولا تسليم : أى لا نقصان . أى لا ينقص من ركوعها ولا من سجودها ولا أركانها ومنه غرار الناقة ، وهو النقصان فى لبنها . والقليل : بدل بعض من الشعر : أى إلا القليل منه ، وكذا مثله فى الشطر الثانى يقول : معنى الهم قول الشعر إلا القليل منه وهذا الهم أخذنى منه المقيم المقعد حتى معنى النوم ، فكيف لا يمنعنى قول الشعر ؟

(٥) يعتذر مما ألم به من الهم الذى أسقم جسمه وأوقد فى قلبه ناراً بلبهيه وكان سبب انقطاعه عن الشعر . يقول : ليس ذلك من فعلى واختيارى إذ لا يرضى أحد أن يسقم جسمه بالهم ويذيب قلبه بحرارة . وهذا من قول العطوى :

أَتْرَانِي أَنَا وَفَرُّ تٌ مِنْ الِهِمِّ نَصِيْبِي

فَلَا تُلْزِمَنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ إِلَىٰ أَسَاءٍ وَإِيَّايَ ضَارًا^(١)
وَعِنْدِي لَكَ الشُّرْدُ السَّائِرًا تُلَا يَحْتَصِصَنَّ مِنَ الْأَرْضِ دَارًا^(٢)
قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي وَتَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبِحَارًا^(٣)
وَلِي فِيكَ مَا لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا
فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكَانُوا الظَّلَامَ وَكُنْتَ النَّهَارًا^(٤)

أَنَا أَعْطَيْتُ الْعُيُونَ النَّجَالَ أَسْلَابَ الْقُلُوبِ
لَوْ إِلَى الْأَمْرِ مَا أَقْذَيْتُ عَيْنًا بِرَقِيبِ

(١) ضاره وضره بمعنى . يقول : وإنما الذنب ذنب الزمان ، فهو الذي أورثني هذا الهم فسيب ذلك انقطاعي عن الشعر ، فلا تؤاخذني بذنوب الزمان . على أن إساءته إنما ألت بي أنا ، وأنا المساء بها فلا تقع تبعها على كذلك .

(٢) الشرد : جمع شرود ، يعني اقصاد التي تسير في البلاد ولا تستقر بموضع . يقول : وعندي لك القصاد التي أقولها في مدحك فتسير في الآفاق ويتناقلها الناس لحسنها .

(٣) هذا البيت كالتفسير للبيت السابق ، والمقول : اللسان . يقول : إذا خرجت هذه القوافي من لساني سارت في البلاد وقطعت الجبال والبحار إلى ما وراءها : أي أن الجبال والبحار لا تحول دون سيرها . قال علي بن الجهم يصف شعره .

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّي صَاغِرًا عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّ نِيَّ غَيْرُ حَامِدٍ^(١)
بَسِيَّاحَةٍ تَنْسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ ، وَتَنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ

(٤) قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : لكانوا الظلال وكنت الضياء أو الليل وكنت النهار لكان أحسن في التطبيق ؛ ذل العكبري : قلت يمكنه : لكانوا الليالي والوزن مستقيم .

(١) يقول : إن شعره يدعو عدوك أن يثنى عليك إذا أنشده على غير رغبة منه لاستحسانه إياه .

أَشَدُّهُمْ فِي النَّدَى هِزَّةً وَأَبْمَدُهُمْ فِي عَدْوٍ مُغَارًا (١)
سَمَا بِكَ هَمِّي فَوْقَ الْهَمُومِ فَلَسْتُ أُعَدُّ يَسَارًا يَسَارًا (٢)
وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَيْشِي لَمْ يَقْبَلِ الدَّرَّ إِلَّا كِبَارًا (٣)

وقال يهنته بعيد الفطر :

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالْأَعْيَادُ وَالْعَصْرُ
مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٤)
تُرَى الْأَهْلَةَ وَجْهًا عَمَّ نَائِلُهُ
فَمَا يُخْصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ (٥)

(١) الندى : الجود ؛ والهزة - بالكسر - الأريحية ؛ والغار : مصدر ميمي بمعنى الغارة . يقول : هو أشد الناس أريحية ساعة الجود والعتاء ، وأبعد الناس مدى غارة في العدو .

(٢) الهم : الهمة ، واليسار الغنى : علت همتي بخدمتك والانتفاء إليك وبما يسرت لي من المطالب حتى صارت فوق همم الناس وحتى صرت لا أفنع بما يكون غنى ويسارا حتى أطلب ما فوقه .

(٣) كباراً : حال من الدر ؛ والبيت تأكيد لما قبله . يقول : إذا أدركت بك الغنى لم أقتصر عليه لأن من كان مرجوه مثلك لم يرض بالقليل

(٤) افطر : بالكسر الاسم من الإفطار ، والعصر - بضمين - لغة في العصر وهو الدهر ويأتي أيضا جمعاً له ، وقد تقدم ذلك . وحتى : حرف عطف - كالواو - يقول : إن نور هذه الأشياء إنما هو بك لأنك جمال للدهر وجمال للدين ولكل شيء ، يعني أن نورك عم كل شيء - حتى الشمس والقمر اللذين يستضاء بهما . هذا : وقال العكبري - مناسبة حتى - : وقد اختلف أصحابنا في حتى فقالوا هي حرف تنصب الفعل المستقبل من غير تقدير أن ، وحرف جر يجر الاسم كما تقول : سوفته حتى الصيف . وقال البصريون : هي في كلا الموضعين حرف جر ، والفعل منصوب بعدها بتقدير أن ، والاسم مجرور بتقدير إلى .

(٥) يقول : لم يخص البشر بعبائك فقد أنلت الأهلة بوجهك كمال النور فقد عم إذن نائلك البشر والشمس والقمر .

مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفٌ^(١) يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرٌ^(١)
مَا يَنْتَهَى لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ^(٢) فَلَا أَنْتَهَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عُمُرٌ^(٢)
فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكَرَّرِهَا شَرَفٌ^(٣) وَحَظَّ غَيْرِكَ مِنْهَا الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ^(٣)

* * *

(١) الأنف : التي لم يرعها أحد وهو أحسن لها ؛ والشمائل : الخلائق . يقول : الدهر يكونك فيه روضة تمت محاسنها وتوافر جمالها وأخلاقك زهر هذه الروضة ، فهي أحسن ما فيها .

(٢) ما : حرف نفي ؛ والضمير في أيامه وأعوامه للدهر . يقول : ليس ينتهى كرمك في أيام الدهر ، أى أنه يزداد كرمًا على الأيام ، ثم دعا له فقال : فلا انتهى عمرك في أعوامه ، أى لا أقص لك أجلا .

(٣) الضمير في تكرارها ومنها للأعوام ، ويروى منه : أى من التكرار . يقول : إن حظك من السنين وتكرارها استزادة الشرف بما تجد من المناقب . بينما حظ غيرك ممن لا مناقب لهم الشيب والهرم .

وقال وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم ولم يصل إليه المتنبى لرحام الناس ، فعاتبه سيف الدولة على تأخره وانقطاعه .
فقال المتنبى ارتجالا ، وذلك سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة :

ظَلَمْتُ لَذَا الْيَوْمِ وَصَفْتُ قَبْلَ رُؤْيَيْتِهِ
لَا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظْرُ^(١)
تَزَاخَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَبًا إِلَى سِاطِكِ لِي سَمْعٌ وَلَا بَصْرُ^(٢)
فَكُنْتُ أَشْهَدَ مُخْتَصِّ وَأَعْيِيهِ مُعَايِنًا وَعِيَانِي كُلَّهُ خَبْرُ^(٣)
الْيَوْمِ يَرْفَعُ مَلِكُ الرُّومِ نَاطِرَهُ لِأَنَّ عَفْوِكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفْرُ^(٤)
وَأِنْ أَجَبْتَ بِشَيْءٍ عَنْ رَسَائِلِهِ فَمَا يَزَالُ عَلَى الْأَمْلَاكِ يَفْتَخِرُ^(٥)
قَدْ اسْتَرَاخَتْ إِلَى وَقْتِ رِقَابِهِمْ مِنَ السُّيُوفِ وَبَاقِي الْقَوْمِ يَنْتَظِرُ^(٦)

(١) يقول : إن وصفي هذا اليوم دون أن أشاهد ماجرى فيه ظلم له ، لأن صدق الوصف موقوف على صدق النظر ، فإذا لم أكن صادق النظر بالعيان والمشاهدة لم أكن صادق الوصف .

(٢) و (٣) سمع — في البيت الأول — فاعل يجد ، وسبب : أى وصلة أتوصل بها : أى سبيلا . ثم قال في البيت الثانى : كنت فى هذا اليوم أحضر الناس المختصين بك لأنى كنت شاهداً بشخصى ، وكنت أعينهم عيانا لأنى غبت معاينة إذ لم أر ما مجرى فكان عياني ما يخبرني به الذين عاينوا . فأشهد أفعال تفضيل من الشهود ، وهو الحضور ومعاينا : بدل من أشهد والجملة بعده : حال .

(٤) ناظره : عينه . وعندة : بمعنى فى اعتقاده . يقول : يرفع اليوم ملك الروم عينه اعتراضاً برضاك ، وقد كان مطرقا استخذاء وخوفا . لأن عفوك فى اعتقاده ظفر وפלج .

(٥) يقول : إذا أجبتة افتخر على الملوك .

(٦) يقول : لما هادنت الروم استراحت رقابهم من فعل السيوف بها إلى انتهاء مدة الصلح ، أما سائر الذين كنت تغزوهم فإنهم يترقبون ورود سيوفك عليهم ، لأنهم يعرفون أنك لا تنقر عن الغزو . أو يترقبون الصلح منك كما صالحت ملك الروم .

وَقَدْ تُبَدِّلُهَا بِالْقَوْمِ غَيْرَهُمْ لِكَيْ تَجِمَّ رُمُوسُ الْقَوْمِ وَالْقَصْرُ (١)
تَشْبِيهِ جُودِكَ بِالْأَمْطَارِ غَادِيَةً جُودٌ لِكَدِّكَ ثَانَ نَالَهُ الْأَمْطَرُ (٢)
تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالِعَةً
كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورَهُ الْقَمَرُ (٣)

وقال لما أوقع سيف الدولة ببني عقيل وقشير وبني العجلان وبني كلاب حين
عاثوا في عمله وخالفوا عليه ، ويذكر أجفالم من بين يديه وظهره بهم ، وله
خبر طويل :

طَوَالَ قَنَا تَطَاعِنَهَا قِصَارُ وَقَطْرُكَ فِي نَدَى وَوَعَى بِحَارِ (٤)

(١) الأظهر أن الضمير في تبديها : للسيوف - كما قال ابن جني - لا للروم - كما
ذهب إليه الواحدى - وغيرهم ؛ نصب على أنه مفعول ثان لتبديها والباء في بالقوم :
للعوض . وتجم : تكثر . من جم البئر : إذا توافر ماؤه بعد الترح ، والقصر ، جمع
قصرة أصل العنق . يقول : وقد تحارب غير الروم وتدع الروم حتى يكثروا وتغيبهم
ليتناسلوا ثم تعود إليهم فتهاكهم .

(٢) تشبيهه : مبتدأ . خبره : جود : وغادية : حال ، وثان : صفة لجود : يقول :
إذا شهبنا جودك بالأمطار التي تأتي بالعدوات - وهي أغزرها - كان ذلك جوداً ثانياً
لكيفك على المطر ، لأن المطر يفخر بأن يشبهه به جودك .

(٣) تكسب - بحذف إحدى التاءين - أى تتكسب . يقول : إن الشمس تستفيد
منك النور كما يستفيد منها القمر النور ، فإذا طلعت كسبت ، وإذا غابت عادت إلى
حالتها قبل أن تراك .

(٤) طوال : مبتدأ ، خبره : قصار ، وضمير تطاعنها : للمخاطب ؛ والجملة : صفة
لقنا ؛ والندى : الجود . والوعى : الحرب . يقول : إن الرماح الطوال التي تطاعنها
قصار في حرك ، لأنها لا تنالك ولا تبلغك ، ولأنها لا غناء لها معك ، وكأنها قصار
كما قال :

يَحِيدُ الرَّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طَوْلٌ

وَفِيكَ إِذَا جَنَى الْجَانِي أُنَاةٌ تَظُنُّ كَرَامَةً وَهِيَ اخْتِقَارٌ^(١)
 وَأَخَذُ لِلْحَوَاصِرِ وَالْبُؤَادِي بِضَبِّطٍ لَمْ تَعُودَهُ نِزَارٌ^(٢)
 تَشْمَمُهُ شَمِيمَ الْوَحْشِ إِنْسًا وَتُنْكِرُهُ فَيَعْرِوَهَا نِفَارٌ^(٣)
 وَمَا انْقَادَتْ لِفَيْرِكَ فِي زَمَانٍ فَمَتَدَرِي مَا الْمَقَادَةَ وَالصَّغَارُ^(٤)

ثم قال : والقليل منك في الجود والحرب كثير حتى تكون القطرة بمنزلة البحر .
 (١) الأناة : الرفق والحلم . يقول : فيك رفق وحلم عن الجاني لا تسرع في عقوبته .
 يظن ذلك لسكرامة له عليك وهو اختقار له عن المكافأة ، لا كرامة .
 (٢) أخذ : عطف على أناة ؛ والحواصر : جمع حاضرة ، وهي خلاف البادية ؛
 والمراد : أهل الحواصر والبوادي ، وبضبط : متعلقة بأخذ ، وقوله : نزار
 يريد العرب : يقول : أنت تأخذ أهل الحضرة والبدو بسياسة وضبط لم
 تتعودها العرب .

(٣) يقول : إن العرب تدنو من طاعتك ، فإذا أحست ما عندك من السياسة
 أنكرت ذلك إنكار الوحش إذا شممت ريح الإنس فتنفّر ، فقوله : تشممه - بحذف
 إحدى التان - أي تشممه . وإنسا : مفعول شميم ؛ والتشمم : الشم في أناة وتؤدة .
 ويقال : شممت النىء أشمه وشممته أشمه شماً وشمياً ، قل الصمة بن عبد الله القشيري :
 تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار^(١)
 قال أبو حنيفة الدينوري : تشمم النىء واشتمه أدناه من أنفه ليجتذب رائحته ،
 وتشممت النىء شممته في مهلة .

(٤) المقادة : الاقياد ، والصغار : الذل . يقول : إن العرب لا تعرف هذا لأنهم لم
 لم يتقادوا لأحد .

(١) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل هو الرجس البري
 والبيت من أبيات هي :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تُخْدِي بِنَا بَيْنَ الْمُنَيْفَةِ فَالِضَمَارِ
 تَمْتَعُ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدِ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيِّ مِنْ عَرَارِ
 أَلَا يَا حَبِّذَا نَفْحَاتُ نَجْدِ وَزِيًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقِطَارِ
 شَهْرٍ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٍ وَلَا سِرَارِ

فَقَرَّحَتِ الْمَقَاوِدُ ذِفْرِيَّيَهَا وَصَعَرَ خَدَّهَا هَذَا الْعِذَارُ^(١)
 وَأَطْمَعَ عَامِرَ الْبُقْيَا عَلَيْهَا وَنَزَقَهَا احْتِمَالُكَ وَالْوَقَارُ^(٢)
 وَغَيَّرَهَا التَّرَاسُلُ وَالتَّشَاكِي وَأَعْجَبَهَا التَّلْبُوبُ وَالْمُعَارُ^(٣)
 جِيَادٌ تَعَجَزُ الْأُرْسَانُ عَنْهَا وَفُرْسَانٌ تَضِيقُ بِهَا الدِّيَارُ^(٤)
 وَكَانَتْ بِالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَّهَا نُفُوسًا فِي رَدَّهَا تَسْتَشَارُ^(٥)

(١) المقاود: جمع مقود، وهو الرسن، والذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن، مأخوذة من ذفر العرق لأنها أول ما تعرق من البعير، ويجمع على ذفارى وذفارى: كصحارى وصحارى. والصعر: الميل في الحد؛ وفلان صعر خده: أماله من الكبر، والعدار من اللجام ماسال على خدى الفرس. يقول: لما وضعت على العرب المقاود لتقودهم إلى طاعتك، وبالغت في رياضتهم تفرحت ذفاريهم من جذب المقاود لراء وسهم: أى جعلتهم كالقرحى فى الذل والاقبياد. وأمال خدودهم هذا العذار: أى أمالهم إلى طاعتك. والقرح: كل ما جرح الجلد من عض السلاح ونحوه. وروى الواحدى: فأفدحت - بالفاء - من أفدحه الدين: أنقله، يعنى: لما وضعت على العرب المقاود أثقلت مقاودك رء وسهم، لأنك ضبطتهم ومنعتهم عن التلصص والغارة فصاروا كالداية تقاد بحكمة شديدة وشكيمة ثقيلة.

(٢) منع عامر من الصرف لأنه أراد القبيلة، ولذلك أنشأ؛ والبقيا: اسم من الإبقاء؛ والنزق: الخفة والطيش. يقول: وأطعمهم فى العصيان إبقاؤك عليهم وعدوك عن الإيقاع بهم، وحملهم على الطيش أناتك وحملك عنهم وتوقفك عن إهلاكهم.
 (٣) تلب الرجل: تحزم وتشمر؛ والتلب: المتحزم بالسلاح وغيره، والمعار: الإغارة. يقول: وغيرها عن الطاعة أنها كانت تراسل فيما بينها وتتواطأ على عصيانك وتتشاكى لما يجدونه من صعوبة الاستخداء إليك؛ واعتزت بتحزبها وتأهبها ولبسها الأسلحة وكثرة غاراتها على النواحي والأطراف.

(٤) الجياد: الخيل، وهى مبتدأ محذوف الخبر: أى لهم جياد. يقول: إن لهم خيلا معجز الأرسان عن ضبطها لصعوبتها وشدة رء وسها، أو تقول: لا تسعها الأرسان لكثرتها، أى أن لهم خيلا لكثرتها لا توجد لها أرسان، ثم قال: وفيهم فرسان تضيق بهم الديار لكثرتهم.

(٥) الضمير فى كانت: للفرسان؛ والردى: الهلاك. يقول: وكنت تتوقف عن إهلاكهم والإيقاع بهم جريا على عادتك فى الصفع والنفو؛ فكانوا - بهذا التوقف - كمن

وَكُنْتَ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْغِرَارُ^(١)
 فَأَمْسَتْ بِالْبَدِيَّةِ شَفْرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ^(٢)
 وَكَانَ بَنُو كِلَابٍ حَيْثُ كَعْبٌ نَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صَارُوا^(٣)
 تَلَقَّوْا عِزَّ مَوْلَاهُمْ بِذُلٍّ وَسَارَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ وَسَارُوا^(٤)
 فَأَقْبَلَهَا الْمُرُوجَ مُسَوَّمَاتٍ ضَوَامِرَ لَا هِزَالَ وَلَا شِيَارُ^(٥)

يستشار في إهلاكه ، وكانوا هم بعثوهم - واسترسالهم في غيهم - كأنهم يشيرون عليك بأن تقتلهم . وقد أقام الردى مقام الإرداء .

(١) و (٢) قَائِمُهُ : مقبضه . وغراره : حده . والبديّة والحيار : ماءان بأرضهم كانوا ينزلون عليهما . وشفرتا السيف : حده . يقول : كنت سيفاً لهم مقبضه في أيديهم وحده في أعدائهم فلما عصوك صارت شفرتاه حيث هم : أى فى البديّة . أى سرت اليهم فى منازلهم ، وجاوزت الحيار حتى صار خلفك ، وأهلكتهم بسيفك الذى كنت تدود به عنهم . وفى معناه قول جعفر بن علبه :

لَهُمْ صَدْرُ سَيْبٍ فِي يَوْمٍ صَحْرَاءَ سَحْبَلٍ

وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ

(صحراء سحبل : موضع)

(٣) يقول : كانوا فى التمرد والعصيان حيث كان بنو كعب ، فلما رأوا ما نزل بهؤلاء من القتل والهوان خافوا أن ينزل بهم ما نزل بكعب من القتل والسبي إن بقوا على عصيانهم . وكعب : مبتدأ محذوف الخبر . أى حيث كعب كائنون لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل .

(٤) يقول : استقبلوا سيف الدولة بالخضوع والذلة والالتقياد وساروا معه وراء كعب قال العكبرى : وذلك أن مشيخة بنى كلاب تلقته وقد سار عن الحيار لطلب البديّة فطرحوا نفوسهم عليه لما رأوا حد سيفه وخشوا أن يهربوا فيهلكهم وتقتلهم القفار والعطش كما هلكت كعب .

(٥) الضمير فى أقبلها : للخيل ، وإن لم يجر لها ذكر وأقبلها المروج : جعل وجوهها إليها . والمروج : المواضع ترعى فيها الدواب ، وأراد مروج سامية - موضع بين الفرات وحلب كانوا فيه ثم انهزموا - ومسومات : معلمات بسمّة تعرف بها ؛ وضوامر : قليلة

تَثِيرٌ عَلَى سَلْمِيَّةَ مُسْبَطِرًا تَنَكَرُّ نَحْتَهُ لَوْلَا الشَّعَارُ^(١)
عَجَاجًا تَعَثُّ الْعِقْبَانَ فِيهِ كَأَنَّ الْجُؤَّ وَعَثُّ أَوْ خَبَارُ^(٢)

المحم . وهزال : جمع هزيل . والشيار : السمان الحسنة المناظر ، ولا هزال ولا شيار في الأعراب ، مثل قول اقاتل :

* لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ *^(١)

يقول : وجه خيله إلى المروج وأجاءها إليها ضامرة ، وليس ضمها عن هزال ؛ إنما هو عن تضمير وقيام عليها ، ولا هي أيضاً سميحة حسنة المنظر لأنها قد شعثت واغربت بمواصلة السير .

(١) سلمية : موضع ؛ والمسبطر : الغبار الممتد ؛ والشعار : العلامة يتعارفون بها . يقول : تثير خيلك على هذا المكان - سلمية - غباراً مندثراً لا تعرف الخيل تحته بعضها بعضاً - أى أصحاب الخيل : أى الجيش لولا العلامة التي تتعارف بها . فقوله : تناكر - محذف إحدى التاءين - أى الخيل .

(٢) عجاجاً : بدل من مسبطراً والعجاج : الغبار . والوعث من الأرض : السهل

(١) و صدر هذا البيت .

* هَذَا الْعَمْرُ كَمَا الصَّغَارُ بَعَيْنِهِ *

والبيت لمحي بن أحمـر السدائي ، شاعر جاهلي قديم ، وقيل لغيره ، وهو من أبيات جميلة يقول فيها . -

أَخِيَّ أَخْبَرَنِي وَلَسْتَ بِصَادِقٍ وَأَخُوكَ نَاصِحُكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
أَمِنَ الْقِضِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَعْنَيْتُمُ وَأَمْتُمُ فَأَنَا الْغَرِيبَ الْأَجْنِبُ
وَإِذَا الْكُتَائِبُ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً حَجَرْتَكُمْ فَأَنَا الْحَمِيدَ الْأَقْرَبُ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أُدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسِ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
وَلِجُنْدَبِ سَهْلِ الْبِلَادِ وَعَدْبُهَا وَلِي الْمَلَّاحُ وَخَيْمَتَهُنَّ الْمَجْدِبُ
عَجَبٌ لَتِلْكَ قِضِيَّةً وَإِقَامَتِي فَيْكُمْ عَلَى تِلْكَ الْقِضِيَّةِ أَعْجَبُ
هَذَا لِعَمْرُكَ الصَّغَارُ بَعَيْنِهِ لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

الحيس لبن وأقط وسمن وتمر يصنع منه طعام ، والحبب المطمئن من الأرض وقد رويت هذه الأبيات على اختلاف في بعض كلماتها .

وَوَطَّلَ الطَّعْنَ فِي الْخَيْلَيْنِ خَلْسًا كَأَنَّ الْمَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارًا^(١)
 فَلَزَّهُمُ الطَّرَادُ إِلَى قِتَالٍ أَحَدٌ سِلَاحِهِمْ فِيهِ الْفِرَارُ^(٢)
 مَضَوْا مُتْسَابِقِي الْأَعْضَاءِ فِيهِ لِأَرْوُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِنَارًا^(٣)
 يَشَاهُمُ بِكُلِّ أَقْبَ نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارُ^(٤)
 وَكُلُّ أَصَمٍّ يَعْسِلُ جَانِبَاهُ عَلَى الْكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارًا^(٥)

الكثير الرمل ، وهو ماتعيب فيه القوائم لسهولته . والحبار : الأرض اللينة الرخوة .
 يصف الغبار بالكشافة ؛ يقول : إن العقبان التي تسير مع الجيش تعثر في ذلك الغبار
 وكثافته ، فكأن الجو أرض لينة تغوص فيها أرجل الطير فتعثر لكثرة ما ارتفع من
 غبار الخيل وكثافته .

(١) خلصا : أى اختلصا وهو سرعة اختطاف الشيء خفية . يقول : ظلوا يتخالسون
 الطعن فيسرع فيهم الموت حتى كأنه اختصر الطريق إليهم .

(٢) لزه إلى الشيء : ألقاه إليه وأدناه منه . يقول : أوجهم طرادك إياهم إلى قتال
 شديد لم يكن لهم سلاح يدفعه عنهم غير الفرار .

(٣) يقول : لإسراعهم في الحرب والمزيمة خوفا من القتل كانت أعضاؤهم كأنما
 يسابق بعضها بعضا : الأرجل تسابق الرءوس ، والرءوس تسابق الأرجل وكأن الرءوس
 تتعثر بالأرجل حين تريد الرءوس الإسراع فتمنعها الأرجل وقل ابن جنى : إذا ندر
 رأس أحدهم فتدحرج يعثر برجله أو برجل غيره ، وهذا غير المهود أن يعثر الرأس
 بالرجل ؛ قال الواحدى : أحسن من قوله أن يقال . بأرجلهم عثار لأجل حفظ رءوسهم
 فهم ينهزمون فيسرعون ويعثرون .

(٤) يشلمهم : يطردهم . والأقرب من الخيل : الضامر البطن . والنهد : المشرف
 المرتفع . يقول : يطردهم بكل فرس ضامر نهد لفارسه الخيار ، إن شاء لحق ، وإن شاء
 سبق : أى إن شاء جارته سائر الخيل وإن شاء سبقها فلحقته .

(٥) أصم : أى رمح صلب ليس بأجوف لين ؛ ويعسل : يضرب . وممار : مسال مهرق
 يقول : ويطردهم بكل رمح صلب يضرب جانباه الأعلى والأسفل . قال الواحدى :
 وأراد بالكعبين اللذين في عامله . وهما يغيان في المطعون ، ولذلك وصفهما بأن عليهما
 دما ، ويجوز أن يريد الكعب الذى فيه السنان والذى فيه الزج ؛ فإن الطعن يقع بهما
 قال ابن جنى : يجوز أن يريد بالثنائية الجمع ، لأن أول الجمع ثنائية .

يُعَادِرُ كُلَّ مُلْتَمَتٍ إِلَيْهِ وَلَمَنَّهُ لِمَعْلَبِهِ وَجَارُ (١)
 إِذَا صَرَفَ النَّهَارَ الضَّوْءَ عَنْهُمْ دَجًا لَيْلَانَ لَيْلٍ وَالْغَبَارُ (٢)
 وَإِنْ جُنِحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عَنْهُمْ أَضَاءَ الْمَشْرِقِيَّةِ وَالنَّهَارُ (٣)
 يُبْكِي خَلْفَهُمْ دَثْرٌ مُبْكَاهُ رُغَاةٌ أَوْ تُوْاجٌ أَوْ يُعَارُ (٤)
 غَطَا بِالْعَثِيرِ الْمَيْدَاءَ حَتَّى تَحَيَّرَتِ الْمَتَالِي وَالْعِشَارُ (٥)

(١) يغادر : يترك ، والضمير للرمح . واللبة : أعلى الصدر . والثعلب - هنا -
 مادخل من الرمح في السنان ، والوجار : بيت الوحش من الضبع والثعلب ونحوهما .
 يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحوه مطعون يدخل ثعلبه في
 نحره . ولقد أبدع في هذه التورية والاستعارة بذكر الوجار والثعلب .

(٢) و (٣) دجا : أظلم ؛ وجنح الليل : جانبه ؛ وانجاب : انكشف ؛ والمشرقية :
 السيف ، نسبة إلى مشارف الشام . يقول : إذا ذهب عنهم ضوء النهار كان مع الليل
 ليل آخر من العجاج - الغبار - وإذا انقضى الليل أضاء مع النهار نهار آخر من بريق
 السيف : أي أنهم في ليلين مظامين من الليل والغبار ، وفي نهارين من ضوء السيف
 والنهار « هذا » وإليك خلافاً نحوياً بين البصريين والكوفيين أثاره العلامة العكبري
 النحوي الكوفي لمناسبة إعراب جنح الظلام ، قال : ارتفع جنح الظلام ، عندنا بالابتداء ،
 وهو قول الأخفش ، وعندنا أيضاً أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل .
 وقال البصريون : يرتفع بتقدير فعل ؛ وحجتنا أن إن الشرطية هي الأصل في باب الجزاء .
 فلقتها جاز تقديم المرفوع معها وقلنا إنه يرتفع بالعائد لأن المكني المرفوع معها في الفعل
 هو الاسم الأول ، فينبغي أن يكون مرفوعاً كقولهم : جاءني الظريف زيد ، وإذا لم يكن
 مرفوعاً لم يفتقر إلى تقدير فعل ، وحجة البصريين أنه يجوز أن يفصل بين حرف الجزم
 وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ولا يجوز أن يكون هنا عاملاً ، لأنه لا يجوز
 تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ؛ ولو لم يقدر ما يرفعه لبق الاسم مرفوعاً بلا رافع ، وذلك
 لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل .

(٤) الدثر : المال الكثير . والرغاء : صوت الإبل ، والثواج : صوت الغنم .
 واليعار : صوت المعز . يقول : إنهم ساقوا مواشيهم هاربين ، فكانت تصيح خلفهم
 لما ألم بها من النعب والإعياء في السير : فالإبل ترغو ، والمعز تيعر ، والغنم تتأج ؛
 وكأنها بهذا الصياح تبكي .

(٥) غطاه وغطاه : بمعنى ؛ والعشير : الغبار ؛ والمتالي : جمع متلية ، وهي الناقة

وَمَرُّوا بِالْجَبَابَةِ يَضْمٌ فِيهَا كِبَلًا الْجَيْشِينَ مِنْ تَقَعٍ إِزَارٌ (١)
 وَجَاءُوا الصَّحْصَحَانَ بِلَا سُرُوجٍ وَقَدْ سَقَطَ الْعِمَامَةُ وَالْحِمَارُ (٢)
 وَأَرْهَقَتِ الْعَذَارَى مُرْدَفَاتٍ وَأَوْطِئَتِ الْأَصْيَبِيَّةُ الصِّغَارُ (٣)
 وَقَدْ نَزَحَ الْغَوِيرُ فَلَا غَوِيرٌ وَنَهْيًا وَالْبَيْضَةَ وَالْجُفَارُ (٤)
 وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرٍ مُسْتَفَاتٌ ، وَتَدْمُرُ كَأَسْمِهِمَا لَهُمْ دَمَارُ (٥)

يتلوها ولدها ؛ والعشار : التي قربت ولادتها - جمع عشاء . والمتالى والعشار : أعز أموال العرب ، ولذلك خصهما بالذكر . يقول : غطى البيداء بالغبار حتى تحيرت النعم - على حدة أبصارها - في ذلك الغبار ؛ ورواية ابن جنى بالغثر : بدل بالعثير ، والغثر ؛ ماء هناك ، وتحيرت - بالخاء ، بصيغة المجهول - فيكون المعنى : غطى سرحهم البيداء عند هذا الماء لكثرتة حتى تخير منه سيف الدولة المتالى والعشار لما وصل إلى ذلك الماء . (١) الجبابة : اسم ماء . والتقع : الغبار . يقول : إنهم مروا بهذا الماء في هربهم وقد أدركهم جيش سيف الدولة هناك ، فاشتمل الغبار على الجيشين حتى صاروا منه في إزار لشدة انتشاره .

(٢) الصحصحان : يريد بالصحصحان هنا : صحراء بعينها هناك ، وفي غير هذا الموضع كل أرض واسعة فضاء . يقول : جاءوا هذه الصحراء وقد انحلت سروج خيلهم فسقطت وسقطت عمائم رجالهم وخر نساءهم لإسراعهم وإشاحتهم في الحرب . (٣) أرهقه : كلفه ما فيه مشقة . ومردفات : أى مركبات خلف الرجال ، وأوطئت أى جعلت الخيل تطؤها . فحذف الخيل للعلم بها ، والأصيبة : تصغير أصيبة . جمع صبي ، والعذارى : جمع عذراء . وهى البكر التي لم يفتقرها ثقل . يقول : إن العذارى قد كلفن بأردافهن خلف الفرسان مشقة لا يطقنها ، ولم يثبت الصبيان الصغار على الخيل في الركض فسقطوا ووطأتهم الخيل . وعبارة ابن جنى : أوطأوا الخيل الصبية لأنهم لم يقدروا أن يحملوهم لشدة هربهم وأردفوا العذارى طلبا للنجاة وحفظا لهن . (٤) هذه كلها مياه معروفة . يقول : لما بلغوها نزحوها لما لحقهم من العطش والجهد حتى لم يبق منها شيء ، ولذلك قال : فلا غوير .

(٥) يقول : لم يكن لهم مفرع يفزعون إليه إلا تدمر ، ظنوا أنهم إذا بلغوها حصنتهم من سيف الدولة ، ولكن خاب ظنهم ، إذ لم يعتموا أن غشيتهم جيشه بها فصارت دماراً - هلاكا - لهم كاسمها . وتدمر هى المدينة المعروفة .

أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فِيهَا فَصَبَّحَهُمْ بَرَأْيٌ لَا يُدَارُ (١)
وَجَيْشٌ كَمَا حَارُوا بِأَرْضٍ وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارٌ (٢)
يَحْفُ أَغْرَ لِقَوْدٍ عَلَيْهِ وَلَا دِيَّةٌ تُسَاقُ وَلَا أُعْتَدَارُ (٣)
تُرِيْقُ سَيُوفُهُ مُهَجَّ الْأَعَادِي وَكَلُّ دَمٍ أَرَاقَتُهُ جُبَارٌ (٤)
فَكَانُوا الْأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالٌ عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارٌ (٥)

(١) يقول : أرادوا أن يقلبوا وجوه الرأى في تدمر ، فأتاهم سيف الدولة صباحا وعصف بهم ، فكان عصفه بهم - إهلاكه إياهم - رأيا لا سبيل إلى تقليبه .

(٢) جيش : عطف على رأى ؛ يقول : وصبحهم بجيش كلما أشرف هؤلاء الهاربون على أرض واسعة فخاروا فيها لسعتها وشدة ذعرهم ، ثم لما أقبل هذا الجيش أقبلت تلك الأرض تتحير فيه لكثرة وتوافره ، فكانه أوسع منها .

(٣) يقول : يحيط هذا الجيش بأغر - سيد شريف - يعنى سيف الدولة - إذا قتل عدوه لم يكن عليه قود ولا دية ولم يعتذر من فعله ، لأنه ملك قاهر ذو عز ومنعة لا يرجع فيما فعل . والقود : قتل النفس بالنفس ، والدية : ثمن الدم .

(٤) تريق : تسفك ؛ والمهجة : دم القلب والروح والجبار : المهدر الذى لا قود فيه ولا دية . يقال : ذهب دمه جبارا إذا لم يطلب ؛ والبيت في معنى البيت السابق .

(٥) مصال : مصدر : أى صولة وقوة . وكذلك المطار بمعنى الطيران . قال العروضى وواقفه الواحدى : هذا من صفة خيل سيف الدولة ، يقول . هم - فرسان سيف الدولة أسود ولا يشينهم عدم إدراكهم هؤلاء القوم لأن الأسد - على قوته - لا يمكنه صيد الطائر لأنه لا مطار للأسد ؛ يعنى أن هؤلاء القوم أسرعوا في الحرب إسراع الطير في الطيران ؛ وهذا كالعذر لهم في التخلف عن لحوقهم لسرعة هربهم ؛ وقال آخرون : هذا من صفة القوم شبههم بالأسود في قوة البأس ، وشبه جيش سيف الدولة بالطير في سرعة الجرى وراءهم . يقول : الأمود مع شدة بطشها لا تقدر أن تسطو على الطير لأنه يفوتها ولا تقدر على الطيران أمامه فتقوته . يريد أنهم لم يقدروا على مقاومة الجيش لأنهم لا يتألمونه بسلاحهم ولا وسعهم الحرب من أمامه ، لأنه أسرع جريا منهم فهو يدرهم أينما ذهبوا . وعبارة ابن جني ؛ كانوا أسداً قبل ذلك ، فلما غضبت عليهم وقصدتهم لم تكن لهم صولة لضعفهم ولم يقدروا على الطيران فأهلكتهم .

إِذَا فَاتُوا الرَّمَاحَ تَنَاوَلْتَهُمْ
بَأْرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارِ (١)
يَرَوْنَ الْمَوْتَ قَدَامًا وَخَلْفًا
فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتُ أَضْطَرَارُ (٢)
إِذَا سَلَكَ السَّمَاءَ غَيْرُ هَادٍ
فَقَتَّ لَاهِمُ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ (٣)
وَلَوْ لَمْ تَبْقُ لَمْ تَعِشِ الْبَقَايَا
وَفِي الْمَاضِي لِمَنْ بَقِيَ أَعْتِبَارُ (٤)
إِذَا لَمْ يُرْعَ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ
فَمَنْ يُرْعَى عَلَيْهِمْ أَوْ يَغَارُ (٥)
تَفَرَّقَهُمْ وَإِيَّاهُ السَّجَايَا
وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاهُ النَّجَارُ (٦)
وَمَالَ بِهَا عَلَى أَرْكَ وَعُرْضٍ
وَأَهْلُ الرَّقَّتَيْنِ لَهَا مَزَارُ (٧)

(١) يقول : إذا فاتوا رماح سيف الدولة ونجوا منها بالهرب هلكوا في القفر من العطش ، قمام العطش في قتلهم مقام الرماح
(٢) يقول : يرون الموت قدامهم من العطش وخلفهم من الرماح فيختارون أحد الموتين ، وليس ذلك اختياراً في الحقيقة لأن الموت يضطر إليه ولا يختاره أحد ، فهم — لا محالة — هالكون .
(٣) المنار : العلم ينصب في الطريق . يقول : إذا ضل أحد بصحراء السماء قامت له جثث قتلاهم بها مقام المنار فاهتدى وعرف الطريق بهم كما يهتدى بالمنار ؛ وهذا من قول ثابت قطنة :

هَذَاكَ اللهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهَا مُصَلَّبَةً بِأَفْوَاهِ الشُّعَابِ

(٤) يقول : لولا إبقاؤك على من بقى منهم وصفحك عنهم لهلكوا جميعاً لكنك أردت تأديبهم ، لا إفناءهم ، فكان في من هلك منهم عبرة لمن بقى ، فلا يعصى لك أمراً أبداً .
(٥) أرعى فلان على فلان — مثل أبقى عليه — رحمه وكف عنه يقول : أنت سيدهم . فإذا لم تبق عليهم فمن يرحمهم أو يغار عليهم ؟ إذ المولى إذا لم يرحم عبده لا يرحمه غيره .

(٦) السجاياء : الطباع والأخلاق ، والنجار : الأصل . يقول : إن أصله وأصلهم واحد لا اشتراكهم في نزار ، إلا أن الطباع والأخلاق مختلفات ، وأين هم منه ؟
(٧) أرك وعرض : بلدان قرب تدمر ، والرقتان : بلدان على الفرات ، وهما الرقة والرافقة ، قيل لهما الرقتان تغليبا ، والضمير في بها ولها للخيل . يقول : مال سيف الدولة بنحله على البلدين المذكورين على تباعدهما عن قصده وهو متوجه إلى الرقتين :

وَأَجْفَلَ بِالْفِرَاتِ بَنُو مُنَيَّرٍ
فَهُمْ حَزَقٌ عَلَى الْخَابُورِ صَرَغِي
وَزَارَهُمُ الَّذِي زَارُوا خَوَارِ (١)
بِهِمْ مِنْ شَرْبِ غَيْرِهِمْ خُمَارِ (٢)
وَلَمْ تُوقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارُ (٣)
فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الْخَذَارُ (٤)
وَجَدَوَاهُ الَّتِي سَأَلُوا أُعْتَفَارِ (٥)
وَهَامَهُمْ لَهُ مَعَهُمْ مَعَارِ (٦)
فَخَالَفَهُمْ بَرْدُ الْبَيْضِ عَنْهُمْ

يعني بذلك طلبه لبني كعب في كل مكان . وقال ابن جنى : أى مال بجيله على هاتين البقعتين وأهل الرقتين قريب لو أراد زيارتهم لما بعد ذلك عليها .
(١) الزئير : صوت الأسد ، والخور : للبقر : يقول : إنهم انهزموا بالفرات فصار زئيرهم خوارا : أى كانوا قبل ذلك يظنون أنفسهم أسودا ، فلما أتاهم أجفلوا من وجهه إجمال الثيران .

(٢) الحزق : الجماعات - جمع حزقة ، والخابور : نهر على الفرات ، والخمارة بقية السكر . يقول : ظنوا أنهم المقصودون فهربوا خوفا من سيف الدولة حين توجه إلى ناحيتهم يريد الرقتين ، فصاروا جماعات صرعى - مطروحين - حوالى هذا النهر ، وقوله بهم الخ : أى أنهم لم يذنبوا ، وإنما أذنب غيرهم فأدركهم تعب الحرب ، فأراد بالشراب المعصية . وبالخمارة : ما لحقهم من الخوف .
(٣) المراد بالمال : المواشى . يقول : لحوفهم لم يسرحوا نعمهم نهارا ولم يوقدوا نيرانهم ليلا .

(٤) يقول : هم : إنما فعلوا ذلك خشية أن يعرف مكانهم فيقصدهم ، وهو حذر في غير موضعه ، لأنه إذا كان غير راض عنهم ، فإن حذرهم هذا لا يجديهم شيئا ، فهو يدركهم أينما كانوا ، ولو في أقاصى البلاد أو في الجواء ، فقول له : حذار ، مفعول له ، عامله في البيت السابق ، وهو مصدر حاذر .

(٥) الجدوى : العطية . يقول : إنهم يفتدون إليه يسألونه العفو لا غير . والوفود : جمع وفد ، وهو جمع وafd ، والوافد : القادم على أمير أو غيره ليطلب منه شيئا .

(٦) خلفهم : استبقاهم ، والبيض : السيوف ، والهام : الرءوس يذكر ويؤنث - وهو مبتدأ ، خبره : له ، والجملة : حال ، ومعار : خبر آخر ، ومعهم : حال من نائب معار . يقول : فاستبقاهم بأن رد سيوفه عنهم وترك رءوسهم معهم عارية منه متى شاء أخذها لأنها في ملكه . وهذا كلام بديع .

وَهُمْ يَمْنَنُ أَدَمَ لَهُمْ عَلَيْهِ كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسْبُ النَّضَارُ (١)
 فَأَصْبَحَ بِالْعَوَاصِمِ مُسْتَقَرًّا وَلَيْسَ لِيَبْحَرِ نَائِلُهُ قَرَارُ (٢)
 وَأَضْحَى ذِكْرُهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ تَدَارُ عَلَى الْغِنَاءِ بِهِ الْعُقَارُ (٣)
 تَخَرُّ لَهُ الْقَبَائِلُ سَاجِدَاتٍ وَتَحْمَدُهُ الْأَسِنَّةُ وَالشِّفَارُ (٤)
 كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فِي أَبْصَارِنَا مِنْهُ أَنْكَسَارُ (٥)
 فَمَنْ طَلَبَ الطَّعَانَ فَذَا عَلِيٌّ وَخَيْلُ اللَّهِ وَالْأَسْلُ الْحِرَارُ (٦)

(١) أدم لهم : صيرهم في ذمامه ؛ والضمير في عليه : لسيف الدولة . والعرق : الأصل ؛ والحسب : ما تعدده من مآثر الآباء . والنضار : الخالص من كل شيء . يقول : عقد النمة لهم وصيدهم في ذمامه كرم أصله وصحة حسبه .

(٢) العواصم : بلاد حاضرتها إنطاكية ؛ والنائل : العطاء يقول : فاستقر بهذا المكان بعد عودته من هذه الغزوة لأنه مقره ، أما جوده فلا يستقر . كالبجر ليس له قرار .

(٣) العقار : الحمر . يقول : إن ذكره قد ملأ الآفاق حتى إن الشرب - جماعة شاربى الحمر - يغنون بما مدح به من الأشعار ويشربون على ذكره . هذا وسميت الحمر عقاراً ؛ قيل لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن : أى لزمته ، وأصله من عقر الحوض لأن الواردة تلازمه ، وقيل : لأنها تعقر شاربها ، وقيل : لشبهها بالعقار ، وهو نبت أحمر .

(٤) الأسنة هنا : الرماح ، والشفار : جمع شفرة . حد السيف يقول : إنه لمنعته تخضع له القبائل كل الخضوع . وتثنى عليه الرماح والسيوف . لحسن استعماله إياها لأنه أذل بها تلك القبائل .

(٥) يقول : لإجلنا إياه وإعظامنا له لا نستطيع أن نملأ أعيننا من النظر إليه ، كما لا نستطيع أن ننظر طويلاً إلى شعاع الشمس ، كما قال الفرزدق :

* يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ *

وهو من قول الآخر :

إِنَّ الْعُيُونَ إِذَا رَأَتْكَ حِدَادُهَا رَجَعَتْ مِنَ الْإِجْلَالِ غَيْرِ حِدَادٍ

(٦) الأسل : الرماح ، والحرار : العطاش ، جمع حران ، والأنتى حرى . والحران

يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ بِأَرْضٍ مَا لِنَازِلِهَا أُسْتَبَارُ^(١)
يُوسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتِظَارُ^(٢)
تَصَـأْهَلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ وَمَا مِنْ عَادَةِ الْخَيْلِ السَّرَارُ^(٣)

العطشان . يقول . من أراد المطاعنة بالرمح ، فهذا على - اسم سيف الدولة - قد تفرع من قتال هؤلاء ومعه خيل الله - جيشه - والرمح العطاش لانها لا تتروى من الدم .

(١) و (٢) كعب . اسم القبيلة . وبأرض : صلة يراه ، والمفاوز : الصحارى . يقول : إنه دائماً يسرى إلى أعدائه ويجوب إليهم الصحارى التي لا يستتره فيما شيء فهو يتوسط الصحارى كل يوم ليطلب الأبطال الذين يطلبون القتال لا ينتظر لحاقهم به : يعنى أنه دائماً يقصد أعداءه حيث هم ولا ينتظر أن يأتوه فيقاتلهم ، أى أنه دائماً طالب لا هارب . والعادة أن الحائف ينزل المفاوز خوفاً ممن يلحقه ، ولكن المدوح ينزلها طلباً لمن يهرب منه إليها . « هذا » ، وقوله لا الانتظار : فألف لا : ساقطة لفظاً ، وإن تحركت اللام بعدها ، لأن حركة اللام عارضة دفعا لالتقاء الساكنين بينها وبين النون . وقوله طلاب الطالبين : تروى طلاب الطاعنين : أى طاعنى الأعداء .

(٣) تصاهل - بحذف إحدى التاءين - أى تتصاهل . والسرار : مصدر ساره ، كله سرا . وقد اضطربت كلمة السراح في تأويل هذا البيت فذكر ابن جنى معنيين ، والخطيب خالفه إلى معنى آخر ، وأوجهها ما ذهب إليه ابن فورجة قال محاصله : إن خيله تتصاهل من غير سرار ، وليس السرار من عادة الخيل ، يعنى أن سيف الدولة ليس من شأنه أن يباغت العدو ولا يحاول أن يخفى قصده إلى أعدائه لقوته وتمكنه واقتداره ، ومن ثم لا يكف خيله عن الصهيل ، لأن من يباغت عدوه يضرب خيله إذا صهلت ليقطع صهيلها ، كما قال القائل :

إذا الخيلُ صاحتُ صياحَ النسورِ جزرنا شراسيفها بالجذم^(١)

وأحد معني ابن جنى : إن خيله يسر بعضها إلى بعض شكية مما يحشمها به من ملاقة الحروب وقطع المفاوز . والمعنى الآخر : إن خيله مؤدبة فتصهل سرا هية له ، وقال الخطيب : إنما أراد أن خيله إذا سارت أخفى صهيلها صوت الحديد ، فكأنما هي في سرار وأخذ من قول عنتره :

(١) الشرسوف : طرف الضلع المنرف على البطن ، والجذم ، جمع جذمة السوط .

بُنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَرَتْ فِيهِمْ يَدٌ لَمْ يُدْمِهَا إِلَّا السَّوَارُ^(١)
بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ وَفِيهَا مِنْ جَلَالَتِهِ أَفْتِخَارُ^(٢)
لَهُمْ حَقُّ بَشْرِ كَكَ فِي نَزَارٍ وَأَذْنَى الشَّرْكِ فِي أَصْلِ جِوَارِ^(٣)
لَعَلَّ بَيْنِهِمْ لِبَنِيكَ جُنْدٌ فَأَوَّلُ قُرَحٍ الْخَيْلِ الْمِهَارِ^(٤)

وازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم

(اللبان : الصدر)

(١) و (٢) اليد : الجارحة المعروفة ، والسوار : الحلية من الذهب أو الفضة ، كالطوق تلبسها المرأة في رندها أو معصمها ، وبنوكعب : مبتدأ ، ويد : خبر وما أثرت : أى وتأثيرك . يقول : إن بنى كعب وما أثرت فيهم من الذل والقتل مثلهم مثل اليد التي يدميها السوار ، فإن اليد تتحل بالسوار وتفتخر وإن كان يؤلمها ، كذلك بنوكعب يفتخرون بك وأنت زين لهم ، وإن أثرت فيهم .

(٣) الشرك : مصدر شرکه ، بوزن علمه ، ونزار : جد العرب . يقول : إنهم يشاركونك في الانتساب إلى نزار ، وأقل ما يقتضيه حق الشركة في أصل جوار : أى ذمام ورعاية حرمة .

(٤) يستعطفه عليهم ويحثه على العفو عنهم . يقول : لعل أبناءهم يكونون جندا لأبنائك وعبيدا إذا سلموا ، فإن المهار من الخيل تصير قرحا : أى أن الصغار تصير كبارا ؛ كما قيل :

وَإِنَّمَا الْقَرْمُ مِنَ الْأَفِيلِ وَسُحْقُ النَّخْلِ مِنَ الْفَسِيلِ

« القرم : الفحل من الإبل ، والأفيل : الفصيل ، والفسيل : ما يقلع من صغار النخل ليغرس ، والقرح : جمع قرح ، وهو الذي استكمل سنه بأن بلغ خمس سنين والمهار جمع مهر ، الصغير من الخيل : هذا : ولناسبة لعل : قال العكبرى : ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لام لعل الأولى أصلية ، وقال البصريون : بل هي زائدة ، وحجتنا أنها حرف ، والحروف في الحروف كلها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة - التي يجمعها «هويت السمان» - إنما تختص بالأسماء والأفعال ، فأما الأفعال فتزاد فيها . وكذلك الأسماء ، وأما الحرف فلا يدخله شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، فدل على أن اللام أصلية ويدل على أنها أصلية أن اللام لا تنكاد تزداد فيما يجوز فيه الزيادة إلا شاذا ، فإذا كانت اللام لا تزداد إلا على طريق الشذوذ فكيف يحكم زيادتها فيما لا تجوز فيه الزيادة ؟ وحجة

وَأَنْتَ أَبْرٌ مَنْ لَوْ عَقَّ أَفْنَى وَأَعْفَى مَنْ عَقُوبَتُهُ الْبَوَارُ (١)
وَأَقْدَرُ مَنْ يَهَيِّجُهُ ائْتِصَارُ وَأَحْلَمُ مَنْ يَحْلَمُهُ ائْتِدَارُ (٢)
وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلَا فِي ذِلَّةِ الْعِبْدَانِ عَارُ (٣)

البصريين أنهم قالوا : وجدناها مستعملة في كلامهم وأشعارهم يغير لام ، قال نافع الطائي :

ولست بلوأم على الأمر بعدما يفوت ولكن عل أن أتقدما

(١) أبر : أفعل تفضيل ، من بره إذا أحسن إليه ووصله ، وعق مجهول عق ، يقال عق والده إذا عصاه ، وهو ضد «بره» وأعفى : تفضيل بن العفو ، والبوار : الهلاك . يقول : أنت أبر الذين إذا عصوا أفنوا ، وإذا كنت أبرهم لم تفن ، وأنت أعفى الذين يعاقبون بالهلاك ، وإذا كنت أعفاهم لم تهلك : أى أنت أبر الملوك القادرين وأعفاهم ، وإذا لا تفنى من عصوك ولا تؤذيهم .

(٢) يقول : وأنت أقدر من يحركه حب الانتصار : أى إذا حركك الانتقام من عدوك قدرت على ما تطلب ، فأنت أقدر المنتصرين ، وأنت أحلم من يدعوه إلى الحلم اقتداره على عدوه فصفح وعفا ، وإذا كان الأحلم كان الأعفى والأصفح عن العدو إذا اقتدر عليه ،

(٣) يقول : لا يلحقهم عار بسطوتك عليهم ، لأنك ربهم - سيدهم - ولا في تذليلهم لك عار ، لأنهم عبيدك . وذلك كما قال النابغة :

وَعَيْرَتْنِي بَنُو ذُبْيَانَ رَهْبَتَهُ وَهَلَّ عَلَيَّ بَأْنِ أَخْشَاكَ مِنْ عَارٍ ؟
وكما قال الآخر :

وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلُهُ لِكَالْدَهْرِ لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ
وقال أبو تمام :

خَضَعَتْ لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ

وقال ارتجالاً يهجو سوارا الديلمي وقد نزلوا منزلاً أصابهم فيه مطر وريح :

بَقِيَّةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبَوَارِ وَأَنْضَاءِ أَسْفَارِ كَشْرَبِ عُقَارِ (١)
 نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الرِّيَّاحِ بِمَسْجِدِ عَلَيْنَا لَهَا ثَوْبًا حَصَى وَغُبَارِ (٢)
 خَلِيٍّ لِي مَا هَذَا مُنَاخًا لِمِثْلِنَا فَشُدَّا عَلَيْهَا وَأَرْحَلًا بِنَهَارِ (٣)
 وَلَا تُنْكَرَا عَصْفَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا قَرَى كُلِّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدِ سَوَارِ (٤)

وقال في صباه وهو بيت مفرد ، وروى قوم أهمما بيتان وهما :

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتَغُ الْفَقْرَ قَاعِدًا فَقُمْ وَأَطْلُبِ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْتَغِيهِ الْعُمَرَاءُ (٥)
 هُمَا خَلَّتَا إِنْ ثَرَوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ لَعَلَّكَ أَنْ تَبْقَى بِوَاحِدَةٍ ذِكْرًا (٦)

(١) بقية قوم : خبر مبتدأ محذوف . يقول : نحن بقية قوم آذن - أعلم - بعضهم بعضاً بالبوار - الهلاك - أى علموا أنهم هالكون ، ونحن مهزول أسفار لآحراك بنا من الجهد والتعب كأننا سكارى ، فأنضاء : جمع نضو ، وهو المهزول الذاهب اللحم من الناس والإبل ؛ والشرب : جمع شارب ؛ والعقار : الثمر .

(٢) يقول تحكمت فينا الرياح بهذا المكان حتى سفت علينا من الحصى والتراب ما سترتنا به .

(٣) المناخ : المنزل ، وأصله مبرك الناقة يقول : ليس هذا المكان منزلاً لنا فشدنا رحالنا على الإبل وأرحلنا قبل هجوم الليل . فالضمير في عليها : للإبل ، وإن لم يتقدم لها ذكر .

(٤) يقول : لا تنكرا شدة هبوب الرياح ، فإنها طعام من بات ضيفا عند سوار ؛ وهذا سوار اسم رجل نزلوا في المسجد قرب داره فهبت عليهم الرياح ولم يلتفت إليهم ولم يقرهم .

(٥) يبتغى : يقطع ؛ وقاعداً : حال من الخاطب ؛ وأراد بما يبتغى الفقر : الثروة والغنى . يقول : إذا لم تجد الغنى وأنت قاعد عن السعى فقم واطلب ما يقطع العمر : أى الحرب ، يعنى مقاتلة الملوك وأشبه الملوك للحصول على ما حصلوا عليه من الملك والرياسة والثراء .

(٦) هما : ضمير الخلتين ، فسرهما ؛ والخلعة الخصلة ؛ والثروة : المال الكثير ، وهى بدل تفصيل من خلتان ؛ والمنية : الموت . وإن - هنا - زائدة بعد لعل ، لتأكيد

وقال في صباه في جعفر بن كيعلغ ولم ينشده إياها :

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ ضَمَائِرُهُ وَغَيْضَ الدَّمْعِ فَأَنْهَلَتْ بَوَادِرُهُ^(١)
 وَكَاتِمُ الْحُبِّ يَوْمَ الْبَيْنِ مِنْهَتِكَ وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لَا تَحْفَى سَرَائِرُهُ^(٢)
 لَوْلَا ظِبَاءُ عَدِيٍّ مَا شَغَفَتْ بِهِمْ وَلَا بَرَبْرَبِهِمْ لَوْلَا جَادِرُهُ^(٣)

الاستقبال ، كما تزداد في خبر عسي . يقول : هما خصلتان : إما الغنى وما إليه من الرياسة والملك ، وإما الموت ، فافعل لعل أحد هذين يخلد ذكرك .

(١) حاشاه : تجبه وتوقاه . والضائر : جمع ضمير ، وهو ما يضره الإنسان ويخفيه . وغيض الدمع : حبسه ونقصه ، وانهلت : انصبت . وبوادره : سوابقه ومسرعاته . يقول : تباعد عن الرقيب يوم الفراق مخافة أن يطلع على هواه وحاول أن يحبس دموعه عن الجرى فظهر عليه ما يكتمه لأنه لم يقدر على كتمانها وسبقه الدمع فوقف الرقيب على سيره .

(٢) عتذر لما في البيت الأول . يقول : إن الذي يكتم حبه كيلا يطلع عليه يغلبه الوجد والجزع يوم الفراق فيبدو سره وينهتك ستره ؛ لأنه يجزع ويبكي ، فيستدل بجزعه وبكائه على حبه .

(٣) كنى بالظباء عن النساء ، وعدى : قبيلة من قريش . وكنى بالبربر - وهى القطع من بقر الوحش - عن جماعة النساء مطلقا . وبالجأذر - جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية - عن الشواب منهن . يقول : لولا نساء هذه القبيلة اللائى هن كالظباء في عيونهن وأعناقهن ماشغفت بالقبيلة كلها ، ولولا الشواب المليحات منهن ماشغفت بنسأهم جميعاً ، ويروى بدل ماشغفت : ما شقيت . أى لولا نساء هذه القبيلة ما شقيت بالقبيلة : أى أحتاج إلى مجاملتهم واحتمال الدل لأجل نسأهم الحسان ، ولولا الشواب ماشقيت بالكبار في مضايقتهن . وإليك طرفة نحوية للعلامة العكبرى قل : ظباء عدى مرفوعة عندنا بلولا ، وعند البصريين بالابتداء ؛ وججتنا أنها ترفع الاسم لأنها نائبة عن الفعل الذى لو ظهر لرفع الاسم ، لأنك تقول : لولا زيد لجئت : أى لو لم يمنعنى زيد . إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا « لا » على « لو » فصارا بمنزلة حرف واحد ، كقولهم : أما أنت منطلقا انطلقت معك . وتقديره : إن كنت منطلقا انطلقت معك قال الشاعر :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعَ (١)

تقديره أن كنت ، فحذف الفعل وزاد « ما » عوضاً عن الفعل ، كما كانت الألف في اليماني عوضاً عن إحدى ياءى النسب ؛ والذي يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لثلاثي الجمع بين العوض والمعوذ . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون « لولا » أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، و« لولا » غير مختصة بالاسم ، فقد قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكٌ إِلَيَّ قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حَدِيدْتُ وَلَا عُدْرِي لِمَحْدُودٍ (٢)

(١) البيت للعباس بن مرداس السلمي الصحابي رضي الله عنه وبعد :

السُّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعٌ
وأبو خراشة : منادى ؛ وأبو خراشة : كنية ، واسمه خفاف بن ندبة ، وندبة : اسم أمه ؛ وخفاف ، هذا : صحابي ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها ، وكان أسود حالكا وهو ابن عم الحنساء . وأنت اسم لكان المحذوفة ؛ وذانقر : خبرها . وروى هذا البيت : أبو خراشة أما كنت ذا نفر ، وعليها لا شاهد في البيت : وما : زائدة . ونفر الرجل : رهطه . ويقال إن الضبع إذا وقعت في الغنم عاثت ولم تكف بما يكتفي به الذئب ؛ ومن إفسادها وإسرافها استعارت العرب اسمها للسنة المحذوبة فقالوا : أكلتنا الضبع وقال ابن الأعرابي : ليس يريدون بالضبع السنة ، وإنما هو أن الناس إذا أجدبوا ضعفوا عن الانتصار وسقطت قواهم . فعانت فيهم الضباع والذئب فأكلتهم . يقول : إن قومي ليسوا بضعاف تعيث فيهم الضباع والذئب . والسلم : الصلح . والجرع : جمع جرعة وهي ملء الفم يخبره أن السلم هو فيها وادع ينال من مطالبه ما يريد ، فإذا جاءت الحرب قطعتة من لذاته وشغلته بنفسه . وهذا تحريض على الصلح وتثبيط عن الحرب ؛ وأراد بأنفاسها : أوائلها .

(٢) من أبيات للجموح - أحد بني ظفر من سليم بن منصور - وقبله :

قَالَتْ أُمَامَةٌ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا هَلَّا رَمَيْتَ بِبَعْضِ الْأَسْهَمِ السُّودِ

وبعده :

إِذْ هُمْ كَرَجَلِ الدَّبِيِّ لَادَرَدَرَهُمْ يَغْزُونَ كُلَّ طُوالِ الْمَشِيِّ مَمْدُودِ

مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ فِي أَنْيَابِهِ شَنْبٌ خَمْرٌ يُخَامِرُهَا مَسْكٌ تُخَامِرُهُ (١)
 نَعِيجٌ مَحَاجِرُهُ دُعِيجٌ نَوَاطِرُهُ خَمْرٌ غَفَائِرُهُ سُودٌ عَدَائِرُهُ (٢)
 أَعَارِنِي سَقَمَ عَيْنِيهِ وَحَمَلَنِي مِنَ الْهَوَى نَقَلَ مَا تَحْوِي مَازِرُهُ (٣)

(١) الحور : شدة بياض العين في شدة سوادها ، والشنب صفاء الأسنان ورقة مائها ، وسئل ذو الرمة عن الشنب ، فأخذ حبة رمان فقال: هذا هو الشنب ، أشار إلى صفائها ورقة مائها . وذهب الواحدى في إعراب خمر : إلى أنها مبتدأ ؛ ومسك : فاعل يخامرها ؛ والجملة : صفة لخمر ؛ وتخامره : ضمير الفاعل فيه للخمر ؛ وضمير المفعول : للشنب . والجملة ، خبر خمر ، وجملة ، خمر ، ومايلها - إلى آخر البيت - صفة لشنب يقول : بلائى أو شقائى من كل أحور في أنيابه شنب تخالطه خمر يخالطها مسك . وقال بعض الشراح قوله من كل : « من » متعلقة بمحذوف ، حال من جأزره

(٢) نعيج : جمع أنعيج ، والنعيج : البياض . والمحاجر : جمع الحجر ، وهو ما دار بالعين ، جعلها بيضا لبياض ألوانهن ، والدعيج : السواد ، والنواظر : الأحداق ، والغفائر جمع الغفارة ، وهى خرقة تكون على الرأس تقي بها المرأة الخمار من الدهن ، وقد تكون اسما للخمار . جعلها خمرأ لكثرة استعمال الطيب من نحو زعفران ومسك ، وإن جعلنا الغفائر الخمر فإنما جعلها خمرأ لأنهن شواب ، كما قال :

* خَمْرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ *

والغدائر : الضفائر من الشعر .

(٣) يريد بسقم عينيه : الفتور ، وهو مما توصف به الحسان ، كما قال ابن المعتز :

ضَعِيفَةٌ أَجْفَانُهُ وَالْقَلْبُ مِنْهُ حَجَرٌ

فَمَا تَرَكَتُ أَبَا بَشْرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجَيْدِ
 وكان من خبر الجموح هذا أنه بيت بنى لحيان وبنى سهم بوادي يقال ذات البشام ، وكان الجموح قد جمع جمعاً من بنى سليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت وكان في كنانة الجموح نبل معاملة بسواد حلف ليرمين بها كلها قبل رجعتة في عدوه ، فقتل أبو بشر ، وهزم أصحابه وأصابتهم بنو لحيان تلك الليلة وأعجز الجموح ، فقالت امرأته - واسمها أمامة - وهى تلومه : هلا رميت تلك النبل التى كنت آليت لترمين بها ؟ وحددت - بالباء للمفعول - أى حرمت ومنعت والعذرى : اسم بمعنى المذرة . يقول : قد رميت واجتهدت في قتالهم - ولكنى حرمت النصر عليهم ولا يقبل عذر المحروم ؛ والرجل : القطعة من الجراد ؛ والدبى : أصغر الجراد ؛ والطوال ؛ الطويل .

يَأْمَنُ تَحَكُّمَ فِي نَفْسِي فَعَدَّ بَنِي
وَمَنْ فُوَادِي عَلَى قَتْلِي يُضَافِرُهُ (١)
بِعَوْدَةِ الدَّوْلَةِ الْغُرَاءِ ثَانِيَةً
سَلَوْتُ عَنْكَ وَنَامَ اللَّيْلَ سَاهِرُهُ (٢)

كَأَنَّمَا الْحَاظُهُ مِنْ فِعْلِهِ تَعْتَذِرُ

وهو كثير . والمآزر : جمع المأزر ، وهو الإزار ، وما تحويه المآزر : الكفل .
يقول : أمرضني كمرض جفونه ، وأثقلني بالهوى كثقل أردافه . وهذا كقول منصور
ابن الفرج :

حَلَّ فِي جِسْمِي مَا كَا نَ بَعَيْنَيْكَ مُقِيمَا

ومثلة للبحري :

وَكَأَنَّ فِي جِسْمِي الَّذِي فِي نَاطِرَيْكَ مِنَ السَّقَمِ

وقال السري الرفاء :

وَنَوَاطِرٍ وَجَدَ الْمُحِبُّ فُنُورَهَا لَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَى - فِي أَعْضَانِهِ

ويعجبنى قول العكبري : وذكر الكفل في الشعر وغيره ليس بجيد ، وإن كان
قد ذكره قوم من العرب .

(١) المضافرة : المعاونة . يقول : إن فؤاده يعين الحبيب على قتله حيث لا يسلو مع
ما يروى من كثرة الجفاء ، وهذا كما يقال : قلب العاشق عون عليه مع حبيبه . ويقول العباس
ابن الأحنف :

كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

(٢) هذا تلخيص . يقول : لما عادت دولة الممدوح - وكان قد عزل ثم ولي ثانيا
ذهب حبك من قلبي ونمت الليل بعد أن كنت أسهره . قال العكبري : وهذا نقص ،
لأن الحب الصادق لا ينفك عن المحبوب ولا يسلوه أحسن إليه أم أساء ، لقد أحسن
البحري بقوله :

أَحِبَّ عَلَى أَيَّمَا حَالَةٍ إِسَاءَةِ لَيْلِي وَإِحْسَانِي

والمحب الصادق كلما عنت له خطرة من السلورده الحب الصادق عما كان عزم .
ولقد أحسن البحري أيضا بقوله :

أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فُوَادِي لَوْعَةٍ وَأَصْدَ عَنْكَ وَوَجْهَ وُدِّي مُقْبَلٍ

وَإِذَا طَلَبْتَ وَصَالَ غَيْرِكَ رَدْنِي وَهَلْ إِلَيْكَ وَشَافِعَ لَكَ أَوَّلِ

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ (١)
 غَابَ الْأَمِيرُ فَعَابَ أَنْخِيرُ عَنْ بَلَدٍ كَادَتْ لِفَقْدِ أَسْمِهِ تَبْكِي مَنَابِرُهُ (٢)
 قَدْ أَشْتَكْتُ وَحَشَاةَ الْأَحْيَاءِ أَرْبَعُهُ
 وَخَبَّرْتُ عَنْ أَسَى الْمَوْتَى مَقَابِرُهُ (٣)
 حَتَّى إِذَا عُمِدَتْ فِيهِ الْقَبَابُ لَهُ أَهَلَّ لِلَّهِ بِأَدْيِهِ وَحَاصِرُهُ (٤)
 وَجَدَّدَتْ فَرَحًا لَا الْغَمُّ يَطْرُدُهُ وَلَا الصَّبَابَةُ فِي قَلْبٍ يُجَاوِرُهُ (٥)
 إِذَا خَلَّتْ مِنْكَ حِمَصٌ لَا خَلَّتْ أَبَدًا
 فَلَا سَقَاهَا مِنْ الْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ (٦)

(١) يقول: من بعد ما كنت ألقى من الحزن ما يسهرني فيطول على الليل حتى كأنه متصل بيوم الحشر. وهذه مبالغة في وصف الليل بالطول.

(٢) هذا من قول أشجع السلمي:

فَمَا وَجْهُ يَحْيِي وَحَدَهُ غَابَ عَنْهُمْ وَلَكِنَّ يَحْيِي غَابَ بَانْخِيرِ أَجْمَعَا
 ويقول الآخر:

بَكَتِ الْمَنَابِرُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنَّمَا أَبْكِي الْمَنَابِرَ فَقَدْ فَارِسِهِنَّ

(٣) الضمير في أربعه ومقابره: للبلد؛ والوحشة: الاكتئاب يجده الإنسان عند اعتزاله الناس؛ والربيع: المنزل؛ والأسى: الحزن. يقول: لما غاب الأمير عن البلد حزن لغيبته الأحياء حتى أحست بذلك دورهم ومنازلهم، وكذلك الموتى حزنوا حتى أخبرت المقابر عن حزنهم.

(٤) المراد بالقباب: جمع قبة - تلك التي تتخذ للزينة والثمار؛ وعقدت: ضربت وأهل الله: أي رفع أهل البادية وأهل الحضر أصواتهم بالدعاء سرورا بعودته.

(٥) يقول: إن عودة دولته جددت فرحا لا يعا به الغم ولا يجاوره الشوق في قلب: أي لا امتلاء كل قلب بهذا الفرح لا يكون فيه. وضع للعشق.

(٦) حمص: بلد المدوح. وقوله لا خلت أبدا: جملة دعائية معترضة جميلة. يقول: إذا خلت منك حمص فلا نزل بها المطر - أي لا أنبتت - ولا سقاها باكر الوسمي. والوسمي: أول مطر الخريف، سمي كذلك لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرا في أول السنة. والولى: ثانيا. وباكره أوله، ومنه باكرة الثمار.

دَخَلْتَهَا وَشُعَاعُ الشَّمْسِ مُتَقَدِّمٌ وَنُورٌ وَجْهَكَ بَيْنَ الْخَلْقِ بَاهِرُهُ (١)
 فِي فَيْلِقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَدَفْتَ بِهِ صَرَفَ الزَّمَانَ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ (٢)
 تَمَضَى الْمَوَاكِبُ وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةً مِنْهَا إِلَى الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ (٣)
 قَدْ حَرْنُ فِي بَشَرٍ فِي تَاجِهِ قَمَرٌ فِي دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمِي أَظْفَرُهُ (٤)
 حُلُوْ خَالِئَتُهُ شُوشٍ حَقَائِقُهُ تُحْصَى الْحُصَى قَبْلَ أَنْ تُحْصَى مَا بُرَّهُ (٥)

تَضْيِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحِبَتْ

كَصَدْرِهِ لَمْ تَبْنِ فِيهَا عَسَاكِرُهُ (٦)
 إِذَا تَغَلَّغَلَ فِكْرُ الْمَرْءِ فِي طَرْفٍ مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ (٧)

(١) باهره : غالبة ؛ والضمير فيه : للشعاع . يقول : دخلت حمص وقت إشراق الشمس وشعاعها - ضياؤها - يتوقد ، ولكن نور وجهك قد غلب نور الشمس
 (٢) الفيلق : العسكر ، وجعله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع وخلافها .
 يقول : لو حاربت بعسكرك هذا الزمان مادارت على الناس دوائره وهى حركاته
 وصروفه التى تدور على الناس وتأتى حالا بعد حال .

(٣) المراد بالطائر : الفأل ؛ والعرب يتفاءلون فى الخير والشر بالطيور ، فيسمون الفأل : الطائر ، والميمون : المبارك . يقول : العيون شاخصة إلى الملك لا تنظر إلى غيره .
 (٤) حرن : أى الأبصار ، وأراد بالبشر : المدوح ؛ وبالقمر : وجهه ؛ وجعله أسدا فى درعه لشجاعته ، وتدمى أظفاره : أى تتلطح لكثرة ما يفترس من الأعداء
 (٥) الخلائق : جمع خليفة ، وهى الخلق ؛ والشوش : جمع الأشوش ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر ؛ والحقيقة ؛ ما يحق على الرجل حفظه من الجار والحليف والولد . يقال : فلان حامى الحقيقة . قول : إن أخلاقه حلوة معسولة وحقائقه حميمة ممنوعة لا يقدر أن ينال منها أحد ، فهى ممتعة امتناع المتكبر ، وهو كثير المآثر حتى لا تكاد تحصى ..

(٦) هذا من قول أبى تمام :

وَرُحِبَ صَدْرِي لَوَ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ

كَوَسْعِهِ لَمْ يَضِيقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ

(٧) تغلغل فى الشيء : دخل فيه وأمعن يكون فى الجواهر والأعراض . يقول :
 إن أدنى مجده يستغرق الفكر والخواطر لمن أراد أن يصفه .

تَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ (١)
 إِذَا أَنْتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدْعُ جَسَدًا إِلَّا وَبَاطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظَاهِرُهُ (٢)
 فَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدِهِ وَقَدْ وَثِقَنَ بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ (٣)
 تَرَ كُنَّ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وَثُعَلْبَةَ عَلَى رُءُوسِ بِلَانَسٍ مَغَافِرُهُ (٤)
 فَخَاضَ بِالسَّيْفِ بَحْرَ الْمَوْتِ خَلْفَهُمْ وَكَانَ مِنْهُ إِلَى الْكَعْبِيِّنَ زَاخِرُهُ (٥)

(١) حمى الشيء يحمى : اشتد حره ؛ والعشائر : الأهل الأقارب . يقول : إذا حارب أعداءه واشتد غضبه غضبت سيوفه عليهم معه ، حتى لكأنها أقاربه الأدنون الذين يغضبون لغضبه ؛ وهذا من قول أبي تمام :

كَأَنَّهَا وَهَى فِي الْأَوْدَاجِ وَالغَيْةِ وَفِي السَّكَلَى تَجِدُ الْغَيْظَ الَّذِي تَجِدُ
 ويقول البحترى :

وَمُصَلَّتَاتٌ كَأَنَّ حِقْدًا بِهَا عَلَى الْهَامِ وَالرَّقَابِ

(٢) يقول : إذا استل سيوفه من أغمادها ليحارب بها لم تترك جسداً إلا قطعته إربا حتى تبدو بواطنه للعين كما تبدو ظواهره .

(٣) أى لسكرة مارأت ذلك واعتادته . يعنى أنها لو كانت ممن يعلم : لعامت . وهذا ينظر إلى قول النابغة الذبياني :

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانَ أَوْلُ غَالِبِ

(يصف النابغة عصائب الطير التي تتبع الجيش) .

(٤) الهام : جمع هامة وهى أعلى الرأس ومستقر الدماغ : وهامة القوم : سيدهم على المثل ، وقد يراد هنا . وعوف وثعلبة : قبيلتان ؛ والمغافر : جمع مغفر ، وهو ما يغفر الرأس . أى يغطيه من الحديد ؛ والضمير فى مغفرة : للهام . وعلى رؤس : خبر مقدم . ومغفرة مبتدأ مؤخر . والجملة : حال ، أو مفعول ثان لتركان . يقول : إن سيوفه فرقّت بين رؤوس هؤلاء القوم - وكان قد أوقع بهم - وبين أبدانهم حتى صارت مغافر هامهم على رؤوس بلا أبدان قال ابن جنى : وذلك لأنه لما قتلهم جاءوا براء وسهم وعليها المغافر .

(٥) زخر البحر : طمى موجه وعلا . قال ابن جنى : أى ركب معهم أمر عظيما

حَتَّىٰ أُتَهِيَ الْفَرَسُ الْجَارِي وَمَا وَقَعَتْ
فِي الْأَرْضِ مِنْ جِثِّ الْقَتْلَى حَوَافِرُهُ (١)
كَمْ مِنْ دَمٍ رَوِيَتْ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ وَمُهْجَعَتُهُ وَاعْتَتْ فِيهَا بَوَاتِرُهُ (٢)
وَحَائِنٍ لَعَبَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ بِهِ فَالْعَيْشُ هَاجِرُهُ وَالنَّسْرُ زَائِرُهُ (٣)
مَنْ قَالَ لَسْتُ بِبَخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
فَجَهَلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَازِرُهُ
أَوْ شَكََّ أَنَّكَ فَزِدٌ فِي زَمَانِهِمْ
بِلَا نَظِيرٍ فِي رُوحِي أَخَاطِرُهُ (٤)
يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوَمِّلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ (٥)
وَمَنْ تَوَهَّمَتْ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتُهُ جُودًا وَأَنَّ عَطَايَاهُ جَوَاهِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ
وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ (٦)

عليهم صغيراً عليه ، فيكون بحر الموت مثلاً للأمر العظيم وقرب غوره له مثل لصغره في نظره . وقال الواحدي : بحر الموت : الحرب والمعركة لكثرة ما فيها من الدماء ، يقول خاض ذلك البحر خلف هؤلاء إلا أنه لم يغرق ولم يبلغ ماؤه فوق كعبيه .

(١) يقول : حتى بلغ فرسه نهاية جريه ولم تقع حوافره على أديم الأرض لكثرة القتلى ، وإنما وطىء أجسادهم . و يروى بدل جثث : جيف .

(٢) الأسنة : الرماح ، والمهجة : دم القلب . وأصل الولوغ : شرب السباع الماء بألسنتها ، والبواتر : السيوف القواطع .

(٣) يقول : وكم من حائن - هالك - لعبت رماحك به - أي نالت منه وقتلته - فهجرته الحياة وفارقتة ، وزاره النسر ليأكل لحمه .

(٤) أخاطره : أراهنه . يقال : خاطر فلان فلانا على كذا : أي راهنه عليه . ويكون عادة في السباق وفي رمي النبل وإنما قال هذا لثقتة بكونه فرداً .

(٥) ألوذ : أعود وألجأ . ومثله لا بن الرومي :

ولا العائدُ اللّاجي إليه بخائفٍ ولا الرائدُ الراجي نداهُ بخائبٍ

(٦) الجبر : إصلاح الكسر ؛ والهيض : الكسر بعد الجبر ، يقال : هضت العظم فهو

وقال يمدح أبا أحمد عميد الله بن يحيى البحتري المنبجى :

أَرِيْقُكَ أُمَّ مَاءِ الْعَمَامَةِ أُمَّ خَمْرٍ بِنِي بَرُودٍ وَهَوِيٍّ فِي كَبِدِي جَمْرٍ^(١)
 أَذَا الْغُصْنِ أُمَّ ذَا الدَّعْصِ أُمَّ أَنْتِ فِتْنَةٌ
 وَذِيًّا الَّذِي قَبَلْتَهُ الْبَرْقُ أُمَّ ثَغْرٍ^(٢)

رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلِيٍّ عَوَازِلِي
 فَقُلْنَ نَرَى شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ^(٣)

مهبض : وانهاض : إذا انكسر بعد الجبر . يقول : إنهم لا يقدرون على خلافك في حال من الأحوال . « هذا » و يروى بعد هذا البيت قال الواحدى : إنه منقول وهو :

أَرْحَمَ شَبَابٍ فَتَى أَوْدَتْ بِجِدَّتِهِ يَدُ الْبَلْبِ وَذَوَى فِي السَّجْنِ نَاضِرُهُ
 (أودى به : أهلكه . والجدة : مصدر الجديد . وذوى : ذبل)

(١) يقول : لست أدري : أربق مذاقته من فمك ، أم هو ماء سحاب ، أم خمر ، وهو بارد في فمى ، حار في كبدى . لأنه يحرك الحب ويذكي جمر الهوى ؟

(٢) ذا : بمعنى هذا . والهمزة : للاستفهام . وعنى بالغصن : قوامها ، وبالدهص - وهو كشيء الرمل - ردفها ، ثم قال : أم أنت فتنة تفتنين الناس بحبك حتى يظنوا قدك غصنا وردفك كشيئاً ؟ كما قال أبو نواس :

قَرَّرْ لَوْلَا مَلَاَحَتُهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

و«ذيا» : تصغير ذا . والتصغير ههنا مغزاه أن ثغرها محبوب عنده قريب من قلبه ، أو إرادة صغر أسنانها . وثغرها البرق لضوئه ونقاؤه .

(٣) يقول : تعجب عواذلى من رؤية الشمس في الليل والفجر لم يطلع لأنهن حسبن وجهها شمساً ، وخص العواذل لأنه إذا اعترفن له بهذا مع إنكارهن عليه جهها كان ذلك أدل على حسنها . والله أبو تمام إذ يقول :

لِحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَمَ الْهَوَى قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهَى
 فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخُدْرِ تَطْلَعُ
 نِضَا ضَوْوُهَا صَبَغَ الدُّجْنَ وَانطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ الظَّلَامِ الْمَجْزَعُ
 فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَأَحْلَامُ نَائِمٌ أَلَمَّتْ بِنَا أُمَّ كَانَ فِي الرِّكْبِ يَوْشَعُ

رَأَيْنَ اللَّيْلِ لِسِّ جُرِّ فِي حَظَاتِهَا سِيُوفٌ طَبَّاهَا مِنْ دَمِي أَبَدًا حُمْرٌ (١)
تَنَاهَى سُكُونُ الْحُسْنِ فِي حَرَكَاتِهَا
فَلَيْسَ لِرَاءِ وَجْهَهَا لَمْ يَمُتْ عُذْرٌ (٢)
إِلَيْكَ ابْنُ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ تَجَاوَزَتْ
بِئِ الْبَيْدِ عَيْسُ لِحْمَهَا وَالِدَمُ الشُّعْرُ (٣)
نَضَحَتْ بِذِكْرِكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا
فَسَارَتْ وَطُولُ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهَا شِبْرٌ (٤)

(١) الظبي : أطراف السيوف ، جمع طبة : قال بشامة بن حزن النهشلي :

إذا السكّاة تنحّوا أن ينادهم حدّ الطبات وصلناها بأيدينا

وأصل الطبة : ظبو، بوزن جرد ، فحذفت الواو وعوض منها الهاء ، والجمع طبات ، وظبون وظبون قال كعب بن مالك :

تَعَاوَرُوا أَيْمَانَهُمْ بَيْنَهُمْ كئوس المنايا بحدّ الظبينا

لما جعل سحر عينيها قاتلا استعار له سيوفاً ثم جعلها حمر الظبي من دمه لأنها تقتله .

(٢) يقول : إنها كيفما تحركت فالحسن ساكن في حركاتها قد بلغ الغاية في ذلك ، فمن رآها ولم يستهوه هذا الحسن حتى يعصف به ويأتي عليه فليس له عذر ، لأن مثل هذا الحسن قاتل .

(٣) البيد : الصحارى ، والعيس : الإبل ؛ ويروى عنس ؛ والعنس . الناقة الصلبة قال الليث : تسمى عنسا إذا تمت سنّها واشتدت قوتها ووفر عظامها وأعضاؤها ، وقيل هو التي اعنوس ذنبها أى وفر وكثر . قال العجاج :

* كَمْ قَدْ حَسَرْنَا مِنْ عِلَاةِ عَنَسٍ *

وقوله : لحمها والدم الشعر . يقول : كنت أحدها بشعري الذى مدحك به فتقوى على السير : أى أن شعري قام لها مقام اللحم والدم في تقويتها على السير ؛ والعرب تزعم أن الإبل إذا سمعت الغناء والحداء نشطت للسير . وروى الخوارزمي ، الشعر - بفتح الشين - يعنى أنها هزلت حتى لم يبق منها غير الشعر أو الوبر . والأولى أجود ؛ يوافقها البيت التالى ، ولأنه لا شعر للابل وإنما لها الوبر .

(٤) نضح الشيء بالماء : رشه عليه ، ويقال : نضح الماء العطش ينضحه : رشه فذهب

إِلَى لَيْثٍ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفَهُ
وَبَحْرٍ نَدَى فِي مَوْجِهِ يَغْرَقُ الْبَحْرَ (١)
وَأِنْ كَانَ يُبْقِي جُودَهُ مِنْ تَلِيدِهِ
شَبِيهَاً بِمَا يُبْقِي مِنَ الْعَاشِقِ الْمَجْرَ (٢)
فَتَى كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ
رِمَاحُ الْمَعَالِي لِالرَّدَيْنِيَّةِ الشُّمْرِ (٣)
تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ
فَنَائِلُهَا قَطْرٌ وَنَائِلُهُ غَمْرٌ (٤)
وَلَوْ تَنَزَّلَ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ
لَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا وَأَكْثَرُهَا نَزْرٌ (٥)

به ؛ أو كاد يذهب به . والنضيج : الحوض . لأنه ينضح عطش الإبل : أى يبله ؛ يقول بردت بذكراكم وبشعري الذى قتله فيكم حرارة قلب هذه الناقة - يعنى غلة عطشها - فأسرعت واستقربت البعيد لنشاطها على هذه الذكري وهذا المديح .
(١) يلحم الليث سيفه : أى يمكن السيف من لحم الليث ؛ من قولهم : ألحمت الرجل إذا قتلته فهو ملحم ولحيم : أو تقول : يلحم الليث سيفه ، أى يجعل الليث طعمة له . يعنى أن المدوح شجاع بحيث يجعل الليث طعمة السيف ، وهو بحر جود يغرق في موجة بحر الماء لأنه أعظم منه .

(٢) التليد : المال المورث من الآباء يقول : سارت ناقى إليه وقصدته وإن لم أكن واثقا بإبقاء نواله شيئاً من ماله ، يعنى أن جوده لا يبقى من ماله إلا المقدار اليسير الذى لا مطمع فيه لكثرة عطائه كما لا يبقى المجر من العاشق إلا النفس والرمق والعظام .
(٣) احتوى الشيء واحتوى عليه : أخذه وحازه ؛ والردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . يقول : إن المعالي تغزو أموال المدوح كل يوم فتحوزها ، يعنى أنه يفرق أمواله فيما يورثه المجد والعلاء ، فما له عرضه لرماح المعالي تستولى عليه لا الرماح الحقيقية ، لأن أعداءه ليس فى مكنتهم أن يصلوا إلى ماله بالحرب والقهر لأنه من القوة بحيث لا يقدر أحد أن يظهر عليه ويغصبه ماله .

(٤) نائلها : أى السحاب ، والنائل . العطاء ؛ والقطر : المطر ؛ والمراد هنا : قليل والغمر فى الأصل : معظم البحر ، والمراد هنا . كثير .

(٥) النزر : القليل . يقول : لو أطاعت الدنيا كفه لفرقها كلها . وكان ذلك قليلا عند عطايها ، لأن جوده يقتضى أكثر من ذلك ، أو تقول : لفرقها كلها فأصبح أكثر مافيها شيئاً يسيراً بالنسبة إلى جوده كما قال :

* يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَجَلَا *

أَرَاهُ صَغِيرًا قَدْرَهَا عَظْمُ قَدْرِهِ فَمَا لِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ (١)
 مَتَى مَا يَشْرُ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ تَحْرَّ لَهُ الشَّعْرَى وَيَنْخَسِفُ الْبَدْرُ (٢)
 تَرَ الْقَمَرَ الْأَرْضِيَّ وَالْمَلِكَ الَّذِي لَهُ الْمَلِكُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَجْدُ وَالذِّكْرُ (٣)
 كَثِيرُ سُهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ يُورِقُهُ فِيمَا يَشْرَفُهُ الْفِكْرُ (٤)
 لَهُ مِنَ تَفْنِي الثَّنَاءِ كَأَنَّمَا بِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا يُودَى لَهَا شُكْرُ (٥)

(١) يقول : أراه عظم قدره قدر الدنيا حقيرا ، وليس لشيء عظيم الخطر والقدر عنده خطر وقدر ، لأن خطره يربى على كل شيء . فقوله : أراه ، فعل ماض ، فاعله عظم قدره ، والهاء من أراه : مفعول أول ، وصغيرا : مفعول ثالث مقدم ، وقدرها : مفعول ثان . وقوله : لعظيم ، خبر مقدم عن قوله : قدر - في آخر البيت - وقدره : فاعل عظيم .

(٢) المراد بالشعري : الشعري العبور ، لإضاءتها ، وقد عبدتها العرب في الجاهلية قال تعالى : « وأنه هو رب الشعري » . يقول : إن وجهه أتم نوراً وإضاءة من الشعري والبدر ، فإذا أشار بوجهه إلى السماء سقطت الشعري حياء منه وخجلا وانخسف البدر لعلبة ضوء وجهه البدر . وقوله : تحر ، أى تسقط ، وهو جواب الشرط ، وهو من المضاعف . قال العكبري : وفتح قوم ورفع آخرون ، فأما إذا كان معه ضمير فالرفع عند سيويه لا غير ، نحو لم يرد ، وما أشبهه . وقرأ أهل الكوفة وابن عامر ، « لا يضر كم » برفع الراء ، وهو جواب الشرط .

(٣) تر - بغير ياء - بدل من جواب الشرط - في البيت السابق - ومن رواه بالياء جعله استئنافا للمخاطب ، يقول : ترى الشعري برويته القمر الأرضي ، أو ترى أنت أيها الرائي برويته القمر الارضى . وكذلك ترى الملك الذى له الملك بعد الله الخ .

(٤) السهاد : السهر ، ولا يستعمل إلا في السهر لشدة ، والفكر فاعل يؤرقه . يقول : هو يسهر من غير علة توجب السهر ولكنه يفكر في كل ما يزيده شرفا إلى شرفه ، فسهاده لأجل ذلك .

(٥) يقول : إن مننه على الناس بإحسانه وإنعامه تستغرق الثناء وتربى عليه حتى لكانها أقسمت بحق المدوح أن لا يبلغ أحد تمام شكرها ، والقسم به عظيم لا يجرى فيه حث ، ومن ثم كانت مننه زائدة على ثناء الثنين وشكر الشاكرين . والمنن : جمع منة : ولذلك معنيان : أحدهما إحسان المحسن غير معتد بالإحسان ، يقال لحقت فلانا من

أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِهِ
وَمَا لِأَمْرِي لَمْ يُنْسِ مِنْ بُحْتُرٍ فَخْرٌ (١)
هُمُ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ يُغْنِي بِهِمْ حَضْرُهُ وَيَجِدُو بِهِمْ سَفْرٌ (٢)
بِمَنْ أَضْرِبُ الْأَمْثَالَ أَمْ مِنْ أَقْيَسُهُ
إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالِدَّهْرِ (٣)

فلان منة : أى نعمة . والثانى : أن يعظم المحسن إحسانه ويفخر به ويبدى فيه ويعيد حتى يفسده وينغصه ، والمراد هنا الأول .

(١) بختر : قبيلة الممدوح يقول : إنما الفخر لمن يستحق الفخر ويستأهله ، وليس لمن لم ينم إلى قبيلتك نخر ، فقد استأثروا بالفخر دون الناس بك .

(٢) الحضر : الحاضرون فى البلاد ؛ جمع حاضر . والسفر : المسافرون . ولا يقال

فى المفرد : سافر . يقول : هم الناس فى الحقيقة ، إلا أن الله سبحانه خلقهم من طينة

المسكارم ، لكثرة ما ركب فيهم من الكرم - ضد اللؤم - فالحاضرون يغنون بمدائحهم وبما

قيل فيهم من الأشعار ، وكذلك المسافرون حداؤهم بذلك : أى اشترك المقيم والمسافر

فى ذلك . فقوله من مكارم : من فيه لبيان الجنس : أى أنها مخلوقون من طينة المكارم :

(٣) يقول : ليس هناك من يليق أن أشبهك به أو أقيس بينه وبينك وأوازن ،

لأنك أجل وأعلى من أهل الدهر ، ومن الدهر ، الذى يتصرف على مرادك والذى

تحدث أنت فيه النعيم والبؤس . وعبرة الواحدى : ضرب المثل إنما يكون لشبه عين

بعين أو وصف بوصف ، فإذا كان هو أجل وأعلى من كل شىء لم يمكن ضرب المثل

بشئ فى مدحه . وهذا معنى قوله : أم من أقيسه إليك ؟ ووصل القياس إلى : لأن

فيه معنى الضم والجمع .

وقال يرثي محمد بن إسحاق التنوخي :
 إِنِّي لَأَعْلَمُ وَاللَّبِيبُ خَبِيرٌ أَنْ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصْتَ غُرُورٌ^(١)
 وَرَأَيْتُ كَلَامًا مَا يَعْلَلُ نَفْسَهُ بِتَعَلَّةٍ وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ^(٢)
 أُمَجَاوِرَ الدِّيمَاسِ رَهْنٌ قَرَارَةٌ فِيهَا الضِّيَاءُ بَوَجْهِهِ وَالنُّورُ^(٣)

(١) اللبيب : العاقل . وهو مبتدأ ؛ خبره : خير ، والجملة اعتراضية ؛ وأن وما يتصل بها : صلة أعلم . والواو من « وإن حرصت » للحال : والجملة بعدها معترضة ؛ وإن : وصلية محذوفة الجواب دل عليه ما قبله ، وغرور : خبر أن ، يجوز فيه ضم الغين على الصدر ، وفتحها على الصفة . قال الواحدي : قوله : واللبيب خير ، إشارة إلى أنه هو لبيب ، لذلك علم أن الحياة - وإن حرص عليها الإنسان - غرور يعتربها الانسان يظن أنه يبقى وتطول حياته ، كما قال البحرى :

وَلَيْسَ الْأَمَانِيُّ فِي الْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ بِهِ عَادَةٌ إِلَّا أَحَادِيثُ بَاطِلٍ

ومثله لابن الرومي :

وَمَنْ يَرْجُو مُسَالَمَةَ اللَّيَالِي لَمَغْرُورٌ يُعْلَلُ بِالْأَمَانِي

(٢) ما : زائدة للتوكيد ، كقوله تعالى « فيما تقضهم মিثاقهم » وعمله بالشيء : لها به وشغله ومنه ؛ ويصير : يبتنى ، وهو مضارع صار التامة يقول : رأيت كل أحد يعلل نفسه بشيء يلهبها به عن ترقب الموت ، وهو لا محالة صائر إلى الفناء .

(٣) الديماس : السرب المظلم ، أو حفرة مظلمة لا ينفذ إليها الضوء ومنه ليل دامس أى مظلم ، ودمست الشيء : دفنته ؛ وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته ؛ وفي حديث المسيح عليه السلام : أنه سبط الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس . يعنى فى نضرتة وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن ، لأنه قال فى وصفه كأن رأسه يقطر ماء . وهو بكسر الدال : يجمع على دماميس كقيراطو قيراطيط ، وفتح الدال : يجمع على دياميس ، مثل شيطان وشياطين ؛ وأراد بالديماس هنا : القبر . والقرار : كل موضع يستقر فيه شيء ، والمراد القبر أيضاً ، وجعل الميت رهن القبر لإقامته هناك إلى يوم البعث ، فكان القبر استرهنه ، ثم قال : إن قبره المظلم أشرق بنور وجهه . وقوله : رهن قرارة ، نصب على الحال . وقال ابن جنى : ويصح أن يكون بدلا مما قبله ، فيكون منادى مضافا .

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى

أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَغُورُ^(١)

مَا كُنْتُ أَمَلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرَّجَالِ تَسِيرُ^(٢)

خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكِ خَلْفَهُ صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ ذَلِكَ الطُّورِ^(٣)

وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَسْكَدُ تُمُورُ^(٤)

(١) تغور : تذهب وتختفي . يقول : ما كنت أظن قبل موتك أن النجوم تختفي في التراب حتى رأيتك وأنت أضوأ من الكواكب قد غبت في التراب . وفي هذا البيت نظر إلى قول الآخر :

ما كنت أحسب والمنية كاسمها أن المنية في الكواكب تطمع هذا : ويقال : أحسب وأحسب - بكسر السين ، وفتحها - في المضارع . ولا خلاف في كسرها في الماضي .

(٢) النعش : ما يحمل عليه الميت ؛ ورضوى : اسم جبل بالمدينة . شبه المرثى به لعظمه ونخامة شأنه ، وهذا من قول ابن المعتز :

هذا أبو الفاسم في نعشه قوموا انظروا كيف تسير الجبال
ولا بن الرومي :

من لم يعاين سير نعش محمد لم يدرك كيف تسير الأجيال

(٣) الصعقات : جمع صعقة ، وهي العشية ؛ ودك : هدم وسوى بالأرض ؛ وأصل الدك : الكسر والدق ، وأرض دك ، والجمع دكوك ؛ قال تعالى : « جعله دكا » ويحتمل أن يكون مصدرا ، لأنه حين قال جعله كأنه قال دكه فقال دكا وأراد جعله ذا دك . فحذف وقد قرئ بالمد : أي جعله أرضا دكاء فحذف لأن الجبل مذكر ، ومن هذا : دك الركبة إذا دفنها وطمها ، ودك الرجل - على صيغة ما لم يسم فاعله - فهو مدكوك إذا دكته الحمى وأضعفته . والطور : الجبل ؛ والمراد به : طور سيناء . وقوله : يوم ذلك الطور ، إشارة إلى قوله تعالى : « فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » .

(٤) كبِد السماء : وسطها ؛ وواجفة : مضطربة ، وتُمور : تذهب وتجيء . يقول : إن ضوء الشمس ضعف بموته ، فكأتمها مريضة ، واضطربت الأرض فهي تذهب وتجيء وهذا كله تعظيم لوت المرثى . وأصل هذا المعنى قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز :

وَحَفِيفٌ أَجْنَحَةُ الْمَلَائِكِ حَوْلَهُ وَعُيُونُ أَهْلِ اللَّادِئِقِيَّةِ صُورٌ^(١)
 حَتَّى أَتَوْا جَدَثًا كَانَ ضَرِيحَهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحَّدٍ مَحْفُورٌ^(٢)
 بِمُزَوِّدٍ كَمَنْ أَيْلَى مِنْ مُلْكِهِ مَغْفٍ وَإِئْتِدُ عَيْنِهِ الْكَافُورُ^(٣)

الشمس طالعةٌ ليست بكاسفةً تبكي عليك نجوم الليل والقمر^(١)
 ويقول ابن الرومي :

عَجِبْتُ لِلأَرْضِ لَمْ تَرَجُفْ جَوَانِبُهَا وَلِلجِبَالِ الرَّوَاسِي كَيْفَ لَمْ تَمِدِّ
 عَجِبْتُ لِلشَّمْسِ لَمْ تَكْسِفْ لِمَهْلِكِهِ وَهُوَ الضُّمَيَاءُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ تَقْدِ
 (١) الحفيف : صوت أجنحه الطير إذا حركتها ، والملائك : الملائكة ، جمع ملك
 على غير قياس - وصور : جمع أصور ، وهو المائل ، ومنه قول الشاعر :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا فِي تَلَفُّتِنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى أَحِبَابِنَا صُورٌ
 واللاذقية : بلد المرثي . يقول : أحاطت بنعشه ملائكة السماء حتى سمع لأجنحتهم
 حفيف ، وعيون أهل بلده مائلة إلى نعشه لا يصرفون عيونهم عنه شوقاً إليه وحرزنا
 عليه لشدة حرم إياه ، أو لأنهم - كما قال بعض الشراح - يسمعون حس الملائكة
 فيميلون إلى ذلك الحس الذي يسمعونه . قال العكبري : وقوله : اللاذقية وصور - وهما
 بلدان - فيه تورية :

(٢) الحدث : القبر ؛ والضريح : الشق في وسط القبر . واللحد في جانبه . وقوله
 حتى : غاية لخرجوا - في البيت الأسبق - تقديره : خرجوا به حتى أتوا القبر . وهذا
 من قول ابن الزيات :

يقول لي الخللانُ لوزرتَ قبرها فقلت وهل غيرُ الغواد لها قبرُ؟

(٣) بمزود : متعلق أتوا - في البيت السابق - والمعنى : النائم ، وأغفى إغفاء :
 فهو مغف ؛ والإئتمد : الكحل الأسود ؛ وملكه : تفرؤها بضم الميم وبكسرهما -
 روايتان - يقول : لم يزود من ملكه إلا كفننا بيلى ، وقد جعل الكافور - الذي يذر

(١) يقول : إن الشمس طالعة تبكي عليك ، ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر
 لأنها في طلوعها خاشعة باكية لا نور لها : وقد تقدم الكلام على هذا البيت بأوفى
 من ذلك .

فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّمَاحَةُ وَالتَّقَى وَالْبَأْسُ أَجْمَعُ وَالْحَجَبِيُّ وَالْخَيْرُ (١)
كَفَلَ الثَّنَاءَ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا أَنْطَوَى فَكَانَتْهُ مَنشُورُ (٢)
وَكَانَتْ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ وَكَانَ عَازِرَ شَخْصَهُ الْمُتَقَبُّورُ (٣)

على وجه الميت - في موضع الكحل . وعبرة الواحدى : لم يزود من ملكه إلا كفنا
يبلى ، وهو مغف كالنأسم لإطباق جفنه ، وقد كحل بكافور - لا بإمد - والإمد : كحل
الحى ؛ والكافور : للميت .

(١) فيه : أى فى الكفن ، وأجمع تأكيد للناس . والحجى : العقل . والخير .
الكرم . وهذا من قول عبد الصمد بن العذل

فَضْلٌ وَحِزْمٌ وَجُودٌ ضَمَّهُ جَدَثٌ وَمَكْرَمَاتٌ طَوَّاهَا التُّرْبُ وَالْمَطَرُ

(٢) يقول . إن ثناء الناس عليه وذكرهم إياه بعده كفيل برد حياته ، لأن من بقى
ذكره كأنه لم يميت ، وهذا من قول منصور النمرى :

رَدَّتْ صِنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَانَتْهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنشُورُ

ويقول أبو تمام :

سَلَفُوا يَرُونَ الذِّكْرَ عَيْشًا ثَانِيًا وَمَضَوْا يُعَدُونَ الثَّنَاءَ خُلُودًا

ويقال : أنشر الله الميت ونشره ؛ قال العبرى : ولما قال : انطوى وذكر الطى ، قال
منشور : وهو أضعف اللقبين .

(٣) يقول : ذكره أبدا يحييه كما أحيأ عيسى عليه السلام عازر بعد أن مات :

واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالا :

غَاضَتْ أَنْامِلُهُ وَهَنَّ بِجُورٍ وَخَبَتْ مَكَائِدُهُ وَهَنَّ سَعِيرٌ (١)
يُبْكِي عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ فِي اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ (٢)
صَبْرًا بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكَرُّمًا إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورٌ (٣)
فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبَهُهُ وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرٌ (٤)
أَيَّامَ قَائِمٍ سَسَيْفِهِ فِي كَفِّهِ الْيَمِينِي وَبَاعَ الْمَوْتَ عَنْهُ قَصِيرٌ (٥)
وَلَطَّالِمًا أَنْهَمَكْتَ بِمَاءِ أَحْمَرٍ فِي شَفَرَتَيْهِ جَمَاحِمٌ وَحُورٌ (٦)
فَاعْيِذْ إِخْوَتَهُ رَبِّ مُحَمَّدٍ أَنْ يَحْزِنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورٌ (٧)

(١) غاضت: غارت؛ وخبث النار: سكن لها: والمكائد: جمع مكيدة، وهي ما يدبره الرجل في الحرب وغيرها من الرأى: والسعير تسعر النار: يقول: لامات غاض بحر جوده الذي كان يفيض على الناس بالعاء وانطفأت نار كيده وكانت سعيراً على أعدائه:

(٢) يقول: ليس من حقه البكاء عليه، لأنه لم يستقر في قبره حتى صافحته الحور في جنة الخلد، وإذا كان بهذه المنزلة من الكرامة عند الله فلا يحق له البكاء، قال الشاعر:
إِنْ يَكُنْ مُفْرَدًا بِغَيْرِ أُنَيْسٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بِالْحُورِ آنَسٍ
هذا ويجوز في «قراره» الرفع على الفاعلية، والنصب على المصدر. قال ابن جني:
ويختار النصب:

(٣) على العظيم: أي على الأمر العظيم: وروى ابن جني عن العظيم: أي عن المفقود العظيم:

(٤) يقول: ليس في العالم مثلكم ولا مثله، وكلاهما عظيم:
(٥) العامل في أيام: محذوف؛ تقديره لم يكن له نظير أيام الخ: أي أيام يقاتل أعداءه، ويد الموت غير ممتدة إليه، أو تقدير: أذكركم تلك الأيام التي لم ينل منه عدو فيها: ولكن إذا جاء أمر الله فلا بد من نفاذه:

(٦) انهملت: جرت وسالت، وروى: انهمرت، وشفرتا السيف: حده:
يقول: طالما سالت الجماحم والنحور من أعدائه في حدى سيفه بالدماء

(٧) أعدته بالله من كذا: عصمته به منه، وهي كلمة تقال في مقام التنزيه؛ وأن

أَوْ يَرَعِبُوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُفْرَةٍ
حَيَّاهُ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ (١)
نَفَرٌ إِذَا غَابَتْ نُحُودٌ سُيُوفِهِمْ
عَنْهَا فَأَجَالَ الْعِبَادِ حُضُورٌ (٢)
وَإِذَا لُقُوا جَيْشًا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تَنُوفَةٌ مَحْشُورٌ (٣)
لَمْ تُثْنِ فِي طَلَبِ أَعْنَةِ خَيْلِهِمْ إِلَّا وَعُمُرُ طَرِيدِهَا مَبْتُورٌ (٤)

يخزنوا: في تأويل مصدر مجرور بمن محذوفة صلة أعيذ . قال ابن جنى : الوجه أن يكون محمد الأول : النبي عليه الصلاة والسلام ، والثاني : المرثى . ويجوز أن يكون الأول والثاني كلاهما المرثى . يقول : لا ينبغي لهم أن يخزنوا عليه لأنه مسرور بما أصاره الله إليه من الكرامة والنعيم الدائم .

(١) يقال : رغب به عن هذا الأمر : أى رفعه عنه . يقول : وأعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت خيراً له من قبر صار روضة من رياض الجنة حتى حياه فيه الملكان منكر ونكير . أى أن قبره خير له من تلك القصور ومنزله في الآخرة أشرف من منزله التي كانت في الدنيا . وقال ابن جنى : يعنى : وأعيذهم أن يرغبوا عنه ويتركوا زيارة قبره ويلزموا قصورهم . . . قال العروضى - ناقداً - ما أبعد ما وقع . . أراد - المتنبي - أن لا يحسبوا قصورهم أوفق له من الحفرة التي صارت من رياض الجنة حتى حياه فيها الملكان . . . وقال ابن فورجة : لكنه يقول : أعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت لهم خيراً له من قبر حياه فيه الملكان . والمعنى : أعيذهم أن يرفعوا قصورهم فيجعلوها في حكمهم خيراً له من قبره ، فإن قبره خير له من تلك القصور : ومنزله في الآخرة أشرف من منزله في الدنيا .

(٣) يقول : هم - أى بنو إسحاق - نفر - أى رهط وجماعة - إذا سلوا سيوفهم فغابت بذلك عن أغمادها ، حضرت آجال أعدائهم لأنهم يستأصلونهم في التو واللحظة فنفر : خبر مبتدأ محذوف ، وحضور : جمع حاضر .

(٣) التنوفة : الأرض البعيدة - المفازة - يقول : إذا حاربوا جيشاً من جيوش الأعداء تيقن ذلك الجيش أنهم قاتلوه لا محالة ، فتأكله الطير حتى إذا جاء يوم الحشر - البعث - بعث من بطون الطير .

(٤) المبتور : المقطوع والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام . يقول : لم تعطف

يَمَّتْ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّةِ
إِنَّ الْمَحَبَّ عَلَى الْبِعَادِ يَزُورُ^(١)
وَقَنِعْتُ بِاللَّقِيَا وَأَوَّلَ نَظْرَةٍ
إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرُ^(٢)

أعنة خيل هؤلاء القوم في طلب عدو إلا وعمر ذلك العدو الذي طردته خيلهم واتبعته
قد انقطع أجله .

(١) الشاسع : البعيد . وعن نية : أى عن قصد ، أو تقول : النية بمعنى النوى :
أى البعد . يقول : قصدت ديارهم البعيدة لحبى إياهم لأن المحب يزور حبيبه وإن شطت
به النوى ، كما قال القائل :

زُرُّ مَنْ تُحِبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وحالَ مَنْ دُونَهُ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ
لَا يَمْنَعَنَّكَ بُعْدٌ مِنْ زيارَتِهِ إنَّ المحبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ
(٢) هذا من قول الموصلى :

إن ما قلَّ منك يكثر عندي وقليلٌ ممن تحب كثيرُ
ومثله لجمل بثينة :

وإني ليرضيني قليل نوالكم وإن كنت لأرضى لكم بقليل
ولتوبة
وأفنع من ليلي بما لأناؤه ألا كل ماقرت به العينُ صالح
ولآخر :

جودوا علىَّ بمنطقٍ أحيأ به إن القليل من المحب كثيرُ

وسأله بنو عم الميت أن ينفى الشماتة عنهم ؛ فقال ارتجالا :

أَلَا لَإِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَّا حَنِينٌ دَائِمٌ وَزَفِيرٌ (١)
 مَا شَكَ خَابِرٌ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ أَنَّ الْعَزَاءَ عَلَيْهِمْ مُحْظُورٌ (٢)
 تُدْعِي خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقِضِي سَاعَاتُ لَيْلِهِمْ وَهِنَّ دُهُورٌ (٣)
 أَبْنَاءَ عَمِّ كُلِّ ذَنْبٍ لِأَمْرِي إِلَّا السَّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَغْفُورٌ (٤)
 طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وَدَادِهِمْ
 وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ (٥)

(١) هذا استفهام إنكارى؛ والزفير: امتلاء الجوف من النفس لشدة الكرب والغم:

يقول : ليس لهم إلا الحنين إليه والزفير على فقده :

(٢) الخابِر : العالم بالشيء ، مثل الخبير أو المحرب : يقول : لا يشك من خبرهم

وعرف أمرهم أن السلوان ممنوع محرم عليهم لشدة حزنهم على فقده : أى لا يصبرون عنه وهذا من قول البحترى :

حالتُ بكَ الأشياءِ عن حالاتِها فالْحُزْنُ حِلٌّ وَالْعَزَاءُ حَرَامٌ

(٣) يقول : إنهم سيكون عليه دما ويسهرون لفقده حتى يطول عليهم الليل فكأنه

دهر : وهذا معنى تداوله الشعراء كثيرا ، وأصله بيت الحماسة :

يطول اليومُ لا ألقاك فيه وعامٌ نلتقى فيه قصير

(٤) يقول : كل من أذنب إليهم ذنبا فإنهم يغفرون له ذلك الذنب إلا ذنب من يسعى

بينهم بالنيمة والإفساد :

(٥) يقول : إن الوشاة نمو بينهم قصد أن يكذبوا صفاء ما بينهم من ود ؛

مثلهم فى ذلك مثل الذباب الذى يطير على الطعام ، كأنه يريد إفساده . وقال ابن جنى :

معنى طاروا : ذهبوا وهلكوا لما لم يجدوا بينهم مدخلا .. قال العروضى - ناقدا - : يظلم

نفسه ويغري غيره من فسر شعر المتنبي بهذا النظر ، ألا تراه يقول : وكذا الذباب على

الطعام يطير ؛ أذهب هذا أم اجتمع عليه ؟ وقال : طار الوشاة على ؛ ولو أراد ما قال

ابن جنى لقال : طار عنه ؛ وأراد أن الوشاة نمو بينهم وتماثلوا بالنيمة . . وقال ابن

فورجة : كيف يعنى بقوله طار الوشاة ذهبوا وهلكوا وقد شبه طيرانهم على صفاء الود

بطيران الذباب على الطعام ؟ يريد أن الوشاة تعرضوا لما بينهم وجهدوا أن يفسدوا

ودادهم ، كما أن الذباب يطير على الطعام . والمعنى : أن اجتمع الوشاة وسعيهم فيما بينهم

وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةً جودِي بِهَا لِعَدُوِّهِ تَبْذِيرٌ^(١)
مَلِكٌ تَصَوَّرَ كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا يَجْرِي بِفِصْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ^(٢)

وقال ارتجالاً في أبي الحسين بن إبراهيم وقد دخل عليه وهو يشرب :

مَرْنَكَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ صَافِيَةً أَنْتُمْ
وَهَنْتُمَا مِنْ شَارِبِ مُسْكَرِ الشُّكْرِ^(٣)

بالتأمم دليل على ما بينهم من المودة ، كالذباب لا يجتمع إلا على طعام ؛ وكذا الوشاة إنما
يتعرضون للأحبة المتوادين ومثله :

وَجَلَّ قَدْرِي فَاسْتَحَلُّوا مُسَاجِلَتِي . إِنَّ الذَّبَابَ عَلَى الْمَازِيِّ وَقَّاع
« الماذي : العسل الأبيض »

(١) أبو الحسين : أحد إخوة المرثي . يقول : بذلت له من الود مالو بذلت مثله
لعدوه لكان ذلك مني إسرافاً وتبذيراً ، لان من عاداه لا يستحق مني مثل ذلك الود ،
فإذا بذلته له كنت متلافاً واضعاً للنسيء في غير موضعه .

(٢) المقدور : القدر ؛ وفصل قضائه : حكمه الفاصل بين الحق والباطل . يقول :
كأن القدر يجري بمراده واختياره ؛ وصدر البيت من قول أبي تمام ،

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ
وعجزه من قول ابن الرومي :

لَسْتَ تَحْتَجُّ بِالزَّمَانِ وَلَا الْمَقْدُورِ وَأَنْتَ الزَّمَانُ وَالْمَقْدُورُ

(٣) في قوله مرتك - كما قال الواحدى - نوعان من الضرورة : أحدهما أنه كان
يجب أن يقول : أمرك ؛ لأنه إنما يقال : مرأك إذا كان مع هناك فإذا أفرد قالوا أمرأني
الطعام . والآخر أنه حذف همزة مرأتك . وقوله : مسكر السكر يريد أن السكر يستعذب
شماله ويستحسنها ، فيسكر السكر حسنها ، ويجوز - كما قال الواحدى - أن يكون
المراد أنه يغلب السكر ، والسكر لا يغلبه ، وعادته أن يغلب كل شيء ، فسكانه
قد غلبه .

رَأَيْتُ الْحُمَيَّا فِي الرَّجَاجِ بِكَفِّهِ فَشَبَّهْتُهَا بِالشَّمْسِ فِي البَدْرِ فِي البَحْرِ (١)
إِذَا مَا ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِرًا نَأَى أَوْ دَنَا يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الخَضِرِ (٢)

* * *

وقال ارتجالاً وقد دخل على بدر بن عمار يوماً فوجده خالياً ، وقد أمر الغلمان أن
يحببوا الناس عنه ليخلو للشراب :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ خَلْوَةً هَيْهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ
مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ لَمْ يُحِبَّهَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنِ نَاطِرِ (٣)
فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحَجَّبٍ وَإِذَا بَطَنْتَ فَأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ (٤)

(١) الحميا : من أسماء الحجر : شبه الحجر بالشمس ، والزجاجة بالبدر ، وكفه بالبحر
وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي نواس :

فكأنها وكأن شاربها قمر يقبل عارض الشمس
(٢) زعموا أن الخضر عليه السلام لا يذكر في موضع إلا حضر ؛ والخضر عند
الصوفية : حى يرزق ، ولكن رجال الحديث ينكرون ذلك : يقول : لا تذكر جوده
إلا كان حاضراً كالخضر ، يعني أن جوده يدركنها حيثما كنا :
(٣) نظر في ضوء الجبين إلى قول قيس بن الخطيم :

قضى لها الله حين يخلقها الخالق أن لا يُكِنَّهَا سَدَفٌ (١)
ونظر في الجود إلى قول أبي تمام :
يا أيُّها الملكُ النَّائِي بِرُؤْيَتِهِ وَجُودُهُ لِمُرَاعِي جُودِهِ كَتَبَ
ويقول أبو نواس :

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظَاهِرِ الكَأْسِ سَاطِعًا عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءِ
(٤) يقول : إذا احتجبت كنت غير محبوب ، وإذا اختفيت فأنت ظاهر ، يعني
بجودك وهيبتك : وهذا من قول أبي تمام :

فَنَعِمْتَ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ خِدْرِهَا فَكأنها لم تُحَجَّبِ

(١) السدف : الظلمة ؛ والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .

وقال وقد أخذ الشراب منه عند بدر وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام ،

فقال هذين البيتين وهو لا يدري :

نَالَ الَّذِي نَلْتُ مِنْهُ مِنِّي اللَّهُ مَا تَصْنَعُ الْخُمُورُ^(١)
وَذَا انْصِرَافِي إِلَى مَحَلِّي أَأَذِنُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ

(١) يقول : الشراب الذي نلت منه باحتسائه نال مني بالأخذ من عقلي وحيويتي ثم تعجب مما فعله الخمر ، والله أبو تمام إذ يقول :

وكأسٍ كعَسُولِ الْأَمَانِي شَرِبْتُهَا وَلسَ كُنْهَا أَجَلْتُ وَقَدْ شَرِبْتُ عَقْلِي
إِذَا الْيَدُ نَالَتَهَا بِوَتْرِ تَوَقَّرْتُ عَلَى ضِعْفِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرَّجْلِ
ويقول أيضاً :

أَفِيكُمْ فَتَى حَيٍّ فَيَخُ — بِرَنِي عَنِّي

بَمَا شَرِبْتُ مَشْرُوبَةَ الرِّاحِ مِنْ ذَهْنِي

وقال يصف لعبة في صورة جارية ، وذلك أنه كان لبدر بن عمار جليس أَعورُ يعرف بابن كَرَوَس ، يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره ، لأنه لم يكن شيء يجري في المجلس إلا ارتجل فيه شعراً ، فقال الأَعور لبدر : أظنه يعمل هذا قبل حضوره وَيُعِدُّهُ ، فقال بدر : مثل هذا لا يجوز وأنا أمتحنه بشيء أحضره للوقت ؛ فلما كمل المجلس ودارت الكؤوس أخرج لعبة لها شعر في طولها ، تدور على لولب ، وإحدى رجليها مرفوعة ، وفي يدها طاقة ريحان ؛ فإذا وقفت حذاء إنسان شرب فدارت ؛ فقال ارتجالاً :

وَجَارِيَةٌ شَعْرُهَا شَطْرُهَا مُحْكَمَةٌ نَافِذٌ أَمْرُهَا (١)
تَدُورُ وَفِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تَصَمَّمَهَا مُكْرَهَا شِبْرُهَا (٢)
فَإِنْ أَسْكُرْتَنَا فَنِي جَهْلِهَا بِمَا فَعَلْتَهُ بِنَا عُذْرُهَا (٣)

* * *

(١) يقول : إن شعر هذه الجارية طويل قد جلل نصف بدنها ، فكأنه نصفها وقد حكمت في أهل المجلس فأطاعوها فيما تأمرهم به . لأنها كانت تدور ، فإذا وقفت حذاء واحد منهم شرب ، فأمرها فيهم نافذ مطاع . فشطرها : أى نصفها ؛ وقوله : نافذ أمرها ، يجوز في « نافذ » : الجر ، على أنه نعت سببي ، و« أمرها » فاعل ؛ والرفع : على أنه خبر مقدم عن أمرها ؛ والجملة : نعت .

(٢) يقول : إن هذه الطاقة من الريحان وضعت في كفها دون اختيار منها ، بل كرها ، لأنها لا تعقل :

(٣) يقول : فإذا أسكرتنا بوقوفها حذاءنا لشرب ، فجهلها ما فعلت عذر لها ، لأنها لا تعلم ما تفعل :

وقال في بدر أيضاً وقد وقعت هذه الجارية حذاءه :

إِنَّ الْأَمِيرَ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ لِفَاخِرِهِ كُسَيْتٍ فَخَرَّأَ بِهِ مُضَرَ (١)
فِي الشَّرْبِ جَارِيَةٌ مِنْ تَحْتِهَا خَشَبٌ
مَا كَانَ وَالِدَهَا جِنًّا وَلَا بَشَرًا (٢)
قَامَتْ عَلَى فَرْدٍ رَجُلٍ مِنْ مَهَابَتِهِ
وَلَيْسَ تَعْقِلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ (٣)

(١) يقول : إن العرب جميعاً قد لبسوا فخرأ به ، ويروى : كسبت
(٢) في الشرب : أى بينهم . والشرب : جمع شارب ، وجن : اسم كان ؛ والدها
خبر . وقد جعل اسم كان نكرة ضرورة . ومثله لحسان بن ثابت :

كَانَ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ (١)
وَالْقَطَامَى :

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعًا وَلَا يَكُ مَوْقِفَ مَنْكَ الْوَدَاعَا (٢)
(٣) مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ : أى ماتفعله وما تتركه .

(١) السبيئة : الحمر ، وبيت رأس : موضع بالشام ، وخبر كأن - في البيت
التالى - وهو :

عَلَى أُنْيَابِهَا أَوْ طَعْمُ غَضٍّ مِنْ التَّفَاحِ هَصْرُهُ اجْتِنَاءُ
(٢) مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ لِلْقَطَامَى يَمْدَحُ بِهَا زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ الْكَلَابِيَّ ، وَضَبَاعُ مَرْحَمِ
ضِبَاعَةٌ وَهِيَ بِنْتُ زُفَرَ . وَبَعْدَ الْبَيْتِ

قَفِي فَادِي أَسِيرِكِ إِنْ قَوْمِي وَقَوْمِكَ لَا أَرَى لَهُمْ اجْتِمَاعَا
وَقَدْ كَانَ الْقَطَامَى أَسِيرًا عِنْدَ وَالِدِهَا . وَقَوْلُهُ وَلَا يَكُ مَوْقِفٍ إِلْحُ : يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ عَلَى الطَّلَبِ وَالرَّغْبَةِ كَأَنَّهُ قَالَ : لَا تَجْعَلِي هَذَا الْمَوْقِفَ آخِرَ وَدَاعِي مَنْكَ
وَالْآخَرَ أَنْ يَكُونَ عَلَى الدَّعَاءِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا جَعَلَ اللَّهُ مَوْقِفَكَ هَذَا آخِرَ الْوَدَاعِ

وقال لبدر : ما حملك على إحضار اللعبة ؟ فقال : أردت أن أنفي الظنة عن أدبك فقال :

زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنْفِي الظَّنَّ عَنْ أَدْبِي وَأَنْتَ أَعْظَمُ أَهْلِ العَصْرِ مِقْدَاراً^(١)
إِنِّي أَنَا الذَّهَبُ المَعْرُوفُ مَخْبَرُهُ يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَاراً^(٢)

فقال بدر : بل للدينار قنطاراً فقال :

بِرَجَاءِ جُودِكَ يُطْرَدُ الفَقْرُ وَبِأَنْ تُعَادَى يَنْفَدُ العَمْرُ^(٣)
فَفَخَرَ الرَّجَاجُ بِأَنْ شَرِبَتْ بِهِ وَزَرَّتْ عَلَى مَنْ عَافَهَا الخَمْرُ^(٤)
وَسَلِمْتَ مِنْهَا وَهِيَ تُسَكِّرُنَا حَتَّى كَانَتْ هَابَكَ السُّكْرُ^(٥)
مَا يَرْتَجِي أَحَدٌ مِكرَمَةً إِلَّا الإِلَهِ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ

(١) تنفي الظن : أى ما أتهم به من أنه لا يقدر على ارتجال الشعر ، وفى

تعبيره بـ«زعمت» ما يشعر بأنه يريد أنى أبعد من أن يظن بى مثل ذلك ، فليس يعوزك أن تتجشم نفي هذا الظن عنى .

(٢) يقول : إذا امتحنت تضاعف فضلى وارتفعت منزلتى ، ومثلى فى ذلك مثل الذهب الإبريز الخالص إذا اختبر بالسبك ، فإن ما كان منه يظن بادية ذى بدء أنه يساوى ديناراً قد تزيد قيمته ديناراً آخر . والمعروف : صفة للذهب ، ومخبره : مبتدأ ؛ خبره : بعده ؛ والمخبر : الخبر .

(٣) إذا رجونا جودك ذهب عنا الفقر ، لأنه فى أيدينا ؛ فبه يطرد الفقر ؛ وإن عوديت فى عمر من يعاديك لأنه عرض نفسه للتلف .

(٤) يقول إنك الكؤوس تفخر بشربك فيها ، والخمر تعيب من يعافها - يكرهها - إذ تشرفت بشربك إياها .

(٥) يقول : إنك تشرب وتسلم من غوائل الخمر ، بينما هى تسكر كل من شربها ، فكأنها لهيتها إياك وخوفها سطوتك ، لا تقدر أن تنال منك وتسرك .

وأراد الارتحال عن علي بن أحمد الخراساني فقال :

لَا تُنْكِرَنَّ رَحِيلَ عَنكَ فِي عَجَلٍ فَإِنِّي لِرَحِيلِي غَيْرُ مُخْتَارٍ
وَرَبِّمَا فَارَقَ الْإِنْسَانَ مُهْجَتَهُ يَوْمَ الْوَعَى غَيْرَ قَالَ خَشِيَةَ الْعَارِ (١)
وَقَدْ مُنِيتُ بِحَسَادٍ أَحَارِبِهِمْ
فَاجْعَلْ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِي (٢)

وقال يصف مسيره في البوادي وما لقي في أسفاره ويذم الأعور ابن كرويس :

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورٍ سَكَنَ جَوَانِحِي بَدَلَ الْخُدُورِ (٣)
وَمُبْتَسِمَاتٍ هَيْجَاوَاتٍ عَصْرِ عَنِ الْأَسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ (٤)
رَكِبْتُ مَشْمَرًا قَدَمِي إِلَيْهَا وَكُلَّ عَذَائِرٍ قَلِقِ الضُّفُورِ (٥)

(١) المهجة : الروح ، والقالي : من قلاه أبغضه ؛ وخشية : مفعول لأجله ، عامله فارق . شبه فراقه المدوح بفراق الإنسان روحه . يقول : قد يعرض للمرء ما يوجب فراق روحه من غير بغض للروح ، كذلك أنا أفارقك كارها لذلك مضطرا .

(٢) منيت : بليت ، والندی : الجود ؛ والأنصار : جمع نصير ، بمعنى ناصر . يقول : إنني مبتلى بحساد أعاديهم فانصرتني عليهم بمجودك حتى أفتخر عليهم بذلك فيموتوا كذا .

(٣) يقولون : عذيري من فلان ، إذا أرادوا الشكاية منه : أى من يعذرنى منه أى إذا أوقعت به وأسأت إليه فإنه يستحق ذلك . والعذارى : الأبقار لم يفرعهن بعل والمراد هنا : الأمور العظام والخطوب التي لم يسبق إليها ولا عهد بمثلها . و«من» الأولى صلة عذيري والثانية : بيانية ، وهى مع مجورها فى موضع النعت لعذارى . والجوانح : الضلوع . يقول : إن هذه الأمور قد اتخذت ضلوعى وقلبي مسكنا كما تسكن العذارى الخدور .

(٤) الهيجاوات : جمع الهيجاء ، وهى الحرب ؛ ومبتسمات : عطف على عذارى ، وإضافة مبتسمات إلى هيجاوات بيانية ، وعن الأسياف صلة مبتسمات وليس هنا حرف بمنزلة لا . يقول : ومن عذيره من حروب تبسم هبواتها عن بريق السيف لا عن الثغور - جمع ثغر مقدم الأسنان .

(٥) أصل التشمير : رفع الذيل ، يراد به الإشاحة والجد والإسراع . وقدمى :

أَوَانًا فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحْلِي وَأَوَانَةٌ عَلَيَّ قَتَدِ الْبَعِيرِ (١)
 أُعْرَضُ لِلرَّمَاكِحِ الصَّمِّ نَحْرِي وَأَنْصَبُ حُرًّا وَجْهِي لِلْهَجِيرِ (٢)
 وَأَسْرِي فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَحَدِي كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مِنْسِيرِ (٣)
 فَقُلُّ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا عَلَيَّ شَغْفِي بِهَا شَرَوِي نَقِيرِ (٤)

مفعول ركبت ، وإليها : متعلق بركبت ؛ والضمير للهيجوات . والعذافر : القوي من الإبل ؛ والناقرة : عذافرة : والصفور : جمع صفر ، وهو النسع - الحبل - تشد به الرحال . والضمير : الحبل ؛ ومنه الحديث : « إذا زنت الأمة فبعها ولو بضمير » أى بحبل مفتول من شعر . فعيل بمعنى مفعول . يقول : قصدت الهيجوات - الحروب - راجلا وراكبا : أى مارستها فى كل حال . وكفى بقلق الضفور عن شدة السير والهزال .
 (١) الأوانة : جمع أوان ؛ كزمان وأزمنة . والرحل : ما يستصعبه الرجل من الأثاث ؛ والقتمد : خشب الرحل . وقيل : القتمد من أدوات الرحل ؛ وقيل ، جميع أدواته ، والجمع أقتاد وقتود وأقتد . قال الراجز .

كَأَنِّي ضَمَنْتُ هِقْلًا عَوْهَقًا اقْتَادَ رَحْلِي أَوْ كَدَرًا مُحْنَقًا

« الهقل العظيم ؛ والعوهق من النعام : الطويل ؛ والكدر : الغليظ ؛ والمحنق : الضامر القليل اللحم » يصف طول ارتحاله وقلة مقامه ، ومن ثم قال فى النزول : أوانا وفى الارتحال : آونة .

(٢) حر الوجه . مابدا منه . والهجير . شدة الحر وقت الهجرة ، وهى نصف النهار . والرمايح الصم . أى الصلاب . وصدر البيت من قول القائل .

نُعْرَضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعْرَضُ لِلْسَّبَابِ
 وعجزه من قول الآخر .

أَقُولُ لِبَعْضِهِمْ إِنْ شَدَّ رَحْلِي لِهَاجِرَةٍ نَصَبَتْ لَهَا جَمِينِي

(٣) السرى والإسراء . السير ليلا . ومنه . فى موضع الحال من الضمير المستتر فى الظرف بعده . يقول : كأنى فى الظلام أسير فى القمر الوضاء لعرفتى بالطرق والمفاوز واهتدأتى فيها .

(٤) قفل فى حاجة . أى قل ماشئت ، فإن مجال القول ذوسعة . وعلى . بمعنى مع . والظرف فى موضع الحال من فاعل أقض . وشغفى بها : حبها ، وشروى الشيء ، مثله والنقير . نكسة فى ظهر النواة . يضرب مثلا للشيء الحقيق . يذكر كثرة تعبه وقلة

وَنَفْسٍ لَا تَجِيبُ إِلَىٰ خَسِيسٍ وَعَيْنٍ لَا تَدَارُ عَلَىٰ نَظِيرٍ^(١)
 وَكَفٍّ لَا تُنَازِعُ مَنْ أَتَانِي يُنَازِعُنِي سِوَىٰ شَرَفِي وَخَيْرِي^(٢)
 وَقِلَّةٍ نَاصِرٍ جُوزِيَتَ عَنِّي بِشَرٍّ مِّنْكَ يَا شَرَّ الدُّهُورِ^(٣)
 عَدُوِّي كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حَتَّىٰ
 نَخَلْتُ الْأَكْمَ مُوْغِرَةَ الصُّدُورِ^(٤)

نيه . يقول : كم من حاجة حاولت الحصول عليها ثم لم أتل منها شيئاً على شدة شغفي بها وحبها ؟ .

(١) يقول : وقل ماشئت في نفس - يعني نفسه - لا تؤاتيني على أمر خسيس ولا تقنع به . وعين لا تفتح ولا تدار على نظير لي .

(٢) ينازعني : حال من فاعل أتاني : وسوى . مفعول تنازع : والخير : الكرم . يقول : وقل ماشئت في كف - يعني كفه - سخية لا تمسك شيئاً وترك كل شيء لمن ينازعني إلا شرفي وكرمي فأني لا أسخو بها .

(٣) أي : وقل ماشئت في قلة من ينصرني على ما أطلبه ، ثم خاطب الدهر فقال : رماك الله يادهر بدهر شر منك يجني عليك كما جنيت على وأنت شر الدهور ؛ و« شر » أصله أشر ، تركوا همزته لكثرة الاستعمال .

(٤) عدوي : خبر مقدم ؛ وكل مبتدأ مؤخر . وختل : ظننت : واللام : للتوكيد أدخلها على الماضي على إضمار قد : والأكم : التلال ، جمع أكمة : وموغرة الصدور : متوقدة من الغيظ : يقول : إن كل شيء في الدهر يعاديه حتى ظن التلال التي لاتعقل تعاديه ، يريد بذلك المبالغة : وقال ابن جنى : قوله حتى خلعت إلخ : يحتمل أمرين ؛ أحدهما : يريد أن الأكم تنبوه ولا تظمنن إليه ، فكأن ذلك لعداوة بينهما ؛ والآخر - وهو الوجه - أنه يريد شدة ما يقاسى فيها من الحر ، فكأنها : موغرة الصدور من قوة حرارتها ... قال ابن فورجة : أما المعنى الأول فيقال : لم يرد أن يستقر في الأكم فتنبوه وبئسما يختار داراً ومقاماً . وأما المعنى الثاني فيقول : كيف خص الأكم بشدة الحر والمكان الضاحي للشمس أولى بأن يكون أحر ، وللأكمة ظل ، وهو أبرد من المكان الذي لا ظل له ؟ فهذا أيضاً خطأ ، والذي عن أبو الطيب أن كل شيء يعاديه حتى خشى أن الأكم التي لا تعقل تعاديه ، ويريد بذلك : المبالغة ، وإن لم يكن ثم عداوة .

- فَلَوْ أَنِّي حُسِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ مُجِدَّتْ بِهِ لِدِي الْجُدِّ الْعَثُورِ (١)
 وَلَكِنِّي حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِي وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ إِلَّا سُورُورُ (٢)
 فَيَا ابْنَ كَرُوسٍ يَا نِصْفَ أَعْمَى وَإِنْ تَفَخَّرْ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ (٣)
 تُعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ وَتُبْغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ (٤)
 فَلَوْ كُنْتَ أَمْرًا يَهْجَى هَجَوْنَا وَلَكِنْ ضَاقَ فِئْرُهُ عَن مَسِيرِ (٥)

(١) و(٢) النفيس : تقيض الحسيس : والجد العثور أو العائر ؛ الحظ التعس الذي يتعثر صاحبه ويعانى العناء في سعيه : يقول : لو حسدني الناس على شيء نفيس يرغب فيه لجدت به على المحروم والمحروب منهم ، ولكنهم إنما يحسدوني على حياتي مع أنها ليست بالشيء الذي يحسد عليه ويرغب فيه لأنها خلو من السرور ، وإلا لجدت بها عليهم أيضاً كي أستريح منهم ومن شرورهم : وقال بعض الشراح : يعنى حسدوني على سروري وأنسى وأرادوا أن أكون محزوناً أبداً ، وإذا طلبوا ذلك فكأنهم طلبوا موتي ، فإن حياة الحزين موت : وكنت بالحياة عن السرور لأن الحياة إذا عدم منها السرور لم تسكن حياة : هذا : وقوله : لذي الجد العثور ، يروي لذا الجد العثور : أي لهذا الجد العثور ، يعنى لجدت به لهم لما أنا فيه من الحظ المنحوس .

(٣) هذا ابن كروس كان أعور ، وكان يعاديه ، ومن ثم سماه نصف أعمى ونصف بصير لأنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى ، وباعتبار الباقية نصف بصير ، يعنى إن خفرت ببصرك فأنت ذو بصر واحد .

(٤) يقول : إنما تعادينا لما بيننا من المضادة لأنك ألكن - ثقيل اللسان - وأنا فصيح ؛ وأنت أعور وأنا بصير .

(٥) يقول : لحستك لا مجال للشعر فيك ، فإن الهجاء يرتفع عن قدرك والفقر يضيق مقداره عن المسير فيه ، كذلك أنت : ليس لك عرض يهجي ومثل هذا قول القائل .

بما أهجوك لا أدري لسانى فيك لا يجرى
 إذا فكرت في عرضك أشفت على شعري

وقال يمدح أبا محمد الحسين بن عبد الله بن طغج :

وَوَقْتُ وَفَى بِالذَّهْرِ لِي عِنْدَ وَاحِدٍ وَفَى لِي بِأَهْلِيهِ وَزَادَ كَثِيرًا^(١)
شَرِبْتُ عَلَى اسْتِحْسَانِ ضَوْءِ جَبِينِهِ وَزَهْرٌ تَرَى لِمَاءٍ فِيهِ خَرِيرًا
غَدَا النَّاسُ مِثْلِيهِمْ بِهِ لَا عَدِمْتُهُ وَأَصْبَحَ دَهْرِي فِي ذَرَاهُ دُهُورًا^(٢)

وقال وقد كره الشرب وكثر البخور وارتفعت رائحة الند والأصوات بمجلسه :

أَنْشُرُ الْكِبَاءَ وَوَجْهَ الْأَمِيرِ وَصَوْتُ الْغِنَاءِ وَصَافِي الْخُمُورِ^(٣)
فَدَاؤِ خُمَارِي بِشُرْبِي لَهَا فَإِنِّي سَكِرْتُ بِشُرْبِ السَّرُورِ^(٤)

(١) يقول : إن وقتي عنده يفي بالدهر كله ويعادل، كما أن المدوح يفي بأهل الدهر ويزيد عليهم . وقوله : عند واحد ، يروي : عند سيد .

(٢) في ذراه : في كنفه . يقول : إنه لعظمة شأنه يعادل بالناس كلهم ، فالناس به ضعفا ما هم عليه ، ودهره عظيم القدر به ، فصار به الدهر دهوراً .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة . والكباء : العود الذي يتبخر به . ونشر : مبتدأ ، خبره محذوف للعلم به ، كأنه يقول : أتجتمع هذه الأشياء لأحد كما اجتمعت لي ؟ قال بعض الشراح : يعني : لا تجتمع هذه الأشياء لأحد ولا يشرب إلا كان معدوم الحس . وقال بعض الشراح : إن الواو — في قوله : وصافي الخمر — للمصاحبة ، سد العطف بها مسد الجر ، كما في قولهم : كل رجل وضعته .

(٤) يقول : إنني قد سكرت من سروري حين اجتمعت لي هذه الأشياء فداو خماري والخمار : صداع الخمر — بشرب الخمر ، أي إنما أريد شرب الخمر ، لأنفي الخمار ، لا للسكر ، فإنني سكران من السرور . وعبارة بعض الشراح : قوله : بشربي ، صلة خماري والمعنى : لا تزدني من الخمر ، ولكن التمس لي دواء من سكري بها ، فإنني قد سكرت من سروري بهذه الأشياء ، فلا أحتمل سكرًا آخر

وقال أبو محمد يوماً : إن أباه استخفى مرة ، فعرفه رجل يهودى فقال :

لَا تَلُومَنَّ الْيَهُودِيَّ عَلَى أَنْ يَرَى الشَّمْسَ فَلَا يُنْكِرُهَا^(١)

إِنَّمَا اللُّومُ عَلَى حَاسِبِهَا ظُلْمَةٌ مِنْ بَعْدِ مَا يُبْصِرُهَا^(٢)

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر ، فأعاده ؛ فعجبوا من حفظه إياه فقال :

إِنَّمَا أَحْفَظُ أَلَّ دِيحَ بَعْيِي لِي لَا بِقَلْبِي لِمَا أَرَى فِي الْأَمِيرِ^(٣)

مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَّمْتُ لِي غَرَائِبَ الْمَنْشُورِ^(٤)

(١) و(٢) روى هذان البيتان برفع القافية ونصبها ، فالرفع على الاستئناف ، والنصب عطف على يرى ؛ وإذن : يروى البيت الثانى من بعد أن يبصرها . يقول : لا يلام من رأى الشمس وقال : هذه شمس ، لا ، إنما اللوم على من رآها وقال : هذه ظلمة وضرب ذلك مثلاً . يقول : إن أباه شمس فلا يستطيع الاختفاء ، لأن الشمس لا تخفى ؛ ومثله للعكوك :

سما فوق الرجال فليس يخفى وهل فى مطلع الشمس التباس ؟

(٣ و ٤) من خصال : بيان لقوله لما أرى . يقول : لا أحتاج إلى حفظ مدائح

بقلبي لحضور معانيها أمام عيني ؛ وهى ما أراه من خصال الأمير ، فإنى كلما نظرت إليها

هيأت لى ما أنظمه فيها من غرائب المنثور فأنطق به ؛ أو تقول : أنا أشاهد بعيني

ما أمدح به الأمير من خصال إذا نظرت إليها نظمت غرائب المنثور ، فعينى تنظم فضائله

لأنها تدركها وتشاهدها ، لا قلبي ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وحا كةٍ شِعْرٍ حَسَنُوا الْقَوْلَ مِنْهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ أَفْعَالِكَ أَمْتَارَ حُسْنُهُ

ومثله لابن المعتز :

إذا ما مدحناه استعنا بفعله لناخذ معنى مدحه من فعاله

وعاتبه أبو محمد على تركه مدحه فقال :

تَرَكَ مُدْحِيكَ كَالهَجَاءِ لِنَفْسِي وَقَلِيلٌ لَكَ الْمَدِيحُ الْكَثِيرُ^(١)
غَيْرَ أَنِّي تَرَكَتُ مُقْتَضِبَ الشُّعْرِ لِأَمْرٍ مِثْلِي بِهِ مَعذُورٌ^(٢)
وَسَجَايَاكَ مَا دِحَاتُكَ لَا لَفِظِي وَجُودٌ عَلَيَّ كَلَامِي يُغَيِّرُ^(٣)
فَسَقَى اللَّهُ مَنْ أَحَبُّ بِكَفَيْتِكَ وَأَسْقَاكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ^(٤)

* * *

(١) مدحيك : أى مدحى إياك. وقوله: وقليل لك المديح الكثير ، من قول إسحاق ابن إبراهيم الموصلى :

إذا استكثر الحساد ما قيل فيكم فإن الذى يستكثرون قليل

(٢) المقتضب — هنا — مصدر بمعنى الاقتضاب ، وهو فى الأصل : الاقتطاع ، والمراد : ما أتى به يديها . هذا : ولم يبين التنبي ذلك العذر الذى اعتذر به فى ترك الشعر ، كأنه كان عذرا واضحا قد عرفه المدوح فأهمل ذكره .

(٣) ينول : إنما يمدحك ما فيك من الأخلاق الحميدة التى أراها فأتعلم المدح منها ، والجود الذى يستغرق كلامى فى وصفه حتى كأنه يغير عليه وينهيه ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

ولا مدح ما لم يمدح المرء نفسه بأفعال صدق لم تشنها الخسائس

(٤) سقاه الله وأسقاه : أمطر بلاده ، لغتان نطق بهما القرآن الكريم ، قال تعالى :

« وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » . وقال سبحانه : « وسقاهم ربهم شرابا طهوراً » يقول : سقى الله أحباءى غيث كفيك حتى يخصبوا بجودك ، وسقاك غيثه حتى تتاح لهم السقيا بسقياك .

وقال عند منصرفه من مصر وقد وصل إلى البسيطة ، فرأى بعض غلمانته ثوراً
فقال : هذه منارة الجامع ، ورأى آخر نعامة في البرية فقال : هذه نخلة ؛ فضحك
أبو الطيب وقال :

بُسَيْطَةٌ مَهْلًا سُقِيَتِ الْقِطَارَا تَرَكَتِ عُمُونَ عَيْبِدَى حَيَارَى (١)
فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكَ النَّخِيلَ وَظَنُّوا الصُّوَارَ عَلَيْكَ الْمَنَارَا (٢)
فَأَمْسَكَ صَحْبِي بِأُكْوَارِهِمْ وَقَدْ قَصَدَ الضَّحْكَ فِيهِمْ وَجَارَا (٣)

وقال يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي :
أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
وَحِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ (٤)
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
وَمَا ثَبَتَتْ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا أَمْرٌ (٥)

(١) بسيطة : موضع بقرب الكوفة ؛ والقطار : جمع قطرة ، أى قطر المطر ،
وحيارى : جمع حيران .

(٢) عليك — فى الشطرين — حال من المنصب قبله ، والصوار : القطيع من
البقر ، والمنار : منارة الجامع — المثذبة :

(٣) الأكوار : الرجال ، وقصد : اقتصد ، وجار : مال . يقول : أمسك أصحابي
برحالهم لأنهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك وقد ذهب الضحك فيهم كل مذهب فمنهم من
اقتصد ومنهم من أفرط فيه .

(٤) وحيدا حال من فاعل أطاعن ، وقوله : ما قولى ، استفهام ، وكذا مفعول قولى
يقول : أنا أقاتل فرسانا الدهر أحدهم : أى أنى أقاتل الدهر وأحداثه وحيدا لا ناصر لى
ثم رجع عن هذا وقال : لم أقول إنى وحيد والصبر معى ؟ يريد مقاساته شدائد الدهر
ونوبه وصبره على ذلك وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

* فَإِنِى مِنْ زَمَانِى فِي حُرُوبِ *

(٥) يقول : إن سلامتى وبقائها معى فى هذه المطاعنة أشجع منى ، وهذا مجاز ،

تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكَتُهَا
تُقُولُ أَمَاتَ الْمَوْتَ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ (١)
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآتِيِّ كَأَنَّ لِي
سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَأَنَّ لِي عِنْدَهَا وَتْرٌ (٢)
ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسُعْمَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
فَمُفْتَرِقُ جَارَانَ دَارُهُمَا الْعُمُرُ (٣)
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زَقًا وَقَيْنَةً
فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَاكَةُ الْبِكْرُ (٤)

يريد أنى أسلم من هذه الأحداث فلا تصينى بسوء، ثم قال : وما بقيت سلامتى إلا لأمر عظيم ، يعنى ليس بقاى وسلامتى إلا لأمر عظيم سيظهر على يدى .
(١) تمرس بالشىء : احتك به . والآفات : جمع آفة ، وهى فى الأصل العاهة والمراد هنا : ما يصيب من يتصدى للأخطار والمهالك من قتل وجراحة ونحوها ، والذعر : الخوف . يقول : تمرست بالآفات فى الأسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتى وتجلدى لها وقالت : هل مات الموت إذ لم يصب هذا المتمرس بى ، أو خافت المخاوف فلا تخيفه ؟ يريد أن الآفات لو كانت بمن ينطق لقاتل هذا القول لكثرة ما ترانى أمارسها من غير خوف يلحقنى ولا هلاك يصيبنى .

(٢) الآتى : السيل الذى لا يردده شىء ، والوتر : الذحل والثأر . يقول : أقدمت على الشدائد والأهوال إقدام السيل الذى لا يردده شىء ، حتى كأن لى سوى نفسى نفساً أخرى إن ذهبى نفسى كانت لى بدلا أو كأن لى ثأراً عند نفسى فأنا أريد إهلاكها .

(٣) ذر : بمعنى دع ؛ وتروى : دع ؛ والوسع : الطاقة . ومفترق : مبتدأ ، سد المرفوع بعده مسد الخبر ، جرى فيه على مذهب من لا يلزم اعتماد الوصف . جعل الجسم والروح جارين والعمر دارهما ، وصحبتهما تكون مدة العمر ، فإذا فى العمر افترقا . يقول : دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو إليه نفسك من لذة أو مال أو سلطان فإنها غير باقية مع الجسد . قال العكبرى : وهذا من أحسن الكلام ، وهو من الحكمة . قال الحكيم : من قصر عن أخذ لذاته عدمها وعدم صحة جسمه .

(٤) الزق : وعاء الخمر . والقينة هنا : الغنية . والفتكة : المرة من الفتك وهو

وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَأَنْ تَرَى
لَكَ الْهَبَوَاتُ الشُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ (١)
وَتَرَكْكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَمَّا
تَدَاوُلُ سَمِعَ الْمَرْءُ أَمَلَهُ الْعَشْرُ (٢)
إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعَكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
عَلَى هِبَةٍ فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ (٣)

البطش ، والبكر من كل شيء ، الذي لم يسبقه نظير . يقول : لا تظنن المجد والشرف أن تلهو بشرب الخمر وسماع القيان ، لا — فليس المجد إلا ضرب السيف والبطش بالأعداء بطشاً لم يسمع بمثله .

(١) وتضرب : عطف على السيف . والهبات : جمع هبوة ، وهي الغبرة العظيمة والمجر : الجيش الكثير . وأن ترى لك الهبات السود : أى أن تثير الغبار بحوافر الخيل لدى الطعان والنزال .

(٢) الدوى : الصوت العظيم يسمع من الريح وحفيف الأشجار . وتداول — بحذف إحدى التائين — أى تتداول ، ولك أن تقرأها على أنها فعل ماض ؛ والأمل : رؤوس الأصابع . يقول : وأن تترك في الدنيا جلبة وصياحا عظيماً — جلبة المساعي الجسام وصياح الأفاعيل العظام — كأن المرء سد مسامعه بأنامله على وجه التداول : إذا أنأى واحدة أدنى أخرى ، وذلك أن الإنسان إذا سد أذنه سمع ضجيجاً وجلبة ، وبعبارة الواحدي : يريد أنه لا يسمع إلا الضجة حتى كأنه سد مسامعه عن غيرها ونقل بعضهم هذا المعنى ، وجعل ذلك خريز دموعه فقال :

فأحسُ صمًاخَيْكَ بِسَبَابَتِي كَفَيْكَ تَسْمَعُ لِدمُوعِي خَرِيرًا

قال العكبري : وهكذا من يتعرض لمعانى المتنبي يحىء شعره أبرد من الزمهرير (٣) يقول : إذا لم يرفعك فضلك عن أخذ هبة الناقص وشكره عليها ، فالفضل حينئذ له ، لا لك ، لأنه قد استوجب شكرك ، فصار له عليك فضل المشكور على الشاكر . يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتزهد عن الأخذ منه حتى لا تحتاح إلى أن تشكره . وهذا المعنى يتضمن الحض على أن يحترم الأديب نفسه وأن يربأ بأدبه

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ
مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ النَّقْرُ^(١)

عن أن يسف به . قال العكبري : وهذا من كلام الحكمة . قال الحكيم : من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل ، يرفع قدر الجاهل عليه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

عِيَّاشُ إِنَّكَ لِلنَّيِّمِ وَإِنِّي إِذْ صَرْتُ مَوْضِعَ مَطْلَبِي لِلنَّيِّمِ

وقد ذهب ابن جنى في تفسير البيت مذهبا أثار عليه نقد سائر الشراح قال : إذا اضطرتك الحال إلى أن تشكر أصغر الناس على ما تتبلغ به فالفضل فيك ولك لالمدوح المشكور . . . قال العروضي — مشنعاً — يقول أبو الطيب فالفضل فيمن له الشكر : ويقول أبو الفتح : فالفضل فيك ولك ؟ فتغير اللفظ وفسد المعنى ؛ والذي أراد التنبيه أن الفضل والأدب إذا لم يرفعك عن شكر الناقص على هبة فتمدحه طمعا وتشكره على هبته ، فالناقص هو الفاضل لا أنت ، يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتزهد عن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره . . . وقال ابن فورجة : الذي أراد أبو الطيب أنه إذا كان الفضل لا يرفعك عن شكر ناقص على إحسان منه إليك ، فإن الفضل لمن شكرته لا لك لأنك محتاج إليه : يعني أن الغنى خير من الأدب ، يريد إذا كان الأديب محتاجا إلى الغنى ، فالغنى أنه يحرص على ترك الانبساط إلى اللئيم الناقص حتى لا يشكر فيكون له الفضل . وقال الواحدى : الذي أدخل الشبهة على أبي الفتح أنه تأول في قوله : فالفضل فيمن له يريد الشاكر ، فالشاكر له الشكر من حيث إنه يشكر ، فذهب إلى هذا فأفسد المعنى . وإنما أراد أبو الطيب بقوله من له الشكر : المشكور على إحسانه .

(١) يقول : من يجمع المال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر ، لأنه إذا جمع حرم ، والحرمان فقر . وعبرة الخطيب : إذا أفنيت دهرك في جمع المال ولم تنفقه فقد مضى عمرك في الفقر . فمتى يكون غناك ؟ فقد تعجلت الفقر . قال العكبري : وهذا البيت من أحسن الكلام وبديعه ، وهو من كلام الحكمة . قال الحكيم : من أفنى مدته في جمع المال خوف الفقر والعدم فقد أسلم نفسه للعدم . ويقول قائلهم :

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ وَأَخْرَجْتَ إِتْفَاقَ مَا تَجْمَعُ
فَصِرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ فَمَا كَانَ يَنْفَعُ مَا تَصْنَعُ

وقال آخر :

عَلَى لِأَهْلِ الْجُوزِ كُلِّ طِمْرَةٍ عَلَيْهَا غُلامٌ مِنْ حَيْرِ وَمِهِ غَمْرٌ (١)
يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ كُؤُوسَ الْمَنِيَا حَيْثُ لَا تُشْتَهَى الحِمْرُ (٢)
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّيَ الْجِبَالُ وَبَحْرٍ شَاهِدِ أَنَّيَ الْبَحْرُ (٣)
وَخَرَقٍ مَكَانَ الْعَيْسِ مِنْهُ مَكَانُنَا
مِنْ الْعَيْسِ فِيهِ وَاسِطُ الْكُورِ وَالظَّهْرُ (٤)

يُخَوِّفُنِي بِالْفَقْرِ قَوْمِي وَمَا دَرَوُا بَأَنَّ الَّذِي فِيهِ أَفْضَلُ وَهُوَ الْعَسْرُ
فَقَلْتُ لَهُمْ لِمَا لِحُونِي وَأَكْثَرُوا أَلَا إِنْ خَوْفَ الْفَقْرِ عِنْدِي هُوَ الْفَقْرُ

وقال لقمان الحكيم : من دافع الفقر بالذل قبل الفقر فقد تعجل الفقر .

(١) الجوز : الظلم ؛ والطمرة : الفرس الوثابة نشاطاً ومراحاً : والحيزوم :
الصدر ، والغمر : الحقد . يقول : يحق على أن أسوق إلى أهل الظلم عسكرياً لجبا فيه
كل فرس نشيط يحمل فارساً قد امتلأ صدره حقداً عليهم وغيظاً وحنقاً فلا تأخذه بهم
رأفة . وعبارة جميع الشراح : أنا كفيلاً بنجيل فرسانها هؤلاء .

(٢) يدير : أى الغلام . يقول : يدير عليهم كئوس الموت حين لا تشتهى الحمر ولا
تراد لهول ما هم فيه من القتال ، وإنما الحمر تشتهى عند وقت الفرح والأريحية والفراغ .

(٣) جبت : قطعت . يقول : كم من جبال تشهد لى بالأناة والوقار ، وبحار تشهد
لى بسعة الصدر والسخاء ؟ ولعله ينظر إلى قول القائل .

فتى لا يراه البحر إلا أظله خواطر فكر أنه زاخر البحر

(٤) وخرق : عطف على جبال ؛ والخرق : المفازة الواسعة ؛ ومكان العيس مبتدأ .
ومكاننا : خبره . وواسط الكور بدل من مكاننا . والعيس : الإبل ، وواسط الكور
مقدم الرحل والضمير فى منه وفيه : للخرق . وقال ابن القطاع : مكان العيس : مبتدأ
ومكاننا : ابتداء ثان ، وواسط الكور : خبر الابتداء الثانى ، والجملة خبر الأول .
يقول : لسعة هذا الخرق وطول مسافته وترامى أطرافه كانت إبلنا كأنها لا تنتقل عن
ظهوره ولا تزال متوسطة له ، كما أننا كنا على ظهور إبلنا لا نتقل عنها ولا تزال متوسطة
ظهورها ؛ وهذا المعنى من قول ذى الرمة :

وَمَهْمِهِ فِيهِ السَّرَابُ يَلْمَحُ يَدَّابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا

ثُمَّ يَطْلُونَ كَأَنَّ لَمْ يَبْرَحُوا كَأَنَّمَا أَمْسَوْا بِمَيْتٍ أَصْبَحُوا

يَخْدُنَ بِنَا فِي جَوْزِهِ وَكَأَنَّهَا عَلَى كُرَّةٍ أَوْ أَرْضُهُ مَعْنَا سَفَرُهُ (١)
وَيَوْمَ وَصَلْنَاهُ بِلَيْلٍ كَأَنَّهَا عَلَى أَفْقِهِ مِنْ بَرَقِهِ حُلَّ حُمْرٍ (٢)

وقال ابن جنى : الإبل كأنها واقفة لا تذهب ولا تجيء لسعة هذا الخرق ، فكأنها ليست تبرح منه ؛ فكأنحن في ظهور العيس لا نبرح منها في أوساط أكوارها : كذلك هي كأن لها من أرض هذا الخرق كوراً وظهراً فقد أقامت به لا تبرحه . . . قال الواحدى — ناقداً — : وقد غلط ابن جنى فيما ذكر ، إنما يصف مفازة قد توسطها ، فهو على ظهر البعير في جوزه — وسطه — فكأنه من ظهر الناقة مكانها من الخرق ، والمعنى : أنا في وسط ظهور الإبل ، والإبل في وسط ظهر الخرق ! ولم يتعرض في هذا البيت لوقوفها ولا لبراحها ، ثم ذكر سيرها في البيت الثانى فقال : يخدن بنا الخ : فكيف يتجه قول ابن جنى مع قوله يخدن بنا ؟ وهذا يحتمل معنيين : أحدهما : إنا وإن كنا نسير فكأننا لا نسير لطول المفازة ، وإنه ليس لها طرف كالكرة لا يكون لها طرف ينتهى إليه والثانى إنه يصف شدة سيرهم : والكرة توصف بشدة الحركة كقول بشار :

كأن فؤادى كُرَّةٌ تَنْزَى حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعِ الْحِذَارُ

(١) يخدن : يسرن سيراً سريعاً ، وجوزه : وسطه ، وسفر أى مسافرة . يقول : إن إبلنا كانت تسير بسرعة في هذا الخرق ولا تبلغ آخره فكأننا نسير على كرة — والكرة ليس لها طرف تنتهى إليه — أو كأن أرض هذا الخرق تسير معنا فلا تقطعها ولا نفوتها ، وهذا ، كما يقول السرى الرفاء :

وخرق طال فيه السير حتى حَسِبْنَاهُ يَسِيرُ مَعَ الرَّكَّابِ

وإذا أسرع الإنسان في السير رأى الأرض كأنها تسير معه من الجانبين ، لهذا قال : أو أرضه معنا سفر ، يعنى نحن نسير بسرعة ولا نبليغ مدى هذا الخرق ، فكأنه يسير معنا ، كما قال أبو النجم :

فكأن أرضَ اللَّهِ سَائِرَةٌ معنا إذا سارت كتائبه

(٢) ويوم : عطف على ما تقدم ، والضير فى أفقه : ليل ، وليس ليل أفق ، وإنما أراد أفق السماء فى ذلك الليل : أى ناحيتها . يصف إدا بهم السير ووصلهم فيه اليوم بالليل . وقوله : كأنما على أفقه الخ : مثله قول ابن ميادة :

وَأَلَيْسَ عُرْضُ الْأَفْقِ ثَوْبًا كَأَنَّهُ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيُّ ثَوْبٌ مُعْصَفَرٌ

وَكَيْلٍ وَصَلَّوْنَا لَهُ يَوْمَ كَمَا
عَلَى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلَّ خُضْرٍ (١)
وَعَيْثُ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عَامِرًا
عَلَا لَمْ يَمْتَ أَوْ فِي السَّحَابِ لَهُ قَبْرٌ (٢)
أَوْ ابْنِ ابْنِهِ الْبَاقِي عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدٍ
يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أَجْزُ وَيَدِي صِفْرٌ (٣)

ومثله ليحيى بن الفضل :

حتى إذا ما الفجر لاح كأنه ثوب على أفق السماء مُعْصَفَرٌ

(١) متنه : ظهره ؛ والدجن : الظلمة . وأراد به الغيم ، والدجن : إلباس الغيم السماء . يقول : كأن على متن ذلك اليوم من ظلمة السحاب حلالا سوداء ، والسواد يسميه العرب خضرة ، قال ذو الرمة :

* في ظلِّ أخضرٍ يدعوهامه البوم *

أو يريد أنه سافر في أيام الربيع والأرض خضراء .

(٢) قوله تحته : حال من ضمير التوكلمين . يقول : ورب مطر ظنناه ونحن تحته أن عامرًا - وهو جد الممدوح - في السحاب ارتفع إليه ولم يمت ، فهذا المطر من جوده ، أو أن قبره في السحاب فأعداه بجوده . وقبر : معطوف على خبر أن ، تقديره : علام لم يمت أو أن له قبرًا في السحاب .

(٣) ابن : عطف على عامرًا ، والباقي : نعت ابن ، وسكنه ضرورة ، وصفرت اليد فهي صفر ، ولا يقال صفرة . يقول : لو لم أعبر هذا الغيث ويدي خالية لقلت : إن ابن ابنه - يعنى الممدوح - كان في السحاب ، وهو الذي يوجد بذلك الغيث ، ولكن لما عبرت ويدي خالية علمت أنه جود - بفتح الجيم : أي مطر - لا جود ، لأن عادته أن يملأ يدي بالهبات .

والبيتان من قول أبي تمام :

وراحة مزنقة هطلاء تهمة مواهرها وهن على سكب

فقلت يد السماء أم ابن وهب تجلى للندی أم عاش وهب ؟

وَإِنَّ سَحَابًا جَوْدَهُ مِثْلُ جَوْدِهِ سَحَابٌ عَلَى كُلِّ السَّحَابِ لَهُ فَخْرٌ (١)
فَتَى لَا يُضْمُّ الْقَلْبُ هَمَّاتِ قَلْبِهِ وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا ضَمَّهُ صَدْرٌ (٢)
وَلَا يَنْفَعُ الْإِمْكَانُ لَوْلَا سَخَاؤُهُ
وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلَا الْأَكْفُ الْقَنَا الشُّمْرُ (٣)
قِرَانٌ تَلَاقَى الصَّلْتُ فِيهِ وَعَامِرٌ كَمَا يَتَلَاقَى الْهِنْدُوَانِيُّ وَالنَّصْرُ (٤)

(١) الجود - بفتح الجيم - المطر . يقول : إن السحاب الذى يشبه مطره بسخائه يحق له أن يفتخر على جمع السحب .

(٢) يقول : إن ما توافر فى قلبه من الهمم لا يجمعه قلب غيره ، ولو ضمها قلب أحد لكان عظيمًا مثلها ، ولو كان كذلك لما وسعه الصدر لعظم القلب قال الواحدى : وهذا مما أجرى فيه المجاز مجرى الحقيقة ، لأن عظم المهمة ليس من كثرة الأجزاء حتى يكون محلها واسعا لسعتها ألا ترى أن قلب المدوح قد وسعها وصدرة قد وسع قلبه وليس بأعظم من صدره غيره ؟ وقد قال ابن الرومى :

كَضْمِيرِ الْفَوَادِ يَلْتَهُمُ الدُّنْيَا وَتَحْوِيهِ دَفْتَا حَيْرُومِ

فبين أن الفؤاد يستغرق الدنيا بالعلم والفهم ثم يحويه جانباً الصدر :

(٣) المراد بالإمكان : اليسر والغنى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لولا سخاؤه لما انتفع الناس بغناه ، لانه قد يكون الغنى مع الشح فلا ينفع ، لأن المال لا ينفع إلا مع السخاء الذى يصرفه فى المنافع ؛ والمعنى أن الوجود لا ينفع بلا جود ، كالرماح لا تعمل ولا نفع بدون الأيدي الطاعنة بها . كما يقول البحترى :

إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلٌ فَلَا تَقْطَعُ إِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقْطَعُ
ويقول أيضاً : -

فَلَا تَغْلِيَنَّ السَّيْفَ كُلَّ غَلَائِهِ لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقْطَعُ

(٤) الصلت جد المدوح لأمه ، وعامر جده لأبيه . وقوله قران : لك أن تجعله مرفوعا بفعل مضممر تقدس أنجب به قران هذه حاله ، مثلاً ؛ والقران فى الأصل : اسم لمقارنة الكوكبين . جعل جديته من الطرفين فى المصاهرة ونسب المدوح كقران الكواكب تعظما له ، ثم شبه اجتماعها . باجتماع السيف الهندى مع النصر ، فإذا اجتمعا حسن أثرهما وعلا أمرهما وبلغا غاية العز والمجد ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .

فَجَاءَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْظَمًا تَرَى النَّاسَ قَلًا حَوْلَهُ وَهُمْ كَثْرًا (١)
 مُفَدًى بِأَبَاءِ الرَّجَالِ سَمِيذَعًا هُوَ الْكَرَمُ الْمُدُّ الَّذِي مَالَهُ جِزْرٌ (٢)
 وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشَّوْقُ نَحْوَهُ يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرٌ (٣)
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَرَ الْخَبَرَ الْخَبْرُ (٤)
 إِلَيْكَ طَعْنًا فِي مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ بِكُلِّ وَآةٍ كُفْلٌ مَا لَقِيَتْ نَحْرُ (٥)

(١) جَاءَ بِهِ : أى الجدان المذكوران ؛ ويروى جَاءَ : أى القران : وصلت الجبين وضحه أو الواسع المستوى الجميل وهو حال . يقول : ترى الناس حوله وهم كثيرون فى العدد ، قليلون بالقياس إليه . والقل : القلة ، والكثـر : الكثرة ؛ والتقدير : ذوى قل ، أى فى المعنى ، وهم ذوو كثرة فى العدد ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

إِنَّ الْكَرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلُوا كَمَا غَيْرُهُمْ قَلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا

(٢) مفدى : حال أخرى ، كما أن معظما - فى البيت السابق - حال أولى : أى يقول له الرجال : فدينك بأبائنا ، والسميذع : السيد الكريم ؛ والمد : زيادة الماء ؛ والجزر : نقصانه ؛ وجعله كرمًا - وهو مصدر - مبالغة لكثرة وجوده منه : أى هو ذو الكرم ذى المد : يقول : هو كرم زائد لا نقصان له .

(٣) خبر مازلت : يسايرنى ؛ والركب : جماعة الراكبين . يقول : مازلت يسايرنى فى كل ركب ذكره حتى قادنى الشوق إليه : أى أننى قبل أن أصل إليه كنت أسمع ذكره ، وما صاحبت أحداً إلا وهو يذكره بمدح وثناء ، وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

لأشياء أحسن من ثنائى سائراً ونذاك فى أفق البلاد يسايره

(٤) الخبر : الخبرة والاختبار . يقول : كنت استعظم ما أسمع من الناس من أخباره وذكره الشائع قبل أن ألقاه ، فلما لقيته وخبرته صغر الاختبار الخبر : أى وجدته خيراً مما كنت أسمع . وهذا من قوله صلوات الله وسلامه عليه لزيد الخيل وقد وفد عليه : « ما وصف لى أحد إلا رأيت به دون الوصف سواك ، فإنك فوق ما وصفت لى » . ويقول القائل :

كانت مُحَادَّةَ الرِّكْبَانِ تُخْبِرُنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ طَيْبَ الْخَبْرِ

تَمَّ التَّقِينَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أُذُنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصْرِي

(٥) الصفصـف : الفلاة المستوية ؛ والوآة : الناقة القوية . جعل سير الناقة فى الفلاة

إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسَعَةٍ مَرِحَتْ لَهَا
كَأَنَّ نَوَالًا صَرَ فِي جِلْدِهَا النَّبْرُ^(١)
فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى
وَدُونَكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ^(٢)
كَأَنَّكَ بَرْدُ الْمَاءِ لَا عَيْشَ دُونَهُ وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ الْمَاءِ لَمْ يَكُنِ الْعِشْرُ^(٣)

طعناً ، وجعل ما يقطعه من الأرض نحرًا : أى كل ما مرت به كأنه صدر طعناه بها ، يقول : أينما قصدت من الأرض قطعه وجازته لا تبالي بسهل ولا وعر : بمنزلة الطعنة إذا أصابت نحرًا فإنها تنفذ فيه نفاذًا ذا أثر بالغ . قال الوحدي : ويجوز أن يكون المعنى : كل ما لقيته هذه الناقة من مشاق الطريق نحر لها : أى يفعل بها فعل النحر ، فكأنها تنحر في كل ساعة .

(١) النبر : دويبة تلسع الإبل فيرم موضع لسعتها . يقول : إذا لسع النبر هذه الناقة فورمت من أثر اللسع مرحت - نشطت واحتدت - في سيرها حتى لكأنه صر في جلدها نوالا - عطاء - شبه موضع اللسعة المتورم بصرة فيها دنائير ودراهم ، فكأنها مرحت لذلك وقالوا : إن النبر إذا لسع الجمل ورم مكان اللسعة حتى يصير مثل الرمانة الصغيرة ، فلذلك حسن تشبيهه بالصرة في جلدها : يقول : إن الشدائد لا تفل حد مراحيا : أى أنها لا تبلى في طريقها إلى المدوح بشيء ينالها .

(٢) يقول : جئناك وأنت دونهما فى البعد : أى أقرب إلينا مطلباً منهما وهما - الشمس والبدر - دونك فى جميع أحوالك ، فأنت أعم نفعاً وأشهر ذكراً وأعلى منزلة وقدرًا : أى أنك - على بعدك - فإن الوصول إليك والإفادة منك أقرب وأيسر . وقوله دون الشمس : حال من المخاطب ؛ والنوى : البعد . قال الخطيب : ولم يعبر عبارة جيدة .

(٣) العشر : أبعد أظاء الإبل ، وهو أن ترد يوماً وتدعه ثمانية أيام وترد اليوم العاشر أعطش ما تكون . يقول : لو كنت برد الماء لما غادرت غلة إلا أطفأتها حتى تستغنى الإبل عن معاودة الشرب ، وقال الواحدى : لو كنت الماء لو سعت بطبع الجود كل حيوان فى كل مكان وفى ذلك ارتفاع الأظاء . وقال ابن جنى : أى كانت تجاوز المدة فى وردها العشر لغنائها بعدوبتك وبردك .

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحَجَى
وَمَا قَلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بِيُوتُهُ
وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ (١)
إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُ مِنْ نُورِهَا الْخَبْرُ (٢)
كَأَنَّ الْمَعَانِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا
مُجُومٌ الثَّرِيًّا أَوْ خَلَائِقُكَ الزُّهْرُ (٣)
وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَهَا
وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ (٤)
وَأَمَّا رَأَيْتُ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا
وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرُ (٥)

(١) يقول: دعاني إلى أن أنتجعك وأصمد إليك ما آثرك الله به من العلم والحلم والحجى - العقل - وما أعدده لك من منظومى فى مدحك وما عهدناه فيك من النائل - العطاء - الذى تنثره نثرا على قاصديك ، وقيل يعنى بالكلام النظم : كلام المدوح ونظمه .

(٢) يروى قلت - بضم التاء - فىكون ذلك تأييداً لما ذهبنا إليه من تأويل البيت السابق ؛ ويروى بفتح التاء فىكون المعنى ماذهب إليه الواحدى ، قال : يقال إن هذا المدوح حسن الشعر مليحه . وقوله بيوته : أى أبيات الشعر . وقوله يبيض من نورها : أى من نور معانيها ، أو من نور ما تضمنته من محاسنك . وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وَلِمَدْحِيكَ قُلْتُمُهَا كَلِمَاتٌ هُدَّتْ فِيكَ أَيْمَانًا تَهْدِيْبِ

سَوَدَتْ فِيكَ كُلُّ بِيضَاءٍ تَسْوِيْدًا تَرَاهُ الْعِيُونُ كَالْتَهْدِيْبِ

(٣) الخلائق : الأخلاق ؛ والزهر : جمع أزهري ، وهو المضىء المشرق . شبه معانى شعره فى فصاحة ألفاظه بنجوم الثريا فى اتساقها وجمالها ، وبأخلاق المدوح الزاهرة المشرقة فى إشراقها وسطوعها وشهرتها .

(٤) يقتضينى يطالبنى . يقول . تنسكبت السلطين وتنحيت عن قصديهم لأنى أجتوبهم وأمقتهم ولأنه بودى أن أعصف بهم وأقتلهم حتى أقدم لحومهم للنسور التى تترقب أكلاها ، فهى تطالبنى بجمجمهم ، وهو المتنبي يقول ذلك وأكثر من ذلك لطموحه وبعد مرتقى همته ، وإن كان كثيرون يعدون مثل ذلك من حماقته .

(٥) الضر هنا : الفقر وسوء الحال . يقول : إن معاناة الفقر والحاجة أهون عندي وأحب إلى من أن أرى أو ألقى صغيراً - حقيراً - متكبراً ويروى بدل مرأى : لقياً ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : أعظم ما على النفوس : إعظام ذوى الدناءة .

لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفُوَادُ وَهَمَّتِي
 أَوْدُ اللَّوَاتِي ذَا اسْمَهَا مِنْكَ وَالشَّطْرُ (١)
 وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشُّعْرِ كُلَّهُ
 وَلَكِنْ لَشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ (٢)
 وَمَاذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا
 وَلَكِنْ بَدَأَ فِي وَجْهِهِ نَحْوَكَ الْبِشْرِ (٣)
 وَإِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَعَالَمٌ
 بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ (٤)

(١) تقول: رجل ود — بتثنية الواو — بمعنى ودود، والجمع أود. وقوله والشطر: الأوجه أنه عطف على لساني. يقول: إن لساني وعيني وفؤادي وهمتي تود لسانك وعينك وفؤادك وهمتك. وكذلك شطري: أي أن كل شطر مني يود شطراً منك؛ يعني أن كلي يود كلك، فقوله: أود اللواتي ذا اسمها منك: أي ودودة اللواتي تسمى منك بهذه الأسماء: أي اللسان الخ. قال الواحدى: والغرض من هذا البيت: التعمية فقط، وإلا فما الفائدة من هذا البيت مع ما فيه من الاضطراب؟! أقول: ومن ثم تجب في الشراح أيما تجب.

(٢) يقول: إنى لم أستقل وحدي بهذا الشعر ولكن ظاهرني عليه شعري، لأنه تهالك على مدحك ونزع إليه ورغب فيه كما رغبت. والمعنى: إن شعري كان يطاوعني ويؤاتيني في مدحك حتى لكأنه كان ينظم معي، والله قول أبي تمام في هذا المعنى:

تَغَايَرَ الشُّعْرُ فِيهِ إِذَا رَقْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَائِمَهُ سَتَقْتَتِلُ

(٣) ما: نافية؛ وذا: اسم إشارة. ورونق: السيف والوجه وما إليهما ماؤه ونضرتة. والبشر: طلاقة الوجه وتهلله. يقول: ليس الذي يرى في شعري من الحسن رونقه هو: أي رونق فصاحته وبلاغته، ولكن شعري تهلل وجهه ابتهاجاً بلقائك واستبشر ضاحكاً ناضراً حين رآك، فهذا الرونق إنما هو مستفاد منك.

(٤) الذي يوجب القدر: أي الذي يستدعيه قدرك ويستحقه؛ ورواه قوم نلت بضم التاء — أي وإن نلت أنا وأنا من بعض خدمك، وليس بشيء.

أَزَلَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ عَتْبِي كَأَنَّمَا بَنُوها لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرٌ^(١)

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن العميد^(*) :

بَادٍ هَوَاكَ صَبْرَتَ أُمِّ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاءَ إِنْ لَمْ يَجِرْ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى^(١)

(١) يقول : لما سمحت الأيام بلبقائك أزالت عتبي عليها لأنى رأيت من إحسانك ما أنساني سيئات أهلها ، فكأن الأيام أنت بك عذراً عن ذنوب بنينا . والمصرع الأول من قول أبي تمام :

نَوَالِكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلُولًا وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي
والثاني من قوله أيضاً :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى بِنِدَاكَ وَهُوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبٌ
ويقول أبو نواس :

يَرِحِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ
ويقول ابن الرومي :

أَنْتُمْ أَنْاسٌ بِأَيَادِيكُمْ يَسْتَغْفِرُ الدَّهْرُ إِذَا أذْنِبَا
إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ وَزَادَ فِي عِدَّتِكُمْ أَعْتَبَا

(*) ذكر الخطيب التبريزي - في شرحه - : إن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافوراً مدح الوزير أبا الفضل جعفر ابن الفرات وزير كافور بقصيدته الرائية التي أولها :

* باد هواك صبرت أم لم تصبرا *

وجعلها موسومة باسمه ، فكانت إحدى قوافيها جعفرآ ، وكان قد قال فيها :

صغفت السوار لأى كف بشرت بابن الفرات وأى عبد كبرا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها ، فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان - وبها أبو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة والد عضد الدولة ؛ والكتاب الأديب الكبير المعروف - فحول القصيدة إليه ، وحذف منها لفظ جعفرآ ، وجعل ابن العميد مكان ابن الفرات .

(٢) يقول - مخاطباً نفسه - : سواء أصبرت أم لم تصبر : هواك ظاهر للناس باد ،

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَأُبْسَامُكَ صَاحِبًا لِمَا رَأَى فِي الْحَشَى مَا لَا يُرَى (١)

وأى محب يستطيع أن يكتم حبه وهناك آياته من التحول والاصفرار وما إليهما وبكاؤك كذلك غير خاف على الناس : أجرى دمعك أم لم يجر ؟ لأن ما يبدو في صوت الحب من نعمة الحزن والزفير والشهيق والتهيمؤ للبقاء شواهد على الدموع . وقال بعض الشراح : وبكك : عطف على الضمير في قوله صبرت ، تقديره صبرت وصبر بكأؤك فلم يجر دمعك أو لم تصبر فجرى ، « هذا » : وقد قيل للمتنبى خالفت في هذا البيت بين سبك المصراعين فوضعت في المصراع الأول إيجابا بعده نفى ، وفي الثاني نفيا بعده إيجاب ، فقال لأن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ فقد وفقت بينهما من حيث المعنى . وذلك أن من صبر لم يجر دمعته ، ومن لم يصبر جرى دمعته : يعنى أنه أراد : صبرت فلم يجر دمعك أو لم تصبر فيجرى . . . وقوله لم تصبرا : أراد تصبرن - بنون التوكيد الخفيفة - فأبدلها ألفا . قال العكبرى : ومثله كثير في الكلام كقوله تعالى « ألقيا في جهنم » الخطاب للملك وحده ، وإنما المعنى ألقين ، ومثله قول الحجاج : يا حرسى اضربا عنقه . والخطاب لواحد . والمعنى : اضربن عنقه ، ومثله لسويد بن كراع العقيلي :

فإن تزجرانى يا ابن عفان أنزجر وإن تتركانى أحمر عرساً ممنعا

والخطاب لواحد . فهذا شاهد على ألقيا واضربا ، ومثله :

* فلا تعبُدِ الشيطانَ والله فاعبدا *

فقد جاء في الكتاب العزيز : النون الخفيفة بالألف خطأ في قوله تعالى « ليسجننن وليكونا » ومثله : « لنسفعاً بالناصية » وقول الراجز :

يحبسه الجاهل ما لم يعلم شيخاً على كرسية معمما

(١) يقول : كم غر صبرك وابتسامك من نظر إليك حتى ليظن أنك غير عاشق لأنه يرى صبراً وضحكا ظاهرين ولا يرى ما في الباطن من الاحتراق والوجد ؟ ورد في الصبح المنبى : أنه لما أشد هذا البيت قال ابن العميد : يا أبا الطيب أتقول ياد هواك ثم تقول كم غر صبرك ؟ فما أسرع ما ناقضت ما ابتدأت به ! فقال المتنبي : تلك حال وهذه حال . . . وإنى لأحسب المتنبي حين سمع هذا النقد من ابن العميد قد امتعض ، فأختصر الجواب أجزاء اختصار . . . ومراده أن الحال التي يذكرها في البيت الثانى سابقة على الحال المذكورة في البيت الأول ، لأنه يريد أن صبره كان يغر الناظر إليه قبل أن أسقمه الهوى وغير منظره ، ولكنه لما انتحل جسمه بعد ذلك : استدل الناظر بنحوه على

أَمَرَ الْفُؤَادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرًا^(١)
تَعَسَ الْمَهَارِيُّ غَيْرَ مَهْرِيٍّ غَدَا
بِمَصْوَرٍ لَبَسَ الْحَرِيرَ مُصَوَّرًا^(٢)

كونه عاشقاً فبدأ هواه ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئاً في كتم الهوى ؛ وقد زاد هذا المعنى بياناً في البيت الذي يلي .

(١) الفؤاد في الجسد بمنزلة الملك ، فلهذا جعله آمراً للسان والجفن . يقول : أمر القلب اللسان بالكتمان والجفون بإمساك الدموع فأطعنه وكتمن ولكن جسمك بنحوه دل على ما في قلبك ؛ والضمير في قوله فكتمنه : عائد على قوله مالا يرى - في البيت السابق - وجسمك : فاعل كفى ؛ والباء : زائدة ، ومخبراً : خلف من موصوف تميز . وهذا المعنى بسبيل من قول الآخر :

خَبْرِي خُذِيهِ عَنِ الضَّنِيِّ وَعَنِ الْأَسَى لَيْسَ اللَّسَانُ وَإِنْ تَلَفْتُ بِمُخْبِرِ
(٢) تعس : كبا وعثر ، وقد يراد به الهلاك ، والمهاري : جمع مهري والبعير مهري والناقة مهرية نسبة إلى مهرة بن حيدان : أبي قبيلة عرفت بحسن القومة على الإبل وتقول في الجمع : مهاري ومهار ومهاري . قال رؤبة :

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلَ كُلِّ مَيْلَةٍ بِنَا حَرَاجِيحُ الْمَهَارِي الثَّفَةِ^(١)
وقوله غير مهري : استثناء ، وغدا : أي ذهب غدوة . يدعو بالتعس على الإبل كلها ما عدا ركوبة الحبيب لتسلم من العثار فيسلم الحبيب من الوقوع - هذا الحبيب الذي لبراعة حسنه كأنه صور تصويراً ، والذي يلبس الديباج منقشاً بالصور .

(١) قبله :

وَمُخْفِقٍ مِنْ لَهْلِهِ وَلَهْلِهِ فِي مَهْمَةٍ أَطْرَافِهِ فِي مَهْمَةٍ
أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعَمَّةِ بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلَ كُلِّ مَيْلَةٍ
بِنَا حَرَاجِيحُ الْمَهَارِي الثَّفَةِ يَجْذِبْنَهُ بِالْبُوعِ وَالتَّأْوُهُ

المخفق : الموضع الذي يخفق فيه السراب ، واللهله : المكان المستوي الذي ليس به علم ، وغول كل ميله : أي بعده يريد مكاناً بعيداً يفتال الثني فلا يستبين فيه ولا يكاد يقطع من بعده ، والميله الفلاة التي توله الناس وتخيروهم ، والحراجيج : جمع حرجوج ، وحرجيج : الناقة الوقادة الحادة القلب أو الضامرة ، والنفه : جمع نافة

نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةً فِي سِتْرِهِ لَوْ كُنْتُهَا لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرَ^(١)
لَا تَتْرَبِ الْأَيْدِي الْمَقِيمَةَ فَوْقَهُ

كِسْرَى مُقَامَ الْحَاجِبِينَ وَقَيْصَرَ^(٢)
يَقِيَانِ فِي أَحَدِ الْمَوَادِحِ مُقَلَّةً رَحَلَتْ فَكَانَ لَهَا فُؤَادِي مَحْجِرًا^(٣)

(١) يقول: إني أنفس لأجل الحبيب المصور على الصورة التي في ستر هو دجه وأحسدها لقربها منه، ولو كنت تلك الصورة لخفيت حتى يظهر هو، فأراه ويحول الحجاب وخفاء الصورة يستتبع خفاء الستر بمعنى خفاء الصورة انكشاف الستر، ومتى انكشف انكشف الحبيب فيراه المحب. وإليك عبارات سائر الشراح قال ابن جنى: لو كنت الصورة التي في ستره لنزلت حتى يظهر الذي فيه لرأى العين وذلك أن كل أحد يحب أن يراه ودونه ستر فلو كنت ذلك الستر لانكشفت حتى يظهر للناس ويحول ذلك الحجاب. وقال الواحدى: أنا أحسد الستر لأجل الحبيب الذى في هودجه لقربها منه، يعنى الصورة، ولو كنت الصورة لخفيت حتى يظهر الحبيب فتراه الأبصار. وقال ابن القطاع: إنما تمنى أن يكون صورة في سترها ليشاهدها كل وقت، ثم قال: لو كنتها لخفيت من نحولى فلم أسترها عن العيون وكانت تظهر للناظرين.

(٢) لا تترب: لا تقتقر، ويقال ترب الرجل: افتقر وصار على التراب، ولا تربت يدك: أى لا اقترب «أو مسكينا ذا متربة» صار على التراب لفقره. وكسرى: لقب ملوك العجم، وقيصر: لقب ملوك الروم. يريد أن صورة كسرى وقيصر كانت على الستر وكأنهما أقيما مقام حاجبين يحجبان هذا المصور. يدعو التنبي للأيدى التي نسجت ذلك الستر وصورت الملكين عليه بأن لا تترب. وفيه نظر إلى قول أبى نواس:

قَرَارَتَهَا كَسْرَى وَفِي جَنَابَاتِهَا مَهَى تَدْرِيبُهَا بِالْقِسَى الْفُؤَارِسِ

(٣) الموائدج: جمع هودج، مركب النساء على الجمال، والمحجر: ما حول العين، يقول: إن هذين الحاجبين يصرفان السوء - من الغبار، وحر الهواء وحر الشمس -

وهى المعية. وفي الحديث: نفهت نفسك: أعيت وكلت، وقال أبو سعيد: لم يجد رؤية موضعها إنما يقال رجل منقوه الفؤاد إذا ضعف من صوم أو جهد، ويجذبته يريد يجذب أنفسه فيه. وقوله والتأوه. هو مثل قول الثقب العبدى.

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلِيلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِنًا أَنْ يَحْذَرَ (١)
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ إِذْ أُغْتَدْتُ رُؤَادَهُمْ
لَمَنْعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرًا (٢)
فَإِذَا السَّحَابُ أَخُو غُرَابٍ فَرَأَفَهُمْ
جَعَلَ الصِّيَاحَ بَدِينَهُمْ أَنْ يُمَطَّرًا (٣)
وَإِذَا الْحَمَائِلُ مَا يَخْدُنَ بِنَفْنَفٍ
إِلَّا شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْبًا أَخْضَرَ (٤)

عن مقلة أحد الموادج - يعنى هودج الحبيب - وكنى عنه بالمقلة - العين - لعزته ، وجعل فؤاده محجراً لتلك المقلة ، والمعنى أنها كانت ضياء قلبي بمثابة عين القلب ، فلما ارتحلت عنى عمى قلبي والتبس على أمرى وققدت لى كمنه ذهبت وبقي الحجر ، وينظر فى هذا التشبيه إلى قول أبى تمام :

إِنِ الْخَلِيفَةَ حِينَ يُظَلِّمُ حَدَثٌ
عَيْنُ الْهُدَىٰ وَهِيَ الْخِلَافَةُ مَحْجَرٌ

(١) الحائن : المالك . يقول : كنت أحذر بينهم - بعدهم وفراقهم - قبل حدوثه ولكن الحذر لا يدفع المحذور ، لأنه متى قدر وقع لا محالة .

(٢) الرواد : جمع راد ، وهو الذى يرتاد لأهله الكلاً والماء ، واغتدت مثل غدت : أى ذهبت غدوة . يقول : لو قدرت حين بعثوا روادهم لمنعت السحاب أن يمطر حتى لا يجدوا ماء ولا كلاً يرتحلون إليهما للانتجاع .

(٣) قال الواحدى : هذا كلام فيه حذف لا يتم المعنى دون تقديره ، كأنه قال : لمنعت كل سحابة أن تمطر لأنى تأملت الحال ، فإذا السحاب - الذى هو أخو الغراب فى التفريق - أبعدهم عنا . جعل السحاب أخوا الغراب ، لأنه سبب الافتراق عند الانتجاع وتتبع مساقط الغيث فى الربيع كهادة أهل العير السيارة ، ولما جعله أخوا الغراب جعل المطر كصياح الغراب ، لأن صياح الغراب سبب للافتراق على زعمهم ، كذلك سقوط الغيث من السحاب سبب للارتحال فى تتبع الغيث . فالسحاب - فى قوله : فإذا السحاب مبتدأ ؛ وأخو غراب فراقهم : نعت له ، وجملة جعل الصياح : خبر ، ولك أن تجعل أخو : خبر عن السحاب وجعل الصياح : خبراً آخر عنه .

(٤) الجمائل - بالحاء المهملة - جمع حمولة ، وهى الإبل يحمل عليها ؛ وهذه رواية ابن جنى ؛ وروى غيره : الجمائل - بالجيم - جمع جمالة ، جمع جمل . ويخدن : من الوخد ، وهو ضرب من السير سريع ؛ والنفنف : المفازة والمهوى بين جبلين . يقول : كلما مررت جمالمهم بأرض مخضرة بالكلاً بدت عليها آثار سيرها ، فكأتما شقت ثوباً أخضر . والمعنى : أنهم فارقونا أيام الربيع عند اخضرار الأرض . أو تقول : كثر الخصب

يَحْمِلْنَ مِثْلَ الرَّوْضِ إِلَّا أُمَّهَا أَسْبَى مَهَاً لِلْقُلُوبِ وَجُوذُرًا (١)
فَبِلِحْظِهَا نَكِرْتُ قِنَاتِي رَاحَتِي ضَعْفًا وَأَنْكَرَ خَاتِمَايَ الْخَنْصِرَا (٢)
أَعْطَى الزَّمَانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ وَأَرَادَ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَخَيَّرَا (٣)

أمامهم ، فكانت ركبهم لا تقطع موضعاً إلا وقد كسته الخصرة فتبدو آثار سيرها فيه كالشق في الثوب .

وفي هذا نظر إلى قول الآخر :

فكأنما الأنواء بعدهم كست الطول غلائلاً خضراً

(١) يقول : إن هذه الإبل تحمل هودج مثل الرياض - أي ارينت بالأنماط والدياج ، فكانت مثل الرياض في تلون أزهارها - غير أن ما تحمله الإبل من مهاها وجآذرها . - يعني : الحباب - أسبى لقلوب الرجال من مها الرياض وجآذرها والمهاة البقرة الوحشية . تشبه بها النساء لحسن عيونها ؛ والجوذر : ولد المهاة قال الواحدي : قوله إلا أمها : رواها ابن جنى : إلا أنه ، كناية عن المثل ، والناس يروون « أنها » ، لأن مثل الروض روض . فالضمير على الروايتين : لئلا ، إلا أن ابن جنى رده على اللفظ . وغيره رده على المعنى . والبيت ينظر إلى قول أبي تمام :

خرجن في خصرة كالروض ليس لها إلا الخيل على أعناقها زهر
وقد سبق الجميع عدى بن زيد . إذ يقول :

لمن الظعن كالبساتين في الصبح نرى بينها أثيثاً نضيراً
[الأثيث : النبات الملتف] .

(٢) بلحظها من إضافة المصدر إلى مفعوله : أي فبلحظي إياها ؛ ونكره وأنكره : بمعنى ، ضد ، عرفه ؛ وضعفاً : مفعول لأجله . يقول : بسبب نظري إلى هذه الهودج يوم الفراق صرت ضاويًا مهزولاً حتى أنكرت قناتي يدي لضفعتها عن حملها ، وأنكر خاتمي خنصري لأنه صار يعلق فيه واتسع عليه من الهزال وقلة اللحم .

(٣) هذا تمهيد للتخلص من النسب للمدح . قال الواحدي . يقول : لم أقبل عطاء الزمان ترفعاً وبعدهمة : أي أردت عطاءك دون عطاء الزمان ، وأراد الزمان أن أقصد سواك فأردت اختيارك . والمعنى أن الزمان أراد أن يسترقني بإحسانه فأبيت ذلك واخترتك على طول الزمان ، فإنك إذا ملكتني ملكت الزمان بما فيه .

أَرْجَانَ أَتَيْتَهَا الْجِيَادُ فَإِنَّهُ عَزَمِي الَّذِي يَذُرُّ الْوَشِيحَ مُكَسَّرًا (١)
 لَوْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتِ فَعَالَهُ مَاشَقَّ كَوْنُ كَبْكِ الْعَجَاجِ الْأَكْدَرَا (٢)
 أُمِّي أَبَا الْفَضْلِ الْمُبَرِّ أَلِيَّتِي لَا يَمَنَّ أَجَلَ بَحْرِ جَوْهَرَا (٣)
 أَفْتَى بَرُؤَيْتِهِ الْأَنَامُ وَحَاشَ لِي مِنْ أَنْ أَكُونَ مَقْصَرًا أَوْ مَقْصِرَا (٤)
 صُغْتُ السَّوَارَ لِأَيِّ كَفَّ بَشَّرْتُ بِأَبْنِ الْعَمِيدِ وَأَيَّ عَبْدٍ كَبَّرَا (٥)

(١) أرجان : أى اقصدى أيتها الجياد أرجان ؛ وأرجان : بلد الممدوح - بلد بفارس - بتشديد الراء فى الأصل ، إلا أنه خففه ضرورة - والضمير فى أنه : للشأن . والوشيح : شجر الرماح . يقول لحيله : اقصدى هذا البلد ولا يلقين فى روعك أن ثم شيئاً يصدك عنه فإنه عزمى القوى الذى يكسر الرماح بقوته ؛ يعنى أن الرماح لا تعوقى عن هذه العزيمة ، وهى الوجه الذى تخيره على ما أشار إليه فى البيت السابق .

(٢) انفعال : الفعل ؛ وكوكب الحيل : جماعتها المجتمعة ؛ والعجاج : الغبار ؛ والأكدر . الكدر : يقول لحيله : لو فعلت ما تريد من ماركضتك فى الغبار المظلم ، يعنى أن الحيل تريد الجمال والراحة ، وهو يتعبها بالأسفار .

(٣) أمى : اقصدى ؛ والألية . اليمين ؛ وأبريمينه وبر فى يمينه : صدق . يقول : اقصدى أيتها الحيل هذا الممدوح الذى يبر قسمى إذا أقسمت أن أقصد أجل البحار جوهرًا ؛ أى إذا قصدته برت يمينى هذه لأنه هو ذلك البحر .

(٤) يقال قصر عن الشيء إذا تركه عجزاً . وأقصر عنه : إذا تركه قادراً عليه يقول : أفتانى الناس فى إبرار هذا اليمين بقصده ورؤيته ، وأعوذ بالله أن أقصر فى إبرار هذا القسم أو أقصر عنه ، فإنى إذا فعلت ذلك كنت شاقاً لعصا الإجماع ، لأن الإجماع على أن قسعى لا تبر إلا برؤيته . هذا ويقال حاش لله : أى تنزيهاً له ؛ ولا يقال حاش لك قياساً عليه ؛ وإنما يقال حاشاك وحاشى لك ؛ وهى تعرب إعراب المصدر ؛ واللام لبيان المفعول ، كما تقول تنزيهاً لك ، وقال أبو إسحاق الزجاج فى قوله تعالى « وقلن حاش لله » اشتق من قولك : كنت فى حشا فلان ، أى فى ناحية فلان . والمعنى فى « حاش لله » براءة لله من هذا ؛ وإذا قلت حاشى لزيد فهذا من التنجى ، والمعنى قد تنجى زيد من هذا وتباعد عنه . وقال ابن الأنبارى فى قولهم حاشا فلانا : معناه قد استثنيت وأخرجته فلم أدخله فى جملة المذكورين .

(٥) يقول : أى كف أشارت إلى ابن العميد فبشرتنى به فلها عندى السوار أحلها

إِنْ لَمْ تُغْنِنِي خَيْلُهُ وَسِلاحُهُ فَمَتَى أَقُودُ إِلَى الْأَعَادِي عَسْكَرًا^(١)
بَأبِي وَأُمِّي نَاطِقٌ فِي لَفْظِهِ ثَمَّنَ تَبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتَشْتَرَى^(٢)
مَنْ لَا تُرِيهِ الْحَرْبُ خَلْقًا مُقْبِلًا فِيهَا وَلَا خَلْقَ يَرَاهُ مُدْبِرًا^(٣)
خَنْثَى الْفُحُولَ مِنَ الْكِمَاةِ بِصَبْغِهِ مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعْصَفِرًا^(٤)

به ؟ وكذلك أى عبد من عبده كبر — قال الله أكبر — عند وقوع بصره على بلده وعلى داره سروراً يبر قسمي ؟ .

(١) قال الواحدى : هذه إشارة إلى أنه يمده بالمال والعبيد فيقدر بذلك على محاربة الأعداء ؛ وعادة المتنبي طلب الولايات ممن يمدحه ، لا طلب الصلات .

(٢) بأبى وأمى : أى أفيده بهما ، يصفه بالبلاغة ، يقول : إنه يملك القلوب بحلاوة لفظه فيصير لفظه ثمناً للقلوب فيتصرف فيها كما يريد بما أوتي من بلاغة ، وإن شئت قلت إن ألفاظه عزيزة تجعل القلوب أثماناً لها لم توجد بغيرها . وقوله : تباع وتشترى . أى إن الناس يبيعونها بهذا الثمن وهو يشتريها فيصير مالكمها ، وإن شئت جعلت الشراء يباع فيكون مكرراً بلفظين معناهما واحد ، قاله الواحدى .

(٣) يقول : لا يقدم أحد على لقائه فى الحرب تهيأ له ، ولا يدبر هو عن قرن لشجاعته : وقوله « من » : بدل من ناطق .

(٤) خنثى الفحول : أى صيرهم خنثاى ؛ والكماة : جمع كمي ، وهو المستتر فى الحديد ؛ والمعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وما يلبسون : مفعول أول لصبغه ؛ ومعصفرا : مفعول ثان على تضمينه معنى التحويل . يقول : جعل أبطالهم الفحول خنثاى حين صبغ ما يلبسون من الحديد بالدم ، فأشبهت الثياب المعصفرة التى يلبسها النساء والخنثون «هذا» وقد قلنا : إن معنى خنثى الفحول : أى جعلهم وصيرهم مخنثين ، فهو فعل ماض . قال العكبرى : وزنه فعلل : مثل دحرج . وقال ابن القطاع : أصله خنث ، فكرهوا اجتماع التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى خنطى وخنطى : أبدلوا ألفاً من حروف التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى تقضى البازى وقصيت أظفارى . وتظنى : من الظن ؛ قال : وزعم النحويون أن حروف الزوائد تكون للإلحاق ، وأبى ذلك أهل اللغة العلماء بالتصريف والاشتقاق ، وقالوا : لا تدخل حروف الزوائد فى الإلحاق ألبة . وإنما تدخل فى الإلحاق : الحروف الأصلية التى هى فاء الفعل وعينه ولامه ، فالفاء نحو قولهم : درجج : المناقة المسنة ، تكررت فيه الفاء للإلحاق

يَتَكَسَّبُ الْقَصَبُ الضَّعِيفُ بِكَفِّهِ شَرَفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ وَمَفْخَرًا (١)
وَيَبِينُ فِيهَا مَسَّ مِنْهُ بِنَانِهِ تِيَهُ الْمُدِلُّ فَلَوْ مَشَى لَتَبَخَّرًا (٢)
يَا مَنْ إِذَا وَرَدَ الْبِلَادَ كِتَابَهُ قَبْلَ الْجِيُوشِ ثَنَى الْجِيُوشَ تَحِيْرًا (٣)

بجمعن ، وهى أصول الصليان (١) والعين ، كقولهم حدرد : اسم رجل ، تكررت فيه العين للحاق بجعفر ؛ واللام كقولهم : تعدد ، تكررت فيه اللام للحاق بيرثن ؛ وقال النحويون : الألف فى مثنى للحاق وفى رضوى وسلمى للتأنيث ، ثم تقضوا قولهم فقالوا الألف فى بهمى وعزهى : ليست للتأنيث ولا للحاق . وهذا كلام فاسد لا يحتاج إلى إقامة دليل . وإنما أوقعهم فى هذا الغلط أنهم رأوا العرب قد جمعوا بين تأنيثين ، فقالوا بهمة وعلقة وعزهاة ؛ فقالوا : لا يجوز أن يجمع بين تأنيثين ، وقد جمعت العرب بين تأنيثين فى أكثر كلامهم : فكيف يجعل ما وضعه النحويون للتقريب والتعليم مما لا أصل له ولا ثبات حجة على لسان العرب الفصحاء ؟ هذا لا يكون ولا يحتاج به إلا جاهل .

(١) بكفه : رواها ابن جنى : بخطه . يقول : إن الأقلام حين كتابته بها تفضل الرماح إذا باشرتها كفه . وعبارة ابن جنى : قلته أشرف من الرماح لأن كفه يباشره عند الخط فيحصل له الشرف والفخر على الرماح التى لم يباشرها . وهو من قول البحترى :

وأقلام كتاب إذا ما نصصتها إلى نَسَبٍ صارت رِمَاحِ فوارس

(نصصتها : من نص الحديث إلى فلان : رفعه) .

(٢) الضمير فى منه : للقصب ، والبنان : أطراف الأصابع ؛ والتية : الكبر والإدلال جرأة الرجل على صاحبه لمزية يراها فى نفسه . يقول : إن القلم الذى يمسه بينانه يظهر فيه الكبر ، حتى لو مشى ذلك القلم لتبختر تشرفا وعجبا بمسه إياه .

(٣) يقول : إذا ورد كتابه الأعداء يذروهم ويتوعددهم فعل كتابه فعل الجيش فردهم حائرين متلذذين خوفا وذعرا لبلاغة كلامه وشدة وعيده وعبارة الواحدى : يسحروهم ببيانه فينصرفون عنه حين عمل فيهم كلامه عمل السحر . وعبارة ابن جنى : إذا كتب إلى مخالف كتاباً لم يحتاج معه إلى لقاء الجيوش لأنه يبلغ ما يريد بالكتاب ، فكتابه يرد الجيوش راجعة تحيرا من فعل الكتاب ، وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

(١) الصليان : بنت .

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا أُرْتَكِبَتْ طَرِيقَةٌ
وَمَنْ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبَتْ غَضَنْفَرًا (١)
قَطَفَ الرَّجَالُ الْقَوْلَ وَقَتَ نَبَاتِهِ
وَقَطَفَتْ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا (٢)
فَهُوَ الْمَشِيعُ بِالْمَسَامِيعِ إِنْ مَضَى وَهُوَ الْمَضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا (٣)

تكفي عن النبيل أحيانا مكايدهُ وربما خانت أعلامه الأسلا
ومثله لآخر :

في كلِّ يومٍ له جُنْدٌ مُوجَّهَةٌ من المكاييد تطوى في الطوامير
(الطوامير : جمع طامور ، وهو الصحيفة)

(١) الغضنفر : الاسد ؛ والرديف : الراكب خلفك ، وارتكبت طريقة : يروي
ركبت طريقة . يقول : أنت منفرد في كل طريقة تأتها وتحاولها لا يقدر أحد أن يحذو
حذوك في طرائقك لصعوبتها وامتناعها . كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يكون رديفا
له . يعني أن أفعالك صعبة لا يقدر عليها أحد فلا يتبعك عليها مخافة تقصيره فيفتضح ،
قال الواحدي : وعلى هذا المعنى يكون الغضنفر مركوبا - يريد أنه مفعول ركبت - ويجوز
أن يكون حالا للممدوح : أي لا يقدر أحد أن يكون رديفا لك وأنت غضنفر .
(٢) يقول : إن أقوال الناس كالثمرة تقطف قبل ينعبها وإدراكها فهي خداج ليست
بمحلوة ولا غناء فيها ، أما أنت فقولك كالنبات إذا نور - أزهى - وبلغ أناه فهو حلوة
معسول قد بلغ الغاية في الحسن والكمال ، ويروي : قبل نباته ، قال العكبري : أي
قبل تمامه .

(٣) يقول : إن مسامع الناس تشيع قولك - أي تتبعه - في مسيره إذا انفصل
من فيك بالإقبال عليه والإصغاء إليه حبا له وشغفا به . وإذا كرر ازداد حسنه ، على
خلاف ما عهد من الكلام : فإنه إذا أعيد سميح ، وإذا تكرر تكرر (١) وفي هذا نظر
إلى قول أبي نواس :

(١) من تكرر الطعام والحبز : فسد وتعفن .

وَإِذَا سَكَتَ فَإِنَّ أْبْلَغَ خَاطِبٍ قَلَمَ لَكَ أُمَّخَذَ الْأَصَابِعِ مِنْبِرًا^(١)
وَرَسَائِلُ قَطَعَ الْعَدَاةُ سِحَاءَهَا
فَرَأَوْا قَنًا وَأَسِنَّةً وَسَنَوْرًا^(٢)
فَدَعَاكَ حُسْدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا
وَدَعَاكَ خَائِفُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرًا^(٣)
خَلَفَتْ صِفَاتُكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ
كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرًا^(٤)

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زده نظرا

ويقول البحرى :

مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ لَا يُحْ لَمَقَهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعْمِدِ

والشيع : يروى المتبع .

(١) يقول : إذا سكت ناب عنك قلمك ، فكان أبلغ خاطب ، منبره الأصابع .
(٢) ورسائل : عطف على قلم - في البيت السابق - والسحاء : ما يشد به الكتاب من آدم . والسنور : الحديد والدروع . وهذا البيت كالتفسير لقوله : ثنى الجيوش تحيرا يقول : إن الأعداء إذا قطعوا سحاء كتبك ورسائلك رأوا من بلاغتك وجزالة ألفاظك وقوة وعيدك ما يقتلهم ذعرا ويأسون معه من الاقتدار عليك فيقوم ذلك مقام السلاح في دفع الأعداء . ومثل هذا ما يحكى أن الرشيد كتب في جواب كتاب ملك الروم : قرأت كتابك والجواب ما تراه لا ما تقرأه ، فانظر إلى هذا اللفظ الوجيز كيف يملأ الأحشاء نارا ، ويدع القلوب أعشارا ، ويشعر النفوس حذارا ، ويعقب أقدام ذوى الإقدام نكوصا وفرارا ؟ وجميل قول بعضهم مما ينظر إلى هذا المعنى :

هَلْ تَذْكَرِينَ إِذِ الرِّسَائِلُ بَيْنَنَا

تجرى على الورق الذى لم يُغرس

أيام أسرارى لديك وسرّكم يهدى إلى مع الفصيح الأخرس

« ويريد بالورق الذى لم يغرس : البردى ونحوه ؛ وبالفصيح الأخرس : الكتاب . »
(٣) و (٤) المسمع الأذن . يقول : إن ما يشاهده الناس فيك من الصفات الشريفة

أَرَأَيْتَ هِمَّةَ نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ نَقَلَتْ يَدَا سُرْحًا وَخَفًا مُجْمَرًا^(١)
 تَرَكَتْ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا
 طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبِرًا^(٢)

التي آثرك الله بها : تدل على أنه سبحانه قد فضلك على سائر الرؤساء وجعلك الأكبر بينهم وإن لم ينطق بذلك لفظاً ، فكأنما هذه الصفات الظاهرة فيك خلف لكلامه ، يفهم منها ما يفهم منه ، ثم مثلها بالخط ؛ فإن معناه إنما يتناول بالبصر فيستفيد منه القلب ما يستفيدة بسماع الآذان ، فكأنه لفظ مسموع . وعبارة سائر الشراح : سماك الأعداء الرئيس وأمسكوا وسماك الله الرئيس الأكبر ، وقد علمنا ذلك لما قامت صفاتك الشريفة مقام كلام الله ، وهي تلك التي خصك الله بها في الدلالة على أنك أفضل الناس فصار كأنه - جل شأنه - دعاك الأكبر قولاً من حيث دعاك فعلاً ، كالخط فإن من كاتب كمن شافه وخطب ، ومن أعلم خطأ فكأنه أسمع فأفهم . وحاصل المعنى : أن الإنسان إذا رأى ما خصك الله به من كمال الفضل علم أنك مستحق عند الله أن تسمى الرئيس الأكبر ، فقوله خلفت صفاتك : تبين لقوله : ودعاك خالقك الرئيس الأكبر .

(١) السرح : السهلة السير ؛ والمجمر : الشديد الصلب ؛ ويقال أيضاً خف مجمر : أي خفيف سريع . قال الخوارزمي : أراد خفا خفيفاً فلم يوافقه اللفظ ، ولو وافقه لكان تجنيساً ظاهراً ، وإلا فإذا لم يوافقه فهو تجنيس معنوي . يذكر المتنبي علو همة ناقته حين قصدته وأنها استأثرت بذلك دون غيرها من النياق ، وهو إخبار عن علو همته هو لأنه يحمل ناقته في السير مالا يطيق أمثالها :

(٢) الرمث : نبت يوقد به . يشبه الغضا ، وهو من مراعى الإبل ؛ أما الرمث - بالفتح والتحريك - فهو خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب عليه في البحر ، والجمع أرماث . قال أبو صخر الهدلي :

تَمَنَّيْتُ مِنْ حَسْبِي بُتَيْنَةَ أَنَا عَلَى رَمْثٍ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفْرٌ
 (وفر : مال) .

يقول : تركت الأعراب ووقودهم وأتت قوما ووقودهم العنبر ، يعني الممدوح . وهذا من قول البحتری :

نزلوا بأرض الزعفران وجانبوا أرضاً ترب الشيوخ والقيصوما

وَتَكْرَمَتْ رُكْبَاتُهَا عَنْ مَبْرُكٍ
تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكَاً أَذْفَرًا (١)
فَأَتَتْكَ دَامِيَةً الْأَظْلَّ كَأَنَّهَا
حُذِيَتْ قَوَائِمُهَا الْعَقِيْقُ الْأَحْمَرَا (٢)
بَدَرَتْ إِلَيْكَ يَدَ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا
وَجَدْتَهُ مَشْغُولَ الْيَدَيْنِ مُفَكَّرَا (٣)
مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنَّى بَعْدَهَا
شَاهَدْتُ رَسْطَ الْيَسْرِ وَالْإِسْكَندَرَا (٤)

(١) الأذفر: أى الذكى الرائحة . يقول : تكرمت ناقتى عن أن تبرك إلا على المسك الأذفر . يريد أن العنبر بحضرة المدوح يوقد به والمسك تمتهن عنده بحيث يبرك عليه البعير ؛ والركبات : جمع ركبة ، وإنما عنى اثنين بدليل قوله تقعان . قال العكبرى ركباتها جمع ركبة ، وإنما عنى اثنين وهو كقوله جل وعلا « فقد صنعت قلوبكم » وذلك أن أقل الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنهما بالجمع ، ودل على أنه أراد التثنية أنه أخبر عنهما بالتثنية فقال تقعان ؛ ويجوز أن يكون أراد الجمع فسمى كل جزء منهما ركبة ، كقولهم : شابت مفارقه ، وهو مفرق واحد ، وإنما أراد كل جزء من المفرق ، ثم رجع إلى الحقيقة فقال تقعان .

(٢) الأظل : باطن خف البعير ؛ وحذيت : أى جعل لها حذاء ، وهو النعل . يقول : أتتك الناقة وقد دميت أخفافها لطول السير وحزونة الطريق حتى كأنها اتلعت العقيق الأحمر ، كما قال الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمَاتِ أَيْدِي جَوَارٍ بَيْنَ نَاعِمَاتِ

أى تخلصت بالدم خضاب هؤلاء الجوارى .

(٣) بدرت : سبقت . يقول : سبقت إليك العوائق وصروف الزمان فكأنها وجدت الزمان مشغولاً عنها فانتهزت الفرصة فى قصدك فإن الزمان موكل صرفه بدفع الخيرات .

(٤) بعدها : أى بعد الأعراب . يقول من الذى يبلغ الأعراب أنى بعد أن فارقتهم

وَمَلَّتْ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَصَافَ فِي
مَنْ يَنْحَرُ الْبِدْرَ النَّضَارَ لِمَنْ قَرَى (١)
وَسَمِعْتُ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كُتُبِهِ
مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرًا (٢)

رأيت عالماً هو في علمه وحكمته مثل أرسطوطاليس . وملكا هو في سعة ملكه كالإسكندر؟ قال الواحدى : وأرسطوطاليس : اسم رومى ، لما أراد المتنبي استعماله : حذف بعضه ، فإن العرب تجترى على استعمال الأسماء الأعجمية ؛ فإن أمكن نقلها إلى أوزانهم : نقلوها ، وإن لم يمكن نقلها حذفوا بعضها ، ومثل هذا الاسم في كثرة حروفه لا يوجد في كلام العرب .

(١) العشار : جمع عشاء ، وهى فى الأصل : التى لملها عشرة أشهر ، والمزاد هنا : النياق الوالدات ، والبدر : جمع بدرة ، وهى كيس فيه سبعة آلاف دينار ، وقيل عشرة ؛ والنضار : الذهب . يقول : مللت فى صحبة الأعراب نحر الإبل ولحومها فأضافنى من يجعل قراه بدر الذهب ، وإعنا استعمل النحر فى البدر لذكركه نحر العشار ، ومعنى نحر البدر : فتحها لإعطاء ما فيها من الذهب . وهذا من قول البحترى :

مَلِكٌ بَعَالِيَةِ الْعِرَاقِ قِبَابُهُ
يَقْرَى الْبُدُورَ بِهَا وَنَحْنُ ضِيُوفُهُ

(٢) بطليموس : هو الفلكى صاحب المجسطى ، يشبه ابن العميد ببطليموس فى علمه وحكمته . يقول : سمعت ابن العميد وهو يدرس كتب نفسه - أى يتكلم بالعلوم التى فيها - وقد جمع بين جلالة الملك ، وفصاحة البدو ، وظرافة الحضر . قال الواحدى : وبطليموس : يعنى ابن العميد ، سماه بهذا : للمشابهة بينه وبين هذا الحكيم ؛ ونصب دارس كتبه : على الحال ، وكذلك ما بعده . ويجوز أن يريد أنه سمع من ابن العميد ما عفا ودرس من كتب بطليموس لأنه أحياه بذكائه وجودة قريحته . ويكون التقدير سمعت دارس كتب بطليموس ولكنه قدم ذكره ثم كنى عنه ، ويجوز أن يكون دارس كتبه : مفعولاً ثانياً ، كما تقول : سمعت زيدا هذا الحديث .

وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُهُمُ نَفْسَهُمْ وَالْأَعْرَابُ (١)
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
وَأَتَى فِذْلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا (٢)
يَالَيْتَ بَاكِيَةً شَجَابِي دَمْعَهَا
نَظَرْتُ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَمَّ ذِرَا (٣)

(١) يقول : لقيت بلقائه كل من له فضل وعلم من المتقدمين ، فكان الله أحياءم ورد عصورهم حتى لقيتهم كلهم : يعنى أن فيه من الفضل ما كان في جميع الفضلاء . وفي مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي :

أَتَيْتُهُ وَأَنَا الْمَلُوءُ مِنْ غَضَبٍ عَلَى الزَّمَانِ فَسَرَى عَنِّي الْغَضَبَا
فَلَوْ حَلَفْتُ لَمَا كُذِّبْتُ يَوْمًا

أنى لقيت هناك العُجْم ، والعربا

(٢) نسقوا : سردوا . وقوله فذلِكَ : فاعل أتى . وهى حكاية قول الحاسب إذا أجمل حسابه : فذلِكَ كذا وكذا . يقول : إن هؤلاء الفضائل قد تتابعوا متقدمين عليك في الزمان ، فلما أتيت بعدهم جمعت ما كان فيهم من الفضائل فكنت منهم بمثابة إجمال الحاسب : الذى تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب في آخرها : فذلِكَ كذا وكذا . وعبارة الواحدى : يقول : جمع لنا الفضلاء في الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود ؛ فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضائل ما كان فيهم : مثل الحاسب تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب في آخر الحاسب ؛ فذلِكَ كذا وكذا : فيجمع في الجملة ما ذكر في التفصيل ، كذلك أنت : جمع فيك من الفضل ما فرق فيهم . وهذا ينظر إلى قول القائل :

وَفِي النَّاسِ مِمَّا خُصِّصْتُمْ بِهِ

تَفَارِيقٍ لَكِنْ لَكُمْ مُجْتَمِعٌ

(٣) يقول : ليت الباكية التى بكت على فراقى وأحزنتى بكاؤها رأيتك كما رأيتك ، لتعذرني في فراقها وركوب الأهوال والأخطار في سفرى إليك . وقوله : فتعذرا قال العكبرى : نصها على جواب التمنى بإضمار « أن » عند البصريين وبالفاء نفسها عندنا .

وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً
الْشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنُورًا (١)
أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطِيبُ مَنْزِلًا
وَأَسْرُ رَاحِلَةً وَأَرْبَحُ مَتَجَرًا (٢)

(١) ترى : أى الباكية ؛ ولا ترد فضيلة : مفعول ثان لترى ؛ والشمس : بدل من الفضيلة ؛ والسحاب معطوف عليها وتشرق حال من الشمس ؛ والكنهور : العظيم المتكاثف ، وهو حال من السحاب ، يقول : إن هذه الباكية ترى الفضيلة عندك لا ترد ضدها من الفضائل على ما عهدنا فى المتضادين ، ثم فسر ذلك فقال : يريك الشمس مشرقة والسحاب كنهوراً : أى يريك المدوح فى حال واحدة هذين المتضادين ؛ فوجهه كالشمس إضاءة ، ونائله كالسحاب الكنهور فىضاً ، فقد اجتمعان فى وقت واحد ، مع أن السحاب الكنهور فى الحقيقة يستر الشمس فلا يجتمعان . والمراد : أنه يتدفق بالحوال ويتبلج عند السؤال . وقد قال فى هذا المعنى محمد بن على بن بسام :

الْشَّمْسُ غَرَّتُهُ وَالغَيْثُ رَاحَتُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِقَيْثٍ جَاءَ مِنْ شَمْسٍ
وأوضحه ابن الرومى فقال :

يُلْقَى مُنِيًا مُشْمِسًا فِي حَالَةٍ هَاطِلِ الْإِغَامَةِ نَيْرِ الْإِشْمَاسِ
وقال أيضاً :

لِكُلِّ جَلِيسٍ مِنْ يَدَيْهِ وَوَجْهِهِ
مَدَى الدَّهْرِ يَوْمٌ غَائِمٌ الْجَوْ شَامِسٌ

وتبعه البحترى فقال :

وَأَبْيَضَ وَضَاحٍ إِذَا مَا تَغَيَّمَتْ يَدَاهُ تَجَلَّى وَجْهُهُ فَتَقَشَّعَا
وقال الرضى :

أَمْطَرُوا الْجُودَ مُضِيئًا بِشَرِّهِمْ فَرَأَيْنَاهُمْ مُشْمُوسًا وَغَمَامًا

(٢) يقول : طاب مكانى ومنزلى بقصده ، وسرتنى راحلتى إذ أدتني إليه ، وتجارتي أربح من تجارة غيرى إذ اشترى شعرى بأوفر الأثمان . فقد بلغت فى ذلك كله ما لم يبلغه أحد من الناس ؛ وقال الواحدى . قوله : وأسْر راحلة : هو مبالغة من السر ؛ أى

زُحَلَّ عَلَى أَنَّ الْكُؤَاكِبَ قَوْمُهُ
لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَعْشَرًا (١)

أخفتى بسررها ليلا حتى أتيتك ؛ وإن كان من السرور فيكون سرور صاحبها هو المراد بسرورها . وقوله : منزلا وما بعده ، منصوب على التمييز ، والتجر : ما يتخذ للتجارة .
(١) جعل الكواكب المحيطة بزحل : كالقوم له ، إذ أنه يسمى شيخ النجوم .
يقول : لو كان زحل من عشيرتك لكانت عشيرته حينئذ أكرم من عشيرته الآن مع أن عشيرته النجوم : يعنى أن قوم الممدوح ورهطه أشرف من النجوم . هذا وقوله زحل : مبتدأ ، وقوله : لو كان منك الخ ، خبر ، والمعشر والعشيرة : قوم الرجل وأهله .

قافية الزاى

وقال بدمشق يمدح أبا بكر على بن صالح الروذبارى الكاتب :

كُفِرَ نَدَى فِرْنَدُ سَيْفِي الْجُرَازِ لَذَّةُ الْعَيْنِ عُدَّةٌ لِلْبِرَازِ (١)
تَحَسَّبُ الْمَاءَ خَطًّا فِي هَلْبِ النَّأِ

رِ أَدَقَّ الْخُطُوطِ فِي الْأَحْرَازِ (٢)

كَلَّمَا رُمْتَ لَوْنَهُ مَنَعَ النَّأِ ظِرْمَوْجٌ كَأَنَّهُ مِنْكَ هَازِي (٣)

(١) الفرند : جوهر السيف ، وهى الخضرة التى تردد فيه ، معرب دخيل ، والجرّاز : القاطع . والبراز : مبارزة الأقران فى الحرب . يقول : إن سيفى يشبهنى فى الضاء ، وهو حسن فى مرآة العين ، عدة لمبارزة الأقران ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِرْنَدٌ مُشْرِقٌ وَهَمُّ الْفِرْنَدِ لِهَوْلَاءِ النَّاسِ

(٢) الأحرّاز : جمع حرز . وهو العوذة يكتب فيها الرقى . سميت كذلك لأنها

تحرز صاحبها من العين . شبه بريق سيفه باللهب وآثار الفرند فيه ودقته بخطوط من الماء دقيقة كأذى الخطوط فى الأحرّاز وقد جرت العادة بتدقيق خطوط الأحرّاز .

وهذا ينظر إلى قول القائل :

مَاضٍ تَرَى فِي مَتْنِهِ مَاءَ بِنَارٍ مُخْتَلِطٍ

ومثله :

كَأَنَّهُ فِي طَبَعِهِ وَاللَّوْنِ مَاءٌ وَلَطَى

(٣) هازى : أصلها هازىء - بالهمز - خفف للقافية : يقول : كلما حاولت أن

تعرف لونه وأنعمت النظر : منع ناظرك من الوقوف عليه ماؤه وبياضه الذى يتردد فيه كالوج فكأنه يهزأ بك ، لأنه لا يستقر حتى ينفذ فيه شعاع عينيك . وهذا ينظر إلى

قول الآخر :

وَكأن الْفِرْنَدَ وَالرُّوْتَقَ الْجَارِيَّ فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِين

ولابن أبى زرعة :

مَتَرَدَّدٌ فِيهِ الْفِرْنَدُ تَرَدَّدَ الْمَاءِ الرُّلَالِ

وَدَقِيقٌ قَدَىٰ أَلْهَبَاءٍ أُنِيقٌ مُتَوَالٍ فِي مُسْتَوٍ هَزَاهَاً (١)
وَرَدَّ الْمَاءَ فَالْجَوَانِبُ قَدْرًا شَرِبَتْ وَالَّتِي تَلِيهَا جَوَازِي (٢)

هذا : ويقال هزءاً به يهزأ هزأ وهزواً ومهزأة وتهزأ به واستهزأ : سخر، ورجل هزأة - بالتحريك - يهزأ بالناس ، ورجل هزأة بالتسكين - يهزأ به ، وقالوا إنما يقال هزئت بك ، ولا يقال هزئت منك . ويقال سخرت منك ، ولا يقال سخرت بك . (١) دقيق : عطف على موج ، وهو نعت لمحدوف : أى وفرند دقيق . والقذى فى الأصل : ما يقع فى العين . وقذى : فاعل دقيق ، أو مشبه بالمفعول - على حد قولك : زيد حسن وجه الأب - والهباء : ما تراه فى الشمس إذا دخلت من موضع ضيق . والأنيق : الحسن المعجب . والمتوالى : المتتابع . ومستو : نعت لمحدوف . أى فى صفح ، أو متن مستو . وهزهاز : مضطرب . أى ويمنع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه قذى يتطاير إلى عينه فيمنعه النظر . وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط فى صفح مستو كثير الاضطراب والحركة يذهب ويحىء ، ويقال : سيف هزهاز وهزهاز : كأن ماءه يذهب عليه ويحىء ، وروى ابن جنى : قذى الهباء : من قولهم قذى رمح ، وقادرمح ، وقيد رمح : أى مقداره .

(٢) الجوازي : أصلها الممزمز ، جمع جازئة : من قولهم جزأت الإبل أو الوحش بالرطب - أى بالخرصة - عن الماء : أى استغنت به عنه ، قال الشماخ بن ضرار :

إذا الأُرطى تَوَسَّدَ أُرْدِيهِ خَدُودُ جَوَازِيءٍ بِالرَّمْلِ عَيْنِ (١)

وقوله قدراً شربت : أى شربت قدراً ؛ فقدراً مفعول شربت . يقول : إن هذا السيف أشربت جوانبه من الماء عند صنعه مقداراً يليها ، أما ما يليها من المتن فلم يشرب لأنه لا يسقى جميع السيف ، بل تسقى شفرتاه ويترك المتن ليكون أثبت عند الضرب فلا ينقصف .

(١) الأُرطى : مقصور ، شجر يدبغ به ، وتوسد أُرديهِ : أى اتخذ الأُرطى فى أُرديهِ كاللوسادة ، والأبردان : الظل والفيء ، سماً بذلك لبردهما ، والابردان أيضاً : الغداة والعشى ، وانتصاب أُرديهِ : على الظرف ، والأرطى : مفعول مقدم لتوسد ، أى توسد خدود البقر الأُرطى فى أُرديهِ ، والجوازي : البقر التى جزأت بالرطب عن الماء ، والعين : جمع عيناء وهى الواسعة العين .

حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حَتَّى هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى خَرَازٍ^(١)
وَهُوَ لَا تَلْحَقُ الدَّمَاءُ غِرَارِيَهُ وَلَا عَرِضَ مُنْتَضِيهِ الْمَخَازِي^(٢)

(١) الحمائل : جمع حمالة ، ما يحمل به ، والخراز : الذى يخرز الحمائل وغيرها بالسيور . يقول : إن هذا السيف من قدمه وتداول الأيدي عليه قد أخلقت حمائله ، واحتاجت لذلك إلى الخراز لتجديدها ، وإضافة الحمائل إلى الدهر مجاز ، أراد أنه قديم قد أخلق طول الدهر حمائله ، فلما كثر حاملوه بطول الدهر كان كأن الدهر حامل له . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَدْبُلْ

(٢) غراره : حدها ، والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ، وانتضى السيف : سله ، والمخازى جمع مخزاة ، ما يخزى به الإنسان . يقول : إن سيفى لسرعة قطعه يسبق الدم فلا يلصق به ولا يتلطح . ولا تدرك المخازى عرض منتضيه . يعنى نفسه - لحسن بلائه عند الوغى . وهذا من قول الأول :

بِكُلِّ حُسَامٍ كَالْعَقِيْقَةِ صَارِمٍ إِذَا قَدَّ لَمْ يَعْلَقَ بِصَفْحَتِهِ الدَّمُ

هذا ، ولقد كر العرض نورد ما أورده العكبرى هنا من معانى العرض ، إذ اشتربنا على أنفسنا أن لا ندع شيئاً مما أورده سائر الشراح إلا أثبتناه فى هذا الشرح ، وإن كان الكثير منه لا ضرورة إليه .

قال - وقال معه أهل اللغة وعمدته دائماً فى اللغة الجوهري صاحب الصحاح : - والعرض النفس ، والعرض الحسب ، وفلان نقى العرض : برىء من أن يشتم ، والعرض : الجسد . وفى صفة أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم : « لا يتغوطون ولا يبولون ، إنما هو عرق يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك » أى من أجسادهم ، والعرض كل واد فيه شجر ، قال الشاعر :

لَعَرِضٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ يُسَمَّى حَمَامَةً وَيُضْحَى عَلَى أَفْنَانِهِ الْغَيْنِ يَهْتَفُ
أَحَبُّ إِلَى قَلْبِي مِنَ الدَّيْكِ رَنَّةٌ وَبَابٌ إِذَا مَا مَالَ لِلْعَلْقِ يَصْرِفُ

(١) الغين : جمع غيناء ، أى خضراء كثيرة الورق ملتفة ، وصريف الباب : صريره .

يَا مُزِيلَ الظَّلَامِ عَنِّي وَرَوْضِي
يَوْمَ شُرْبِي وَمَعْقِلِي فِي الْبِرَازِ (١)
وَاليَمَانِي الَّذِي لَوْ أُسْطَعْتُ كَانَتْ
مُقَلَّتِي غَمْدَهُ مِنَ الْإِعْزَازِ (٢)

(١) البراز : الخلاء أو الصحراء . يقول — لسيفه — : أنت تزيل عنى الظلام بصفائك وروقتك : يعني أنه يستصبح ببيرقه إذا اشتد سواد الغبار فصار كالظلام ، وأنت روضي يوم شربي : يريد كما أن شارب الراح يشربها على الرياض والبساتين : فروضي يوم أشرب دماء الأعداء — أي يوم الحرب — هو أنت ، وذلك لحضرته ، والسيف يوصف بالحضرة ، كما قال الحمصي في مقصورة له :

مُهَنْدٌ كَأَنَّمَا طَبَّأَهُ أَشْرَبَهُ بِالْهِنْدِ مَاءَ الْهِنْدَابِ (١)

ومثله للبحري :

حَمَلْتُ حَمَائِلَهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذُبْ

ثم قال التنبي : ويا حصني الذي أتحصن به وأذود عن نفسي في البراز : أي الصحراء وما إليها من الفضاء .

(٢) يقول : لشدة إعزازي له وإبقائي عليه لو استطعت لجعلت عيني غمداً له ، واليمني : أي المنسوب إلى اليمن ، والأفصح : يعني ويمان ، لأن الألف عوض من ياء النسب ، فلا يجتمعان .

قال سيويه : وبعضهم يقول يمني — بالتشديد — قال أمية بن خلف :

يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشُدُّ كِبْرًا وَيَنْفُخُ دَائِمًا هَبَّ الشَّوَاظِ

وقال العكبري : اليمني في موضع نصب بالنداء ، كأنه قال : يا مزيل الظلام ، ويا اليمني ، ثم قال : وهو جائز عندنا — يريد الكوفيين — أن ينادى ما فيه التعريف نحو : يا الرجل ، ويا الغلام ، وأبي البصريون ذلك . وحجتنا أنه قد جاء في أشعارهم وكلامهم ، قال الشاعر :

(١) الهندبا — يمد ويقصر — بقلة من أحرار البقول .

إِنَّ بَرَقِي إِذَا بَرَقْتَ فَعَالِي وَصَلِيلِي إِذَا صَلَلْتَ أُرْتَجَازِي (١)
لَمْ أَحْمَلْكَ مُعَلِّمًا هَكَذَا إِلَّا لِيَضْرِبَ الرِّقَابَ وَالْأَجْوَازَ (٢)
وَلَقِطْعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا فَكِلَانَا لِحُسْنِهِ الْيَوْمَ غَازِي (٣)

فيا الغلامان اللذان فرّا إيا كما أن تكسبانا شرّاً (١)
وقال الآخر :

فَدَيْتُكَ يَا الَّتِي تَيْمَمْتُ قَلْبِي وَأَنْتَ بِحَيْلَةٍ بِالْوَصْلِ عَنِي (٢)
ويدل على صحة قولنا : إجماعنا على أنه يجوز أن يقال في الدعاء : يا الله ، والألف واللام فيه زائدتان . وحجة البصريين أن الالف واللام للتعريف ، وحرف النداء يفيد التعريف ، وتعريفان في كلمة لا يجوز .

(١) الفاعل : الفعل الحسن ، والصليل : الصوت ، والارتجاز : قول الرجز من الشعر . يقارن ما بين سيفه ونفسه ؛ يقول : إذا كان لك برق ، فهناك فعلى بإزائه ، وإذا ارتفع صليلك — صوتك — في الضريبة ، فإن صليلي هو إنشادي الأراجيز من شعري .

(٢) العلم : الذي قد شهر نفسه في الحرب بعلامة يعرف بها ، وهو مما كانت تفعله الأبطال من العرب ؛ ومعلماً : حال من المتكلم ؛ والأجواز : الأوساط ، جمع جوز ، يقول : لم أحملك في الحرب لزينة ، وإنما لضرب الرقاب وأوساط الرجال . ويروي : ولم أحملك . ، قال العكبري : حرك الساكن وحذف الهمزة ، وهي لغة جيدة جاءت في أشعارهم وخطبهم وكلامهم .

(٣) يقول : ولم أحملك إلا لأقطع بك الحديد الذي على الرقاب والأجواز

(١) هذا البيت والذي بعده شائعان في كتب النحو ولم يعرف لهما قائل ولا ضميمه وإيا كما : تحذير ، وأن تكسبانا : أي من أن تكسبانا ، وماضيه كسب : يتعدى إلى مفعولين يقال كسبت زيداً مالا وعلماً : أي أنلته . قال ثعلب : كلهم يقول كسبك فلان خيراً إلا ابن الأعرابي ، فإنه يقول : أ كسبك ، بالألف .

(٢) قوله فديتك : يروي من أجلك . أي من أجلك قاسيت ما قاسيت مثلاً وقوله : تيمت كان القياس أن يقول تيمت بناء التأنيث على الغيبة ، لكن جاء على نحو

* أنا الذي سممتني أمي حيدرته *

والقياس : سمته ، وجملة أنت بحيلة : حال عاملها « تيمت » .

سَلَّهُ الرَّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ فَتَصَدَّى لِلغَيْثِ أَهْلُ الحِجَازِ (١)
 وَتَمَنَيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّي طَالِبٌ لِابْنِ صَالِحٍ مَنْ يُوَازِي (٢)
 لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالرُّوْذِبَارِ يٌ وَلَا كُلُّ مَا يَطِيرُ بِيَارِ (٣)

— الأوساط — يعنى الدروع والمغافر فأنا أغزو الناس وأنت تغزو الحديد ، فكلانا يغزو جنسه .

فقوله : ولقطعى : عطف على قوله لضرب الرقاب ، وعليها : حال من الحديد . هذا ، ويقال : رجل غاز ، والجمع غزاة كقاض وقضاة ، وغزى - بتشديد الزاى - مثل سابق وسبق ؛ وغزى ، على مثال فاعيل مثل حاج وحجيج وفاطن وفطين . قال زياد الأعجم :

قل للقوافل والغزى إذا غزوا والباكرين ولمجدد الرامح
 وغزاء أيضا بالمد : مثل فاسق وفساق ، قل تأبط شرأ :

فيوماً بغزاءً ويوماً بسريةٍ ويوماً بحشاش من الرجل هيمضل
 « سرية : اسم من الأسراء ، والحشاش : الجماعة الكثيرة ، والهيمضل : الجيش الكثير ، والرجل : اسم جمع أو جمع راجل ، أى مشاة » والنسبة إلى الغزو غزوى ، وكله الذى يغزو العدو ، وأصله القصد .

(١) الركض : العدو السريع ، والوهن : هو نحو من نصف الليل ؛ ومثله الموهن ، وقيل : هو حين يبرد الليل ؛ وتصدى : تعرض ، والغيث : المطر . يقول : ركضنا الخيل فكان من شدة جريها أن انسل هذا السيف من غمده ونحن بنجد بعد صدر من الليل ، فظن أهل الحجاز لمعانه ضوء برق فارتقبوا نزول المطر . وهذا من قول على بن الجهم فى قبة المتوكل :

إذا أوقدت نارها بالعراق أضاء الحجاز سنا نارها
 والأصل قول الوائلى :

ماسلله أهل الحجاز لحاجةٍ إلا يبشّرُ بالسحاب الشاما

قال ابن جنى : خص أهل الحجاز لأن فيهم طمعا ، أو لأن القافية جرت إليهم .
 (٢) يوازى : يعادل ويمائل . وابن صالح : هو المدوح . يقول : هما فريدان ، لا نظير لسيفي ولا لهذا المدوح . وهذا من أحسن المحالض .
 (٣) السراة : جمع سرى - الشريف - والرذبارى : المدوح ، نسبة إلى بلد

فَارِسِيٌّ لَهُ مِنْ الْمَجْدِ تَاجٌ
كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَازٍ^(١)
نَفْسُهُ فَوْقَ كُلِّ أَصْلٍ شَرِيفٍ
وَلَوْ أَنِّي لَهُ إِلَى الشَّمْسِ عَازِيٌّ^(٢)
وَكَانَ الْفَرِيدَ وَالذَّرَّ وَالْيَا
قُوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَامَ الرُّكَازِ^(٣)
شَفَلَتْ قَلْبَهُ حِسَانُ الْمَعَالِي
عَنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ وَالْأَعْجَازِ^(٤)

أبيه « روذبار » بلد من بلاد العجم . يقول : هو من العلية الأشراف ، وهو بينهم كالبلazy بين سائر الطير : أى ليس أحد مثل هذا المدوح الذى قد جمع ما تفرق فى غيره من العلية . وهذا المعنى ينظر إلى قول الحماسى :

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ
(١) أبرواز : هو أبرويز أحد الأكَسرة ، ملوك العجم ، تصرف فيه كعادة العرب تتصرف فى الأسماء الأعجمية ما شاءت . يقول : إنه من أولاد ملوك فارس ، وله تاج من المجد كان مثله من الجوهر على رأس أبرويز ، يريد أنه معرق له عظامى .
(٢) تقول : عزوته إلى فلان : إذا نسبته إليه ، أعزوه ، فأنا عاز . يقول : هو هو بنفسه أجل من كل أصل شريف ، حتى لو نسبته إلى الشمس كان أشرف منها .
(٣) وسام الرُكَاز : عطف على الفريد . والفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره ، أو هو الكبار من الدر . والسام : عروق الذهب ، وأضافه إلى الرُكَاز لأن الرُكَاز معدن الذهب . يقول : إن هذه الأشياء كأنها أخذت من لفظه لحسنه وانتظامه .
(٤) الأعجاز . جمع عجز ، وهو أسفل كل شىء . يقول : إن شغله الشاغل إنما هو المعالى ، لا مغازلة النساء . وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرمًا فمَازِلَتْ بِالْبَيْضِ الْقَوَاصِبِ مَغْرَمًا
ومن تَيَمَّتْ سَمْرُ الحِسَانِ وَأَدْمُهَا
فَمَا زَلَتْ بِالسَّمْرِ العَوَالِي مُتَمِيمًا

تَقْضَمُ الْجَمْرَ وَالْحَدِيدَ الْأَعَادِي

دُونَهُ قَضَمَ سُكَّرَ الْأَهْوَازِ (١)

بَلَّغَتْهُ الْبَلَاغَةُ الْجُهْدَ بِالْعَفْوِ وَنَالَ الْإِسْهَابَ بِالْإِبْجَازِ (٢)

حَامِلُ الْحَرْبِ وَالْدِيَاتِ عَنِ الْقَوْمِ مِثْلُ وَثِقَلِ الدُّيُونِ وَالْإِعْوَازِ (٣)

ويقول :

عَدَاكَ حَرَّ النَّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سُلْسِلِهَا الْخُصْبِ (١)

(١) القضم : أكل الشيء اليابس . والآهوز : كور بين البصرة وفارس . يقول :
لحق أعدائه عليه وشدة غيظهم من جراء قصورهم دونه يقضمون الجمر والحديد كما
يقضم السكر . وهذا من قول الأعشى :

فَعَضَّ حَدِيدَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا

بِفَيْكَ وَأَحْجَارَ الْكَلَابِ الرَّوَاهِصِ (٢)

وقول أبي العتاهية :

كَأَنَّ الْمَطَايَا الْمُجْهَدَاتِ مِنَ الشَّرِيِّ إِلَى بَابِهِ يَقْضَمْنَ بِالْجُهْدِ سُكَّرًا

(٢) العفو : ليسور — من عفو المال : ما فضل عن النفقة فبذل بسهولة . والجهد :
المشقة ، والإسهاب : الإكثار . يقول : إنه من البلاغة بحيث يبلغ باليسر والسهولة
ما يبلغه غيره بالمشقة وجهد الروية ، وينال بإيجازه في القول ما ينال غيره بالإسهاب .
وما أجمل قول البحترى :

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ

حُزْنٌ مَسْتَعْمَلُ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنُّبٌ ظَلَمَةَ التَّعْقِيدِ

(٣) الديات : جمع دية ، ما يؤخذ من القاتل عن القاتل . والإعواز : الحاجة والفقر .

(١) سلسلها : يريد ريقها ، والحصب : الذي فيه الحصباء ، وهي صغار الحصى .

(٢) عض : أمر ، من عض يعض ، والكلاب — بضم الكاف ، وتخفيف اللام —

اسم ماء كانت عنده إحدى الوقائع ؛ والرواهص : صفة للأحجار ، وهي الثابتة
المتحركة المترصفة .

كَيْفَ لَا يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشْكُوا

وَبِهِ لَا يَمْنُ شَاكَهَا الْمَرَاذِي (١)

أَيْهَا الْوَاسِعُ الْفِنَاءُ وَمَا فِيهِ مَبِيتٌ لِمَالِكِ الْمُجْتَازِ (٢)

بِكَ أَضْحَى شَبَا الْأَسِنَّةِ عِنْدِي كَشَبَا أَسْوَقِ الْجِرَادِ النَّوَاذِي (٣)

وَأَنْدَنِي عَنِّي الرَّذَائِي حَتَّى دَارَ دَوْرَ الْخُرُوفِ فِي هَوَازِ (٤)

وَبَابَانِكَ الْكِرَامِ التَّاسِي وَالنَّسْلِي عَمَّنْ مَضَى وَالتَّعَاذِي (٥)

(١) المرادى : الرزايا ، جمع مرزئة . فأصله الهمز . وخفف للضرورة . وضمير تشكوا : للقوم . يقول : إني لأعجب كيف لا يشتكى ثقل ما يحمل عن قومه ، وكيف يشتكى رزية أحد من قومه وهو حاملها عنه ؟

(٢) فناء الدار . ساحتها ، والمجتاز : الذى يجوز بالمكان ولا يعرج عليه . يقول : إن فناء داره واسع ودوره كثيرة متوافرة ، ومع ذلك يجتاز به ماله فلا يقيم عنده ولا يجد مكانا يبيت فيه . يعنى أنه معطاء يبذل ماله فلا يبقى عنده .

(٣) شبا الأسنّة : حدها . وأسوق : جمع ساق . والنواذى - من قولك نزا الجراد ينزو - وثب . يقول : لما صرت فى جوارك واعتصمت بك صرت لا أكرث لمدو ولا سلاح حتى صار سنان الرمح فى نظرى كساق الجراد لقلّة مبالاى به .

(٤) قوله فى هواز : أراد فى هوز . والعرب تنطق بهذه الكلمات على غير ما وضعت ، كما قال أبو حنّس فى البرامكة :

أَبُو جَادِهِمْ بَدَلُ النَّوَى يُلْهِمُونَهُ وَمُعْجَمُهُمْ بِالسَّوْطِ ضَرْبُ الْفَوَارِسِ

وإنما هو أبجد . يقول المتنبي : ارتد الرمح عنى والتوى على نفسه التواء الحروف المدورة فى هوز ، وهى الهاء والواو والزاي ؛ والجيد فى تعطف الرماح قول أبى العلاء المعرى :

وَتَعَطَفَتْ لَعِبَ الصَّلَالِ مِنَ الْأَسَى فَالزَّجُّ عِنْدَ الْهَذْمِ الرَّعَافِ

(يقول المعرى : تعطفت الرماح من الحزن كما تتعطف الحيات ، وتتولى إذا لعبت حتى تجمع رءوسها إلى أذنانها : أى تتأود الرماح من الحزن حتى تجتمع أسنتها وزجاجها) .

(٥) التأسى : التعزى ؛ والتعازى : جمع تعزية . يقول : إنما يعزى عمن مضى منا بذكر آبائك الكرام ، فاذا ذكرنا قدمنا بعدهم : هان علينا قدمنا بعدهم .

تَرَكَوا الْأَرْضَ بَعْدَ مَا ذَلَّلُوهاَ وَمَشَتْ تَحْتَهُمْ بِلاَ مِهْمَازٍ (١)
وَأَطَاعَهُمُ الْجِيُوشُ وَهَيَّبُوا فَكَلَامُ الْوَرَى لَهُمْ كَالنَّحَازِ (٢)
وَهِجَانٍ عَلَى هِجَانٍ تَأَيَّتِكَ عَدِيدَ الْحُبُوبِ فِي الْأَقْوَازِ (٣)

(١) المِهْمَاز : حديدة تجعل في عقب الراكب ، ينخس بها بطن الدابة لتسرع في المشى . يقول : ماتوا بعد أن ملكوا الأرض وانقادت لهم انقياد الدابة الذلول التي تمشى بغير مِهْمَاز .

(٢) النَحَاز : داء يصيب الإبل والغنم في صدورها يشبه السعال . وهَيَّبُوا : أى هابهم الناس . قال ابن جنى : أى لما صاروا إلى هذه الحالة من علو الكلمة وإطاعة الجيوش إياهم صاروا لا يعأون بكلام أحد . وقال الواحدي : وأجود من هذا أن يقال : السعال يرقق الصوت ؛ والمعنى : لهيبتهم كان الناس لا يرفعون الصوت :

(٣) وَهِجَانٍ : أى ورب هجان ؛ والهجان من الإبل والناس : الكرام الخالصة النسب ، وتأيتك وتأيتك : أتت إليك وقصدتك ، يقال تأيا الشيء وتأياه : أى تعمد آيته ، أى شخصه ، وقصده ؛ وآية الرجل : شخصه ، قال :

الْحُصْنُ أَذْنَى لَوْ تَأَيَّيْتَهُ مِنْ حَمِيكَ التَّرْبِ عَلَى الرَّاكَبِ (١)
وقال لقيط بن معمر الأيادي :

أبناء قومٍ تَأَيَّوْا كَمْ عَلَى حَنْقٍ لَا يَشْعُرُونَ أَضَرَ اللَّهُ أُمَّ نَفَعًا
وقد استشهد بعض الشراح ببيت الأعشى :

إِذَا مَا تَأَيَّيْتُ يُرِيدُ الْقِيَامَ تَهَادَى كَمَا قَدَرَأَيْتَ الْبَهِيرَا (٢)

مورد بن إياه إذا ماتأيا ، وهذا خطأ منهم ، لأنه إذا ماتأني ؛ وتأني للشيء : تهيأ له والأقواز : جمع قوز ، القطعة المستديرة من الرمل ، شبه الراية . يقول : رب رجال كرام على إبل كريمه قصدوك في مثل عدد حبات الرمل كثيرة ،

(١) هذا البيت لا مرأة تخاطب ابنتها ، وقد قالت لها :

يَا أُمَّتِي أَبْصُرْنِي رَاكِبٌ يَسِيرُ فِي مُسْحَنَفَرٍ لِاحِبٍ

مَازَلْتُ أَحْشُو التَّرْبَ فِي وَجْهِهِ عَمْدًا وَأَحْمِي حَوْزَةَ الْغَائِبِ

فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : الْحِصْنُ ... الخ

(٢) بهيرا : أى مهورا ، أى أصابه البهر ، وهو انقطاع النفس من الإعياء .

صَفَهَا السَّيْرُ فِي الْعَرَاءِ فَكَانَتْ فَوْقَ مِثْلِ الْمَلَاءِ مِثْلَ الطَّرَازِ (١)
وَحَكَمِي فِي اللَّحْمِ فَعَلَّكَ فِي الْوَفْرِ فَأَوْدَى بِالْعَمْتَرِيسِ الْكِنَازِ (٢)
كَلَّمَا جَادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدِ عَنكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِالْإِنجَازِ (٣)
مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ

وَاضِعُ الثَّوْبِ فِي يَدَيْ بَرَازِ (٤)
وَلَنَا الْقَوْلُ وَهُوَ أَدْرَى بِفَحْوَا هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلَى الْإِعْجَازِ (٥)
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ شُعْرَاءُ كَأَنَّهَا الْخَازِبَازِ (٦)

(١) العراء : الأرض الواسعة كالفضاء ؛ والملاء : جمع ملاءة ، الريطة ذات لفقين ، والإزار ؛ والطرز : ما يكون في الثوب من النقش ، فارسي معرب . شبه استواء الإبل وانتظامها صفوفاً في سيرها على سعة الفضاء بطراز - نقش - على ملاءة . وإذا كان هناك في هذه الحالة سراب كان التشبيه أوقع لبياضه ، وهكذا سير الإبل إذا كان في بسيط من الأرض وكانت كراماً استقامت في السير كأنها صف فلم تتقدم واحدة على أخرى ، كما قال أبو نواس :

تَدْرُ الْمَطِيَّ وَرَاءَهَا فَكَانَهَا صَفَ تَقَدَّمُهنَّ وَهِيَ إِمَامُ
(٢) فاعل حكى : ضمير السير ؛ والوفر : المال الكثير ، وأودى : أهلك ، والعمتريس : الناقة الشديدة الصلبة ، والكناز : المكتنزة اللحم . يقول : إن السير ذهب بلحوم هذه الإبل وأفنى كل ناقة صلبة منها فحكي - مائل - في ذلك جودك في إهلاك المال .
(٣) يقول : كلما ظن إنسان أنك تعطيه شيئاً فوعده ظنونه بذلك عنك ووعدا صدقت ظنونه وأنجزت ذلك الوعد ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

صَدَقَّتْ ظَنِّي وَصَدَقَّتْ الظُّنُونُ بِهِ وَحَطَّ جُودُكَ عِنْدَ الرَّحْلِ عَنِ جَمَلِي
(٤) القرويض الشعر والبزاز : تاجر الثياب . يقول : انه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثياب .

(٥) يقول : نقول القول وهو أدري منا بمغزاه وأبصر بمواطن الإعجاز فيه . وقال ابن جني : أي ينسب إلينا القول وهو أعلم بمعناه وأولى منا أن يأتي في القول بالمعجز .
(٦) الخازباز - ببناء الجزأين على الكسر - حكاية صوت الذباب ، ثم سمي به الذباب

وَيَرَى أَنَّهُ الْبَصِيرُ بِهَذَا
وَهُوَ فِي الْعَمَى ضَاعُ الْعَكَازِ (١)

نفسه . يقول : أنت طب بالشعر ناقد له ، وغيرك لا يعرف الشعر ولا يميز جيده من رديئه ، فيجوز عليه شعراء يهذون بما لا حفل له كأنهم الذباب حين يطن . هذا : وإليك عبارة اللسان في الخازباز توفية لهذه المادة ، وإن كان قد سبق لنا القول في ذلك ، قال :
والخازباز : ذباب ، اسمان جعلوا واحدا ، وبنوا على الكسر لا يتغير في الرفع والنصب والجر ؛ قال عمرو بن أحرر :

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السُّوَارِي وَجَنَّ الْخَازِبَازَ بِهِ جُنُونَا

« الخازباز » وسمى الذبان به - وهما صوتان جعلوا واحداً - لأن صوته خازباز ، ومن أعربه نزله بمنزلة الكلمة الواحدة فقال خازباز ؛ وقيل أراد النبت ، وقيل أراد ذبان الرياض ؛ وقيل : الخازباز ، حكاية لصوت الذباب فسماه به ، وأنشد أبو نصر تقوية لقوله :

أَزْعَيْتَهَا أَكْرَمَ عُودِ عُودَا الصَّلِّ وَالصَّفْصَلِّ وَالْيَعْضِيدَا

وَالْخَازِبَازِ السِّنِّمِ الْمَجُودَا بَحَيْثُ يَدْعُو عَامِرَ مَسْعُودَا

« نبت سنم صر تفع ، وهو الذي خرجت سنمته ، وهو ما يعلو رأسه كالأكليل ، والمجود الذي أصابه المطر » وعامر ومسعود راعيان « وكل من الصل والصفصل واليعضيد نبات » والخازباز - في غير هذا - داء يأخذ الإبل والناس في حلوقها . أقول : « لعله من لسع ذباب بعينه » وقال ابن سيده : الخازباز : قرحة تأخذ في الحلق ، وفيه لغات ، قال :

يَا خَازِبَازَ أَرْسِلِ اللَّهَازِمَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ لِازِمَا

والخزباز : لغة وأنشدوا :

مِثْلُ الْكِلَابِ تَهَرُّ عَنْدَ دِرَابِهَا

وَرَمَتْ لَهَا زُمُهَا مِنَ الْخِزْبَازِ

« الدارب : جمع درب ، واللهازم : جمع لهزيمة ، وهي لحمة في أصل الحنك ، شبههم

بالكلاب النابحة عند الدروب »

(١) يقول : ويظن أنه طب بالشعر بصير بمعرفته مع أنه فيه كالأعمى الذي ضاعت

كُلُّ شِعْرِ نَظِيرُ قَائِلِهِ فَيْكَ وَعَقْلُ الْمُجِيزِ عَقْلُ الْمُجَازِ (١)

عصاه فهو لا يهتدى للطريق ، وقوله : وهو في العمى الخ ، أى هو ضائع العكاز حال كونه في جملة العميان .

(١) المجيز : الممدوح الذى يعطى الجائزة ، والمجاز : الشاعر الذى يأخذ الجائزة .
وقوله : عقل المجاز ، أى مثل عقل المجاز : فحذف المضاف .

يقول : إن الشعر حسب قارضه : فإن كان الشاعر مجوداً ذا قريحة بصيرا به كان شعره حسب طبقته هذه ؛ وكذلك التخلف يكون شعره متخلفاً ، والممدوح الذى يحيز يشبه عقله عقل من يأخذ جائزته ، فهو إن أجاز على الشعر الجيد البارع : كان عقله جيداً كعقل قارضه وإن أجاز على الشعر الدون كان عقله دوناً كذلك . والحاصل أن الشعر محك للمادح والممدوح معاً ، فهو يدل على مكانة الشاعر من القدرة على التجويد والابتكار ، وعلى مكانة الممدوح من البصر بالشعر وتقده ومعرفة ما يستحقه . وروى بدل « قائله فيك » قابله منك ، فيكون الخطاب للشاعر . يقول للشاعر : إذا مدحت أحداً فقبل شعرك فهو نظيره : يعنى أن العالم بالشعر لا يقبل إلا الجيد ، والجاهل به يقبل الرديء .

قافية السين

وقال وقد أذن المؤذن ، فوضع سيف الدولة الكأس من يده ، فقال أبو الطيب
ارتجالاً :

أَلَا أذُنٌ فَمَا أَذْكَرْتَ نَاسِيً وَلاَ لَيْتَ قَلْبًا وَهُوَ قَاسٍ^(١)
وَلاَ شُغْلَ الْأَمِيرُ عَنِ الْمَعَالِي
وَلاَ عَن حَقِّ خَالَتِهِ بِكَاسٍ^(٢)

وقال يمدح عبيد الله بن خالد الطرابلسي :
أُظْبِيَّةَ الْوَحْشِ لَوْلاَ ظُبْيِيَّةُ الْأَنْسِ
لَمَّا غَدَوْتُ بِجِدِّ فِي الْهُوَى تَعَسٍ^(٣)

(١) يقول - للمؤذن - أذن فلم تذكر بأذنانك ناسياً : يعني أنه محافظ على الصلوات
لا ينسى أوقاتها ، فهو غير محتاج إلى أن يتذكرها بالأذان ، وهو لين القلب خاشع ،
فلا يحتاج إلى ما يلينه . وكان حقه أن يقول ناسياً ، ولكنها الضرورة ، أو على لغة من
يقول : رأيت قاض . وقوله : وهو قاس ، في موضع الحال ، كأنه قال : ولا لينت
قلباً قاسياً .

(٢) يقول : لم تكن الكأس لتشغله عن حق الله تعالى ، ولا عن مراعاة أسباب
المعالي ، فهو ليس بمن يستهلكون أوقاتهم فيغفل عما يلزمه من أداء فرض أو مراعاة
حق . وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنِ طَلَبِ الْمَعَالِي وَلاَ لِدَاتِهَا لَهْوٌ وَلِعْبُ

(٣) الأنس : جماعة الناس . تقول : رأيت بمان كذا أنساً كثيراً ؛ أي ناساً
كثيراً ، والأنس أيضاً : الحى المقيمون ؛ والأنس كذلك : لغة في الإنس . وأنشد
الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

أَتَوْا نَارِي ، فَقَلْتُ مَنْونَ أُنْتُمْ ؟ فقالوا : الجن ، قلتُ : عُمُوا ظلماً
فقلتُ : إلى الطعام ؟ فقال مِنْهُمْ زَعِيمٌ : نَحْسُدُ الأَنْسَ الطَعَامَا
لقد فَضُّلْتُمُو بِالْأَكْلِ فِينَا ولكن ذاك يُعَقِّبُكُمْ سَـ قَما
والأنس . أيضاً : خلاف الوحشية ، وهو مصدر أنست به - بالكسر - أنسا وأنسة .
وفيه لغة أخرى : هي أنست به أنسا ، مثل كفرت به كفرآ . والجد : الحظ والبخت ،
والتعس : الانحطاط والكب والعثور : ضد الانتعاش وقيل الهلاك ، وتعس - بالفتح -
يتعس تعساً ، وأتعسه الله . قال مجمع ابن هلال :

تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ خَلِيلِهَا تَعَسَّتْ كَمَا أَتَعَسْتَنِي يَا مُجَمِّعُ
والمراد بالجد التعس : المنحوس المشؤوم . وقد عابوا قوله : تعس ، قائلين : إنما يقال
جد تاعس ، من تعس - بفتح العين - ولا يجوز بكسرها إلا ماروى عن الفراء ، واحتج
أهل اللغة ببيت الأعشى :

بِذَاتِ لَوْثٍ عِفْرٍ نَاةٍ إِذَا عَثَرْتُ فَالتَّعَسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا (١)
ولو جاز تعس - بالكسر - لكان المصدر تعساً ، فعلى هذا لا يقال : جد تعس .
وإنما يقال : تاعس . يخاطب الظبية الوحشية لأنها ألفتها لكثرة ملازمته الفيافي ومساءلته
الأطلال ، كما قال ذو الرمة :

أَخْطُ وَأَمْحُو الْخَطَّ ثُمَّ أَعِيدُهُ بِكُفَىٍّ وَالغِرْلَانَ حَـوْلِي تَرْتَعُ
أى قد ألفتنى وأنسن بى لكثرة ما يرينى . يقول : لولا شبيهتك من الإنس أيتها
الظبية - يعنى حبيبته - لما صرت فى الحب ذا جد منحوس .

(١) قوله بذات لوث : متعلق بكلفت - فى بيت قبله - وهو :

كَلَّفْتُ مَجْهولَهَا نَفْسِي وَشَايَعْنِي هُمى عَلَيْهَا إِذَا مَا آهَلَا لِمَعَا
اللوث - بالفتح - القوة . وعفرناة ، شديدة قوية ، والعرب تدعو على العائر من
الدواب إذا كان جواداً بالتعس فتقول : تعساً له ، وإن كان بليداً كان دعاؤهم له إذا عثر :
لعأ لك ، وهى كلمة يراد بها : أن ينتعش .

- (١) وَلَا سَقَيْتُ الثَّرَى وَالْمُزْنَ مُخْلَفَةً دَمْعًا يُدَشِّفُهُ مِنْ لَوْعَةٍ نَفْسِي (١)
وَلَا وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسَى ثَالِثَةً
(٢) ذِي أَرْسَمٍ دُرِّسٍ فِي الْأَرْسَمِ الدَّرِّسِ
صَرِيْعٌ مَقْلَتَهَا سَأَلَ دِمْنَتَهَا
(٣) قَتِيلٌ تَكْسِيرِ ذَاكَ الْجَفْنِ وَاللَّعْسِ
خَرِيْدَةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ
(٤) وَلَوْ رَأَاهَا قَضِيْبُ الْبَانَ لَمْ يَمْسِ

(١) الثرى : التراب ؛ والمزن : السحاب الأبيض ؛ ومخلفة : أى غير مطرة من إخلاف الوعد . يصف حرارة وجده وكثرة دموعه ، وأن حرارة نفسه تنشف دموعه إذا جرت على الأرض . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَوْلَا الدَّمُوعُ وَفِيضُنَّ لِأَحْرَقَتْ أَرْضَ الْوَدَاعِ حَرَارَةُ الْأَكْبَادِ
وقول الآخر :

وتكاد نيران القلوب إذا التظت يوماً تُنَشِّفُ فِي الْعَيُونِ الْمَاءَ

(٢) المسى : المساء ، مثل الصبح والصبح . وهو ظرف للوقوف ؛ ومسى ثالثة : أى مساء ليلة ثالثة . وذى أرسم : صفة لجسم . والأرسم جمع رسم : الآثار ، والدرس : جمع دارس ودارسة : أى التى امتحت . يقول : لولا هذه الظبية لما وقفت برسوم دارها مساء الليلة الثالثة من ظعنها - أى لما وقفت بربعها مع قرب العهد بلقائها - بجسم دارس ناكل قد أبلاه الحزن وأنجله حتى آض مثل تلك الرسوم . ومثله للعكوك :

خَلَقْتَنِي نِضْوًا أَحْزَانٍ أَعَالِجُهَا بِالْجُزْعِ أَنْدُبُ فِي أَنْضَاءِ أَطْلَالِ

(٣) الدمنة : جمعها دمن - ما اسود من آثار الديار - ، واللعس : سمرة فى الشفة مثل اللمى ، وصريع وسأل : حالان . ومن خفضهما : فعلى أنهما نعتان لجسم . واللعس : عطف على تكسير . وكاف ذلك : رويت بالكسر لأنه يخاطب الظبية . يذكر شدة وجده بها ، وأن مقلتها قد صرعته بسحرها وأنه يتسلى بسؤال آثار دارها عنها أين ذهبت . وأنه مقتول بما فى جفنها من الانكسار وفتور النظر وما فى شفها من السمرة .
(٤) الخريدة : الحفرة الحية . وماس الغصن يميس : مال وتثنى . والميس : أصله

مَا ضَاقَ قَبْلَكَ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَاءٍ وَلَا سَمِعْتُ بِدِيْبَاجٍ عَلَى كَنْسٍ (١)
إِنْ تَرَمِينِي نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ
تَرَمِ أَمْرًا غَيْرَ رَعْدِيدٍ وَلَا نِكْسٍ (٢)

التبختر . وهو للانسان ، واستعاره للقضيب من حيث إن حسن تمايله يشبه التبختر .
يقول : إنها أحسن من الشمس حتى لو رأتها الشمس لم تطلع حياء منها . وهي أحسن
تثنيا من نثني غصن البان ، فلو رآها لم يتمايل . قال الواحدي : وفي هذا إشارة إلى أنها
في غاية الستر ، وأن الشمس لم ترها ولا الغصن .

(١) الرشاء : الظبي الصغير . والكنس والكناس الموضع الذي تتخذة الطباء من
أغصان الشجر تستظل به من الحر . يقول : إن الرشاء دقيق القوأم لا يضيق الخللخال
على قوأمه ، وأنت رشاء غليظ القوأم كثير اللحم يضيق عليك الخللخال ، ولم أسمع أن
كناس الرشاء يستر بالديباج - ضرب من الثياب الحريرية - أما أنت فمستورة الكناس
بالديباج - يريد هودجها . وفيه نظر إلى قول ابن دريد :

أَعْنِ الشَّمْسَ عِشَاءَ رُفَعْتَ تِلْكَ السَّجُوفُ
أَمْ عَلَى أُذُنِي غَزَالٍ عُلِّقْتَ تِلْكَ الشَّنُوفُ

(٢) الكتب : القرب . والرعديد : الجبان . والنكس : الساقط الفشل ، وأصله
بكسر النون وسكون الكاف ، فلما احتاج إلى تحريكه نقله إلى فعل . بفتح فكسر ، أو
بكسرتين : على حد قول عبد مناف بن ربيع الهذلي :

مَاذَا يَغِيرُ ابْنَتِي رِبْعٍ عَوِيلُهُمَا لَا تَرَقْدَانِ وَلَا يُوَسِّي لِمَنْ رَقَدَا
كِلْتَاهَا أَبْطَنْتَ أَحْشَاؤَهَا قَصْبًا مِنْ بَطْنِ حَلِيَّةٍ لَا رَطْبًا وَلَا نَقْدًا
إِذَا تَجَاوَبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا بِسَبْتٍ يَلْعَجُ الْجِلْدَا (١)

(١) يقول هذه الأبيات في أختيه وبكأتهما على أبيهما . قوله : ماذا يغير الخ ، أي
لا يعني بكأؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئاً . وقوله : كِلْتَاهَا أَبْطَنْتَ الخ ، يقول : كأن في
أجوافهما قصب المزامير من شدة البكاء . وفي الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يبكي في صلاته حتى يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل . وقوله : ولا نقداً ؛ أي لم يتأكل
والتاء في «ترقدان» للمؤنث الغائب . والحلية : مأسدة باليمن والنوح : النساء يجتمعن
للنواح ؛ وقد كانت نساء العرب في مناطهن يلطمن خدودهن بالجلود .

يَفْدِي بِنَيْكَ عُبَيْدَ اللَّهِ حَاسِدُهُمْ
 بِجِبَّةِ الْعَيْرِ يُفْدِي حَافِرُ الْفَرَسِ (١)
 أَبَا الْغَطَّارَةَ الْحَامِينَ جَارَهُمْ وَتَارِكِي اللَّيْثِ كَلْبًا غَيْرَ مُفْتَسٍ (٢)
 مِنْ كُلِّ أَبْيَضٍ وَصَاحٍ عِمَامَتُهُ كَأَنَّمَا أُشْتَمَلَتْ نُورًا عَلَى قَبَسٍ (٣)

[يغير : ينفع . والسبب : جلود البقر المدبوغة . واللجج : الحرقه . أراد الجلد ، فرك اللام بالكسر لكسر ما قبله] . ومثله كثير . يقول التنبي : إن رماني الدهر بنوائبه عن قرب - يعنى من حيث لا يخطيء - فأني غير جبان ولا ساقط دنىء - يعنى لا أخاف ذلك ولا أجهن منه .

(١) عبيد الله : منادى وحاسدهم : فاعل يفدى . جعل العير - الحمار - مثلاً للدنىء . والفرس : مثلاً للكريم ، والمعنى : بأعز شيء فى اللثيم يفدى أحسن شيء فى الكريم : أى أن حاسدهم إذا فداهم كان كما يفدى حافر الفرس بوجه الحمار . ومثل هذا لأبي جعفر الأسكافى :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَهِيَ غَيْرِ عَزِيْزَةٍ فِي جَنْبِ شَخْصِكَ وَهُوَ جِدِّ عَزِيْزٍ
 فَلَقَدْ يَبْقَى الْحَرَّ الْبَهِيَّ أذَاتَهُ فِي وَقْتِهَا كَفُّ مِنَ الشُّونِيزِ

« الشونيز والشينيز : الحبة السوداء ؛ ومثله لأبي نصر العتبي :

اللَّهُ يَشْهَدُ وَالْمَلَأْتُكَ أَنْبِيَّ لِجَلِيلِ مَا أَوْلَيْتَ غَيْرُ كَفُورِ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ لَا لِقَدْرِي بَلْ أَرَى أَنَّ الشَّعِيرَ وَقَايَةَ الْكَافُورِ

(٢) أبا الغطارفة : نصب على البديل من عبيد الله ، الذى هو منادى . والغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد . والحامين : جمع حام ، وهو الذى يحمى قومه وجيرانه . يقول : يا أبا السادة الذين يحفظون جارهم ويتركون الأسد كلباً لا يصيد شيئاً ، يعنى أن الأسد - أى البطل الشجاع - عندهم كالكلب غير الصائد ، لجبنه عنهم .

(٣) الأبيض هنا : الكريم النقي العرض . والوضاح : المشرق الواضح الجبهة . والقبس : الشعلة من النار . وعمامته : مبتدأ . والخبر : الجملة التى بعده . أى أنه تحت عمامته كأنه شعلة نار لنور وجهه وإشراق لونه . وهو من قول عبد الله بن قيس الرقيات (١) .

(١) إنما أضيف قيس إلى الرقيات؛ قيل لأنه كان يشبب بعدة نساء يسمين جميعاً رقية .

دَانَ بَعِيدٍ مُحِبِّ مُبْغِضٍ بِهِجٍ أَعْرَ حُلُوِّ مِرِّ لَيْنٍ شَرَسٍ (١)
نَدَى أَبِي غَرٍّ وَافٍ أَخِي ثِقَةٍ
جَعَدَ سَرَى نَهْ نَدْبٍ رَضَى نَدْسٍ (٢)
لَوْ كَانَ فَيْضُ يَدَيْهِ مَاءً غَادِيَةً
عَزَّ الْقَطَا فِي الْفَيَافِي مَوْضِعُ الْيَسِّ (٣)

إنما مُصَعَّبٌ شهاب من الله تجلت عن وجهه الظالماء
(١) أمر الشيء : صار مرأاً . يقول : هو دان - قريب - ممن يحبه ويقصده بعيد
عمن ينازعه ، محب للفضل وأهله ، مبغض للنقص وأهله . بهج بالقصد ، حلو لأوليائه
مر على أعدائه ، لين في الرضا . شرس - صعب - على الأعداء . وروى الخوارزمي
محب مبغض - بصيغة اسم المفعول . وبهج بالشيء وله ، بالكسر بهاجة : أى فرح به ،
وسر ، فهو بهج وبهيج قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رِداءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرَ مِنْهُ لِلْبَلِي خِرْقُ
(٢) ند : جواد ندى الكف . وأبي : أنوف يأبي الدنيا . وغر : مغرى بالفعل
الجميل مولع به . واف : بالعهد والوعد . أخى ثقة : صاحب ثقة يوثق به . وروى ابن
جنى : أخ - منونا - أى هو مستحق لإطلاق هذا الاسم - الأخ - عليه لصحة مودته
لمن خالطه ، وثقة : موثوق به مأمون عند الغيب - وهو مصدر وصف به : كقولهم زيد
عدل - وجعد جواد . قال الزمخشرى : وأما قولهم جعد للجواد (١) فمن الكناية عن
كونه عربياً سخياً ، لأن العرب موصوفون بالجعودة . قال :

هَلْ يُرْوِيَنَّ ذَوْدَكَ نَزْعُ مَعْدُ وَسَاقِيَانِ سَيْطُ وَجَعَدُ
أى عجمي وعربي ، لأنهما لا يتفاهان فلا يشتغلان بالكلام عن السقي . وسرى ؛
شريف ، ونه : ذو نهية ، وهى العقل . والندب : الخفيف فى الأمور يندب لها : أى
يدعى فينتدب . ورضى . أى مرضى . والندس - بضم الدال وبكسرها - الفطن الباحث
عن الأمور العارف بها .

(٣) فيض يديه : أى الفائض من يديه . والغادية : السحابة تغدو بالمطر . والفيافى :

(١) لأن الأصل أن يقال : فلان جعد ، أى بخيل .

أَكْرَمُ حَسَدَ الْأَرْضِ السَّمَاءَ بِهِمْ
وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسٍ (١)
أَيُّ الْمُلُوكِ - وَهُمْ قَصْدِي - أَحَازِرُهُ
وَأَيُّ قَرْنٍ وَهُمْ سَيْفِي وَهُمْ تُرْسِي (٢)

وسأله صديق له يعرف بأبي ضبيس الشراب معه فامتنع وقال ارتجالاً :

أَلَذُّ مِنَ الْمُدَامِ الْخُنْدَرِيسِ وَأَحْلَى مِنَ مُعَاطَةِ الْكُنُوسِ (٣)
مُعَاطَةُ الصَّفَاحِ وَالْعَوَالِي وَإِقْحَامِي خَمِيسًا فِي خَمِيسِ (٤)

جمع الفيضة ، وهي المفازة لآماء بها . واليبس : المكان اليابس . يقول : لو كان عطاؤه ماء سحابة لعم الدنيا كلها حتى لا تجرد القطا - وهو الطائر المعروف بالهداية - في الفلوات موضعاً جافاً تلتقط منه الحب أو تنام فيه ، وعن - هنا - أعيان . وأصله غلب وقهر ، ومنه بيت الحماسة :

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تَجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجِنَاحُ

أَي أَعْيَاهَا وَجُودَ مَوْضِعِ الْيَبْسِ : أَي الْمَكَانِ الْيَابَسِ وَامْتَنَعَ عَلَيْهَا .

(١) أكرم : جمع أكرم . كأفاضل وأفضل . يقول . بسببهم وكونهم في الأرض حسدتها السماء إذ لم يكن في السماء مثلهم ، وتأخر كل مصر - بلد - عن بلدهم طرابلس الشام لفضلهم على أهل سائر الأمصار .

(٢) هذا استفهام معناه الإنكار . ويقول : إذا قصدت هؤلاء لم أحذر أحداً من الملوك ، وإذا استعنت بهم لم أحذر قرناً يقابلني . والقرن : كفؤك في الشجاعة : أما القرن من الناس : فهم أهل زمان واحد ، قال :

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَخُلِقْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ

والقرن : الوقت من الزمان ، يقال هو أربعون سنة ، وقيل ثمانون سنة ، وقيل مائة .

(٣) و (٤) الخندريس : الحمر القديمة . والصفائح : السيوف العريضة ؛ والعوالي :

صدور الرماح ؛ والإقحام : دخول الشيء في الشيء ؛ والخميس : الجيش ؛ ومعنى معاطاة

الصفائح : مد اليد بالسيوف إلى الأقران بالضرب : كمد التناول يده إلى من ناوله الشيء

يقول : إن الحرب ألد عنده من الشرب : فقوله : ألد ، مبتدأ ؛ وخبره : معاطاة -

فَمَوْتِي فِي الْوَعَى أَرَبِي لِأَنِّي رَأَيْتُ الْعَيْشَ فِي أَرَبِ الثُّفُوسِ (١)
وَلَوْ سَقَّيْتُهَا بِيَدِي نَدِيمٍ أَسْرُهُ بِهِ لَكَانَ أَبَا ضَبَّيْسِ (٢)

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :

هُدْيِ بَرَزْتَ لَنَا فَهَجَّتْ رَسِيْسًا مُمَّ أَنْدَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيْسًا (٣)

في البيت الثاني — ومثل هذا يسميه العلماء : التضمين ، وهو عيب عندهم ، ومثله قول القائل :

لَسَلَّ السُّيُوفُ وَشَقَّ الصُّفُوفُ وَخَوْضَ الْحُتُوفِ وَضَرَبَ الْقُلُلُ
أَلَّذَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْمَعَاتِ وَشَرِبَ الْمَدَامَةَ فِي يَوْمِ طَلَّ

(١) الوعى : الحرب ؛ والأرب : الحاجة . يقول : إذا قتلت في الوعى — الحرب —
فذلك هو حياتي ، لأن حقيقة الحياة ما يكون فيما تشبهه النفس ، وأنا أشتهى أن أموت
محاربا ، وإذا أدركت ما أشتهى : فكأني حييت .

(٢) يقول : لو رغبت في شرب الخمر لشربتها من يدي أبي ضبيس ، لأنني أسر
بمنادمته .

(٣) هدى : أى ياهذه ، ناداها وحذف حرف النداء ضرورة ، وقال المعري : هذه
موضوعة موضع المصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة كأنه يقول : هذه البرزة برزت لنا
كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة ، وأنشد :

يَا إِبْلِي إِمَّا سَلَمْتِ هُدْيِ فَاسْتَوْسِقِي لَصَارِمِ هَذَاذِ

أَوْ طَارِقِي فِي الدَّجْنِ وَالرَّذَاذِ

يريد هذه الكرة ؛ والرسيس — فى الأصل — مس الحمى وأولها ، وهو ما يتولد
عنها من الضعف . والمراد هنا : مارس فى القلب من الهوى : أى ثبت ، قال ذو الرمة :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْحَبِيْنَ لَمْ يَكُدْ رَسِيْسُ الْهَوَى مِنْ ذِكْرِ مَيَّةٍ يَبْرَحُ

والنسيس : بقية النفس بعد المرض والهزال . يقول : برزت لنا فخركت ما كان فى

قلبنا من هوائك ثم انصرفت عنا مودعة وما شفيت ما أبقي عليه الهوى من نفوسنا —
بالوصال .

وَجَعَلْتِ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي فِي الْكَرَى

وَتَرَكْتِنِي لِلْفَرَقْدَيْنِ جَلِيسًا^(١)
 قَطَعْتَ ذِيَاكَ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ^(٢) وَأَدْرَتِ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ كُوُوسًا^(٣)
 إِنْ كُنْتَ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِي تَكْفِي مَزَادَ كُمْ وَتُرْوِي الْعَيْسَا^(٤)
 حَاشَى لِمَثَلِكِ أَنْ تَكُونَ بَخِيلَةً^(٥) وَمِثْلُ وَجْهِكَ أَنْ يَكُونَ عَبُوسًا^(٦)
 وَمِثْلُ وَصْلِكَ أَنْ يَكُونَ مُمْنَعًا^(٧) وَمِثْلُ نَيْلِكَ أَنْ يَكُونَ خَسِيسًا^(٨)

(١) يقول: حلت بيني وبينك كما حلت بيني وبين النوم، فحظي منك ومن وصالك كحظي من النوم، يعني لا حظ لي من الوصال ولا من النوم، فهو ساهر طول الليل يرعى الفرقدين، وهما نجان لا يفترقان، يضرب بهما المثل في الاجتماع.

(٢) ذياك: تصغير ذاك؛ والخمار: بقية السكر. يقول: كنا مع قربك في شبه الخمار لما كنا نقاسي من بخلك بالوصل، فجاء ماطم على الخمار بإسكارك إيانا بفراقك، يعني: بلينا من فراقك بأشد مما كنا نقاسيه من منعك مع قربك، فشبهه بخلها في قربها بالخمار وفراقها بالسكر، والخمار إذا قيس بالسكر: صغر.

(٣) الظعن: الارتحال. والمدامع: مجارى الدموع من العين، والمراد: الدموع. والمزاد: جمع المزادة: القرية. والعيس: الإبل. يقول: إن كنت مرتحلة فإني أكثر عليك من البكاء حتى إن دموعي تملأ ما معكم من أوعية الماء، وتروي إبلكم فكتفون بها عن نشدان الماء.

(٤) و (٥) حاشي: كلمة تنزيه، تعرب إعراب المصادر المحذوفة العامل، ولا تنون لأنها منقولة عن الحرف. وقد وفينا القول عليها فيما أسلفنا من هذا الشرح. و«أن تكون» في موضع جر ب«من» مضمرة. واسم تكون: يرجع إلى مثل، وهو يذكرو ويؤنث بحسب ما يقع عليه. وعبس: قطب وجهه، والنيل: اسم لما ينال. والحسيس: القليل. يقول مثلك في حسنه وكرم أصله لا ينبغي أن يبخل على من يحبه بالوصل، ومثل وجهك في توافر ملاحظته لا ينبغي أن يكون عبوسا للناظرين إليه، وبودي أن تجودي بوصلك وأن لا تمنعني عنا. هذا: ولم يرد المتني ما قيل — في هذا البيت — أنه أراد أنها تكون مبذولة الوصال، وإنما يحسن الوصال ويطيب إذا كان ممنا، وإذا كان مبذولا مل، وانحرفت النفس عنه، وما أحسن قول القائل:

خَوْدٌ جَنَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَازِلِي حَرْبًا وَغَادَرَتِ الْفُؤَادَ وَطَيْسًا^(١)

ما أحلى الهوى ما لم تنل فيه المنى والحب أعدل ما يكون إذا اعتدى
وإذا اختبرت رأيت أصدق عاشق من لا يمد إلى مواصلة يدا
وقد قال كثير :

وإني لأسمو بالوصول إلى التي يكون نثيًّا وصلها وازديارها
أى إنما أُرغب في ذات القدر المصونة ، لا المبدولة ، وأنشد بعضهم قول الأعشى :
كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا فِي بَيْتِ جَارَتِهَا مَشَى السَّحَابَةُ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ
فقال هذه خراجه ولاجة ، هلا قال كما قال الآخر :

وتشتاقها جاراتها فيزرنها وتعتلّ عن إتيانهن فتُعذّر ؟

قال ابن فورجه : هذا اعتراض على المتنبي بوصفه حبيته بأنها مبدولة الوصال ،
ولم يتعرض لذلك بشيء ، وإنما قال لها حاشاك من هذا الوصف ، وليس في اللفظ ما يدل
على أنها مبدولة الوصل أو ممنعة ، بل فيه أنه يريد أن يكون مبدولا وصلها له ، وأى
محب لا يحب ذلك ؟ وإن كان لا يراد منه أنه يتمنى بذل حبيته فهو محال ؟
قال أبو الفتح إنما أراد حاشى لك أن تمنى وصلك بالنية إن لم يكن بالفعل ، ألا ترى
إلى قول القائل :

أحب اللواتى هنّ في رونق الصبا وفيهنّ عن أزواجهنّ طِاحُ

مُسِرَّاتٌ وَدٌّ مُظْهِرَاتٌ لُضْدَهُ تَراهن كالمرضى وهن صحاح ؟

أى هن يظهرن خلاف ما يكتمن . قال الخطيب : أما هذا الشاعر فقد أظهر
ما يحب وبينه ، وأنه يحب كل لعوب طامحة عن زوجها . وهذا مذهب بعض المحبين .
وأما قول المتنبي فهو مبين لهذا بقوله : أن يكون ممنعا : فهو مخر صراح .

(١) الخود : — بفتح الخاء — الشابة الناعمة ، وجمعها : خود — بضمها —

وارتفاع خود على أنها خبر مبتدأ محذوف . والوطيس : تنور من حديد ، ويقال حمى
الوطيس : أى اشتدت الحرب . يقول : لكثرة ما يلمنى — أى العواذل — فى هواها ،
ويراجعنى ويفضبنى صار كأن بينى وبينهن حربا من جرائها ، ثم قال : وقد تركت
فؤادى مثل الوطيس : أى ملتها بما فيه من حرارة الوجد .

بَيْضَاءَ يَمْنَعُهَا تَكَلَّمَ دَلَّهَا تَيْبًا وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسًا^(١)

(١) يقول : إنها بيضاء — نقيّة العرض — يمنعها دلالها أن تتكلم ويمنعها حيائها أن تميس — تتثنى — فقوله تكلم ، يريد أن تتكلم ، حذف وأعمل ، وكذلك ؛ تميس ويروى بدل تكلم : التكلم . وإليك ما قال العكبري الكوفي : قوله تكلم : أراد أن تتكلم ، حذف وأعمل ، وكذلك أن تميس ؛ وهو كثير في أشعارهم ، والبصريون لا يرون ذلك ؛ وحثنا قول الشاعر :

انظرا قَبْلَ تَلَوْمَانِي إِلَى طَللِ بَيْنِ النَقَا وَالْمَنْحَى

وقول طرفة :

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَعْيِ

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(١)

وقراءة عبد الله « لا تعبدوا إلا الله » فنصب بتقدير « أن » مع حذفها ؛ وقول عامر

ابن الطفيل :

* وَنَهَيْتُ نَفْسِي بَعْدَ مَا كَدْتُ أَعْمَلَهُ *

وقد أزمناهم بقولهم : إنها تعمل مع الحذف من غير بدل في جواب الستة بالفاء مقدره وحثهم أنها تنصب الفعل ، وعوامل الأفعال ضعيفة ، فلا تعمل مع الحذف من غير بدل ، ولهذا بطل عملها في قوله تعالى « أفعير الله تأمروني أعبد » وقال الشاعر :

أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكِمَا مِنِّي السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا^(٢)

(١) من معلقة طرفة ، وبعده :

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَذَرْنِي أَبَادِرَهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

يقول في البيت الأول : يا من يلومني في حضور الحرب لئلا أقتل . وفي أن أنفق مالي لئلا أفقر — ما أنت مخلدي إن قبلت منك ، فدعني أنفق مالي في الفتوة ولا أحلفه لغيري ثم قال في البيت التالي : إن كنت لا تقدر أن تدفع مودتي فذري أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالي : يعني أن الموت لا بد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات :

(١) قبله :

يَا صَاحِبِي فَدَتِ نَفْسِي نُفُوسًا كَمَا وَحَيْثَا كُنْتَا لَا قَيْتَا رَشْدَا

لَمَّا وَجَدْتُ دَوَاءَ دَائِي عِنْدَهَا هَانَتْ عَلَيَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا^(١)
 أَبْنَى زُرَيْقٍ لِلثُّغُورِ مُحَمَّدًا أَبْنَى نَفِيسٍ لِلنَّفِيسِ نَفِيسًا^(٢)
 إِنْ حَالَ فَارَقَتْ الْخِزَانُ مَالَهُ أَوْ سَارَ فَارَقَتْ الْجُسُومُ الرُّوسَا^(٣)
 مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ
 وَرَضَيْتَ أَوْ حَشَّ مَا كَرِهْتَ أُنَيْسَا^(٤)

(١) دواؤه عندها : هو الوصال ، وصفات جالينوس — وهو الطبيب اليوناني المشهور — ما وصفه من الأدوية في تواليفه الطبية .

(٢) هذا اقتضاب ، فقد انتقل من التشبيب إلى الملايمة إليه بسبب ، وهو مذهب الجاهلية والمخضرمين ؛ وزريق : أبو المدوح ، ومحمد : اسم المدوح .
 يقول : لما مات أبوه ورثه ولاية الثغور ، وهو نفيس وابنه نفيس وحفظ الثغور — مواضع المخافة من فروج البلاد — نفيس ، فقد أبقى رجل نفيس لابن نفيس أمراً نفيسا ، وهو حفظ الثغور وذبح الأعداء عنها .

(٣) يقول : إن كان نازلا في وطنه وهب أمواله حتى تفارق خزائنه ، وإن سار للحرب فرق بين جسوم أعدائه وبين رءوسهم ، يصفه بالكرم والشجاعة .

(٤) تقدير البيت هكذا : إذا عاديت نفسك ورضيت أو حش ما كرهت أنيسا فعاده ولكنه حذف الفاء ضرورة . قال الواحدي : ولا يجوز أن يريد بعاده التقديم كأنه قال ملك عاده إذا عاديت نفسك ، لأن ما بعد ملك من الجملة صفة له . وقوله : عاده . أمر والأمر لا يوصف به ، لأن الوصف لا بد من أن يكون خبرا يحتمل الصدق والكذب ، والأمر والنهي والاستفهام لا تحتمل صدقا ولا كذبا . يقول المتنبي : إن عاديته فقد

أن تمحلا حاجة لي خف محملها وتصنعا نعمة عندي بها ويذا
 ولا يعلم قائل هذه الآيات . وقوله : فدت نفسي الجملة دعائية ، وكذا قوله : لاقيتما
 الخ . والرشد — محركا — الاهتداء إلى الصواب . وقوله أن تمحلا : قيل أن « إن »
 هذه شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبله عليه ، وقيل أن مفتوحة مصدرية ، وهي وما
 دخلت عليه منصوب بفعل مقدر . أى أسألكما ، وأن تقرأن : بدل منه . ومحملها : مصدر
 ميمي : أى حملها . وقوله بها . أى بحملها ؛ ويذا : عطف مرادف على النعمة ، ويحكما
 معترض بين تقرأن وبين دفتوله . وهو السلام ، وويح : كلمة ترحم .

الْحَائِضُ الْغَمْرَاتِ غَيْرِ مُدَافِعٍ وَالشَّمْرَى الْمُطْعَنَ الدَّعِيسَا (١)
كَشَفَتْ جَهْرَةَ الْعِبَادِ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا مَسُوداً جَنْبَهُ مَرَعُوسَا (٢)
بَشْرُهُ تَصَوَّرَ غَايَةً فِي آيَةٍ تَنْفِي الظُّنُونِ وَتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا (٣)

عاديت نفسك ورضيت أوحش الأشياء — وهو الموت — أنيسا ، أى أن من عاداه أتى عليه وقتله لقدرته .

(١) نصب الحائض بفعل مضمر : كأنه قال : أردت ، أو مدحت الحائض ولك أن تجعله بدلا من الهاء في «عاده» والغمرات: الشدائد ؛ والشمرى : بفتح الشين وكسرهما الجاد المشيح في أمره ؛ والمطعن : الجيد الطعن ؛ والدعيس : فيل ، من الدعس ، وهو الطعن ، يقول : هو الذى يخوض شدائد الحروب فلا يدافعه أحد للعجز عنه .

(٢) جمهرة الشىء وجمهوره : أكثره ومعظمه ، ونصب جنبه : تشبيها بالظرف أراد أنه بالإضافة إليه مسود ومرؤوس ، كما يقال : هذا حقير فى جنب هذا . والمسود : من ساده غيره : يقول : بلوت جمهور الناس فلم أجد أحداً إلا والمدوح فوقه فى السيادة والرياسة ، يعنى هو رئيس على الناس ، سيد لهم .

(٣) غاية الشىء : منتهاه ، وحده الذى لا يعدوه ؛ والآية : العلامة ، وأكثر ما تستعمل الآية فى العلامة على قدرة الله سبحانه ، كما قال أبو العتاهية :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

يقول : إن الله صورته بشراً وجعله غاية للناس تنتهى إليها كآلاتهم بأسرها وكان ذلك الخلق فى آية من خوارق العادات تنتفى بها ظنون الناس فيه ، فلا تقع على حقيقة كنهه ، ويفسد قياسهم له بغيره ، لأن الشىء إنما يقاس بمثله ولا مثل له . وقال ابن جنى : أنت الذى صورك الله بشراً ينفى الظنون حتى لا يتهم فى حال ولا تسبق إليه ظنة . . . وليس هذا من ظن التهمة ، وإنما هو من الظن الذى هو الوهم : أى أنه إنسان لا كالناس لما فيه من صفات ليست فيهم ، وقد وقع للناس الشبهة والشك فى أمره وأفسد مقايستهم عليه ، وعبارة الواحدى : إن ظننته بجرأاً أو بدرأاً أو سيداً أو شمسا فليس على ما ظننت بل هو أفضل من ذلك ، وفوق ما ظننته : أى أنه غاية فى الدلالة على قدرة الله تعالى حين خلق صورته بشراً آدمياً ، وفيه مالا يوجد فى غيره حين نفى ظنون الناس ، فلا يدرك بالظن ، وأفسد مقايستهم ؛ لأن الشىء يقاس على مثله ونظيره ، وهو لا نظير له فيقاس عليه . وفى معناه .

وَبِهِ يُضْنُ عَلَى السَّبْرِيَّةِ لَا بَهَا
لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ
أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفِهِ
أَوْ كَانَ لُجَّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ
أَوْ كَانَ لِلنَّيْرَانِ ضَوْءُ جَبِينِهِ
لَمَا سَمِعَتْ بِهِ سَمِعَتْ بِوَاحِدٍ
وَعَلَيْهِ مِنْهَا لَا عَلَيْهَا يُوسَى (١)
لَمَّا آتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسًا (٢)
فِي يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ لِأَعْيَا عِيسَى (٣)
مَا أَنْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى
عُبِدَتْ فَصَارَ الْعَالَمُونَ مَجُوسًا
وَرَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَمِيسًا (٤)

أنت الذي لو يعاب في ملاٍ ما عيب إلا بأنه بشرٌ

(١) الضن : البخل بالشيء ؛ والبرية : الخليقة . وقوله منها : أى من بينها ، وهو في موضع الحال من الضمير في «عليه» ويوسى : يحزن . تقول : أسيت عليه أسى : حزنت عليه ؛ وأصله يؤسى ؛ فليلن للقافية . يقول : إنه يضن به على الناس جميعا لا بالناس عليه . أى لو جعل هو فداء جميع الناس بأن يساموا هم كلهم دونه لم يساووا قدره ، ولو جعلوا كلهم فداء له لم يبخل عليه بهم ، لأنه أفضل منهم ، ففيه منهم خلف ولا خلف منه في جميع الناس ، وعليه يحزنون لو هلك لا على الناس كلهم . والمصراع الثانى كالتفسير للأول وقال ابن جنى : وجه الضن ههنا أن يكون فيهم مثله حسداً لهم عليه . قال الواحدى : وهذا محال باطل . لأنه إذا بخل به المتنبي على الناس فقد تبنى هلاكه ، وأن يفقد من بين الناس حتى لا يكون فيهم .

(٢) حديث الإسكندر ودخوله في الظلمات معروف . يقول : لو استعمل ذوالقرنين رأى الممدوح لأضاءت له تلك الظلمات ؛ وهذا وما بعده من الغلو المذموم . ومثله قول الآخر :

لو كان في الظلماتِ شِعْشَعَ كَاسِهَا
ما جَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي الظُّلُمَاتِ
وقول الآخر :

لو أن ذا القرنين في ظلماته
ورآه يضحك لاستضاء بثغره

(٣) عازر . رجل من بنى إسرائيل ، أحياه الله تعالى بدعاء سيدنا عيسى . يقول : لو كان قتل بسيفه في الحرب لأعجز عيسى إحياءه .

(٤) الخميس . الجيش العظيم يقول : إنه يقوم بنفسه مقام الجيش وينفى غناه ، وهو

وَحَظَّتْ أُمَّلَهُ فِسْلَانَ مَوَاهِبًا وَمَسَّتْ مُنْصَلَهُ فَسَالَ نَفُوسًا^(١)
يَا مَنْ تَلُوذُ مِنَ الزَّمَانِ بِظِلِّهِ أَبَدًا وَنَظْرُ دُ بِأَسْمِهِ^(٢) إِبْلِيسًا
صَدَقَ الْمَخْبِرُ عَنْكَ دُونَكَ وَصَفَهُ مَنْ بِالْعِرَاقِ يِرَاكَ فِي طَرَسُوسًا^(٣)

كما يقول ابن جنى — ضد قولك أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه ، والله أبو تمام حين يقول :

لَوْلَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا فِي جَحْفَلِ لَجِبِ
ويقول :

ثَبْتُ الْمَقَامَ يَرَى الْقَبِيلَةَ وَاحِدًا وَيُرَى فَيَحْسَبُهُ الْقَبِيلُ قَبِيلًا
ويقول ابن الرومي :

فَرَدَّ وَحِيدٌ يَرَاهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ كَأَنَّهُ النَّاسُ طَرًّا وَهُوَ إِنْسَانُ
(١) مواهبا ونفوسا : تميزان ؛ والمراد بالأمل . الأصابع ؛ والنصل : السيف . قال الواحدى . لحظ الأنامل كناية عن الاستمطار ، ولس النصل كناية عن الاستنصار . يقول : تعرضت لعطائه فسالت بالمواهب أنامله ، وتعرضت لإعائته إياى فسال سيفه بنفوس أعدائى وأرواحهم لأنه قتلهم . قال البحرى .

تَلْقَاهُ يَقَطُرُ سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ وَبَنَانِ رَاحَتِهِ نَدَى وَنَجْمَا
« نجيعاً : دماً » ؛ ولدعبل .

وعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسيافنا تجرى المهج

(٢) يقول : إذا أصابتنا شدة من الزمان لجأنا إليه فكفانا ذلك : أى نهرب إلى ظله وجواره من جور الزمان ، وإذا ذكرنا اسمه هرب الشيطان خوفا ورعباً منه . قال العكبرى : ولأن اسم المدوح محمد — وهو اسم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه — والشيطان يطرد بذكر الله ورسوله .

(٣) وصفه : مبتدأ ؛ ودونك . الخبر . يقول : إن الذى أخبر عنك مادحا مثنيا قد صدق ، ووصفه لك دون ما تستحقه ، وهناتم الكلام ، ثم قال : من بالعراق يراك فى طرسوس : أى لأن آثاره ظاهرة . وذكره شائع ، فكأن من بالعراق يراه وهو بطرسوس ؛ والمراد التعميم : أى إن آثاره قد عمت . وقال الواحدى : من بالعراق يراك فى طرسوس : أى ليله إليك ومحبتة إياك كأنه يراك ، كما قال كثير :

بَلَدٌ أَقَمْتَ بِهِ وَذِكْرُكَ سَائِرُهُ يَشْنَأُ الْمَقِيلَ وَيَكْرَهُ التَّعْرِيسَ (١)
فَإِذَا طَلَبْتَ فَرِيسَةً فَارْقَتَهُ وَإِذَا حَدَرْتَ تَحَدَّتْهُ عَرِيْسًا (٢)

أريدُ لأنسى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا
وَمَا قَالَ أَبُو نُوَاسٍ :

مَلِكٌ تُصَوِّرُ فِي الْقُلُوبِ مِثَالَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخُلْ مِنْهُ مَكَانٌ

(١) يشنا: أراد يشنا - من شنأ: أى أبغضت - والمقيل: القيلولة - النوم -
وقت القافلة - الظهيرة - والتعريس: النزول في آخر الليل للراحة؛ والضمير في يشنا
ويكره: للذكر. يقول: إن طرسوس بلد أنت به مقيم وذكرك سائر في البلاد كلها
ليلا ونهاراً لا يتوقف ولا يطلب المقيل ولا التعريس. وهو من قول أبي تمام:

جَرَّرْتُ فِي مَدْحِيكَ حَبْلَ قِصَائِدٍ جَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُقِيمٌ

(٢) خدر الأسد وأخدر: غاب في أجمته ولزمها؛ ويقال أخدر فلان في أهله:
أى أقام فيهم: وأنشد الفراء:

كَأَنَّ تَحْتِي بَازِيًا رَكَضًا أَخْدَرَ خَمْسًا لَمْ يَذُقْ عَضَاضًا (١)

وأسد خادر: مقيم في عرينه داخل في الحدر - أى الأجمة - وأسد مخدر أيضاً. قالت
ليلي الأخيلية:

فَتَى كَانَتْ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ وَأَشْجَعَتْ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَانٍ خَادِرٍ (٢)

وتخذت: بمعنى اتخذت. والعريس والعريسة: أجمة الأسد وعرينه، شبه المدوح
بالأسد فاستعار له هذه الأشياء. يقول: هذا البلد لك بمنزلة العرين للأسد تفارقه
عند طلب الفريسة: أى العدو، وتأوى إليه بعد ذلك كما يأوى الأسد إلى عرينه،
وفيه نظر إلى قول ابن الرومي:

هُوَ اللَّيْثُ طَوْرًا بِالْعِرَاقِ وَتَارَةً لَهُ بَيْنَ آجَامِ الْقَنَا مُتَأَجِّجٌ

(١) لم يذق عضاضاً: أى ما يعض عليه. يريد أن هذا البازي أقام في وكره خمس
ليال مع أيامهن لم يذق طعاماً، ثم خرج بعد ذلك يطلب الصيد، وهو قرم إلى اللحم
شديد الطيران، فشبه ناقته به.

(٢) خفان: مأسدة.

إِنِّي نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقَدِ كَثْرُ الْمُدْلَسِ فَأَحْذَرِ التَّدْلِيْسَ^(١)
 حَجَبْتَهَا عَنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيَّةِ وَجَلَوْتَهَا لَكَ فَاجْتَلَيْتَ عَرُوسًا^(٢)
 خَيْرَ الطُّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا يَا أُوِيَّ الْخَرَابِ وَيَسْكُنُ النَّاؤُوسًا^(٣)

(١) تقول: نقدت الرجل الدراهم والدنانير: إذا أعطيته إياها فانتقدها: أي أخذها؛ هذا هو الأكثر في كلام العرب؛ وقد يستعملان في تمييز الجيد ونقي الزيف. يقال: نقد كلامه وانتقده، وكذلك في الدراهم والدنانير، وهو المراد هنا. شبه شعره الذي مدحه به بدر نثره عليه. والتدليس إخفاء العيب في السلعة. يقول: كثر المدلسون من الذين يبيعون الشعر، فأحذر تدليسهم عليك، وانتقد ما نثرت من در الشعر عليك لتعرف جيد الشعر من رديئه. وصدر البيت من قول أبي نواس:

نَثَرْتُ عَلَيْكَ الدَّرَّ يَا دُرَّ هَاشِمٍ فَيَا مَنْ رَأَى دُرًّا عَلَى الدَّرِّ يَنْثُرُ
 وعجزه ينظر إلى قول ابن الرومي:

أول ما سألت من حاجةٍ أن يُقرأ الشعرُ إلى آخره
 ثم كفاني بالذي ترتني في جودَةِ الشعرِ وفي شاعره

(٢) الضمير في حجبتها وجلوتها: للقصيد، وإن لم يجر لها ذكر، وإنما ذكر الدر، وجلا العروس على بلعها: عرضها عليه سافرة فاجتلاها هو: أي نظر إليها كذلك. جعل قصيدته التي مدحه بها كالعروس. يقول: حجبتها عن أهل هذا البلد - أنطاكية - أي لم أمدحهم بها - يعرض ببعض الأكبر - ثم أظهرتها لك وعرضتها عليك كما تعرض العروس وتجلى على الزوج فاجتليت منها عروسا، وخصصتك بها دون غيرك؛ وعروسا: حال من القصيدة. قال الواحدى: ويجوز أن يكون حالا من المدح لأن العروس يقع على الذكر والأنثى، وهذا إذا أراد فاجتليتها: أي قدر ضميرا؛ وإذا لم يقدر فهي مفعول لاجتليت.

(٣) الناووس والناءوس: مقبرة النصارى والمجوس، دخيل، ويطلق على حجر منقور تجعل فيه جثة الميت؛ وهذا مثل. يقول: خير الشعر ما يمدح به الملوك كالطيور النفيسة - مثل البزاة - تطير إلى قصور الملوك، وشعر الشعر ما يمدح به اللثام والأراذل كالطيور التي تأوى إلى الخراب والمقابر يعني: أنت خير الناس وكلامي خير الكلام فأنت أولى به. يعرض بالدين لم يمدحهم من أهل أنطاكية. هذا ويقال: أويت منزلى وأويت إلى منزلى: أي عدت.

لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فِدَتَكَ بِأَهْلِهَا أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيسًا^(١)

ودس عليه كافور من يستعلم ما في نفسه ، ويقول له قد طال قيامك عند هذا الرجل ، فقال :

يَقِيلُ لَهُ الْفَيْيَامُ عَلَى الرَّهُوسِ وَبَذَلُ الْمَكْرَمَاتِ مِنَ النَّفُوسِ^(٢)
إِذَا خَانَتْهُ فِي يَوْمٍ ضَحَّوْكَ فَكَيْفَ تَكُونُ فِي يَوْمِ عَبُوسِ^(٣)

وقال يهجو كافوراً ، وقد خرج من عنده .

أَنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عَرْسِهِ مِنْ حَكَمِ الْعَبْدِ عَلَى نَفْسِهِ^(٤)

(١) الحبيس : المحبوس ، وهو الوقف الذي لا يباع ولا يوهب . يقول : لو كانت الدنيا ذات جود لأبقيت عليك وفدتك بمن فيها ، أو لو كانت غازية مجاهدة في سبيل الله لجلعت نفسها وبقا محبوسا عليك ، فكانت لا تغزو إلا لك وعنك وبأمرك . وإنما قال هذا : لأن الممدوح كان على الثغور في وجه الروم يجاهد في سبيل الله .

(٢) يقول : يقل له أن تقوم في خدمته ولو على الرؤوس وأن نبذل في خدمته النفوس المكرمة ؛ وتروى المكرمات - بفتح اليم وضم الراء - أى الأفعال الكريمة . والله قول أبي تمام :

لَوْ يَقْدِرُونَ مَشَوْا عَلَى وَجَنَاتِهِمْ وَخُدِدِهِمْ فَضُلَا عَنِ الْأَقْدَامِ

(٣) الضمير في خانتته : للنفوس ؛ والعبوس : الكريه . يقول : إذا خانتته النفوس فلم تقم بحقه ولم تخدمه في السلم ، فكيف تخدمه في الحرب ؟

(٤) النوك : الحق ؛ والأنوك : الأحمق ؛ وعرسه : زوجته ، يريد بها الأمة . ومن حكم : مبتدأ ؛ خبره : ما قبله . يقول : الذي يجعل العبد حاكما على نفسه أحمق من العبد ومن عرس العبد : أى أمته . ولك أن تقول : من يكون في طاعة العبد أحمق من العبد ومن المرأة ؛ فقلوله : من عرسه ، أى من عرس نفسه ، يعنى المرأة . وهذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد الأسود فاحتاج إلى أن يطيعه .

وَإِنَّمَا يُظْهِرُ تَحَكِيمَهُ تَحَكَّمُ الْإِفْسَادِ فِي حِسِّهِ (١)
مَا مَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ كَمَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي حَبْسِهِ (٢)
الْعَبْدُ لَا تَفْضُلُ أَخْلَاقَهُ عَنْ فَرْجِهِ الْمُنْتِنِ أَوْ ضَرْسِهِ (٣)
لَا يُنْجِزُ الْمِعَادَ فِي يَوْمِهِ وَلَا يَبْحَى مَا قَالَ فِي أَمْسِهِ (٤)
وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِي جَذْبِهِ كَأَنَّكَ الْمَالِحُ فِي قَلْسِهِ (٥)

(١) يقول : إن من حكم العبد على نفسه : يدل تحكيمه هذا على سوء اختياره ، وسوء الاختيار يدل على تحكم الفساد في الحس . والحس ، أو الحس المشترك أو الحس الباطن - وهو الذي أطلق عليه بعض متأدبي عصرنا (العقل الباطن) خطأ - هو - كما جاء في تعريفات السيد الجرجاني - القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة ، فالحواس الخمس الظاهرة كالحواسيس لها ، فتطلع عليها النفس من ثمة فتدركها . قال : ومحلّه مقدم التجويف الأول من الدماغ كأنها عين تتشعب من خمسة أثمار . وقد عرفه أحد فلاسفة الفرنجة - كلودبرنار - قال : هو جملة التغيرات الحاصلة في الجسم الحي بواسطة المهيجات ، أو هو تسكيف في التأثير لكيفية في المؤثر ، ويسميه أهل اللغة : الإدراك .

(٢) أي الذي يرى أنك في وعده يحسن إليك ؛ والذي يرى أنك في حبسه يسئ إليك . يريد أنه مرهون في مواعيد كافور ولكن كافوراً يعامله معاملة المحبوس عنده ؛ فلا هو يفيه ما وعده ، ولا هو يؤيسه فيجعل حبله على غاربه فيرتحل . وقال الخطيب التبريزي : إنما أراد أن العبد جاهل بحق مثله ، فهو يرى أنه في حبسه ، فليس له منه مخلص فما يبالي به . والحر الكريم يرى أنك في وعده فهو يضم الإنجاز فيما وعد .
(٣) يقول إن همة العبد مقصورة على فرجه وبطنه فلا فضل فيها عن هذين لمكرمة وبر وإحسان . يصفه بقصر الهمة عن العالی .

(٤) الضمير في يومه : للميعاد ؛ وفي أمسه : لكافور . يقول : لا ينجز الميعاد في يومه الذي وعد أن ينجزه فيه ولا يحفظ ما قاله بالأمس ؛ يعني أنه لغفلته وسوء فطنته : ينسى ما يقوله .

(٥) القلس . حبل للسفينة ضخم تجذب به . يقول : إن كافوراً لا يأتي مكرمة بطبعه ، بل تحتال فتجذبه كما يجذب الملاح - البحار - السفينة لتجربى ؛ يعني أنه يجر إلى فعل الخير بقوة وصعوبة كما تجر السفينة من الانحدار إلى الإصعاد ، وهو لا يتفق

فَلَا تُرْجِ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ فِي رَأْسِهِ (١)
وَإِنْ عَرَكَ الشَّكُّ فِي نَفْسِهِ بِحَالِهِ فَانظُرْ إِلَى جَنْبِهِ (٢)
فَقَلَّمَا يَلُومُ فِي تَوْبِهِ إِلَّا الَّذِي يَلُومُ فِي غِرْسِهِ (٣)
مَنْ وَجَدَ الْمَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ لَمْ يَجِدِ الْمَذْهَبَ عَنْ قَنْسِهِ (٤)

وشنشتها ، لأنها تطلب جريان الماء لتتحدّر معه سريعة ؛ وإذا جذبت إلى الإصعاد أتعبت الجاذب لها ، وكذا كافور قد تعود البخل واللؤم ؛ فإذا جذب إلى فعل الخير صعب عليه لأنه ضد عادته .

(١) النحاس : الذي يبيع الدواب لأنه ينخسها لتنشط ، ويطلق على بائع الرقيق . ورجاه ورجاه - بالتشديد - وترجاه : بمعنى . وفي رأسه : أى على رأسه ومثله قوله تعالى « ولأصلبناكم في جذوع النخل » . يقول : لا تأمل الخير من عبد قد رأى الهوان والذلة وسبق للبيع كما تساق الدواب .

(٢) عراك : اعتراك وغشيك وألم بك . يقول : إن شككت في حاله بالنظر إلى نفسه ولم تعرفه : فقسه بغيره من العبيد . فإنك لا ترى أحداً منهم له مروءة وكرم ، وبحاله : يروى بحالة .

(٣) الغرس : جلدة رقيقة تخرج على رأس الولد عند الولادة . يقول : إن اللؤم طبيعة ، طبع عليها اللئيم في غرسه ، فمن كان لئيماً في كبره فإنما كان مولوداً على اللؤم .

(٤) القنس - بفتح القاف وكسرهما - الأصل . يقول : من ذهب عن قدر استحقاقه في الدنيا فنال ملكاً أو ولاية أو غنى وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله في اللؤم ، لأن الأشياء تعود إلى أصولها ، والعرق نزاع ، فمن كان لئيم الأصل فهو ينزع إلى ذلك اللؤم .

وأحضر أبو الفضل بن العميد بحجرة محشوة بالترجس والآس حتى خفيت نارها
والدخان يخرج من خلال ذلك ؛ فقال مرتجلاً :

أَحَبُّ أَمْرِيءَ حَبَّتِ الْأَنْفُسُ وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ مَعْطِسٌ^(١)
وَنَشْرٌ مِنَ النَّدِّ لَكِنَّا مَجَامِرُهُ الْآسُ وَالنَّرْجِسُ^(٢)
وَلَسْنَا نَرَى لَهَبًا هَاجَهُ فَهَلْ هَاجَهُ عِزُّكَ الْأَقْعَسُ^(٣)

(١) المعطس : الأنف : يقول : أنت أحب امرئ حبته النفوس ، وهذا الند
أطيب رائحة شمها الأنف . وحذف المبتدأ من الجملتين لأن المخاطبة والحال دلتا عليه ،
هذا : والأكثر أن يقال أحبه فهو محب وهو محبوب - على غير قياس - وقد قيل محب -
على القياس - وقال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذاً في الشعر ، قال عنتره :

ولقد نزلتِ فلا تظنِّي غيره مَنِّي بمنزلة المحب المكرم^(١)

قال الفراء : وحببته : لغة ، وقال غيره : وكره بعضهم حببته ، وأنكر أن يكون
هداً البيت لفصيح ، وهو قول عيلاق بن شجاع النهشلي :

أَحِبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ
فَأَقْسَمُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ

وحبه يحبه - بالكسر - فهو محبوب . قال الجوهري : وهذا شاذ ، لأنه لا يأتي
في المضاعف : يفعل - بالكسر - إلا ويشركه يفعل - بالضم - إذا كان متعدياً ،
ما خلا هذا الحرف . هذا : وروى أحب وأطيب : بالنصب على النداء .

(٢) ونشر : عطف على خبر المبتدأ المحذوف ، كأنه قال : وأطيب ماشمه الأنف
هذا البخور ونشر من الند ؛ أو الواو زائدة - على حد قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها
وفتحت أبوابها » - والنشر : الرائحة ؛ والمجامر : المباخر . يقول : إن هذا النشر
من الند إلا أن مجامره الآس والرجس ، وليس بمعروف عنهما أن يخرج
منهما الدخان .

(٣) الأقعس - ومنه العزة القعساء : اثابت ، وقيل : العالى المرتفع

(١) من ملعقة عنتره . ونزلت : خطاب مع محبوبته عبلة . وقوله : فلا تظني غيره
جملة معترضة بين نزلت ومنى . فإن منى : متعلقة بنزلت . يقول : ولقد نزلت من قلبي
منزلة من يحب ويكرم . ومفعول ظن الثاني : محذوف : أى فلا تظني غيره واقعا : أى
غير نزولك منى منزلة المحب .

وَإِنَّ الْفِتَامَ الَّتِي حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرْضُ (١)

* * *

الذى لا يوضع ظهره على الأرض ، كالأعس الذى لا ينال ظهره الأرض . يقول : لا نرى نارا هيجت ريح هذا الند ، فهل هاجه عزك الأفعس ؟ فهذه زفرات نار حسده لعزك .
(١) الفتام : الجماعات من الناس . ويروى القيام . جمع قائم . قال بعض الشراح : وليس بجائز إلا إن قال : الذين حوله . يقول : ليس بدعاً أن يحسد الند عزك ، فإن هؤلاء الطوائف اللتفين حولك لخدمتك تحسد رءوسهم أرجلهم ، لأنها وقفت في خدمتك على الأرض ، وكان بود الرءوس أن تكون هى الواقعة مكانها . وقال ابن جنى : لأنها تباشر الأرض التى باشرها المدوح لسعيها إليه ، فهى كقوله أيضاً :

خير أعضائنا الرءوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

قافية الشين

وقال يمدح أبا العشائر على بن الحسين بن حمدان ويذكر إيقاعه بأصحاب
بافيس ومسيره من دمشق :

مَبِيَّتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشِ حَشَاهُ لِي بِحَرِّ حَشَايَ حَاشَ (١)
لَقِيَ لَيْلٍ كَعَيْنِ الظَّيْبِ لَوْنًا وَهُمْ كَالْحُمَيَّا فِي الْمَشَاشِ (٢)

(١) مبيتي : اسم مكان ، ومن دمشق : بيان لمبيتي ؛ وعلى فراش : خبر مبيتي ؛
وحشاه الخ : في موضع الصفة لفراش : يصف شدة هواه وحرارة قلبه من الحب ، يقول :
إني أتيت من دمشق على فراش حار حشى بحرارة قلبي من الهوى : يعنى حرارة الهوى
وأن فراشه صار حاراً لذلك . وأنه يبيت ساهراً من ثم .

(٢) لقي : حال ؛ أى أبيت على فراش حال كوني لقي ليل ! واللقى : الشيء الملقى .
والحميا : سورة الحمز . والمشاش : رءوس العظام الرخوة . وعين الظبي : يضرب بها
المثل في السواد ، ولونا : تميز . يقول : إننى طريح ليل أسود ، وهم قد خالطه وتمشى
فيه تمشى الحمز في العظام ، وفيه نظر إلى قول أبي نواس :

وتمشى في مفاصلهم كتمشى البرء في السقم
والمصرع الأول من قول أبي تمام :

* إِلَيْكَ تَجَرَّعْنَا دُجَى كَجِدَاقِنَا *

ومثله قول التنوخي :

والليلُ كالثَّاكِيلِ فِي إِحْدَادِهَا وَمُقَلَّةِ الظَّيْبِ إِذَا الظَّيْبُ رَنَّا

والثاني من قول زهير :

فَظَلْتُ كَأَنِّي شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ مِنَ الرَّاحِ تَسْمُو فِي الْمَفَاصِلِ وَالْجِسْمِ

ومثله قول الأبيرد :

عَسَا كَرُّ تَعَشَى النَّفْسِ حَتَّى كَأَنَّيْ

أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَا مَتِّهِ الْخَمْرُ

وَشَوْقٍ كالتَّوَقُّدِ فِي فُوَادٍ كَجَمْرٍ فِي جَوَانِحِ كالمِحَاشِ (١)
 سَقَى الدَّمُ كُلَّ نَصْلٍ غَيْرِ نَابٍ وَرَوَى كُلَّ رُمَحٍ غَيْرِ رَاشٍ (٢)
 فَإِنَّ الفَارِسَ المَنْعُوتَ خَفَّتْ لِمَنْصُلِهِ الفَوَارِسُ كَالرَّيَاشِ (٣)
 فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الغَمْرَاتِ يُكْنَى كَأَنَّ أَبَا العِشَائِرِ غَيْرُ فَاشٍ (٤)
 وَقَدْ نَسِيَ الحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَّى رَدَى الأَبْطَالَ أَوْ غَيْثَ العِطَاشِ (٥)
 لِقُوهُ حَاسِرًا فِي دِرْعٍ صَرَبٍ دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهَبِ الحَوَاشِي (٦)

(١) وشوق : عطف على ليل ، والمحاش - بضم الميم وكسرها - ما أحرقتة النار ، تقول : امتحش الخبز ، أى احترق . ومحشته النار وامتحشته : أحرقته . شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، شوقه : بتوقد النار ، وقلبه - الذى هو محل الشوق - بجمر النار . وجوانحه - أضلاعه - بشواء أحرقتة النار .

(٢) يدعو بالسقيا لكل نصل - سيف - لا ينبو عن الضريبة - أى لا يكل ولا يرتفع - ولكل رمح غير راش - أى غير ضعيف خوار .

(٣) المنعوت الموصوف : أى الذى توافف الناس شجاعته وسار بينهم ذلك وعرفوه بهذا الوصف ، يعنى به أبا العشائر . وهذه رواية الخوارزمي : وروى ابن جنى المنعوت وهو الذى بغته الشيء : أى فاجأه ، يريد ما كان قد عرض لأبى العشائر من الجيش الذى كسبه بأنطاكية ، وكان قد أبلى ذلك اليوم بلاء حسنا ، وخفت لمنصله - سيفه - الفوارس : أى تطايرت الفوارس عن سيفه تطاير الريش .

(٤) يقول لكثرة خوضه الغمرات - الشدائد - والتباسة بالحرب وأهوالها : صار يكنى أبا الغمرات ، وعرف بذلك حتى كأن كنيته المعروفة - أبا العشائر - غير فاشية ، إذ غمرتها هذه وأخلتها .

(٥) الردى : الهلاك ، وما - فى قوله بما يسمى - مصدرية : أى بتسميته ردى الأبطال ، والغيث : المطر . يقول : وقد نسى اسمه العلم - وهو الحسين بما سموه - به من ردى الأبطال - أى هلاك الشجعان - أو غيث العطاش ، يعنى إن صفى الشجاعة والوجود غلبتا على اسمه المشهور حتى ترك ، فلا يسمى إلا بهذين .

(٦) الحاسر : الذى لا درع له ، وهو حال ، وفى درع ضرب : حال أخرى . يقول : لقوه ولا درع عليه ، لأنهم فاجأوه ، ثم قال : لكنه من ضربه الأعداء فى درع ،

كَأَنَّ عَلَى الْجَمَاجِمِ مِنْهُ نَاراً وَأَيْدِي الْقَوْمِ أَجْنِحَةُ الْفَرَاشِ (١)
 كَأَنَّ جَوَارِي الْمُهْجَاتِ مَاءً يُعَاوِدُهَا الْمُهْنَدُ مِنْ عَطَاشِ (٢)
 فَوَلَّوْا بَيْنَ ذِي رُوحٍ مَفَاتٍ وَذِي رَمَقٍ وَذِي عَقْلِ مُطَاشِ (٣)
 وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ تَوَارِي الضَّبِّ خَافَ مِنْ احْتِرَاشِ (٤)
 يُدْمِي بَعْضُ أَيْدِي الْخَيْلِ بَعْضاً وَمَا بِعِجَابِيَةِ أَثْرِ ارْتِهَاشِ (٥)

لأن ضربه بالسيف يحميه ، ثم شبه الأثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق ، وكفى عن بريقه بأنه ملتهب الحواشي . والمعنى : أن ضربه الأبطال يصد عنه كما يصد الدرع .

(١) يقول : كأنه يحرق الجماجم لشدة ضربه إياها ، ولأن سيفه يلمع كالنار عليها ، وكأن أيدي القوم أجنحة الفراش لأنها تطير بضربه إياها ، فشبه أيدي القوم المقطعة حوله بالفراش الذي يتهافت على النار .

(٢) المهجة : دم القلب ، والمهند : السيف ، والعطاش : شدة العطش ، وهو من باب فعال - الذي للأدواء : كصداع وزكام - شبه ما أجرى من دماء قلوب الأعداء بالماء وجعل سيفه يعاودها مرة بعد مرة : كالعطشان يعاود الماء ، يقول : إن سيفه لا يزال يعاود دماء أعدائه كأنه عطشان يعاود شرب الماء .

(٣) مفات : مفعول - من الفوت - أي حيل بينه وبين روحه ؛ يقال أفاته الشيء : أي جعله يفوته ؛ والروح ؛ يذكر ويؤنث ، وتذكيره أكثر ، والرمق : بقية الروح . يقول : فانهزموا عنه وهم بين مقتول قد فارقه روحه ، وآخر به رمق . وثالث قد عقله : أي ذهب وتحير لما لاقى من الأهوال .

(٤) المنعفر : المتلطف بالعفر ، وهو التراب ؛ ولنصل : خبر مقدم ، وتواري : مبتدأ مؤخر ، والتواري : الاختفاء . والاحتراش : صيد الضب . يقول : قد غاب السيف في هذا المنعفر كما يغيب الضب في جحره خشية الاحتراش : أي الصيد .

(٥) العجاية : عصابة في اليد فوق الحافر ، والارتهاش : أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى ، حتى تدمي الرواهش وهي عصب الذراع . يقول : انهزمت الخيل بين يديها هاربة وهي تغوص في دماء القتلى فيلطح بعض أيديها بعضاً بالدم فكأن بها ارتهاشاً ولم يكن ثم ارتهاش لأن أيديها سليمة . وقال ابن القطاع في قوله يدمي وفي البيت بعده : يريد أن الممدوح لا نظير له في شجاعته ولا له قرن يصادمه ، وضرب المثل بأيدي الخيل ، ويريد : لا يقاتل الرجال إلا أكفاؤها .

وَرَائِعُهَا وَحَيْدٌ لَمْ يَرُعْهُ تَبَاعُدُ جَيْشِهِ وَالْمُسْتَجَاشِ (١)
كَأَنَّ تَلَوَّى النَّشَابِ فِيهِ تَلَوَّى الْخُوصِ فِي سَعْفِ الْعِشَاشِ (٢)

(١) رائعيها : مفزعها ومخوفها ، والمستجاش : الذي يطلب منه الجيش ، يقول : إن الذي أفزع الخيل وحيد أغار عليها بنفسه لم يخفه بعد جيشه عنه وانقراده هو منه ، ولا بعد سيف الدولة الذي يستجيشه : أى يطلب منه الجيش ، لأن المدوح - وهو أبو العشائر - كان عاملاً على أنطاكية من قبل سيف الدولة .

(٢) الخوص : ورق النخل ، والسعف : أغصانها ، والعشاش : جمع عشة ، النخلة إذا قل سعفها ودق أسفلها ، وقد عششت النخلة : قل سعفها ودق أسفلها ، وشجرة عشة : دقيقة القضبان ، لثيمة النبات : قال جرير :

فَمَا شَجَرَاتِ عَيْصِكَ فِي قَرَيْشٍ بَعْشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي (١)
وَامرأة عشة : قليلة اللحم : ورجل : مهزول . أنشد ابن الأعرابي :
* تَضْحَكُ مِنِّي أَنْ رَأَيْتَنِي عَشًّا (٢) *

يريد أنه كان يرمى بالسهم فتتلوى فيه كتلوى الخوص وأغصان النخل فلا تنال منه ولا تنفذ من درعه . فهو لشجاعته لا يكثر للظعن ولا الضرب ولا الرمي .

(١) العيص : منبت خيار الشجر . والعيص : الأصل . وفي المثل : عيصك منك وإن كان أشبأ . يعنى أصلك منك ، وإن كان غير صحيح . وما أكرم عيصه ، وهم آباؤه وأعمامه وأخواله وأهل بيته ، والضواحي من الشجر القليلة الورق التي تبرز عيداتها للشمس .
(٢) بعده :

* لَبِستُ عَصْرِي عُصْرًا فَامْتَشًّا *

بَشَاشَتِي وَعَمَلًا فَفَشًّا وَقَدْ أَرَاهَا وَشَوَاهَا الْحُمَشَا
وَمُسْفَرًّا إِنْ نَطَقْتَ أَرَشًّا كَمِشْفَرِ النَّابِ تَلُوكُ الْفَرَشَا

قوله فامتشا : هو من امتش مافى الضرع إذا حلب جميع مافيه . وكذلك تقول فش الضرع فشا : أى حلب جميع مافيه . والشوى : الأطراف . والحمش : الدقيقة ، وأرش : أى جاء بالرش ، والرش فى الأصل المطر اقليل والفرش الغمض من الأرض فيه العرط والسلم ، وإذا أكلته الإبل : أرخت أفواهاها .

وَنَهَبُ نَفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى بِأَهْلِ الْمَحْدِ مِنْ نَهَبِ الْقُمَاشِ (١)
تُشَارِكُ فِي النَّدَامِ إِذَا نَزَلْنَا بَطَانٌ لَا تُشَارِكُ فِي الْجِحَاشِ (٢)
وَمِنْ قَبْلِ النَّطَاحِ وَقَبْلَ يَانِي تَبِينُ لَكَ النَّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ (٣)
فِيَا بَجْرَ الْبُحُورِ وَلَا أَوْرَى وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَحَاشِي (٤)
كَأَنَّكَ نَاطِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَمَا يُخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشٍ (٥)

(١) النهب : الغارة : وأهل النهب : الجيش : والقماش : متاع البيت . يقول :
إن الأعداء هجموا على أنطاكية يريدون نهب أمتعتها ، ولكن أبا العشار نهب نفوسهم ،
ونهب النفوس أليق بالأشراف من نهب الأمتعة ، وهذا من قول أبي تمام :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتَا

يَوْمَ الْكُرَيْهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(٢) الندام : المندامة على الشراب ، والبطان : جمع بطين ، وهو العظيم البطن
الرغيب . والجحاش : المجاحشة . وهي المدافعة في القتال : يقول : إذا نزلنا عن الحيل
شاركنا في شرب الخمر رجال ذؤونهم يكثرون الأكل ولا يشاركون في
القتال ، ومثله :

يَفِرُّ مِنَ الْكُتَيْبَةِ حِينَ يُلْقَى وَيَثْبُتُ عِنْدَ قَائِمَةِ الْخِوَانِ

(٣) النطاح : مناطق ذوات القرون ، ويستعمل في الحرب . و« قبل » رواه الخوارزمي
نصباً على الظرف ، ورواه غيره بالحذف عطفاً على ما قبله . ويأني : يجين - من قولهم
أني الشيء يأني إني - أراد قبل أن يأني : خذف ، يقول : قبل المناطحة وقبل أوانها
يتبين ما يناطح من الكباش مما لا يناطح ، ومن يقاتل بمن لا يقاتل من الأناسي ،
وذلك أن الكباش تتلاعب بقرونها وإن لم ترد الطعن بها ، وكذلك يتلاعب الناس
بالأسلحة فيعرف من يحسن استعمالها ممن لا يحسن .

(٤) أكثر الرواية : ويا ملك الملوك ، وروى . ويا بدر البدور . وورى الحديث
أخفاً وأظهر غيره . يقول : لا أستر قولي بل أجهر به ، ولا أحاشي : أي لا أدع
أحدًا ولا أستثنى إنساناً .

(٥) العاشي : الذي يغشاك ويوزرك ؛ وغاشية الرجل : الذين يأتونه ويوزرونه .
ومنه قول ذي الرمة يصف سفوداً :

أَصْبِرْ عَنْكَ لَمْ تَبْخَلْ بِشَيْءٍ وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَيَّ كَلَامَ وَأَشٍ (١)
وَكَيْفَ وَأَنْتَ فِي الرُّؤْسَاءِ عِنْدِي عَتِيقُ الطَّيْرِ مَا بَيْنَ الْخُشَّاشِ (٢)
فَمَا خَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشِي (٣)

وَذِي شَعْبٍ شَقَى كَسَوْتَ فَرُوجَهُ لِفَاشِيَةِ يَوْمًا مُقَطَعَةٌ حُمْرًا
وقال حسان :

يُغَشُونَ حَتَّى مَاتَهُرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُتَبِيلِ (١)
يقول المتنبي : إنك من الفطنة والنفاد وثقوب البصيرة بحيث ترى ما في قلوب الناس وتعلم ما يطلبون ، فليس يخفى عليك حال قاصد إليك وزائر يغشاك . ومثل هذا في المعنى قوله الآتي :

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيَغْضِي عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مُمَخْرَقٍ
(١) (٢) لم تبخل : أى وأنت لم تبخل ، فهى حملة حالية ؛ والاستفهام إنكارى ؛
والواشى : التمام ؛ وكيف : حال محذوفة العامل ؛ أى وكيف أصبر عنك ، والعتيق :
الكريم . والخشاش - بكسر الخاء ، وقد تفتح - صغار الطير نحو العصافير وأضرابها -
والحشرات . يقول - فى البيت الثانى - : وكيف أصبر عنك وأنت بين الرؤساء
كالكريم من الطير بين صغارها ؟

(٣) يقول : ليس يرجو من يخشى بأسك أن تكذب خوفه لثقتك بانتقامك وقوة
بطشك ، فبأسك نازل به لا محالة ، وليس يخشى من رجا إحسانك أن تخيب رجاءه ،
لانه على يقين من فيض سخائك ، فأنت موضع الخوف والرجاء ؛ وعبرة ابن جنى : ليس
يرجو من يخشاك أن يلقى من يكذبه ويخطئه فى خوفك ، لأن الناس مجمعون على خوفك
وخشيتك . وعبرة ابن فورجه : يريد : خاشيك نازل به بأسك وواقع به سخطك

(١) يغشون - بالبناء للمفعول - أى يتردد إليهم - من غشيه : إذا جاءه - وهر
الكلب يهر - من باب ضرب - هريراً : إذا صوت ، وهو دون النباح . يعنى أن منازلهم
لا تخلو من الأضياف والعفاة ، فكلامهم لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة
التردد إليها من الأضياف . وقوله لا يسألون الخ : أى هم فى سعة لا يسألون كم
نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير - وهو السواد - إذا قصدوا نحوهم .

تُطَاعِنُ كُلَّ خَيْلٍ كُنْتَ فِيهَا وَآوَى كَانُوا النَّبِيَّ عَلَى الْجَحَاشِ (١)
 أَرَى النَّاسَ الظَّالِمَ وَأَنْتَ نُورٌ وَإِنِّي مِنْهُمْ لِأَلَيْسَ عَاشِ (٢)
 بُدِيتُ بِهِمْ بَلَاءَ الْوَرْدِ يَلْقَى أَنْوَفًا هُنَّ أَوْلَى بِالْحَشَاشِ (٣)

وانتقامك ، فما يرجو تكديباً لما خافه لشدة خوفه ، ولا راجيك يخشى أن تخيه لفيض عرفك . وقال الواحدى : الصحيح فى هذا البيت رواية من روى :

* فما خاشيك للتثريب راج *

أى من خشيك لا يخاف أن يثرب ويعير بخشيتك ؛ فراج بمعنى خائف . قال : ومن روى للتكذيب : لم يكن فيه مدح ، لأن المدح فى العفو — لا فى تحقيق الخشية — وإنما يمدح بتحقيق الأمل وتكذيب الخوف ، كما قال السرى الرفاء :

إذا وعد السراء أنجز وعده وإن وعد الضراء فالعفو مانعه

(١) النبيط : قوم بسواد العراق حراثون ؛ وكل خيل : فاعل تطاعن ؛ والمراد : كل أهل خيل — على حد قوله صلى الله عليه وسلم « ياخيل الله اركبى » ؛ يقول : إن القوم الذى تكون فيهم وتغزو بهم يتشجعون بك ويطاعنون ، ولو كانوا من أولئك الأنباط الحراثين الذين لا يعرفون ركوب الخيل ، وإنما يركبون الحمير : أى أن من كان معك كان شجاعاً لشجاعتك .

(٢) يقال : عشا إلى النار يعشو فهو عاش : إذا أتاها ليلاً . هذا هو الأصل ، ثم صار كل قاصد عاشياً ، قال صاحب الصحاح : عشوت إلى النار إذا استدلت عليها بصر ضعيف . قال الحطيطه :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ

وقوله « منهم » حال من ضمير المخاطب بعده . يقول : الناس فى قلة خيرهم كالظلام ، وأنت مشرق بينهم بفضلك وكرمك كالنور ؛ وقد قصدتك من بينهم أطلب الخير كما تؤتى النار فى الظلام .

(٣) الحشاش : عود يجعل فى عظم أنف البعير يشد فيه الزمام . أراد أنوف اللثام من الناس وأنها أولى بالحشاش من أن تشم الورد . شبه نفسه بالورد وشبه من رآه من الناس بأنوف الإبل . وقال ابن جنى : تأذيت بقاء غيرك من الرؤساء ولم يلقوا بى كما لا يلقى الورد بأنوف الإبل .

عَلَيْكَ إِذَا هُرِّلْتَ مَعَ اللَّيَالِي وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمَنُ فِي هِرَاشٍ (١)
 أَيْ خَبِرُ الْأَمِيرِ فِتْمِيلَ كَرَشُوا فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَوْ لِحَقُوا بِشَاشٍ (٢)
 يُقَوِّدُهُمْ إِلَى الْهَيْجَا الْجُوجُ يُسِنُّ قِتَالَهُ وَالْكَرُّ نَاشِي (٣)
 وَأُسْرِجَتِ الْكَمَيْتُ فَنَاقَلْتُ بِي عَلَى إِعْقَاقِهَا وَعَلَى غِشَاشِي (٤)

(١) يقول : هم عليك مع الدهر أعوانا له إذا كنت مهزولا - أي إذا افتقرت : فصرت كالمهزول الذي لا لحم له ، وإذا سمتت - أي أثريت وكثرت مالك - التفتوا حولك وتهاشوا تهاش الكلاب يطلبون نوالك ، وكذلك حال الناس ، فقوله : عليك أي هم عليك ؛ والمراد بالهزال والسمن : الفقر والغنى . والهراش : مأخوذ من مهارشة الكلاب . وقال الواحدى : المعنى : هم عيال في الحرب فإذا رجعت بالغنيمة خيموا لديك وتهاشوا .

(٢) شاش : بلد في ما وراء النهر . يقول : ورد خبر الأمير وأنه مع جيشه كروا على العدو ، فقلت : نعم - تصديقا لهذا الخبر - يكر الأمير وأصحابه ولو لحق جيش عدوه بشاش : أي ولو أمعن عدوه في الحرب وكان بعيداً ، وهذا من قول البحترى :
 يَضْحِي مِطْلًا عَلَى الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَفُوا

بِالصَّيْنِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّيْنَا

قال ابن جنى : كان أبو العسائر قد استطرد الخيل ثم ولى بين أيديهم هاربا ثم جاء خبره أنه كره عليهم راجعا ، فيقول المتنبي : نعم يكرون - أي الأمير وأصحابه - ولو لحقوا من فرارهم بشاش . وقال ابن فورجه : الرواية بضم الكاف - كاف : كروا - والذى أتى خبر الأمير بظفره بالعدو ، فقيل لنا معشر المستمحين : كروا ، فقلت : نعم نكبر ، ولو لحقوا بشاش : أي ولو كان على البعد منا . والأولى أظهر .

(٣) أراد باللجوج : أنه لا ينثنى عن أعدائه ولا يزال يغزوه . ويسن قتاله : أي يطول ، من أسن : أي طالت سنه - أي عمره . وناشى : هى ناشىء - بالهمز - خفف ، أي حديث السن ، يقول : إن هذا الممدوح يقود جيوشه إلى الهيجا - الحرب - وهو لجوج في قتال أعدائه قد أطال قتالهم حتى أسن وكره لا يزال شابا ؛ فهو في آخر القتال ، كما كان في أوله ؛ وفيه نظر إلى قول البحترى .

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِرَافُ مُجَرَّبٍ

(٤) الكميت : ما كان بين الأشقر والأدهم من الخيل - يقال للذكر والأنثى -

قال الكلجبة .

مِنَ الْمُتَمَرِّدَاتِ تُدَبُّ عَنْهَا بِرُمْحِي كُلِّ طَائِرَةٍ الرَّشَاشِ (١)
وَلَوْ عَقِرَتْ لَبَلَّغَنِي إِلَيْهِ
حَدِيثٌ عَنْهُ يُحْمَلُ كُلُّ مَاشٍ (٢)
إِذَا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ لِحَافٍ وَشِيكَ فَمَا يَنْكَسُ لِانْتِقَاشِ (٣)

كَمَيْتٌ غَيْرُ مُخْلَفَةٍ وَلَكِنْ كَلَوْنَ الصَّرْفِ عُلَّ بِهِ الْأَدِيمُ
[يعني أنها خالصة اللون لا يحلف عليها أنها ليست كذلك] .

والمناقلة أن تحسن نقل يديها ورجليها بين الحجارة : وأعقت الدابة إعقاقا ، انفتق
بطنها للحمل . والغشاش : العجلة ؛ يقال لقيته غشاشاً وعلى غشاش : إذا لقيته على عجلة
قالوا : وهي كنانية . وأنشدت محمودة السكلاية :

وما أنسى مقالتها غشاشاً لنا والليلُ قد طرَدَ النهارا
وصاتك بالعهود وقد رأينا غرابَ البينِ أو كبَّ ثم طارا

[أو كب الطائر : تمياً للطيران] أي أنها أسرعت بي على ثقلها وعلى عجلى .

(١) التمرد : تفعل ، من المارد ، والمريد ، وهو الذي قد أعيا خبتاً ، والتمردة
المتنعة . يصف فرسه بالخبث وترك الانقياد لمن لا يحسن ركوبها ؛ وتدب : تدفع . وكل
نائب فاعل تدب ؛ وطائرة الرشاش : أي كل طعنة طائرة الرشاش ، وهو ما يترشش من
الدم . يقول : هي من الخيل الشديدة المراس وإني أصونها برمحي عن أن تطعن .

(٢) يقول : لو عقرت فرسي — قطع عصب رجلها ؛ والمراد : هلكت فلم تحملني
إليه ، لبلغني إليه حديث عنه — أي عن المدوح — يحمل كل ماشٍ إليه فلا يحتاج إلى
المطية : أي يشوقه إلى قصده ما يسمع من الثناء عليه ؛ أو تقول : إنه إذا ذكرت أخباره
وما يكون منه لم يجد الماشي مس النصب والإعياء لاستطابته ذلك الحديث ، فكأن الحديث
حملة إليه وهذا كما قيل : إن رجلين اصطجبا ، فقال أحدهما لصاحبه : تحملني وأحملك .
يريد تحدثني وأحدثك حتى تقطع الطريق بالحديث لاستطابته يحمل الماشي ؛ هذا على
رواية كل ماشٍ بالنصب ومن رواها بالرفع رد الضمير في عنه للحديث : أي أن كل ماشٍ
يحمل حديثه لاستفاضة أخباره وشيوعها .

(٣) شيك : أي دخلت الشوكة رجله ؛ والانتقاش : إخراج الشوكة من الرجل .
يقول : إذا وصفت لشجاع مواقف المدوح في الحرب تاق إليه ورغب في صحبتته فأسرع

تَزِيلُ مَخَافَةَ الْمَصْبُورِ عَنْهُ وَتُلْهِمِي ذَا الْفِيَّاشِ عَنِ الْفِيَّاشِ (١)
وَمَا وُجِدَ اسْتِيَاقٌ كَأَشْتِيَاقِي
وَلَا عُرِفَ انْكِمَاشٌ كَأَنْكِمَاشِي (٢)
فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ (٣)

إليه لإعجابه حتى إنه - لذهوله - لو كان حافيا ودخلت شوكة في رجله إذ ذاك لم يكذب يحس بها فلا ينكس رأسه - لا يبطأ طيء - لإخراجها . وقيل: المراد بمواقفه ، مواقفه في الجود والعطاء .

(١) المصبور : المحبوس على القتل ؛ يقال: قتل فلان صبرا وهو أن يحبس حتى يقتل والفيئاش : المفايشة - أى المفاخرة - يقول : إن مواقف المدوح في القتال واقتحامه المهالك تشجع أخبارها المصبور وتزيل عنه خوف القتل ؛ أو تقول : إن التاء - في تزيل وتلهي - للمخاطب : أى أنك أيها المدوح تستنقذ المصبور من القتل فتزيل خوفه وتشغل المفاخر عن المفاخرة ؛ إذ يستخذي إليك حين يسمع بمفاخرك ويقر بفضلك : وفي رواية « يزيل » و « يلهي » بالياء -

(٢) الانكماش : الإشاحة والجد في الأمر . يقول : لم يشتق أحد اشتياقي إليك ولم يسرع أحد سرعتي في قصدك .

(٣) هذا كقول أبي تمام :

وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُوا نَوَالَهُمْ
فَإِنِّي لَمْ أَخْدُمْكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
وقد تقدم .

قافية الضاد

وأمر سيف الدولة بإنفاذ خلعة إليه فقال :

فَعَلَّتْ بِنَا فِقْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ خَلَعَ الْأَمِيرَ وَحَقَّهُ لَمْ تَقْضِهِ (١)
فَكَانَ صِحَّةً نَسَجَهَا مِنْ لَفْظِهِ وَكَأَنَّ حُسْنَ تَقَائِمَهَا مِنْ عَرْضِهِ (٢)
وَإِذَا وَكَلَّتْ إِلَى كَرِيمِ رَأْيِهِ فِي الْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ مَحْضِهِ (٣)

(١) يقول : أحيتنا خلع الأمير وألبستنا الوشي ، كما يحيي المطر الأرض ويوشها بالنبات والأزهار وما إليها ، ولم تقض حقه كما يستحقه من الثناء . والضمير في أرضه : إما للممدوح ، أضاف الأرض كلها إليه تفخيماً لشأنه ، أو يريد أرض مملكته - إشارة إلى ما أفاض الله عليها من الخصب والنعاء ؛ وإما راجع إلى السماء وذكره على إرادة المطر ، أو السقف ونصب حقه بإضمار ما فسر به ، ومثله :

والذئب أخشاه إن مررتُ به وحدي وأخشى الرياح والمطرا
(٢) يقول : إن نسج هذه الخلع يشبه لفظ الأمير في جودته وسلامته من السخف ، وكأن نقاءها من نقاء عرضه ؛ إذ سلم مما يعاب به ، وهذا من قول ابن الرومي في ثوب استهداه :

صَحِيحًا مِثْلَ رَائِكَ إِنَّهُ وَالْحَزْمَ فِي قَرَنِ
تَقِيًّا مِثْلَ عَرْضِكَ إِنَّ عَرْضِكَ غَيْرُ ذِي دَرَنِ

(٣) المذيق : المذوق ؛ أي الممزوج : والمحض : الخالص ، وهما من أوصاف اللبث استعارها للجود . يقول : إذا فوضت الأمر في الجود إلى الكريم ولم تقترح عليه شيئاً وتركته إلى رأيه : بلغت ما تريد ؛ وبأن لك صحيح الرأي من معييه ، لأن صحيح الرأي لا يحتاج إلى سؤال ، بل يعطى بطبيعة الكرم ؛ ومعيب الرأي لا يعطى حتى يسأل مراراً . أو تقول : إن الكريم إذا ترك رأيه من غير سؤال بان جوده هل هو مشوب يأتيه تكلفاً وحياء أم أنه خالص يبعث به طبعه ونخيزته ؟

وقال لما مرض سيف الدولة :

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الْأَرْضُ
 وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَاسُ وَالْكَرْمُ الْمَحْضُ^(١)
 وَكَيْفَ انْتَفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا
 بَعِلَّتْهُ يَعْتَلُّ فِي الْأَعْيُنِ الْغَمُضُ^(٢)
 شَفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ
 لِأَنَّكَ بَجْرٌ كُلُّ بَجْرٍ لَهُ بَعْضُ

* * *

وقال في بدر بن عمار ، وقد قام منصرفا في الليل :

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَكَ لَا يَمْضِي
 وَرُوْيَاكَ أَحْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الْغَمُضِ^(٣)

(١) البأس : الشدة والسطوة ؛ والمحض : الخالص . والمعنى ظاهر وهو من قول

أبي تمام :

لَا تَعْتَلِلْ إِنَّمَا بِالْمَكْرُمَاتِ إِذَا

أَنْتَ اعْتَلَّتْ تَرَى الْأَوْجَاعُ وَالْعِلَلُ

وقوله :

إِنَّا جَهَلْنَا فَخَلْنَاكَ اعْتَلَّتْ وَلَا

وَاللَّهُ مَا اعْتَلَّ إِلَّا الْمَلَأُ وَالْأَدْبُ

وقوله :

وَإِنْ يَجِدْ عِلَّةً نَعَمُّ بِهَا

حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهِ

ومثله لمسلم بن الوليد :

نَالَتْكَ يَا خَيْرَ الْخَالِقِ عِلَّةٌ

يَفْدِيكَ مِنْ مَكْرُوهِهَا الثَّقَلَانِ

فِي كُلِّ قَلْبٍ مِنْ شَكَاتِكَ عِلَّةٌ

مَوْصُوفَةٌ الشُّكْوَى بِكُلِّ لِسَانٍ

(٢) اعتلال الغمض : كناية عن امتناعه عن العين ، فجعل ذلك اعتلالا له .

(٣) قوله في العيون : يروى في الجفون : وكان يجب أن يقول : ولقياك ؛ لأن

الرؤيا تستعمل في المنام ؛ لكنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية لأنه كان بالليل : كقوله تعالى

« وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » لم يرد رؤيا المنام ، بل رؤيا اليقظة ،

وكان ذلك ليلا - ليلة الإسراء - . يقول : إن الليل قد مضى ، أما فضلك فهو ثابت باق

وعجز البيت من قول ابن الرومي :

وَلَطَعْمُ اكْتِحَالَةٍ مِنْهُ بِالزَّا
 تُرُّ أَحْلَى فِي عَيْنِهِ مِنْ رُقَادٍ

عَلَى أَنْتَى طُوقَتْ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ شَهِدْتُ بِهَا بَعْضَى لِغَيْرَى عَلَى بَعْضَى (١)
سَلَامُ الَّذِى فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَرْشُهُ تُخَصُّ بِهِ يَا خَيْرَ مَا سِ عَلَى الْأَرْضِ

(١) قال الواحدى : أنصرف عنك ، مع أنك قلدتني نعمة يشهد بها بعضى على بعضى ؟ أى من نظر إلى استدل بنعمتك على ، والمعنى أن القلب إن أنكر نعمتك شهد الجلد بما عليه . من الخلع . وقال ابن جنى : فى الكلام حذف تقديره : أمدحك وأثنى عليك بما طوقتني به من نعمك ، فحذف للدلالة عليه ، ثم قال فى قوله شهيد بها الخ : لسانه يشهد على سائر جسده ، وهو من قول ابن بسام الكاتب .

وقد سبقت منه لى نعمة تقرّ على وإن لم أقرّ

قافية حرف العين

وخرج يملك مملوك سيف الدولة إلى الرقة ؛ فخرج سيف الدولة يشيعه ، وهبت
ريح شديدة فقال :

لَا عَدِيمَ الْمَشِيْعِ الْمَشِيْعُ لَيْتَ الرِّيَّاحِ صَنَعٌ مَا تَصْنَعُ^(١)
بَكَرْنَ ضَرًّا وَبَكَرْتَ تَنْفَعُ وَسَجَسَجَ أَنْتَ وَهَنْ زَعَزَعُ^(٢)
وَوَاحِدٌ أَنْتَ وَهَنْ أَرْبَعُ وَأَنْتَ نَبِيعٌ وَالْمُلُوكُ خِرْوَعُ^(٣)

وقال يمدحه ويذكر الوقعة التي نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث ،
وذلك في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة(*) :

(١) المشيع — بصيغة اسم الفاعل — سيف الدولة ؛ والمشييع — بصيغة اسم
المفعول — غلامه يملك ، يدعوله . يقول : لا عدمه غلامه ، ثم قال : ليت الرياح تصنع
ما تصنع أنت من نفع الناس .
(٢) بكرن ضرا : أراد بكرن — أى الرياح — يضررن ضرراً ، أو بكرن ذوات
ضر . والسجسج : السهل اللين الذى لا حر فيه ولا برد . والززعع : الريح الشديدة
المؤذية . يقول : إن الرياح تضر الناس وأنت سهل تنفع الناس فليتها مثلك .
(٣) عنى بالأربع : الجنوب ، والشمال . والصبا ، والدبور . والنبيع : شجر صلب
تتخذ منه القسي ، وهو عندهم من جيد الشجر . والخروع : نبت ضعيف متشن ، وكل
شئ لين فهو خروع وخريع .

* مر سيف الدولة في هذه الغزوة بمندو وعبر آلس — وهو نهر عظيم على يوم
من طرسوس — ونزل على صارخة ، وهى مدينة هناك ، فأحرق ربهضها وكنائسها
وربض خرشنة وما حولها وأقام بمكانه أياماً ، ثم عبر آلس راجعاً فلما أمسى ترك السواد
وأكثر الجيش ، وسرى حتى جاز خرشنة ، وانتهى إلى بطن لقان ظهر الغد ، فلقى

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا (١)

الدمستق في ألوف من الحيل ، فلما رأى الدمستق أوائل خيل المسامين ظنها سرية لها ، فانتشب القتال بين الفريقين . فانهزم الدمستق ، وقتل من فرسانه خلق كثير ، وأسر من بطارقه ووزارته نيف وثمانون ، وأفلت الدمستق وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده حتى وصل إلى عقبة — تعرف بمقطعة الأثغار — فصادفه العدو على رأسها ، فأخذ ساقه الناس يحميهم ، ولما انحدر بعد عبور الناس ركبهُ العدو ، فخرج من الفرسان جماعة ، ونزل سيف الدولة على بردى — وهو نهر بطرسوس — وأخذ العدو عليه عقبة المسير — وهى عقبة طويلة — فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها ، فعدل متيسراً في طريق وصفه بعض الأدلة ، وجاء العدو آخر النهار من خلفه ، فقاتل إلى العشاء ، وأظلم الليل ، وتساند أصحاب سيف الدولة : أى أخذوا في سند الجبل يطلبون سوادهم . فلما خفت عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة — قرية من بحيرة الحدث — فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين ، وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفر أحد ، ومن نجا من العقبة نهراً لم يرجع ، ومن بقى تحتها لم تكن فيه نصره ؛ وتخاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر ، فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة وبقية الأسرى ، فكانوا مئآت ، وانصرف ؛ واجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين بعضهم ينام بين القتلى من التعب ؛ وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك منهم ، فقال يصف ذلك .

(١) يقول : لا أنخدع بالناس فأتأول فيهم الخير وأظن فيهم الجميل لأنهم يجبنون عند القتال . ويشجعون عند الحديث ، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل ، فلا أغتر بقولهم ؛ وإنما قال هذا الناس ولم يقل هؤلاء : لأنه ذهب إلى لفظ الناس ، لا إلى معناه . هذا : ويقال خدعه يخدعه خدعا — بالكسر — مثل سحره يسحره سحراً ؛ وخدعا — بالفتح أيضاً — وخدعية وخدعة : أى أزد به المكر وختله من حيث لا يعلم ، وتخاذع وانخدع أرى أنه قد خدع ؛ وخدعته فانخدع ورجل خدعة بالتسكين إذا كان يخدع كثيراً ، وخدعة : يخدع الناس كثيراً وأصله من خدع الضب يخدع خدعا ، وانخدع : إذا استروح ريح الإنسان ، فدخل في جحره لئلا يحترش ؛ ومن ذلك خدع الدهر : إذا تلون ،

أهل الحفيظة إلا أن تجربهم^(١) وفي التجارب بعد الغي ما يزع^(١)
وما الحياة ونفسي بعد ما علمت أن الحياة كما لا تشهى طبع^(٢)

وخذعت العين : لم تنم ؛ وما خدعت بعينه نعهه ؛ أى ما مرت بها . قال الممزق العبدى
أرقت فلم تحدع بعيني نعهه^(١) ومن يلق ملاقيت لا بد يأرق^(١)

(١) الحفيظة : الحمية والأنفة : والغي : الانهماك في الجهل — خلاف الرشد . ويزع
يكف ويردع . يقول : هم أهل الحمية ما لم تجربهم ، فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك ، وفي
تجربتهم بعد ظهور غيهم ما يمنعك عن مخالطهم . قال العكبرى : يشير إلى ما ظهر من
عجز أصحاب سيف الدولة في الغزاة التي جبنوا فيها ، وقال : هم يظهرون الحمية والجلد والإقدام
ويتزينون بذلك ما لم تقع التجربة ، فإذا جربوا تركوا . وقال بعض الشراح : يريد بالنبي الاعتزاز :
أى وفي تجربة الشيء بعد الاعتزاز به ما يكشف عن دخلته ويكف عن الاعتزاز به .

(٢) الطبع : الدنس . وقوله ونفسي : فى موضع رفع عطفًا على الحياة أى مع الحياة
كما تقول ما أنت وزيد : أى مع زيد — وما : استفهامية . يقول : ما لنفسى والحياة ؟
أى لأريدها بعد ما علمت أن الحياة غير المشتهة دنس ، وشين لها ، فعلام الحرص إذن
على هذه الحياة والركون إليها ؛ أى لا أريد حياة ولا أشتهاها إذا كانت كذلك ؛ وفيه
نظر إلى قول قطرى بن الفجاءة :

وما للمرء خيرٌ فى حياةٍ إذا ما عُدد من سقط المتاع
هذا : وأصل الطبع : الذى هو الدنس والشين ؛ من قولهم طبع السيف طبعاً فهو
طبع ؛ أى صدىء . قال الفقهى : وتروى لحكيم بن معية الربيعي وأنشدها الأصمعي :
إنّا إذا قلّت طخارييرُ القزعِ وصدّر الشارب منها عن جرعِ
نفلحها البيض القليلاتِ الطبعِ من كلِّ عراضٍ إذا هزّ اهتزعِ
مثلِ قدامى النسر ما مسّ بضعِ يثولها ترعيةٌ غيرُ ورعِ

(١) أى لم تدخل بعيني نعهه ، ثم قال : ومن يلق ملاقيت يأرق لا بد : أى لا بد له
من الأرق .

لَيْسَ الْجَمَالُ لَوَجْهِهِ صَحَّ مَارْنُهُ أَنْفُ الْعَزِيزِ بِقَطْعِ الْعِزِّ يُجْتَدَعُ (١)
أَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كَيْتِفِي وَأَطْلِبُهُ وَأَتْرِكُ الْعَيْشَ فِي غَمْدِي وَأَنْتَجِعُ (٢)
وَالْمَشْرِفِيَّةُ لَأَزَالَتْ مُشْرِفَةً دَوَاءَ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْهَى الْوَجَعُ (٣)

ليس بفانٍ كبيراً ولا ضرعٍ ترى برجليه شقوفاً في كلغٍ
من باريءٍ حيصٍ ودامٍ منسلعٍ (١)

(١) المارن : مالان من الأنف . واجتدع أنفه : قطعه . يقول : ليس كل وجه صحيح المارن بجميل ، فإن العزيز متى قطع عزه ذل ، فصار كمن جدع أنفه وإن كان صحيح الأنف وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

لَيْسَ جَدَعُ الْأَنْفِ عِنْدِي جَدَعًا إِنَّ ذَلَّ النَّفُوسَ قَتْلٌ وَجَدَعُ

واختص الأنف لأن العرب تقصد الأنف من بين سائر الأعضاء ، فيقولون أرغم الله أنفه : أى أزرقه بالرغام ، وهو التراب . هذا هو الأصل ، ولكنهم يريدون الذل والعجز عن الاتصاف والانتقاد على كره .

(٢) الانتجاع — فى الأصل — طلب الكلاء ، ثم صار كل طلب استجاعا والمراد بالغيث : لازمه من الحصب وسعة العيش . يقول : إن المجد وسعة الرزق إنما يطلبان بالسيف . فلم أطلبها بشيء آخر ؟ يقول : أتترك أن أحوز المجد بالسيف وأكسب المال من طريق الطعن والنزال ، وأحاول ذلك بالطلب والسؤال ، فأكون بذلك كمن طرح عن كتفه ما يطلبه وترك فى غمده ما ينتججه ؟

(٣) المشرفية : السيوف ، والمشرفية : مبتدأ ؛ والخبر : دواء ؛ وجملة لازالت مشرفة : دعائية : ومن روى مشرفة — بكسر الراء — فمعناه : لا كانت داء ، بل كانت دواء يقول : إن السيوف دواء الكريم أو دأؤه ، لأنه : إما أن يدرك بها طلبته فيملك فتكون دواء ، وإما أن يقتل بها دون غايته فيهلك فتكون داء . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وَعِنْدَ بُقْرَاطٍ دَاءٌ لَوْ تَأَمَّلَهُ قَالَ الشِّفَاءُ بِجَدِّ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

(١) القرع . جمع قزعة ، السحابة أو القطعة من الغيم . والطخارير : سحابات متفرقة ويقال أخلت إبلى : إذا أرسلت فيها خلا ؛ والبيض السيوف وتفحلها الخ يريد نقرها بالسيوف ، وهو مثل ، وأراد بالعراض : السيف البراق المنضرب ، واهترع : اضطرب وكلعت رجله تكلع كلعاً وكلاعا تشققت واتسخت ، وترعية راع ، ويؤلها يجمعها من آل يثول فهو موثلها . ومنسلع متشقق .

وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوْقَ رِجْلِهَا
 وَأَوْحَدَتْهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ
 بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمْ
 قَادَ الْمَقَانِبِ أَقْصَى شُرْبَهَا نَهْلٌ
 لَا يَعْتَقِي بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ
 فِي الدَّرْبِ وَالِدَمُّ فِي أَعْطَافِهَا دُفْعٌ^(١)
 وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَدْعٌ^(٢)
 وَالْجَيْشُ بَابِنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ^(٣)
 عَلَى الشُّكِيمِ وَأَذْنَى سَيْرِهَا سِرْعٌ^(٤)
 كَأَمُوتٍ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شِبَعٌ^(٥)

(١) يريد يفارس الخيل : سيف الدولة ، لأن خيله أرادت الهزيمة ، فثبتها في مضيق من مضايق الروم . فقوله خفت : أى أسرع في الهزيمة فرعا : ووقرها : ثبتها والدرب : المضيق والمدخل إلى بلاد العدو ؛ والأعطاف : الجوانب ؛ والدم في أعطافها دفع : يعنى أن الدم منصب عليها دفعة بعد دفعة . وقال ابن جنى تعليقا على قوله : وفارس الخيل — يريد إذا اجتمعت الخيل موصوفة بالفروسية كان أفرسهم ؛ كقولك شاعر القوم ؛ فيحتمل أن يكونوا كلهم شعراء ؛ ويجوز أن يكون وحده شاعراً ؛ وإذا قلت هذا شاعر الرجلين لم يختص به الوصف دون الآخر ، بل تعمهما الصفة لأنه يجرى مجرى أشعر الرجلين ، فلا بد من أن يكونا شاعرين . ولا تقول هذا غلام الرجلين وأحدهما الغلام والآخر صاحبه ، كما لا تقول : شاعر الرجلين ، وأحدهما شاعر دون صاحبه

(٢) أوحدته : أى الخيل — أى تركته وحيداً . والقذع : الفحش . يقول فتركته وحيداً وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته وأغضبته بأخيارها عنه فلم يك في لفظه فحش ولا خنى : أى أنه شجاع وإن كان وحده ، وحليم عند الغضب .

(٣) ابن أبي الهيجاء : هو سيف الدولة . يقول إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم لأنهم بهم يقوون ويمتنعون على أعدائهم ، وعز جيشك بك لأنهم لا يمتنعون على عدوهم إذا لم تكن فيهم ، فأنت عزهم وبك منعتهم .

(٤) المقانب : جمع مقنب ، جماعة الخيل زهاء الثلاثمائة ؛ والنهل : الشرب الأول . والشكيم : جمع شكيمة ، الحديدية المعترضة في فم الفرس من اللجام ؛ والسرع : السرعة مصدر سرع . يقول : قاد الجيوش مسرعا بها حتى كان أقصى شرب خيلهم مرة واحدة وهى ملجمة ولم يتفرغوا — لشدة السير — أن يخلعوا اللجم ، وأقل سيرها إسراع . يصف ما كان عليه سيف الدولة من الإشاحة والجد في لقاء العدو .

(٥) لا يعتقى : أى لا يعتاق : يقال عاقه واعتاقه ، ثم يقلب ؛ ويقال : عقاها واعتقاها يقول : إن سيره إلى بلد لفتحها لا يعوقه عن سيره إلى غيره ، كالموت الذى يعم فلا يرتوى

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةَ تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ (١)
 لِّلْسَبِي مَا نَكَحُّوا وَالْقَتْلَ مَا وُلِدُوا وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا (٢)
 مُحَلِّي لَهُ الْمَرْجُ مَنْصُوبًا بِصَارِخَةَ لَهُ الْمَنَابِرُ مَشْهُودًا بِهَا الْجَمْعُ (٣)
 يُطَمَعُ الطَّيْرُ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ (٤)
 وَلَوْ رَأَاهُ حَوَارِيُّوهُمْ لَبَنَوْا عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعُوا (٥)

ولا يشبع : أى لا يقنعه كثرة من يفنيه ، كذلك هو لا يقنع بفتح بلد من بلاد الأعداء أو يفتح غيره .

(١) خرشنة : بلد بالروم ؛ والأرباض : جمع رضى ، ما حول المدينة من العمارة — الضواحي — . يقول : ما زال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرشنة وقد شقيت به الروم ، لانه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويخرب بيعهم .

(٢) يقول : لما أقام على أرباض خرشنة نكل بالروم فسبى نساءهم وأطفالهم وقتل أولادهم الكبار ونهب أموالهم وأحرق زرعهم : هذا : وقد أقام ما : مقام من فى الصراع الأول ليوافق «ما» فى الصراع الثانى ، على حد قوله تعالى «والسما وما بناها» ويجوز أن يكون حمل ما على المصدر . يريد للسبى نكاحهم والقتل ولادتهم ، قال العكبرى : واللام فى قوله للسبى : لام العاقبة . كقوله :

* لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ *

أى عاقبتهما هذا وقد زاد المتنبي على أبى تمام فى قوله :

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَالَمَتْ إِنْ لَمْ تَتَّبْ أَنَّهُ لِسَبِي مَا تَلَدُ

(٣) المرج : موضع ببلاد الروم ؛ وصارخة : مدينة من مدائنهم ؛ ومخلى ومنصوبا حالان من ضمير أقام — أى سيف الدولة — ومشهودا : حال من صارخة ، وكان الوجه أن يقول : منصوبة ومشهودة . إلا أن التذكير جائز على حد قولك : نصب المنابر وشهد الجمع . يقول : إنه بلغ النهاية فى النكابة بهم حتى أخلى له المرج ونصبت المنابر التى هى شعار الإسلام بصارخة وشهدت صلوات الجمع ، والجمع جمع جمعة كجمعات .

(٤) يقول : إن طول أكل الطير من لحوم قتلائهم أغرى الطير بهم ، فقد ألفت لحومهم حتى تكاد تقع على لحوم الأحياء وتختطفهم فى غدواتهم ورواحاتهم .

(٥) الحواريون : أصحاب السيد المسيح ؛ وأضافهم إلى ضمير الروم لأنهم من أهل

ذَمُّ الدُّمُسْتِقِ عَيْنِيهِ وَقَدْ طَلَعَتْ سُودُ الغَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعٌ (١)
 فِيهَا الكَمَامَةُ الَّتِي مَقْطُومُهَا رَجُلٌ عَلَى الجِيَادِ الَّتِي حَوْلِيهَا جَدَعٌ (٢)
 تَذْرِي اللُّقَانَ غُبَارًا فِي مَنَاخِرِهَا وَفِي حَفَاجِرِهَا مِنْ آلسِ جُرْعٍ (٣)

دعوتهم . يقول لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وإنصافه وكرمه لأوجبوا محبته وطاعته فيما يشرعون للمسيحيين من الشرع . هذا : وإنما سمي أصحاب السيد المسيح — صلوات الله عليه — بالحواريين : قيل لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ؛ وقيل : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم ؛ ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي » أى خاصتى من أصحابى وناصرى ؛ وتأويل الحواريين فى اللغة : الذين أخلصوا وتقوا من كل عيب ؛ وكذلك الحواري من الدقيق : سمي به لأنه ينقى من لباب البر ، وتأويله فى الناس : الذى قد روجع فى اختياره مرة بعد مرة ، فوجد نقيا من العيوب . والحواريات من النساء : النقيات الألوان والجلود لبياضهن ؛ ومنه الحور العين : لبياض عيونهن ؛ والعرب نساء الأمصار حواريات لبياضهن وبعدهن عن قشف الاعراب بنظافتهن . قال أبو جلدة :

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكُنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَابِحُ
 بَكِينَ إِلَيْنَا خِيفَةً أَنْ تَبِيحَهَا رِمَاحُ النَّصَارَى وَالسِّيُوفُ الْجَوَارِحُ
 [جعل أهل الشام نصارى لأنها تلى الروم ، وهى بلادها] .

(١) الدمستق : صاحب جيش الروم ، والقزع : المتفرق من السحاب واحدها قزعة . يقول : رأى الدمستق كتاب سيف الدولة فظنها شرازم قليلة ورأى سحابا متراكمة فظنها قطعاً متفرقة فلما وجد الأمر على خلاف ما أدركته عيناه ذم نظر عينيه . وعبارة ابن حنى : تخير حتى أنسكر حاسة بصره ؛ وهذا يشبه قول البحترى :

فَلَمَّا التَّقَى الجَمَاعَ لَمْ تَجْتَمِعْ لَهُ يَدَاهُ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى البَيْضِ نَازِرَهُ

(٢) فيها : أى فى سود الغمام ، وهى عساكر سيف الدولة ؛ والكامة : جمع كمي ، وهو الشجاع المتسلح . والحولى الذى أتى عليه حول . والجذع الذى أتى عليه حولان . يقول : فيها أبطال صبيهم رجل لدى الوغى وحولى خيلهم جذع ، يعنى الصغير فى جيشه ، كبير يعظم أمره .

(٣) اللقان : موضع ببلاد الروم . وآلس : نهر هناك . يصف سرعة جرى خيله ومواصلتها السير . يقول : شربت الماء من آلس وبلغت اللقان قبل أن تزدرد — تبتلع —

كَأَنَّهُا تَتَلَقَّاهُمْ لَتَسْلُكَهُمْ فَالطَّعْنَ يُفْتَحُ فِي الْأَجْوَافِ مَا تَسَعُ^(١)
تَهْدِي نَوَاطِرَهَا وَالْحَرْبُ مُظْلِمَةٌ مِنْ الْأَسِنَّةِ نَارٌ وَالْقَنَا شَمْعٌ^(٢)

ما شربته ، فمأ هذا النهر في حلوقها وقد وصل إلى مناخرها تراب اللقان وبينهما مسافة بعيدة . وعبارة ابن الأفلح : وصلت اللقان وحناجرها لم تجف من ماء النهر . يشير إلى ركض الخيل وشدة إسرعها ، وهذا مبالغة . وقال ابن جني : لا تستقر فتشرب ، إنما تحتلس الماء اختلاسا بمواصلة السير . قال : ويجوز أن يكون شربت الماء قليلا لعلمها بما يعقب في الركض ، وكذا يفعل كرام الخيل .

(١) يقول : كأن خيله تتلقى الروم لتدخل فيهم لأن طعن فوارسها يفتح في أجوافهم جراحات تسع الخيل . يصف سعة الطعن ، وهذا ينظر إلى قول قيس بن الخطيم :

طَعْنَتْ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً نَائِرٌ لَهَا نَفْدٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا^(١)
مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَنَقَمْتُهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا^(٢)

وعبارة ابن الإفليحي : لتسلك أجسادهم وتتخذها طرقا ، وطعن فوارسها يفتح ما يسعهم ويحرق ما لا يضييق بهم . وليس هذا الإفراط بأعجب من قول النابغة يصف السيوف :

تَقْدُ السَّلَوقِ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوَقِدُ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْحُبَابِ

[السلوق : الدرع المنسوبة إلى سلوق - قرية باليمن - والصفاح : الحجر العريض . ونار الحباب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . وقيل : الحباب ذباب يطير بالليل - كأنه نار ، له شعاع كالسراج] .

(٢) نار : فاعل تهدي . والقنا : الرماح ، وهو مبتدأ . خبره : شمع . والجملة : حالية . يقول : إذا أظلمت الحرب بالنقع - الغبار - هدت عيون الخيل فيها نار الأسنة ، ولما استعار للأسنة نارا جعل القنا شمعا ، والأسنة في رءوس القنا - كما هو معروف - قال ابن وكيع : ينظر فيه إلى قول النخعي :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ^(٣)
ولقد أحسن البحتری فيه بقوله :

مَدَّ لَيْلًا مِنَ الْعَجَاجِ فَمَا يَمُّ شُونَ إِلَّا بِضَوْءِ السُّيُوفِ

- (١) النفذ : الثقب ؛ والشعاع : حمرة الدم ؛ أي لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين .
- (٢) ملكت : شددت وضبطت ، وأنهرت أو سعت .
- (٣) المذروبة الشرع : أسنة الرماح الحادة المشرعة .

دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ الْقُرِّ طَافِحَةً عَلَى نَفْسِهِمُ الْمُقَوَّرَةُ الْمَزْعُ (١)
 إِذَا دَعَا الْعَلِجُ عِلْجًا حَالَ بَيْنَهُمَا أَظْمَى تَفَارِقُ مِنْهُ أُخْتَهَا الضَّلْعُ (٢)
 أَجَلٌ مِنْ وَلَدِ الْفُقَاسِ مُنْكَتِفٌ إِذْ فَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مَنْصَرَعٌ (٣)
 وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبَيْضِ مُنْفَلِتٌ نَجَا وَمِنْهُمْ فِي أَحْسَانِهِ فَزَعٌ (٤)
 يُبَاشِرُ الْأَمْنَ دَهْرًا وَهُوَ مُحْتَبَلٌ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلًا وَهُوَ مُتَمَتِّعٌ (٥)

(١) يقال لوهج الصيف وغبراته : سهام . بفتح السين . والسهام : حر السموم . وقد سهم الرجل - على ما لم يسم فاعله - إذا أصابته السموم . والقر : البرد . وطاخفة : حال - أى مسرعة - يقال طفح يطفح : إذا ذهب يعدو . والمقورة : الضامرة . والمزع : السريعة - يقال مزع الفرس والظبي يمزع : إذا مر مسرعا خفيفا . يقول : قبل حمارة الصيف وصبارة البرد تأتيتهم خيل سيف الدولة وتعدو على نفوسهم فتنطوهم بحوافرها . وكان لسيف الدولة غزوتان في كل سنة : غزوة في الربيع ، وغزوة في الخريف . وروى ابن جنى « دون السهام » بكسر السين - ودون القر : أى قبل أن تصل إليهم سهام الرماة ، وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل المسرعة الضامرة . قال ابن جنى : سأله - أى المتنبي - فقال : هذه الخيل طفحت عليهم ، وقد صارت أقرب إلى نفوسهم من السهام ومن أن يفروا . يصف سرعة الخيل وأنها قد ركبهم وغشيتهم . (٢) العليج : الرجل الغليظ من كفار العجم ، وأظمى : يعنى رمحا أسمر ، ومنه : تعليل . يقول : إذا استعان العليج بعلج آخر حال بينهما رمح أظمى يفرق بين الضلعين ، فكيف بين العليجين ؟

(٣) الفُقَاسُ : جد الدمستق . وقال ابن جنى : هو الدمستق كأنه لقبه . وأجل وأمضى : مبتدآن . خبرهما : المرفوع بعدهما . يقول : إن هرب الدمستق وسبق الخيل بالفرار فلم تدركه فأجل منه وأعظم قدرا أسير منكثف - مشدود الكتفين - لأنه قاتل حتى أسر - وكان قد أسر من أصحابه نيف وخمسون رجلا - وأشجع منه قتيل مصروع لأنه قاتل حتى قتل ولم ينهزم .

(٤) شفار : جمع شفرة ، حد السيف . يقول : لم ينج من السيوف من نجا إلا وفي قلبه منها فزع لأن ذلك يقتله ولو بعد حين . والله أبو تمام إذ يقول :

إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَضْرٍ فَعَنْ قَدْرِ تَنْجُوا الرِّجَالُ وَلِكِنْ سَلُهُ كَيْفَ نَجَا

(٥) الختبل : الداهل المضطرب ؛ والمتمتع : المتغير اللون . يقول : يصير إلى مأمته

كَمْ مِنْ حُشَّاشَةٍ بِطَرِيقٍ تَضْمَنَهَا لِلْبَاتِرَاتِ أَمِينٌ مَالَهُ وَرَعٌ (١)
يُقَاتِلُ الْخَطْوُ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ (٢)
تَعْدُو الْمَنَايَا فَلَا تَنْفَكُ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ (٣)
قُلْ لِلدُّمُسْتَقِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ خَانُوا الْأَمِيرَ فِجَارَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا (٤)

فيعيش في الأمن حيناً من الدهر وهو ذاهل محتيل العقل لشدة مالحته من الفرع ،
ويحتسى الحمر وهو ممتنع اللون لاستيلاء الصفرة عليه فلا تحيل الحمر لونه إلى الحمرة مع
إدمانه عليها .

(١) الحشاشة : بقية الروح . والبطريق الفارس من الروم أو القائد . وتضمنها :
كفلها . والباترات : السيوف . والورع : التقى والكف عن المحارم ، والمراد بالأمين :
الذي لا ورع له : القيد . يقول : كم من بطريق أسر ليقتل إذا دعت الحاجة إلى قتله ،
فأرواحهم في ضمان القيد للسيوف ؛ قال العكبري : وقوله : أمين ماله ورع من أحسن
الكلام ، لأن الأمين هو الذي يؤتمن على الأشياء فلا بد له من ورع .

(٢) يقاتل ويطرده : أي الأمين ، وهو القيد ؛ وعنه : أي عن القيد . يقول :
إن القيد يمنع الخطو إن أراد السير ويمنعه النوم عند الاضطجاع فإذا أراد المشي قاتله
بتضييقه . يريد أوجعه بالضيق على ساقه ، فكأنه يقاتله ؛ وإذا أراد النوم منعه ؛
فكأنه يطرده عنه . ولعله ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا قَامَ أَعْيَتْهُ عَلَى السَّاقِ حَلِيَّةٌ لَهَا خَطْوُهُ وَسَطَ الْفِنَاءِ قَصِيرُ
(٣) يقول : إن المنايا تنتظر أمر سيف الدولة . فهي إن كفها ولت وإن أمرها
بأن تعود إليهم تدقت عليهم ، ومثله قول بكر بن النطاح :

كَأَنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ يَجْرِيْنَ فِي الْوَعْيِ إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِهِ
ويقول صريع الغواني :

كَأَنَّ الْمَنَايَا عَالِمَاتٌ بِأَمْرِهِ إِذَا خَطَرَتْ أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ

(٤) المسلمین - بفتح اللام - الذين أسلمهم سيف الدولة للعدو لتخاذلهم عنه ، وذلك
أن سيف الدولة لما قتل من قتل وأسر من أسر : غادر ذلك الموضع وبقى فيه جماعة من
جيشه مجهزون على من بقي فيه رفق من القتلى ، ومنهم من أخذه النوم فجاءهم العدو
وأخذوهم وقتلواهم . يقول : إن هؤلاء الذين تركهم سيف الدولة وأسلمهم هم لكم ، فاصنعوا

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامًا فِي دِمَائِكُمْ كَأَنَّ قَتْلَكُمْ إِيَّاهُمْ فَجَعُوا (١)
 ضَعْفَى تَعَفَّى الْأَيْدِي عَنْ مِثَالِهِمْ مِنَ الْأَعْدَى وَإِنْ هَمُّوا بِهِمْ نَزَعُوا (٢)
 لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسْرْتُمْ كَانَ ذَارِمًا فَلَيْسَ يَا كُفْلُ إِلَّا اللَّيْتِ الضَّبِيعُ (٣)
 هَلَّا عَلَى عَقَبِ الْوَادِي وَقَدْ صَعِدَتْ أَسَدٌ تَمْرٌ فُرَادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ (٤)

بهم ما شئتم ، خانوا الأمير بالانحياز عنه فجازاهم بأن أسلمهم إليكم ، ثم بين ما صنعوا في البيت التالي .

(١) في دمائكم : أى فى دماء قتلاكم ، وذلك أنهم تخللوا القتلى فتلطخوا بدمائهم وألقوا أنفسهم بينهم تشبهاً بهم خوفاً من الروم . يقول : كأنهم كانوا مفعوعين بقتلاكم فهم فيما بينهم يتوجعون لهم .

(٢) ضعفى : جمع ضعيف ؛ ونزع عن الشيء : رغب عنه وأعرض . يقول : إن هؤلاء الذين فعلوا ذلك هم خساس عسكر سيف الدولة إن هموا بعدوهم أعرض عنهم أنفة من ضعفهم وخستهم . وقد حقق هذا فيما يلى .

(٣) يقول : ليس لكم أن تفخروا بهؤلاء الذين أسرتهم ولا تظنواهم كان فيهم رمق - بقية حياة - وإنما هم أموات من الجبن والخوف ؛ وأنتم لحستكم ودناءة نفوسكم لا تقدرون إلا على أمثالهم ، كما أن الضبيع لا تفرس إلا الجثث الميتة ، وقد عاب ابن وكيع هذا البيت وقال : كيف أطلق على الضبيع هذا وأنها تأكل الميتة ؟ كأنه لم يقرأ كتاب الوحوش ، ولم يسمع وصفها فى أشعار العرب ؛ لأن الضبيع تخنق عشرأ من الغنم حتى تأخذ واحدة ؛ وهى من أحب السباع على الغنم . قال : ولو هو قال « ما كل من قد أسرتكم كان ذارمق » لكان أوضح وأحسن .

(٤) العقب : جمع عقبه وفردانى : جمع فردان ؛ أى فرد . يقول : هلا وقفتم أو قاتلتم هناك وقد صعدت إليكم رجال أبطال يسرعون إلى الحرب أفراداً لا يتوقف بعضهم على بعض لشجاعتهم وفتيمهم بقوتهم كما قال الحماسى :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَفَاتٍ وَوُحْدَانًا
 قال العكبرى : قوله ، هلا يريد هلا صرتم ، أو هلا وقفتم مثلاً ، لأن هلا للتخصيف ولا بد لها من الفعل - مظهرأ أو مضمراً - ومنه قول جرير :

تعدون عقرَ النيبِ أفضل مجدكم بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا (١)

(١) تعدون هنا بمعنى تجعلون وتحسبون ، ولهذا عداه إلى مفعولين ، ويجوز أن

تَشْتَكُم بِقَتَاهَا كُلَّ سَلْهَبَةٍ
وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدَعُ (١)
وَإِنَّمَا عَرَّضَ اللَّهُ الْجُنُودَ بِكُمْ
لِكَيْ يَكُونُوا بِلَا فَسَلٍ إِذَا رَجَعُوا (٢)
فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَهَهُ وَكُلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ (٣)

أى هلا عدتكم الكمي المقنع ؟

(١) السلهبة : الطويلة من الخيل . يقول : يشق صفوفكم كل فرس من خيل هؤلاء الرجال بفارسها ويمكن سيفه منكم حتى يكون من يأتي عليه الضرب أكثر ممن يدعه . وروى بقناها : أى برماحها ؛ أى تشتمكم كل سلهبة برمحها ، والمراد كل صاحب سلهبة ، لان أصحاب السلاهب - الخيل - وفرسانها هم الذين يشقون بالطعن . هذا : ويدع : مضارع فعل ترك استعماله .

(٢) الفسل : الرذل الدنيء العاجز . يقول : إنما عرض الله لكم الجنود - الذين انقطعوا عن عسكر سيف الدولة . . وهم الأوباش الذين قتلتموهم - ليجرد الله عسكر الإسلام من أمثالهم فيعود إليكم سيف الدولة في الأبطال المنتخبين ليس فيهم فسل ولا دنيء . قال الواحدي : كل الناس رروا « بكم » والصحيح في المعنى لكم - باللام - لأنه يقال عرضت فلاناً لكذا فتعرض له . ويجوز أن تكون بكم : من صلة معنى التعرض ، لا من لفظه ، ومعناه : إنما ابتلى الله الجنود بكم : أى إنما خذلهم الله وجعلهم لكم عرضة .

(٣) يقول : فكل غزوة إليكم بعد اليوم تكون عاقبتها له - لا عليه - لأن الأوباش والضفاء من جنوده قد قتلوا ، ولم يبق إلا الإبطال المصطفين الأخيار وكل غاز تبع له . لأنه أمير الغزاة وسيدهم .

يكون من العد ، ويكون على إسقاط « من » الجارة ، تقديره : تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم ؛ فلما أسقط الحافض : تعدى الفعل فنبص ؛ وبنو ضو طرى : حى معروف . وقال ابن سيده : يقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء : بنو ضو طرى ؛ ومنه قول جرير يخاطب الفرزدق الخ . ومعنى البيت : إنكم تعدون عقر الإبل المسنة التي لا ينتفع بها ولا يرجى نسلها أفضل مجدكم ، هلا تعدون قتل الشجعان أفضل مجدكم ؟ وهذا تعريض بمجنهم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران :

يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ
وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ^(١)
وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتُ كُنْتَ فَارِسَهُ
وَكَانَ غَيْرِكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرْعُ^(٢)
مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعَهُ
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ^(٣)
لَمْ يُسَلِّمِ الْكُرُّ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ^(٤)
لَيْتَ الْمُلُوكَ عَلَى الْأَقْدَارِ مُعْطِيَةً^(٥)
فَلَمْ يَكُنْ لِدُنِيِّ عِنْدَهَا طَمَعُ^(٥)

(١) يقول : إن أفعالك أباكرا لم يسبق إليها ، فأنت مبتدع في كل مأثرة لا متبع أحداً فيها ، أما غيرك من الكرام فإنهم يقتفون آثار غيرهم .

(٢) الضرع : الضعيف . يقول : إذا كنت الفارس الشجاع وغيرك الضعيف العاجز فلا يعيبك عجز العاجز . يريد أن قتلهم وأسرههم ضفاف أصحابك لا يشينك . قال الشراح : وفي نظم هذا البيت عيب عند الحدائق بصناعة الشعر لأنه كان ينبغي أن يقول في صدر البيت الاول : « كنت حازمه » لما قال في العجز العاجز الضرع ، لأن ضد الحازم العاجز . أو يقول فارسه وجبانه .

(٣) ولا يضع : أى ولا يضعه شيء . يقول : من بلغ الغاية في الرفعة فليس وراء الغاية موضع . وإذن لا يرفع بنصرة أحد ولا يتضع بخذلان أحد .

(٤) أسلمه : خذله : والسكر : الرجوع إلى الحرب مرة بعد أخرى ، والأعقاب : جمع عقب ، وهو مؤخر كل شيء ، واسم كان : ضمير الشأن : والجملة بعدها خبرها ؛ والشيع : الأتباع . يقول : إذا كان أصحابه قد خذلوه وأسلموه للأعداء بهذا التخاذل فإن كره على الأعداء في الأعقاب - أى أواخر الحيل - لم يخذله : يعنى أنه من شجاعة نفسه في منعة ، وبذلك دافعت نفسه عن نفسه ، ومثله لأبى تمام :

ما غاب عنه من الإقدامِ أشرفُهُ في الرَّوْعِ إن غابَتِ الأنصارُ والشَّيْعُ

(٥) الدنىء : مهموز ، وقال ابن جنى قلت له - للمتنبى - عند القراءة عليه ألهزمه ؟ قال : لا تهمزه ، فقلت له : هو من باب المهموز . فقال لا : ألا ترى الإجماع على قوله تعالى « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » بترك الهمزة ؟ أقول : والذى يؤخذ من كلام أهل اللغة أن الدنى بمعنى الحسيس : لايهمز - كما هنا - أما الدنىء بمعنى الخبيث الماخن ، فإنهم يهمزونه . قال أبو زيد في النوادر : رجل دنىء : هو الخبيث البطن والفرج دنؤ دناءة ، ورجل دنى ، وقد دنى يدنى ، ودنؤ يدنؤ دنوا ، وهو الضعيف الحسيس الذى لا غناء عنده ، المقصر فى كل ما أخذ فيه ، وأنشد :

رَضِيَتْ مِنْهُمْ بَأْنَ زُرْتَ الْوَعْيَ فَرَأَوْا

وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبَيْضَ فَاسْتَمَعُوا^(١)

لَقَدْ أَبَاحَكَ غَشَّافِي مُعَامَلَةٍ

مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ^(٢)

فلا وأبيك ما خلقتي بوغري ولا أنا بالدني ولا المدني^(١)

يقول: ليت الملوك يعطون الشعراء على أقدارهم في الاستحقاق بفضلهم، ولو هم فعلوا لما طمع في نواهم خسيس . وهذا تعريض بأنه يسويه مع غيره ممن لم يبلغ درجته في الفضل .

(١) الحبيك : جمع حبيكة - كسفين وسفينة - وهي الطرائق تكون في السماء وفي الماء الساكن أو الرمل ، إذا هبت عليهما الريح فيتجددان ويصيران طرائق ، والبيض . إما قراءتها بفتح الباء - جمع بيضة ، وهي الخوذة من حديد تجعل على الرأس للوقاية في الحرب - وحبيكها طرائقها . وإما بكسر الباء : أى السيف ، وحبيكها تلك الطرائق التي في السيف . يقول : رضيت من الشعراء بالنظر إلى قتالك والاستماع إلى قراعك في الوغي - الحرب - دون أن يباشروا القتال : يعنى أنا الذى أباشر القتال معك دون غيرى من الشعراء .

(٢) لعله يريد أن يقول : لقد غشك من انتفاعك منه بغير الصدق . يعنى شعره هؤلاء الشعراء : أى أن هؤلاء الشعراء إنما يتقربون إليك ويأخذون أموالك بذلك الشعر الكاذب الذى لا يصحبه فعل إذ لا يباشرون معك القتال ، فكأنهم يغشونك . أما أنا : فإني أصدقك إذ أمدحك وأباشر معك القتال . وعبارة العكبرى : من لم يصدقك بقوله فقد غشك ، فإنه يظهر لك الشجاعة والجلين عنده ، ويظهر لك الجلد والضعف حقيقته ، فهو يتعاطى ما ليس عنده . قال ابن وكيع : لو قال « من كان منك بغير الصدق » لسلم من الاعتراض . وقال الواحدى : معنى البيت : من لم يصدقك فقد غشك يعنى أى قد صدقتك فيما ذكرت ، لأننى لو لم أصدقك كنت قد غششتك . قال : ويجوز أن يكون المعنى : إن من غشك بتخلفه عنك فقد أباحك أن تغشه في معاملتك إياه . وجعل ما يفعله سيف الدولة غشاً لأنه جزاء الغش . وقوله على هذا « بغير الصدق » أى بغير صدق اللقاء . يعنى بالنظر والسماع .

(١) المدنى : المقصر عما ينبغى أن يفعله .

- الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظَرٌ^(١) وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبِعٌ^(٢)
وَمَا الْجِبَالُ لِنَصْرَانٍ بِجَامِيَةٍ^(٣) وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الْأَعْصَمُ الصَّدْعُ^(٤)
وَمَا حَمَدْتُكَ فِي هَوْلٍ ثَبَّتَ لَهُ^(٥) حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالْأَبْطَالَ تَمْتَصِعُ^(٦)
فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعًا مَنْ بِهِ خَرَقٌ^(٧) وَقَدْ يُظَنُّ جَبَانًا مَنْ بِهِ زَمَعٌ^(٨)
إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ^(٩) وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّمْعُ^(١٠)

(١) المصطاف والمرتبع : المنزل في الصيف والربيع . يقول إن الدهر معتذر إليك مما فعل - يعنى من قتل الروم ضعفاء أصحابك - والسيف ينتظر كرتك عليهم فيشفيك منهم وأرضهم لك منزل صيفا وريبعاً تنزلها متى شئت، إذ هي ملك لك . و صدر البيت من قول أبي تمام :

عَضْبًا إِذَا سَلَّهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ
وعجزه من قوله أيضا :

وأمت فيها وإدعاً مُتَمَهِّلاً حتى ظننا أنها لك دارُ

(٢) نصران ونصرانى : واحد ؛ والأعصم : الوعل الذى فى إحدى يديه بياض ، والصدع : الوعل لا بالسن ولا بالصغير : أى الفقى . يقول : إن اعتصامهم بجبالهم لا ينفعهم لأنها لا تحمهم ؛ ولو أن أو عالمها تنصرت لم تحمها الجبال .

(٣) الامتصاع والماصعة : التقاتل والتجالد بالسيوف ؛ وامتصع فى الأرض ذهب فيها هاربا . يقول : لم أحمدك على شجاعتك و ثباتك فى الحرب إلا بعد أن بلوتك - خبرتك وجربتك - لدى قتال الأبطال ، أو والأبطال تهرب فارة منك .

(٤) الخرق : الحفة والطيش ، والزمع : الرعدة . يقول : الظن قد يخطيء ، فالأخرق قد يظن شجاعا ، والشجاع الذى تعتره الرعدة من الغضب قد يظن جبانا ؛ وإنما يتحقق الأمر عند التجربة : يعنى إنى قد مدحتك بعد الخبرة ولم أخطيء ولم أ كذب .

(٥) كل : مبتدأ ؛ والسبع : خبر ؛ والجملة خبر ليس ؛ واسمها ضمير الشأن ؛ والمخلب : للظير والسباع : بمنزلة الظفر للانسان . وهذا مثل ضربه . يقول : ليس كل من يحمل السلاح شجاعا ، كما أنه ليس كل ذى مخلب أسداً يفترس .

وقال في صباه يمدح على بن أحمد الطائي :

حُشَاشَةٌ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَعُوا فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنِينَ أُشِيعُ (١)
أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجَدْنَا بِأَنْفُسٍ تَسِيلُ مِنَ الْأَمَاقِ وَالسَّمِ أَدْمَعُ (٢)
حَسَايَ عَلَى جَمْرٍ ذِكِّي مِنَ الْهَوَى

وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ (٣)

(١) الحشاشة : بقية الروح في المريض ؛ والظاعنين : المرتحلين . يقول : لى بقية نفس ودعتني وفارقتني يوم ودعتني الأحاب فذهبت البقية والحبيب فبقيت حاراً لأدري أي المرتحلين أودع ؟ يعنى الحشاشة والحبيب المودع في جملة من ودعوا . فقوله : الظاعنين بلفظ التثنية - وروى بلفظ الجمع على إرادة الحشاشة ، والأحبة الذين ذكروهم في قوله ودعوا . وهذا المعنى ينظر إلى قول بشار :

حَدَا بَعْضُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَبَعْضُهُمْ شِمَالًا وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ مُتَوَزَّعٌ

(٢) المؤق : طرف العين مما يلي الأنف ؛ والجمع : آماق ؛ وهو مهموز العين ، ويقلب : فيقدم الهمز ، فيقال : آماق ؛ مثل بر وأبار ، والسَّم : لغة في الاسم - بكسر السين ، وضمها ، وفتحها - يقول : أشاروا إلينا بالسلام علينا فجدنا عليهم بأرواح سالت من الاماق تسمى دموعا : أي أنها كانت أرواحنا سالت من عيوننا في صورة دموع ؛ ومثله :

خَلِيلِي لَادَمَعًا بَكَيْتُ وَإِنَّمَا هِيَ الرُّوحُ مِنْ عَيْنِي تَسِيلُ عَلَى خَدِّي

ويقول بشار :

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءً هَا وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبٌ فَتَقَطُرُ

ويقول ديك الجن :

لَيْسَ ذَا الدَّمْعِ دَمْعٌ عَيْنِي وَلَكِنْ هِيَ نَفْسِي تَذِيهِهَا أَنْفَاسِي

ولا بن دريد :

لَا تَحْسَبُوا دَمْعِي تَحَدَّرُ مِنْهَا رُوحِي جَرَّتْ فِي دَمْعِي الْمُتَحَدِّرِ

(٣) الحشا : مافي داخل الجوف ؛ والمراد به . هنا : القلب . يقول : قلبي على جمر شديد التوقد من الهوى لأجل توديعهم وفراقهم ، وعيناي ترتعان من وجه الحبيب في روض من الحسن ، والله أبو تمام حين يقول :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُضْحِي بقلبي مَاتَمَّ مِنْ الشُّوقِ وَالْبَلْوَى وَعَيْنَايَ فِي عُرْسِ

وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِي بِنَا
غَدَاةَ أَفْتَرَفْنَا أَوْ شَكَّتْ تَتَصَدَّعُ^(١)
بِمَا بَيْنَ جَنبِيَّ اللَّيِّ خَاصَّ طَيْفَهَا إِلَى الدِّيَاجِي وَالْخَلِيُونِ هَجَمُ^(٢)

والأصل في هذا المعنى قول ابن الدمينية :

غَدَتُ مُقَلَّتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَمَاهَا وَقَلْبِي غَدَاً مِنْ هَجَرِهَا فِي جَهَنَّمَ
هذا : وإنما لم يقل ترتعان لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة ، فلا تكاد تنفرد
إحداهما برؤية دون الأخرى ، فاكنتي بضمير الواحد . قال العكبري : وأفرد الخبر
لأن العينين - وهما عضوان مشتركان في فعل واحد مع اتفاقهما في التسمية - يجرى
عليهما ما يجرى على أحدهما ؛ ألا ترى أن كل واحدة من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية
دون الأخرى باشتراكهما في النظر : كاشتراك الأذنين في السمع ، والقدمين في المشي ؟
وقد استعمل هذا الباب على أربعة أوجه : أحدها على الحقيقة في الخبر والخبر عنه ،
فتقول : عيناى رأناه ، وأذناى سمعناه . والثانى : أن تجرب عن اثنين وتنفرد الخبر -
كبيت أبي الطيب - فتقول : عيناى رأته . والثالث : أن تجرب عن اثنين بواحد وتنفرد
الخبر ، فتقول : عيني رأته ، وأذنى سمعته . والرابع أن تجرب عن اثنين بواحد ، وتثنى
الخبر حملا على المعنى ، فتقول : عيني رأناه وأذنى سمعناه ، كقول الشاعر :

إذا ذكرت عيني الزمان الذى مضى بصحراء فلجِ ظَلَّتَا تَكْفَانِ

(١) الصم : الصلاب ؛ وتتصدع : تتشقق ؛ وهذا من قول البحترى :

وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدْنَ الْفَأَّ لِأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ

(٢) بما بين جنبي : أى أفديها بما بين جنبي ؛ يعنى قلبه أو روحه . فالبناء للتفدية ؛

وقال ابن القطاع : يريد هى مطالبة بتلاف روحى التى بين جنبي . والدياجى : جمع
ديجوج ، وكان القياس دياجيج ، ولكنهم خففوا الكلمة بحذف الجيم الأخيرة ، كما قالوا :
مكوك ومكاكى . والخلى : الذى يخلو قلبه من الهوى والهوى ، والهجع : المنام . يقول :
أفدى بقلبي المرأة التى أنانى خيالها فى ظلام الليل فقطع الظلمة إلى والذين خلوا من الحب
كانوا نياما ، قال الواحدى : وهذا كالتضارب لأنه أيضاً كان نائماً حين رأى خيالها ،
لكن يجوز أن يكون نومه نعسة خفيفة ، فرأى خيالها فى تلك النعسة ؛ وغيره من الخليلين
نام جميع ليلته .

أَتَتْ زَائِرًا مَا خَامَرَ الطَّيْبُ ثَوْبَهَا وَكَلِمَسِكَ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوِّعُ^(١)
فَمَا جَلَسَتْ حَتَّى انْدَنَتْ تَوْسِعُ الْخُطَا كَفَاطِمَةَ عَنْ دَرَّهَا قَبْلَ تَرْضِعُ^(٢)
فَشَرَّدَ إِعْظَامِي لَهَا مَا أَتَى بِهَا مِنَ النَّوْمِ وَالْتَاعِ الْفُؤَادُ الْمَفْجَعُ^(٣)
فِيَا لَيْلَةَ مَا كَانَ أَطْوَلَ بِتُهَا وَسُمُّ الْأَفَاعِي عَذْبُ مَا أَتَجَرَّعُ^(٤)
تَذَلَّلَ لَهَا وَأَخْضَعَ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
فَمَا عَاشِقٌ مَن لَّا يَدِلُّ وَيَخْضَعُ^(٥)

(١) زائراً : حال من فاعل أتت : أى أتت خيالاً زائراً؛ وخامر: خالط؛ والكاف- فى «كالمسك» اسم ، بمنزلة مثل ، مبتدأ ؛ والخبر : الجملة بعدها . والأردان : جمع رذن أصل الكم . ويتضوع : يفوح : يقول : أتت زائرة ما خالط الطيب ثوبها : أى لم تتعطر ، ومثل المسك يفوح من ثيابها ، لأنها طيبة الرائحة طبعاً - لا تطعبا - كما قال امرؤ القيس :
ألم تريانى كلما جئت طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب ؟
أى أن طيبها خلقه فيها لا تتكلفه .

(٢) قبل ترضع : أى قبل أن ترضع :

(٣) أعظمه إعظاءه : استعظمه ، وما : موصولة ، وهى مفعول شرد . ومن - فى قوله من النوم - بيانية . والتاع : احترق ، واللوعة . الحرقه ، والمفجع : الموجع . يقول : لما رأيت خيالها استعظمت رؤيتها ، فنفى ذلك نوحى الذى أتى بها ، واحترق قلبى لفقد رؤيتها .

(٤) تجرعة : شربه على تكلف واستكراه . يقول : ما كان أطول تلك الليلة التى فارقتى فيها خيالها فتجرعت من حرارة فراقها ما كان السم بالقياس إليه عذبا . فقوله ما كان أطول . أى ما كان أطولها ، حذف الضمير للوزن .

(٥) يقول : ارض بما تحكم متقاداً مطيعاً لها ، والخضوع فى القرب : الطاعة والالتقياد ؛ وفى البعد : الرضا والتسليم لفعالها ، وذلك آية الحب ، كما قال أبو نواس :

أيا كثيرِ النوحِ فى الدَّمَنِ لا عليها بل على السكنِ
سُنَّةُ العُشاقِ واحِدةٌ فإذا أُحِبِّتَ فاستكنِ

ويقول :

كن إذا أُحِبِّتَ عبداً للذى تهوى مُطيعاً
لن تنالَ الوصلَ حتى تلزمَ النفسَ الخضوعاً

وَلَا تُوبُ مُجْدٍ غَيْرَ ثُوبِ ابْنِ أَحْمَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بُلُؤِمٌ مُرَقَعٌ (١)
وَإِنَّ الَّذِي حَابَى جَدِيدَةَ طَيِّئٌ بِهِ اللَّهُ يُعْطَى مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ (٢)

ويقول العباس بن الأحنف :

تَحَمَّلْ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَحْمِلِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى يَفَارِقُكَ مَنْ تَهْوَى وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ
(١) يقول : إنه لم يسلم المجد لأحد خالصاً غير مشوب باللؤم إلا للمدوح . ولا
ثوب : روى بالرفع عطفاً على عاشق - في البيت السابق - وبالنصب : على جعل لا :
نافية للجنس . وغير : منصوب على الاستثناء ، وابن أحمد : المدوح ؛ وعلى أحد :
صلة ثوب الأول . واللؤم الحسة ، ضد الكرم . ومرقع : خير ، ورواها ابن
جنى ، يرقع .

(٢) جديدة : رهط المدوح من طيء . قال ابن جنى : حابي : بمعنى حبا : أى
أعطى ، وعلى هذا يكون المعنى : إن الذى أعطى بنى جديدة هذا المدوح فجعله منهم هو
الله تعالى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء . ونص عبارة ابن جنى : حابي : بمعنى حبا .
مأخوذ من الحباء . وهو العطية ؛ واسم الله : مرفوع به ؛ والجملة - التى هى يعطى
وفاعله - خبر إن ؛ واسم إن : الذى قال . العكبرى : وخولف فى هذا فقيل : معنى حابي
بارى ، تقول : حابيت زيداً ؛ إذا باريتَه - مثل باهيتَه - فى العطاء ؛ وليس بمعروف
أن المعنى حابيته بكذا : حبوته به . قال الشريف هبة الله بن محمد بن على بن محمد
الشجرى : فعلى هذا يكون فاعل حابي : مضمراً فيه ، يعود على الذى ؛ واسم الله :
مرتفع بالابتداء ؛ وخبره : الجملة ، تقديره : إن الذى حابي به جديدة فى الحباء الله
يعطى من يشاء ، ومفعول يمنح : محذوف : دل عليه مفعول يعطى ؛ وكذلك مفعول
يشاء المذكور ، والمحذوفان تقديرهما : يعطى الله به من يشاء أن يعطيه ، ويمنع من
يشاء أن يمنعه ، والضميران : يعودان للمدوح . وقال العكبرى : أصل حابي : فاعل ،
ولا يكون إلا من اثنين إلا فى أحرف يسيرة : طارقت النعل ، وعاقبت اللص ، وعافاه
الله ، وقاتلهم الله . وأبو الفتح ذهب بها مذهب هذه الأحرف وقال : حابي : بمعنى حبا ،
كما فى قول أشجع يمدح جعفر بن يحيى حين ولاء الرشيد خراسان :

إِنَّ خِرَاسَانَ وَقَدْ أَصْبَحَتْ تَرَفَعُ مِنْ ذِي الْهَمَةِ الشَّانَا
لَمْ يَحِبُّ هَرُونَُ بِهَا جَعْفَرًا وَإِنَّمَا حَابَى خِرَاسَانَا

بِذِي كَرِيمٍ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَشَمْسُهُ عَلَى رَأْسِ أَوْفَى ذِمَّةٍ مِنْهُ تَطْلُعُ (١)
فَأَرْحَامُ شِعْرِ يَتَصِلْنَ لَدَنَّهُ وَأَرْحَامُ مَالٍ لَا تَنِي تَتَقَطَعُ (٢)

وقد جاء حابي : بمعنى باري في قول سبرة بن عمرو الفقعسي :

نُحَابِي بِهَا أَكْفَاءُ نَا وَنُهَيْنُهَا وَنَشْرَبُ فِي أُمَانِهَا وَنَقَامِرُ
وقد جاء حابي بمعنى اختص ، قال :

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَاشْكُرْ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ حَابَا كَا

وقال الواحدى : وحابي لا يكون بمعنى حيا ، وإنما المعنى : إن الذى بنى جديلة :

أى غالبهم وباهامهم فى العطاء - يعنى الممدوح - به الله يعطى من يشاء ويمنع لأنه ملك
قد فوض الله تعالى إليه أمر الخلق فى النفع والضر ، فقوله : به الله ، خبر «إن» .

(١) بذى كرم : بدل من قوله به - فى البيت المتقدم - ، يقول : لم يمر يوم وشمس
ذلك اليوم تطلع على رأس إنسان أو فى بالذمم من هذا الممدوح ؛ يريد أنه أكثر الناس
وفاء وأكرمهم عهداً ؛ فالواو - فى قوله وشمسه - واو الحال ؛ وشمسه : مبتدأ ؛ وجملة
تطلع : خبر ؛ وعلى رأس : متعلق بتطلع ؛ وذمة : تمييز ، وأوفى : صفة لمحذوف أى على
رأس إنسان أوفى .

(٢) يريد أن الأشعار الكثيرة التى يمدح بها تتلاقى لديه فتتصل اتصال الأرحام ،
وأن أمواله التى يثيب بها الشعراء وكانت مجتمعة عنده تتفرق بالعطاء فكأنها تتقاطع
أرحامها . فقوله : لاتنى : أى لا تزال . وقال الواحدى : هو من الونى ، وهو الضعف ،
فوضعه موضع لا تزال ، لأنها إذا لم تفر عن التقطع يكون المعنى لا تزال تتقطع . وشدد
النون - فى لدنه - للضرورة ، ويروى : يتصلن بيبابه . وقال ابن جنى : قوله لدنه : فيه
قبسح وشناعة ، وليس هو معروفاً فى كلام العرب ، وليس يشدد إلا إذا كان فيه نون
أخرى : نحو لدنى ولدنا . هذا كلامه . وقد يحتاج لأبى الطيب فىقال : شبه بعض
النحويين بعضها ببعض فكما يقال لدنه : يقال لدنه ، بحمل أحد الضميرين على الآخر ،
وإن لم يكن فى الهاء ما يوجب الإدغام من زيادة نون قبلها ، كما قالوا يعد ، فخذفوا الواو
لوقوعها بين ياء وكسرة ، ثم قالوا أعد ، ونعد ، وتعد ، فخذفوا الفاء أيضاً ، وليس
هناك ما يوجب حذفها ، ويجوز أن يكون ثقل النون ضرورة ، كما قالوا فى القطن :
القطن ، وفى الجبن : الجبن . وأنشد أبو زيد يقول .

إِنَّ شَكْلِي وَإِنَّ شَكْلَكَ شَتَّى فَالزَّمِي الْخُصَّ وَأَخْفِضِي تَبْيَضِّي

فزاد ضادا ، وقال سحيم :

وما قرية من قرى ميسنا نَ مُعجبة نظرا واتصافا^(١)

أراد : ميسان ، فحذف وزاد نونا . وقال الأسدي :

وجاشت من جبال الصغد نفسى وجاشت من جبال خوارزيم

أراد خوارزم فغيرها . وقال الجرجاني : لما كانت الماء خفيفة ، والنون ساكنة ،

وكان من حقها أن تتبين عند حروف الحلق : حسن تشديدها لتظهر ظهورا شافيا ،

فهذه علة وقرينة محتمل للشاعر تغيير الكلام عندها ، والنون أقرب الحروف إلى حرفي

العله - الواو والياء - لأنها تدغم فيهما ، وتبدل منها الألف في الوقف إذا كانت خفيفة

نحو : يا حرسى اضربا عنقه ، وجعلت إعرابا في الأفعال الخمسة . نحو : يفعلان وأخواتها

كما جعلت إعرابا في الثنية والجمع وتحذف إذا كانت ساكنة لا لبقاء الساكنين في نحو :

اضرب العلام - بفتح الباء - فلما حلت هذا المحل احتملت ما تحتمله من الزيادة .

وحروف العلة أوسع الحروف تصرفا . ولهذا أجازوا زيادة الياء في الصياريف في قوله :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهم تنقاد الصياريف^(٢)

وزيادة الواو في قوله :

* من حيثما سلكوا أدنوا فنظور^(١)

(١) ميسان : بلد من كورة دجلة ، أو كورة بسواد العراق .

(٢) الدراهم : روى الدراهم ، وروى : الدنانير . ونفي : مضاف إلى تنقاد - من

إضافة المصدر إلى فاعله - والدراهم : مفعول ، ففصل بالمفعول - وهو الدراهم - بين

التضامين . وروى أيضاً : بإضافة نفي إلى الدراهم ، ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة

المصدر إلى مفعوله . قال الأعم : وصف الفرزدق ناقته بسرعة السير في الهواجر . يقول

إن يديها لشدة وقعهما في الحصا ينفياه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصليل الدنانير

إذا انتهدها الصيرفي فينفى رديتها عن جيدها ، وخص الهاجرة لتعذر السير فيها .

(١) عجز بيت ثان أنشدهما الفراء وهما :

الله يعلم أننا في تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صور

وأننى حيثما يئني الهوى بصرى من حيثما سلكوا أدنوا فنظور

يريد : فأنظر وزيادة الألف في منترج من قول ابن هرمة :

فأنت من الغوائل حين تُرعى ومن ذمّ الرجال بمُنْتَزَاح

يريد بمنترج . وقد ذكرنا لهذا التشديد كل وجه شديد ، كما ذكرنا العلة في إدغام النون في الجيم . في قراءة عبد الله بن عامر وأبي بكر بن عباس في كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة في شرح كتاب التذكرة . وقال أبو الفتح : استعمل لدن بغير من ، وهو قليل ، ولا يستعمل إلا معها ، كما جاء في القرآن « من لدنى ومن لدنه ، ومن لدن حكيم عليم » وقد غاب عن أبي الفتح قول الشاعر فيما أنشده يعقوب :

فإنّ الكثر أعيانى قديما ولم أقتِرْ لدُنْ أنى غلام^(١)

وقول كثير :

وما زلت من ليلي لدُنْ إن عرفتُها لكلاهائم المُقصى بكلّ سبيل^(٢)

والصور : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق . ويجوز أن يكون جمع صورة ، أى إذا تلفتنا إلى الأحباب عند رحيلهم ، فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح وحيثما تروى حوث ما ، وحوث : لغة في حيث ، وهو خبر أن ، وثناه : أماله : أى أنا في الجهة التى يميل الهوى بصرى إليها ، ومن حيثما : متعلق بأذنو وبأنظر : أى أدتو فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وقوله أدتو فأنظور : روى أثنى فأنظور : أى أثنى عنق فأنظر نحوهم : من ثناه ، بمعنى لواه .

(١) الكثر من المال : الكثير . وعيى بأمر : إذا لم يهتد لوجهه ، وأعيانى هو ،

قال ابن السيرافى فى قوله فإن الكثر الخ : أى طلبت الغنى فى أول أمرى وحين شبابى فلم أبلغ ما فى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكن فقيراً ، فلا تأمرنى بطلب المال وجمعه وترك بذله فإنى لا أبلغ نهاية الغنى بالمنع ولا أفتقر بالبذل .

(٢) من قصيدة كثير التى أولها :

ألا حيباً ليلي أجدّ رحيلي وأذن أصحابي غدا بقفول

ومنها :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى لىلى بكل سبيل

وروى هذا البيت : بكل مزاد ، وروى : بكل مراد ، والصواب : بكل سبيل

فَتَى أَلْفٌ جُزْءٌ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ أَقْلٌ جُزْيٌ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ (١)
غَمَامٌ عَلَيْنَا مُمَطَّرٌ لَيْسَ يُقَشِّعُ وَلَا الْبَرْقُ فِيهِ خُلْبًا حِينَ يَلْمَعُ (٢)
إِذَا عَرَضَتْ حَاجَةٌ إِلَيْهِ فَنَمْسُهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ (٣)

وقول القطامي :

صريعُ غوانٍ راقهنُ ورفقنهُ لدنُ شبّ حتى شاب سودُ الدوايبِ (١)
(١) ترتيب البيت هكذا : فتى رأيه في زمانه ألف جزء ، أقل جزىء من هذه الأجزاء الألف بعضه - أى بعض جزئى من رأيه - الرأى الذى فى أيدى الناس كله ، فقوله فتى : خبر عن محذوف ، أى هو فتى ، وألف جزء خبر مقدم ورأيه مبتدأ مؤخر وأقل جزىء مبتدأ ، والجزىء : تصغير الجزء وبعضه : مبدأ ثان ، وهو مضاف إلى ضمير المبتدأ الأول ، والرأى : خبر المبتدأ الثانى - وهو بعضه - والجملة : خبر الأول - وهو أقل - وأجمع : توكيد للرأى . والمعنى : أن هذا المدوح فتى رأيه فى أحوال زمانه يقدر بألف جزء ، وأقل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل مالى الناس من الرأى : قال العكبرى : وفيه نظر إلى قول أبى تمام .

لو تراهُ يا أبا الحسنِ قمراً أوفى على غصنِ

كلّ جزءٍ من محاسنه فيه أجزاء من الفتنِ

(٢) الماطر : مثل الماطر ، يقال مطرت السحابة وأمطرت ، وأقشع السحاب : أقلع وتفرق ، يقال أقشع واتقشع وتقشع ، والبرق الحباب : الخلف الذى لا مطر فيه وخلبا : خبر لا ، كأنه قال : وليس البرق فيه خلباً . يقول : هو غمام يمطر علينا المطايا دائماً ، وليس هو كالغمام الذى يمطر مرة ويتقشع أخرى ، وإذا رجوانه بلغنا منه أوفى مانرجو ، وإذا وعد أنجز الوعد . وضرب الغمام والبرق مثلاً ، ولما جعله غماماً جعل له المطر ، وبرقا جعل برقه صادقا بموعوده ، وهذا عكس ما يقول البحترى :

رأيتك إن منيت منيت موعداً جهاماً وإن أبرقت أبرقت خلباً

(٣) الحاج : جمع حاجة ، ويقال فى جمعها أيضاً : حاجات ، وحوج وحاج

(١) الصريع : المصروع ، وهو المطروح على الأرض غلبة ، والغوانى : جمع غانية وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة ، وراقهن أعجهن ، والدوايب : جمع ذؤابة ، وهى الحصلة من الشعر ، ولدن : تنازع فيه صريع وراقهن ورقنه ، يقول : إنه صريع مغلوب على أمره من جراء الحسان اللأئى تعلق بهن منذ نشأ وتعلقن به حتى شاب

وحواجج - على غير قياس - كأنهم جمعوا حائجة ، وكان الأصمعي ينكره ، ويقول هو مولد . قال الجوهري : وإنما أنكره لخروجه عن القياس ، وإلا فهو كثير في كلام العرب ، وأنشدوا :

نَهَارُ الْمَرَّةِ أَمْثَلُ حِينَ تُقْضَى حَوَائِجُهُ مِنَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الْوَجْهِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهَهُ مَبْدُولُ
وَالْحَوْجَاءُ : الْحَاجَةُ . يُقَالُ : مَالِي فِيهِ حَوْجَاءٌ وَلَا لَوْجَاءٌ . قَالَ قَيْسُ بْنُ رِفَاعَةَ :
مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَوْجَاءً يُطَلِّبُهَا عِنْدِي فَإِنِّي لَهُ رَهْنٌ بِأَصْحَارِ
أَقِيمِ نَحْوَتَهُ إِنْ كَانَ ذَا عِوَجٍ كَمَا يُقَوْمُ قِدْحَ النَّبَعَةِ الْبَارِي (١)
والمشفع : الذي تقضى الحاجة بشفاعته . يقول : إذا سئل حاجة شفعت نفسه إلى نفسه في قضائها ، وإذا كان المستول شفيعاً إلى نفسه فإن الحاجة مقضية ألبتة . ومثل هذا قول الحريري :

شَفَعَتْ مَكَارِمَهُ لَهُمْ فَكَفَّتْهُمْ
وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

جَهْدَ السُّؤَالِ وَلَطْفَ قَوْلِ الْمَادِحِ
طَوَى شَيْئاً كَانَتْ تَرُوحُ وَتُعْتَدِي
وَقَالَ الْحَطِيطَةُ :

وَذَاكَ أَعْرُوْا إِنْ تَأْتَتْهُ فِي نَفْسَيْتِهِ
وَلَأَبَى الْعَتَاهِيَةَ :

فِيأَجُودَ مُوسَى نَاجِ مَوْسَى بِحَاجَتِي فَمَا لِي سِوَى مُوسَى إِلَيْهِ شَفِيعُ
وَلابن الرومي :

أَبَا الصَّقْرِ مَنْ يَشْفَعُ إِلَيْكَ بِشَافِعِ فَمَا لِي سِوَى شِعْرِي وَجُودِكَ شَافِعُ

(١) قوله بإصحار : ففي حديث لعلي رضي الله عنه « فأصحر لعدوك وامنض على بصيرتك » أي كن منه على أمر واضح منكشف ، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، والقدح : السهم قبل أن ينصل ويراش .

خَبَتْ نَارُ حَرْبٍ لَمْ تَهْجَبْهَا بَنَانُهُ وَأَسْمَرُ عُرْيَانٍ مِنَ الْقَشْرِ أَصْلَعُ (١)
نَحِيفُ الشَّوَى يَعْدُو عَلَى أُمَّ رَأْسِهِ

وَيُحْفَى فَيَقْوَى عَدُوهُ حِينَ يُقْطَعُ (٢)
يَمْجُ ظَلَامًا فِي نَهَارٍ لِسَانُهُ وَيُنْفَهُمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ (٣)
ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيئَةً وَأَعْصَى لِمَوْلَاهُ وَذَا مِنْهُ أُطْوَعُ (٤)
فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقُ تَجِدُ كُلَّ لَفْظَةٍ أَصُولَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَنْفَرَعُ (٥)

(١) خبت النار : سكن لها ؛ والبنان : الأصابع ؛ وأسمر عطف على بنان : أى وقلم أسمر الخ . وجعل القلم أصلع : لئنه وملاسته ، كالرأس الأصلع . يقول : إن كل حرب تشب بغير قلمه وأنامله لا بد أن تنطق . ولا تطول مدتها ؛ أما الحرب التي يشبهها هو فإنها لا تنطق ، لقوة عزمه وشدة نفسه .

(٢) الشوى : الأطراف ؛ أى اليدان والرجلان والرأس ، ونحيف : دقيق ، ويعدو : يجرى ، وأم الرأس : أعلاه ، وقيل وسطه ، ويحفى : يكل . يقول : إن هذا القلم دقيق الأطراف — يريد دقة خلقته — وهو يعدو على رأسه ، فإذا حفى — أى كل عن المشى — قطع — أى قط — فيقوى عدوه : أى يمضى في الكتابة ويحسن به الخط . ومن قولهم : القلم أنف الضمير ، إذا رعف : كشف أسراره ، وأبان آثاره .

(٣) يمج : يقذف ، ويريد بالظلام : المداد ، وبالنهار : القرطاس ، ولسانه طرفه المحدد . وقوله : ويفهم الخ : أى أنه يعبر عما يريده الكاتب دون أن يسمع منه لفظا ، وهو من قول أبي تمام :

أَحَدُ اللَّفْظِ يَنْطِقُ عَنْ سِوَاهُ فَيُفْهَمُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي سَمَاعٍ

(٤) ذباب السيف : طرفه المحدد ، ومنه متعلق بأنجى ، والضريئة : اسم للمضروب ، كالرمية للرمى ، وضريئة : تميز . يفضل القلم على السيف ، يقول : إن المضروب بالسيف قد ينجو إذ ينبو عنه ، وقد يعصى صاحبه الذى يضرب به لأنه قد لا يقطع ، أما المضروب بالقلم — وهو المكتوب بقتله — فإنه لا ينجو والقلم أطوع من السيف ، لأنه لا يرجع عن مراد الكاتب به ، وإذن : فالقلم أفضل من السيف . قال ابن الرومي :

لِعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَنْفَذَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ

(٥) يقول : إن كل لفظة من ألفاظه أصل من أصول البراعة — وهى الكمال فى الفصاحة — والناس يبنون كلامهم عليها ويرجعون فى استعمال الفصاحة إليها .

بِكْفٍ جَوَادٍ لَوْ حَاكَبَتْهَا سَحَابَةٌ
لَمَا فَاتَهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْضِعٌ (١)
وَلَيْسَ كَبْحَرِ الْمَاءِ يَشْتَقُّ قَعْرَهُ
إِلَى حَيْثُ يَفْنَى الْمَاءُ حُوتٌ وَضِفْدَعٌ (٢)
أَبْجَرٌ يَضُرُّ الْمُعْتَفِينَ وَطَعْمُهُ زُعَاقٌ كَبْحَرٍ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ (٣)
بِتِيهِ الدَّقِيقِ الْفِكْرِ فِي بَعْدِ غُورِهِ وَيَعْرِقُ فِي تِيَّارِهِ وَهُوَ مِصْفَعٌ (٤)

(١) يقول : إن هذا القلم الموصوف يجرى بكف جواد لو كانت السحابة مثل كفه في عموم النفع لعمت المشرق والمغرب بالمطر ، وقال ابن الرومي :

خِرْقٌ يَعْصَمُ وَلَا يَخْصُ بِفَضْلِهِ كَالْعَيْثِ فِي الإِطْبَاقِ كُلِّ مَكَانٍ
[الحرق : السخى الكريم] .

(٢) اسم ليس : ضمير يعود إلى الجواد - في البيت السابق - ويشق : يشق ، وحوت فاعل يشق . يقول : ليس بحر جوده كبحر الماء الذي يغوص فيه الحوت والضفدع حتى ينتهيا إلى قعره ، وإنما هو بحر لا يبلغ منتهاه ؛ يعني أن جوده لا ينقطع ، وقال ابن القطاع قوله : يفنى الماء ، هي بنصب الماء لا برفعها : أى يتخذها فناء ؛ يقال فنىت المكان وبالمكان : إذا أمتت به . وإذن : فالفعلان - يشق ويفنى - للحوت . والضفدع .

(٣) المعتفی : السائل . عفاه . اعتفاه : أتاه سائلا ؛ والزعاق : المر . يريد أن يفضل المدوح على البحر . فالاستفهام إنكارى . يقول : ليس البحر الذى يضر من ورده بالغرق ، وهو مع ذلك مر الطعم لا يمكن شربه ، مثل بحر ينفع الواردين بالعطاء ولا يضرهم . فقوله : وينفع ، معطوف على « لا يضر » وقد نقد ابن جنى البيت قائلا : إن المعروف عندهم أن ينسب المدوح إلى النفع لأوليائه والضر لأعدائه ، كما قالوا :

وَلَكِنْ فَتَى الْفَتِيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى لَضَرَ عَدُوٍّ أَوْ لَنْفَعِ صَدِيقٍ
وقالوا :

إذا أنت لم تنفع فضرّ فإنما يُرَجَى الْفَتَى كَمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
ولكن فاته أن المتنبي أراد كبحر لا يضر المعتفين ، فلا ينافى ذلك أنه يضر الأعداء .
(٤) الغور : المنتهى والقعر ؛ وضميره : للبحر : والتيار : الموج . والمصقع : الفصيح البليغ ، لأنه يأخذ في كل صقع من القول : والدقيق الفكر : الفهم الفطن الذى يدق يدق فكره وخاطره حين يفكر . يقول : إن المدوح بحر بعيد الغور لا يصل أحد

أَلَا أَيُّهَا الْقَيْلُ الْقَيْمُ بِمَنْبِجٍ وَهَمَّتْهُ فَوْقَ السَّمَائِينَ تُوَضِّعُ (١)
أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ وَصَفَكَ مُعْجِزٌ وَأَنْ ظُنُونِي فِي مَعَالِيكَ تَطْلَعُ (٢)
وَأَنَّكَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرِكَ فِيكُمْ
عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ (٣)

إلى قعره فتيه في صفاته الواصفون . ولا يبلغون نهايته ولا يستطيعون وصفه مهما علت منزلتهم من البلاغة . هذا : وقد قال العكبري : الرواية الصحيحة في الدقيق : بلام التعريف ، وهو حسن في الإضافة : كالجميل الوجه ، والطويل الذيل : لأن الدقيق : نعت لمخدوف . تقديره : يتيه الرجل الدقيق الفكر . ألا تراه يقول : وهو مصقع ، وهو نعت للرجل ؟ ومن رواه دقيق الفكر : جملة نعتاً للفكر ، تقديره : يتيه الدقيق من الأفكار : والأول أبلغ في المعنى .

(١) القيل — في الأصل — الملك من ملوك حمير : ومنبج : بلد بالشام :
والسما كان : نجان ، وهما السماك الرامح والسماك الأعزل : والإيضاع : السير السريع ،
من أوضعت الناقة : إذا أسرعت وهذا من قول العطوي :

إن كنت أصبحت لابساً سَمَلًا فَهَمَّتِي فَوْقَ هَامَةِ الْمَلِكِ
وللتوخى :

وَأَنْفُسُ مَسْكِنُهَا مَا بَيْنَنَا وَهَمَّهَا فَوْقَ السَّمَائِ وَالشَّهَى

(٢) ظلعت الناقة : عرجت من يدها أو رجلها . يقول : أليس من العجب أنى مع جودة خاطري وبلاغة كلامي أعجز عن وصفك ولا تبلغ ظنوني معاليك فلا أدركها لوفرتها ؟ ! .

(٣) وصدرك — بالرفع — استئناف . والضمير — من فيكما — للدوح والثوب . يقول : أليس عجباً أن صدرك على أنه أوسع من الأرض — قد اشتمل عليك ثوب وهو — الصدر — فيك وفي الثوب قد اشتملتا عليه . ومثله لابن الرومي :

كضمير القواد يلتهم الدنيا وتحويه دفنا حيزوم

ولأبي تمام :

ورحب صدر لو ان الأرض واسعة

كوسعها لم تضيق عن أهلها بلد

وَقَلْبِكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلْتَ بِنَا
وَبِالْجَنِّ فِيهِ مَا دَرَّتْ كَيْفَ تَرْجِعُ (١)
أَلَا كُلُّ سَمَحٍ غَيْرِكَ الْيَوْمَ بَاطِلٌ * * *
وَكُلُّ مَدِيحٍ فِي سِوَاكَ مُضَيِّعٌ (٢)

وقال في صباه على لسان من سأله ذلك :

شَوْقِي إِلَيْكَ نَفِي لَدَيْدَ هُجُوعِي فَارْقَتَنِي فَأَقَامَ بَيْنَ ضُلُوعِي (٣)
أَوْ مَا وَجَدْتُمْ فِي الصَّرَاةِ مُلُوحَةً مِمَّا أُرْقِرُقُ فِي الْفِرَاتِ دُمُوعِي (٤)
مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِدًا حَتَّى أَعْتَدَى أَسْفَى عَلَى التَّوَدِيْعِ (٥)
رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحَالَتِي فَكَأَنَّهَا أَنْدَعَتْهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْبِيْعِ (٦)

* * *

(١) يقول : أو ليس عجيباً أن قلبك قد أحاطت به الدنيا وهو من السعة بحيث لو دخلت الدنيا بمن فيها من الإنس والجن فيه لزلت وما اهتدت للرجوع ؟!
(٢) السمع : الذي يسمح بماله . يقول : كل جواد سواك باطل — أى بالإضافة إليك — وكل مدح مدح به غيرك مضيع لأنه ليس فيمن يستحقه : وهو من قول ابن الرومي :

وكلُّ مَدِيحٍ لَمْ يَكُنْ فِي ابْنِ صَاعِدٍ وَلَا فِي أَبِيهِ صَاعِدٍ فَهُوَ هَابِطٌ
وقوله غيرك : هو منصوب ، لأنه تقدم على المستثنى ، كقول الكمي :

فمالي إلا آل أحمد شبيمةٌ ومالي إلا مذهب الحق مذهبٌ

(٣) المهجوع : النوم . وأقام : أى الشوق .

(٤) الصرارة : نهر يأخذ من الفرات فينسكب في دجلة ماراً بالموصل ، وكان حبيبه على جانب الصرارة . هذا : ورقرق الدمع : صبه . وما — من قوله مما أرقرق — مصدرية . يقول : أو ما وجدتم طعام ملوحة من دموعي في مائكم لسكائي في الفرات ؟ وهم يقولون : إن دمع الحزن ملح ، ودمع الفرح حلو .

(٥) يقول كنت أحذر من وداعك خوف الفراق ، أما الآن وقد فارقتني فإني أشتاق إلى الوداع وأتأسف عليه ، لأنني لقيتك عند الوداع ، فبودى أن أودعك لألتاك . وقال ابن جني : كنت أكره الوداع ، فلما تطاول البين أسفت على التوديع ، لما يصحبه من النظر والشكوى والبث .

(٦) يقول : ارتحل العزاء — الصبر — عنى بارتحالي عنكم ، فكأن أنفاسي

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

مُكِّثَ الْقَطْرَ أَعْطَشَهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعَا^(١)
أَسْأَلُهَا عَنِ الْمَتَدِيرِ بِهَا فَلَا تَدْرِي وَلَا تُدْرِي دُمُوعَا^(٢)
حَلَّاهَا اللَّهُ إِلَّا مَا ضِيَّيَهَا زَمَانَ اللَّهِوِ وَأَخُودَ الشَّمُوعَا^(٣)

تبعث العزاء مشبعة له ، فهي صاعدة متصلة دأمة . قال ابن جنى : وقال برحلي أي مع ارتحالي . كما تقول سرت بمسرك : أي معك - أي فكما لا ترجع إلى أنفاسي لا يرجع إلى صبري . فغناه : ارتحل الصبر عنى بارتحالكم .

(١) الملت : الدائم المقيم . والقطر : المطر . وربوعاً : تمييز : أي من ربوع . والنقيع والنقع : المرابي . يقول : يا أيها السحاب الدائم المطر أعطش هذه الربوع . أي لا تسقها - وإن لا تعطشها فاسقها السم النقيع في الماء . وإنما دعا عليها لأنه لما وقف بها وسألها لم تجبه ، ولم تبك من رحل عنها ، قال ابن وكيع : لم يسبق أبا الطيب أحد في الدعاء على الديار بالسم ، ولو قال حجارة أو صواعق : لكان أشبه ، إلا أن جريراً قال بعد ما استأنف لها ذنباً :

سُقِّيتِ دَمَ الْحَيَّاتِ مَا بِالْزَائِرِ يُلِمُ فَيُعْطَى نَائِلًا أَنْ يَكَلِمَا

والعرب من عاداتها أن تدعو بالسقيا للديار ، كقول القائل :

يا منزلاً ضنَّ بالسلام سُقِّيتَ صَوْبًا مِنَ الْغَمَامِ

ما ترك المُنزَن منك إلا ما ترك السقم من عِظَامِي

(٢) للتدويرها : أي المتخذها داراً . ونذرى دموعاً . أي تلقها - من إذراء الحب للزرع . يريد تعليل مافي البيت السابق . يقول : إنما طلبت إلى السحاب أن يعطشها أو يسقها السم النقيع لأنني أسألتها عن أهلها أين ذهبوا ؟ فلا تدرى ذلك ولا تجيب ولا تساعدني على البكاء .

(٣) لحاه - في الأصل - قشره : من لحوت العود : إذا قشرته ، ثم صار يستعمل في الدعاء على الشيء : أي لعنه وقبحه : وزمان : بدل تفصيل من قوله ماضيها والحدود - بفتح الحاء - الجارية الناعمة ، وجمعها خود - بضم الحاء - والشموع : اللعوب الضحوك . قال الواحدي : قوله : إلا ماضيها استثناء من غير الجنس ، ويجوز أن يكون جنساً ، لأن زمان اللهو والحدود ربع الأنس ، فاستثنى ربع الأنس من ربع الأنس لاشتماله عليه ، فدعا على الدار إلا ما كان له بها من زمن الأنس ووصل الحدود . قال ابن وكيع : ماضيها يوجبان لها الدعاء بالسقيا كقول البحترى :

مُسَمَّةٌ مُنْعَمَةٌ رَدَاحٌ يُكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَّيْرَ الوُقُوعاً^(١)
تُرْفَعُ ثُوبَهَا الأَرْدَافُ عَنْهَا فَيَبْقَى مِنْ وَشَاحِيهَا شَسُوعاً^(٢)
إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا أَرْجَاجاً لَهُ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نَزُوعاً^(٣)

فإذا ما السحاب كان رُكَّاماً فَسَقَى بِالرَّبَابِ دَارَ الرَّبَابِ

(١) امرأة رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك ، وكذلك ناقة رداح وكبش رداح : ضخمة الألية ، ودوحة رداح : عظيمة : وجفنة رداح عظيمة قال أمية بن أبي الصلت :

إِلَى رُدْحٍ مِنَ الشَّيْزَى مِائَةً لِبَابِ البرِّ يُلْبِكُ بِالشَّهَادِ^(١)

وكتيبة رداح : ضخمة مملمة كثيرة الفرسان ثقيلة السير لكثرتها ، ثم وصفها بحسن اللفظ وعدوبة الكلام . يقول : إذا سمعت الطير لفظها وقعت وسقطت لحسنه ، ومثل هذا قول كثير :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتْنِي بِقَوْلٍ يَحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأَبَاطِحِ^(٢)
وَقَالَ أَيْضاً :

بِعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَوْ رَقَرْتَهُمَا لِنُوءِ الثَّرْيَا لِاسْتَهْلَ سَحَابُهَا
وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ فِي مَقْصُورَتِهِ :

لَوْ نَاجَتِ الأَعْصَمَ لِانْحَلَّ لَهَا طُوعَ القِيَادِ مِنْ شِمَارِيخِ الذَّرَا
(٢) أراد بالوشاحين : قلاطين تتوشح بهما المرأة ترسل إحداها على جنبها الأيمن والأخرى على الأيسر . والشسوع : البعيد : يقول : إن أرادفها عظيمة شاحصة عن بدنها ترفع ثوبها وتمنعه عن أن يلاصق جسدها حتى يكون بعيداً عما توشحت به من القلاطد : وهذا من قول بعض الكلابيين :

أَبَتِ الغَلَائِلُ أَنْ تَمَسَّ إِذَا مَشَتْ مِنْهَا البَطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهْرَهَا
(٣) ماست : مشت متبخثرة . والضمير في له : للثوب . ونزوعاً : صفة لارجاجا . يقول : إذا ماست رأيت لروادفها اضطراباً وحركة يكادان يزعان ثوبها عنها لولا أن سواعدها تمسك عليها ثوبها لدخولها في الكمين . وفيه نظر إلى قول الآخر :

(١) يقال للجفان التي تسوى من شجرة الشيزى : شيزى . قال الجوهري : الشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع .

(٢) العصم : جمع الأعصم ، وهو الوعل .

تَأَلَّمُ دَرَزَهُ وَالْدَرَزُ لَيْنٌ كَمَا تَتَأَلَّمُ الْعَضْبَ الصَّدِيعَا (١)
ذِرَاعَاهَا عَدْوًا دُمَلَجِيهَا يَظُنُّ ضَجِيعَهَا الزَّئِدَ الضَّجِيعَا (٢)
كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطَّلُوعَا (٣)

لولا التمنطق والسوار معاً والحجل والدملوج في العضد
لتزايلت من كل ناحية لكن جعلن لها على عمد

(١) الدرز : موضع الخياطة من الثوب : والعضب : السيف ، والصنيع الحكم : الصقال والصنعة. يصف نعومة بدنها وأنها تتوجع إذا أصابها موضع الخياطة من ثوبها مع لينه كما تتوجع من السيف . يقول : إن للدرز في بدنها تأثيراً كثيراً كالتوجع ، لازم ، يقال تألم به أوله — بحذف إحدى التائين — أى تتألم ، والتألم : كالتوجع ، لازم ، يقال تألم به أوله أو منه ، وعدها ههنا : ضرورة . ومما يستظرف في هذا الباب ما رووا أن سابور لما حضر صاحب الحصن بعثت بنت صاحب الحصن إليه — وكانت من أجمل النساء — إن عاهدتني أنك تزوج بي أسامت إليك المفاتيح ، فعاهدها على ذلك ، فسكر أبوها ليلة ونام ، فدفعت المفاتيح إلى سابور ، فأخذ المدينة وتزوج بها ، فبينما هي معه ذات ليلة على فراش الحرير تألمت وتوجعت وقلقت ، فدعا بالشمع ونظر إلى مضجعيها ، فرأى ورقة ورد على الفراش قد نالت جسمها فأثرت فيه فقلقت لذلك ، فقال لها : ما كان يغذيك به أبوك ؟ فقالت له : لب البر بالعسل والحجر ، فقال : وكان جزاؤه منك ما جازيته ! فأخذها وشد ضفائرها إلى أذنان الخيل ولم يزل يطرد الخيل حتى قطعها أرباً أرباً .

(٢) يقول : إن دملجها يضيقان عن ذراعها ، فهما ممتثلان بهما يكادان لذلك يفصانهما ويكسرانهما ، وإذا ضاجعها إنسان ظن أن زندها لسمنه هو ضجيعه ، لاهى .

(٣) شبه النقب على وجهها : بالغيم الرقيق ، ووجهها : بالبدر . يقول : سترت وجهها بالنقب فأضاء بضوء وجهها تحته كما يضيء الغيم الرقيق بضوء البدر . فقوله يضيء : لازم ، لا يتعدى ؛ والبدر : مفعول أول لمنعه ؛ والطلوع : مفعول ثان . وقد إلى هذا المعنى عبد الله بن المدينة ، قال :

مُبْرَقَةٌ كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابَةٍ وَكَالْبَدْرِ فِي جَنَحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ
وقال بشار :

بدالك ضوء ما احتجبت عليه بدو الشمس من خلل الغمام

أَقُولُ لَهَا أَكْشَفِي ضُرِّي وَقَوْلِي بَأْ كَثَرٍ مِنْ تَدَلُّهَا خُضُوعًا (١)
أَخَفَتِ اللَّهَ فِي إِحْيَاءِ نَفْسِي مَتَى عَصِيَ الْإِلَهِ بِأَنْ أُطِيعًا (٢)
غَدَا بِكَ كُلُّ خَلْوٍ مُسْتَهَامًا وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتَوْرٍ خَلِيعًا (٣)
أُحِبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٍ ثَمِيرًا وَأَبْنُ إِبْرَاهِيمَ رَيْعًا (٤)
بَعِيدُ الصَّيْتِ مُنْبَثُّ السَّرَايَا يُشَيِّبُ ذِكْرُهُ الطِّفْلَ الرَضِيعًا (٥)
يَغْضُ الطَّرْفَ مِنْ مَكْرٍ وَدَهْيٍ كَأَنَّ بِهِ وَلَيْسَ بِهِ خُشُوعًا (٦)

(١) قوله وقولي الخ ؛ أي أن خضوعي لها في قولي هذا أكثر من تدللها على كثرته قولي : مبتدأ . وبأكثر : خبر وخضوعا : تمييز .
(٢) يقول . إن إحياء النفس مما يتقرب به إلى الله ، وليس مما يخاف منه : يعني أنك إذا واصلتني كنت كأنك قد أحييتني ، وإحياء النفس طاعة لله ، والله سبحانه لا يعصى بالطاعة ، ومثله قول القائل :

ما حرامٌ إحياءُ نفسٍ ولكن قتلَ نفسٍ بغيرِ نفسٍ حرامٌ
(٣) الخلو : الخالي من الهوى . والمستهام : الذي يصيره الهوى هائما ذاهب اللب .
والخليع : الذي خلع العذار وترك الحياء وتهتك في الهوى ، قال ابن وكيع ، لوقال :
غدا بك كلُّ خلوٍ في اشتغال وأصبح كل ذى نسكٍ خليعا
لكان أحسن .

(٤) أو يقولوا : أي إلى أن يقولوا ، فحذف أن وأعملها ، وثمير : جبل بالحجاز معروف . وريع : أخيف . وابن إبراهيم : هو المدوح . علق زول حبه بما لا يمكن وجوده . يقول : لا أزال أحبك ، لأن العجيل لا يجره النمل ، والمدوح لا يرتاع ولا يروعه شيء . وهذا من حسن التخلص .

(٥) الصيت والصات : ذهاب الذكر الحسن بين الناس . والسرايا : جمع سرية ، الطائفة من الجيش . يقول : إنه كثير الغارات ، سراياه مبعوثه في الآفاق ، فإذا ذكر اسمه للطفل الرضيع شاب خوفا ورعباً .

(٦) الدهي والدهاء : النكر وجودة الرأي . والخشوع : الاستكانة والذل .
وخشوعا ؛ اسم كان . واسم ليس : ضمير الخشوع . والجملة : اعتراض . يقول : ينبغي مكره ودهاءه بغض الطرف كأن به خشوعا ، وليس به ذلك الخشوع ، والله قول ابن الرومي في هذا المعنى :

إِذَا اسْتَعْطَيْتَهُ مَا فِي يَدَيْهِ فَقَدَكَ سَأَلْتَ عَنْ سِرِّ مُذِيعاً^(١)
قَبُولِكَ مِنْهُ مَنْ عَلَيْهِ وَإِلَّا يَبْتَدِيءُ يَرَهُ فِطِيعاً^(٢)
لَهُونِ الْمَالِ أَفْرَشَهُ أَدِيمًا وَلِلتَّفْرِيقِ يَكْرَهُ أَنْ يَضِيعاً^(٣)
إِذَا ضَرَبَ الْأَمِيرُ رِقَابَ قَوْمٍ فَمَا لِكِرَامَةِ مَدَّ النُّطُوعَا^(٤)
فَلَيْسَ بِوَاهِبٍ إِلَّا كَثِيرًا وَلَيْسَ بِقَاتِلٍ إِلَّا قَرِيبَا^(٥)

سأه وما تتقى في رأى سقطته داه وما ينطوى منه على ريب
فذهيه للدواهي الرشد يدمعها وسهوه عن عيوب الناس والغيب

(١) قدك : أى حسبك وكفاك ، وقوله مذيعا - أى مفشيا - مفعول سألت يقول :
إذا سألته جميع ماله كفاك ذلك السؤال كالرجل المذيع للأسرار إذا سألته عن سر
أفشاه ولم يكتمه . كذلك هو يعطيك ما يملكه ولا يرضن به لأريحته .

(٢) المن : النعمة . يقول : لأريحته واستلذاذه العطاء يعد قبولك عطاءه منة -
نعمة - مننت بها عليه ، وإن لم يبتدىء بالعطاء قبل السؤال رأى ذلك أمراً منكراً
قيحاً . ومثله لأبى تمام :

يُعْطَى وَيَشْكُرُ مَنْ يَأْتِيهِ يَسْأَلُهُ فَشَكَرَهُ عَوْضٌ وَمَالُهُ هَدَرٌ

(٣) قالوا : إن الممدوح كان قد حمل إليه مال مجبي ، فأمر أن يفرش له أديم -
جلد - وي طرح عليه فاعتذر له التنبى وقال : إنه لم يفعل ذلك لكرامة المال عليه وإنما لهونه -
أى هوانه - لأنه يريد أن يفرقه على القصاد والشعراء وهو لم يفعل هذا ليحفظه من
الضياع ويدخره في خزائنه ، ولكن ليفرقه على السؤال . وقد مثل لهذا بالبيت التالى ،
وهذا قريب من قول على بن الجهم :

وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا لِبُدْمَا كَمَا لَا يَسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ

(٤) النطوع : كالأنطاع ، جمع نطع ، وهو الجلد الذى يبسط تحت من يراد قتله .
يقول : ليس بسط النطوع لضرب الرقاب كرامة ، وإنما ذلك ليصان المجلس عن تلطيخه
بالدم ، فكذلك بسطه النطع - الجلد - للمال ليس ذلك كرامة للمال وادخاراً له وإنما
لتفريقه وإتلافه .

(٥) القريع - فى الأصل - الفحل الكريم ؛ سمي بذلك لأنه يقرع الإبل ؛

وَلَيْسَ مُؤَدِّبًا إِلَّا بِنِصْلِ كَفَى الصَّمَامَةَ التَّعَبَ الْقَطِيعًا (١)
 عَلِيٌّ لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ مَجِيءِ مُبَارِزِهِ وَيَمْنَعُهُ الرَّجُوعَا (٢)
 عَلِيٌّ قَاتِلُ الْبَطْلِ الْمَفْدَى وَمُبْدِلُهُ مِنَ الزَّرْدِ النَّجِيعَا (٣)
 إِذَا اعْوَجَّ الْقَنَا فِي حَامِلِيهِ وَجَارَ إِلَى ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا (٤)
 وَنَالَتْ ثَارَهَا الْأَكْبَادُ مِنْهُ فَأَوْلَتْهُ انْدِقَاقًا أَوْ صُدُوعَا (٥)

والمراد به هنا : السيد الشريف . يصفه بأنه غاية في كرم النفس وعلو الهمة فهو لا يهب إلا المسال الكثير ، ولا يقتل إلا الشريف العظيم ؛ ولعله من قول مسلم بن الوليد :
 حَدَارٍ مِنْ أَسَدٍ ضِرْغَامَةٍ شَرِيسٍ لَا يُؤَلِّغُ السِّيفَ إِلَّا هَامَةَ الْبَطْلِ
 وبيت المتنبي أشمل ، لأنه ذكر الكرم والهمة .

(١) النصل : شفرة السيف ، والصمصامة : السيف الذي لا ينثنى ، والقطيع : السوط الذي يقطع من جلد البعير . يصف شدته على المذنبين وأهل الريب يقول : أقام سيفه مقام سوطه في التأديب ، فأغنى السيف السوط عن التعب .
 (٢) يقول : إن علياً - وهو اسم المدوح - لا يمنع أحداً يأتي لمبارزته في الحرب ، ولكن يمنع من بارزه أن يرجع سالماً ، لأنه لا يكون إلا قتيلاً أو أسيراً
 (٣) المفدى : الذي يقول له الناس فدتك نفوسنا ، لما يرون من شجاعته وشدة بأسه ، والزرد : حلق الدرع ، والنجيع : الدم الطرى . يقول : يسلب البطل المفدى درعه ويكسوه بدله دماً ، أى أنه يخضبه بدمه حتى يصير عليه الدم درعا مكان الدرع .
 (٤) جواب إذا : قوله الآتى خذ . واعوج : يعنى انحنى والتوى ، لأن الرمح إذا طعن به اعوج والتوى . وقوله فى حاملية : يعنى أهل الحرب الذين حملوا الرماح إلى الحرب . وقوله وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا : أى نفذ من هذه إلى هذه كأنه شق الضلع من الجانبين قال الواحدى : قال المتنبي : كنت قلت :

* وَأَشْبَهَ فِي ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا *

ثم أنشدت بيتاً لبعض المولدين يشبهه فرغبت عنه ، يعنى بيت البحترى :
 فِي مَازِقِ ضَنْكٍ تُخَالُ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنِينَ ضُلُوعَا
 (٥) منه : أى من القنا ؛ وأولته : أنالته ، والصدوع : الشقوق ، جمع صدع .

فَجِدْ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ وَإِنْ كُنْتَ أَخْبَعْتِنَا الشَّحِيمَا (١)
 إِنْ اسْتَجْرَاتَ تَرْمُقُهُ بَعِيدًا فَأَنْتَ اسْطَعْتَ شَيْئًا مَا اسْتَطِيعَا (٢)
 وَإِنْ مَارَيْتَنِي فَأَرْكَبْ حِصَانًا وَمَثَلُهُ تَخَرَّ لَهُ صَرِيعًا (٣)
 غَمَامٌ رُبَّمَا مَطَرَ انْتِقَامًا فَأَقْحَطَ وَدَفَعُ الْبَلَدَ الْمَرِيعَا (٤)
 رَأَى بَعْدَ مَا قَطَعَ الْمَطَايَا تَيْمَمَهُ وَقَطَعَتِ الْقُطُوعَا (٥)

يقول: واندقت الرماح - انكسرت - وتصدعت في الأكباد لشدة الطعن فكأن الأكباد أدركت بذلك منها ثأراً .

(١) هذا جواب: إذا عوج القنا، والتقدير: إذا عوج القنا وجاز الضلوع إلى ضلوعهم ونالت ثأرها الأكباد منه: فخد عنه، والخبعنة: من أسماء الأسد، ويقال للنمر - والشجيع: الشجاع. يقول: إذا كان كذلك والتقى الجمعان فخد - أى مل وتباعده عنه - وإن كنت شجاعاً قوى القلب كالأسد، وإلا هلكت .

(٢) قال ابن جني: استجراً الرجل بمعنى جرؤ، أى صار جريئاً، وترمقه أى أن ترمقه، فخد ورفع الفعل. يقول: إن قدرت على النظر إليه في الحرب من بعيد فقد قدرت على شيء عظيم لم يقدر عليه أحد، وهذا من قول أبي تمام:

أما إذا عشتَ يوماً بعد رؤيته فاذهب فإنك أنت الفارس النجيدُ
 (٣) يقول: إن جادلتني ولا ججتني في قولي هذا فاركب فرساً وصوره في نفسك كأنك تحاربه، فإنك إذا فعلت ذلك سقطت على الأرض صريعاً قبل أن تلاقيه لهيبته وخوفك منه .

(٤) الودق: المطر؛ والريع المرع: أى المخصب. يقول: هو غمام يمطر النعم فيحيي بها البلاد ولكن الغمام قد يكون فيه صواعق مهلكة وبرد وأحجار، كذلك هو ربما أمطر نعمة على الأعداء، فصير مطره البلد المريع قحطاً مجدباً لما يلزم به من الدمار .
 (٥) القطوع: جمع القطع، وهو الطنفسة تحت الرحل تغطي كتفي البعير. يقول:

رأى بعد ما طال سفرى حتى قطع تيممه - أى قصدي إياه - مطاياى - إيلى -
 أى أنضاه وأعجزها عن السير، وقطعت الإبل ما عليها من الطنافس: أى أبلتها بكثرة السير وطول المسافة .

فَصَيَّرَ سَيْلُهُ بَلَدِي غَدِيرًا وَصَيَّرَ خَيْرُهُ سَنَتِي رَبِيعًا^(١)
وَجَاوَدَنِي بَأَن يَعْطِي وَأُحْوِي فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخَذِي سَرِيعًا^(٢)
أُمْنِسِي الشُّكُونَ وَحَضْرَمَوْتَا وَوَالِدِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيْعَا^(٣)

(١) الغدير : القطعة من السيل يغادرها المطر . يقول : أعطاني حتى ملأني بالعباء كما يملأ السيل الغدير ، وأصلح دهرى حتى صار كالربيع فصل الحصب والأمطار . وقد نما في هذا منحى ابن الرومي في قوله .

فَضِيفَهُ فِي رَبِيعٍ طَوَّلَ مُدَّتِهِ وَجَارَهُ كُلَّ حِينٍ مِنْهُ فِي رَجَبٍ
وابن هفان في قوله .

لِرَبِيعِ الزَّمَانِ فِي الْحَوْلِ وَقْتُهِ وَأَبْنُ يُحْيِي فِي كُلِّ وَقْتٍ رَبِيعٌ
وكذلك البحترى :

فَكَمْ لَيْسَتْ الْخَفْضَ فِي ظِلِّهِ عُمْرِي شَبَابٌ وَزَمَانِي رَبِيعٌ
(٢) جعل الأخذ منه جوداً عليه كما في قوله :

* قَبُولُكَ مِنْهُ مِنِّْي عَلَيْهِ *

يقول : جاودني ، أى غالبني في الجود ، فكان يجود على بالعباء وأنا أجود عليه بالأخذ فغلبني ؛ إذ لم أتمكن من استيعاب كل ما يعطينه لتوافره حتى طفح عطاؤه على أخذى فأغرقه : أى كان في الإعطاء أسرع مني في الأخذ .

(٣) هذه أسماء أماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها . يقول : إن إحسانه ألهاه عن بلده وأهله ، وهذا من قول البحترى :

جَفَوْتُ الشَّامَ مُرْتَبِعِي وَأَنْسِي وَعَلَوَةَ خَلَوْتِي وَهَوَى فَوَادِي
وَمِثْلُ نَدَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيبِي وَأَكْسَبَنِي سُؤْلًا عَنْ بِلَادِي
ومثله للراعي :

رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكَّرَ إِخْوَتِي وَمَأْلُكَ أَنْسَانِي بُوْهَبِينَ مَالِيَا^(١)

(١) وهبين : اسم موضع ، وجبل من جبال الدهناء .

قَدْ اسْتَقْصَيْتَ فِي سَلْبِ الْأَعَادِي فَرُدَّ لَهُمْ مِنَ السَّلْبِ الْهَجُوعًا^(١)
إِذَا مَا لَمْ تُسِرَّ جَيْشًا إِلَيْهِمْ أَسْرَتَ إِلَى قُلُوبِهِمُ الْهَلُوعًا^(٢)
رَضُوا بِكَ كَالرَّضَا بِالشَّيْبِ قَسْرًا وَقَدْ وَخَطَ النَّوَاصِي وَالْفُرُوعًا^(٣)
فَلَا عَزْلٌ وَأَنْتَ بِلَا سِلَاحٍ لِحَاظِكَ مَا تَكُونُ بِهِ مَنِيعًا^(٤)
لَوْ اسْتَبَدَلْتَ ذِهْنَكَ مِنْ حُسَامٍ قَدَدْتَ بِهِ الْمَغَافِرَ وَالذُّرُوعًا^(٥)

(١) استقصى في الأمر : بالغ ؛ والسلب الأول : - بسكون اللام - مصدر ؛ والثاني - بفتحها - الشئ المسلوب ؛ والهجوع : النوم . يقول : بالغت في سلب الأعداء فسلبتهم كل شيء حتى النوم ، فرد ذلك النوم عليهم فإنهم لا يجدون النوم خوفا منك .

(٢) الهلوع . الجرع والخوف الشديد . يقول : إذا لم تغزهم بجيشك غزوتهم بالخوف ، فهم لا يزالون خائفين منك جزعين ، وهذا قريب من قول أبي تمام :

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ

(٣) وخط الشيب الشعر : خالطه ؛ والنواصي : جمع ناصية : مقدم الرأس ؛ والفروع : جمع فرع : الشعر . يقول : إنهم صبروا على الدل لك كارهين كما يصبر المرء على الشيب إذا جلل رأسه .

(٤) العزل : مصدر الأعزل ، وهو الذي لا سلاح معه ؛ واللحاظ - بفتح اللام وبكسرهما - مؤخر العين ومنع الرجل يمنع مناعة : فهو منيع . والضمير في به : يعود إلى ما : أي لحاظك الشئ الذي تكون به منيعا . يقول : إذا كنت بلا سلاح قام لحاظك مقام السلاح ، لأنك إذا نظرت إلى عدوك قتلته هيبه لك ، فقام لحاظك مقام سلاحك فصرت به منيعا . وفي مثل هذا المعنى يقول الآخر :

لِحَظَاتٍ طَرَفِكَ فِي الْوَعْيِ تُغْنِيكَ عَنْ سَلِّ السِّيَوفِ
وَعَزِيمُ رَأْيِكَ فِي النَّهْيِ يَكْفِيكَ عَاقِبَةَ الصَّرُوفِ
وَسِيُولُ كَفِّكَ فِي الْوَرَى بَجَرٍّ يَفِيضُ عَلَى الضَّعِيفِ

(٥) المغافر : جمع مغفر : زرد ينسج من الدرع يوضع على رأس الفارس . يصفه هنا بالذكاء وحدة الذهن حتى لو أخذ ذهنه بدلا من السيف لقطع به المغافر والدروع على الأعداء .

لَوْ اسْتَفْرَغْتَ جُهْدَكَ فِي قِتَالِ أَتَيْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعًا (١)
سَمَوْتَ بِهَيْمَةٍ تَسْمُو فَتَسْمُو فَمَا تُلْفِي بِمَرْتَبَةٍ قَنُوعًا (٢)
وَهَبَكَ سَمَّحَتْ حَتَّى لَا جَوَادَ فَكَيْفَ عَاوَتْ حَتَّى لَا رَفِيعًا (٣)

(١) الجهد : الطاقة ، وأتيت على الدنيا : أى أهلكت من فيها جميعا .

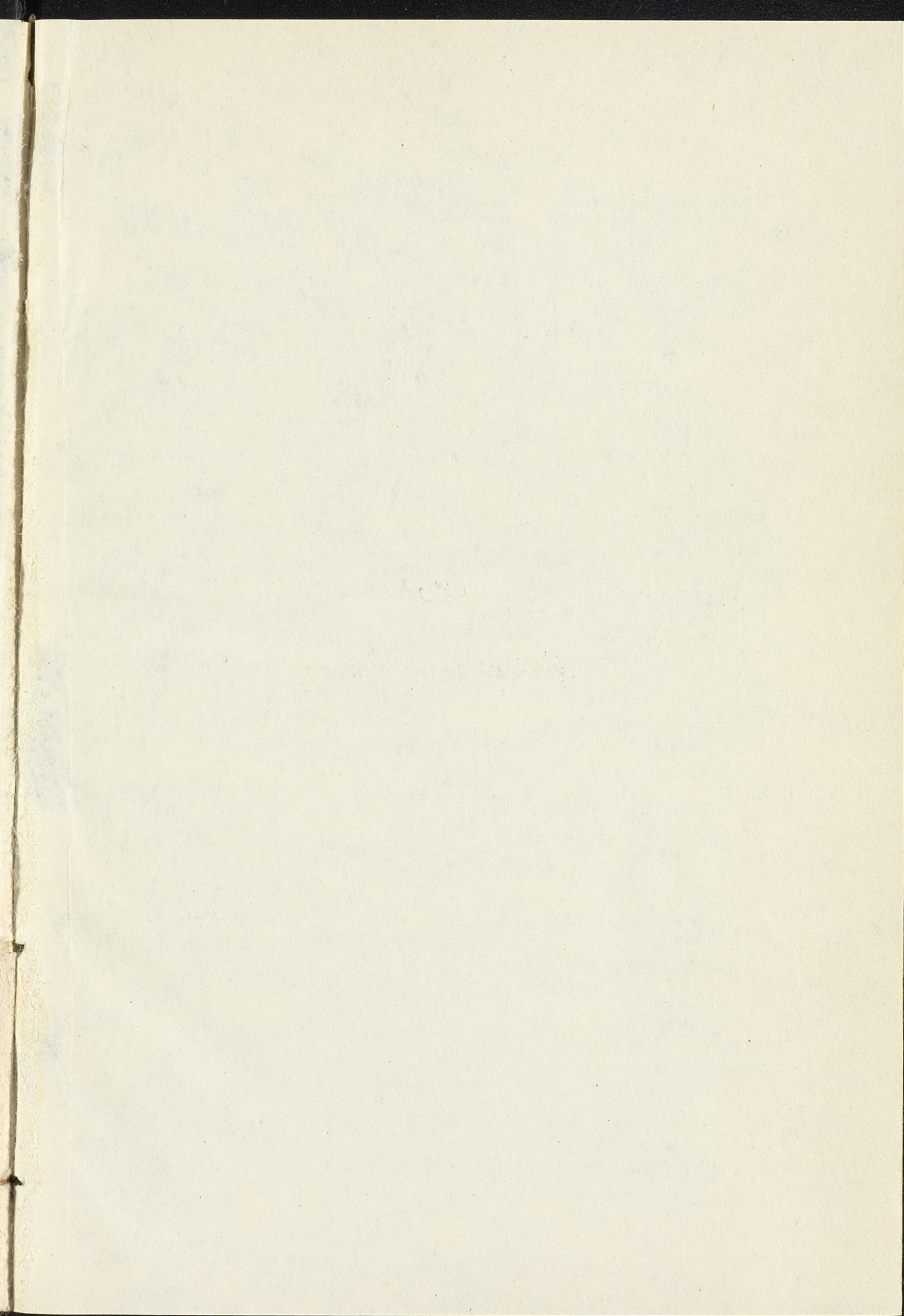
(٢) تلفي : توجد ؛ وقوله فتسمو : يجوز أن تكون خطابا للمدوح : أى كلما سميت همتك ازدادت علوا ، ويجوز أن تكون خبراً عن الهمة . يقول : سموت بهيمة ، وتلك الهمة تسمو بك أبدا فتسمو ولا تقنع بنيل مرتبة .

(٣) يقول : أحسب أن جودك محاسن الجواد عن الناس ، فكيف محاسن علاؤك اسم الرفيع عن كل شيء ؟ وجواد : مرفوع ، على أن لا : بمعنى ليس ، والألف - فى رفيعا - ليس بدلا عن التنوين ، لأن لا : تنصب النكرة بغير تنوين ، وإنما هى للوصل والإطلاق .

﴿ تم - بحمد الله - الجزء الثانى ؛ ويليه - إن شاء الله - الجزء الثالث ﴾

فهرس

قوافى الجزء الثانى من ديوان المتنبى



فهرس

قوافي الجزء الثاني من ديوان المتنبي

تابع قافية الدال

صفحة	مطلع القصيدة
٣	لكل امرئ من دهره ما تعودا ... في العدا
١٦	فارتكم فإذا ما كان عندكم ... يد
١٧	أهلا بدار سبائك أعيدها ... خردها
٣٨	كم قتيل كما قتلت شهيد ... الحدود
٤٩	أقصر فلست بزائد ودا ... الحدا
٥١	اليوم عهدكم فأين الموعد ... غد
٦٣	أيا خدد الله ورد الحدود ... القدود
٦٩	إن القوافي لم تنمك وإنما ... يوجد
٦٩	محمد بن زريق ما نرى أحداً ... يعدا
٧٠	ما الشوق مقتنعاً مني بهذا الكمد ... كبد
٧٤	أحد أم سداس في أحد ... بالتناد
٨٦	أحلمنا نرى أم زمانا جديدا ... أعيدا
٩١	يستعظمون أبياتا نأمت بها ... الأسدا
٩١	أقل فعالي بله أكثره مجد ... جد
١٠٢	أما الفراق فإنه ما أعهد ... يولد
١٠٣	لقد حازني وجد بمن حازه بعد ... وجد
١١٢	وزيارة عن غير موعد ... المسهد
١١٣	يامن رأيت الحليم وغدا ... عبدا
١١٣	أمن كل شيء بلغت المرادا ... العبادا
١١٤	وشامخ من الجبال أقود ... الأصيد
١١٦	ماذا الوداع وداع الوداع الكمد ... للجسد

صفحة

مطلع القصيدة

- ١١٧ وبنية من خيزران ضمنت . . . في يد
١١٨ وسوداء منظوم عليها لآلى . . . من الند
١١٨ أتتكر ما نطقت به بديها . . . الجواد
١١٩ أود من الأيام مالا توده . . . جنده
١٣١ حسم الصلح ما اشتته الأعدى . . . الحساد
١٣٩ عيد بأية حال عدت يا عيد . . . تجديد
١٤٨ جاء نيروزنا وأنت مراده . . . زناده
١٥٩ بكتب الأنام كتاب ورد . . . يد
١٦١ نسيت وما أنسى عتابا على الصد . . . الحد
١٧٣ أزار ياخيال أم عائد . . . راقد
١٨٢ وشاذن روح من يهواه في يده . . . مقلده

قافية الذال

- ١٨٥ أمساور أم قرن شمس هذا . . . الأستاذا

قافية الراء

- ١٩٠ سرحل حيث تحله النوار . . . المقدار
١٩٣ اخترت دهاءتين يامطر . . . الخير
١٩٤ رضاك رضاى الذى أوثر . . . أظهر
١٩٦ أرى ذلك القرب صار ازورارا . . . اختصارا
١٩٩ الصوم والفطر والأعياد والعصر . . . والقمر
٢٠١ ظلم لنا اليوم وصف قبل رؤيته . . . النظر
٢٠٢ طوال قنا تطاعنها قصار . . . بحار
٢١٧ بقية قوم آذنوا بيور . . . عقار
٢١٧ إذا لم تجد ما يبتقر الفقرا قاعداً . . . العمرأ
٢١٨ حاشى الرقيب نخانتته ضمأره . . . بوادره
٢٢٦ أريقك أم ماء الغامة أم خمر . . . جمر
٢٣١ إنى لأعلم واللبيب خير . . . غرور

صفحة

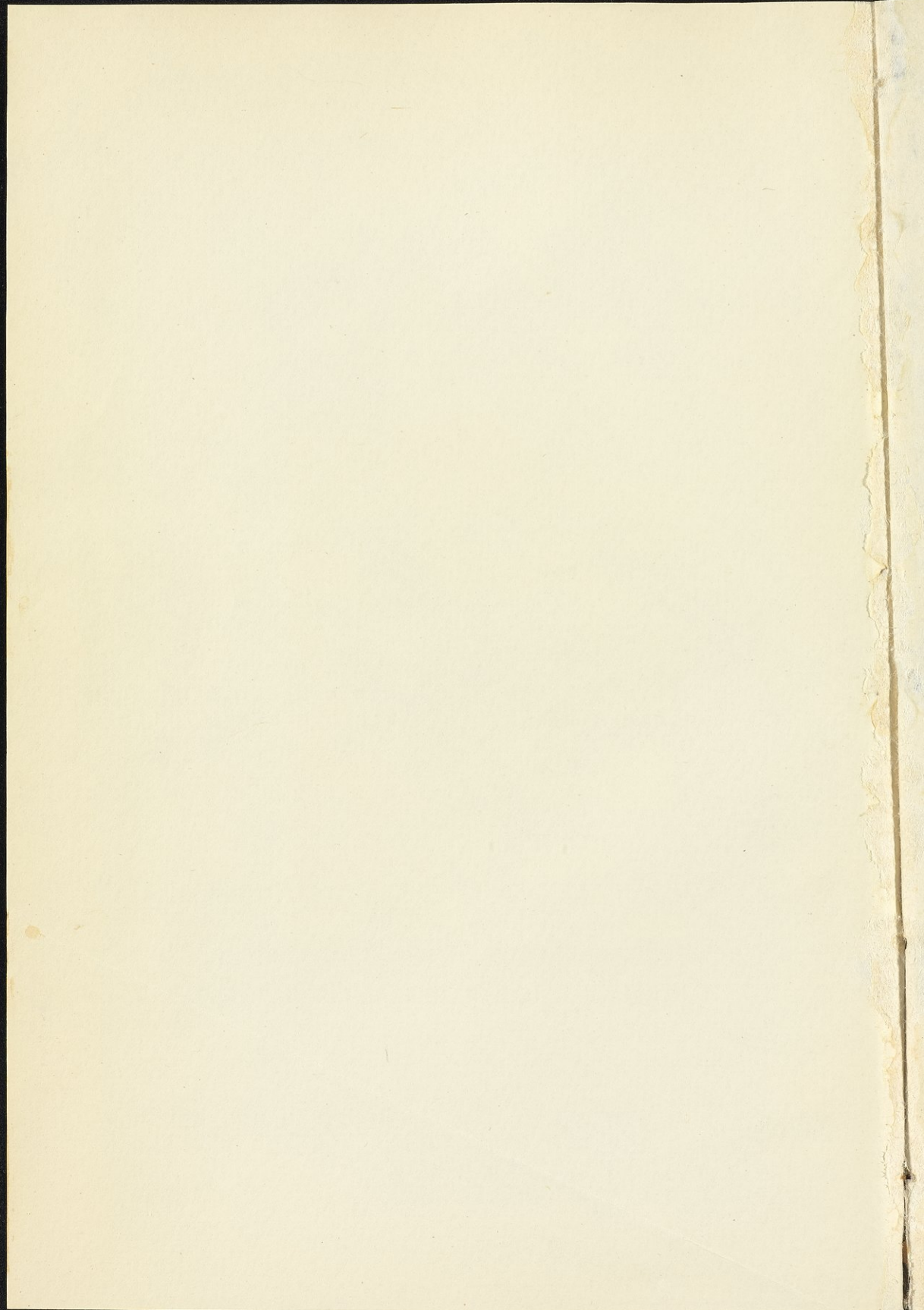
مطلع القصيدة

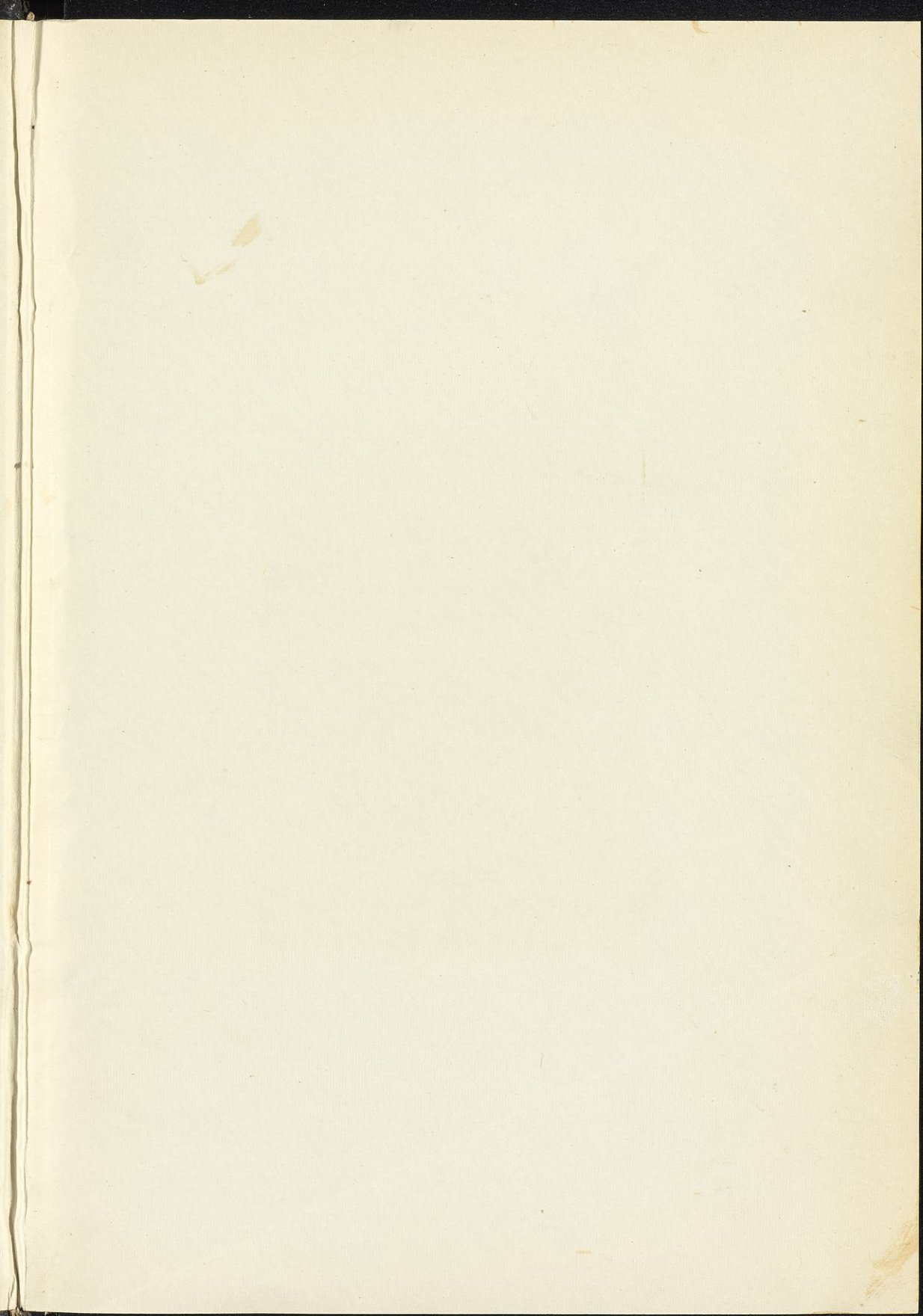
- ٢٣٥ غاضت أنامله وهن بحور معير
- ٢٣٨ ألال إبراهيم بعد محمد وزفير
- ٢٣٩ مرتك ابن إبراهيم صافية الحجر السكر
- ٢٤٠ أصبحت تأمر بالحجاب خلوة بقادر
- ٢٤١ نال الذي نلت منه مني الخمر
- ٢٤٢ وجارية شعرها شطرها أمرها
- ٢٤٣ إن الأمير أدام الله دولته مضر
- ٢٤٤ زعمت أنك تنفي الظن عن أدبي مقداراً
- ٢٤٤ براء جودك يطرد الفقر العمر
- ٢٤٥ لا تنكر رحيلي عنك في عجل مختار
- ٢٤٥ عذيري من عذارى من أمور الحدور
- ٢٤٩ ووقت وفي بالدهر لى عذ واحد كثيراً
- ٢٤٩ أنشر الكباء ووجه الأمير الخمر
- ٢٥٠ لا تلومن اليهودى على فلا ينكرها
- ٢٥٠ إنما أحفظ المديح بعيني فى الأمير
- ٢٥١ ترك مدحيك كالهجاء لنفسى الكثير
- ٢٥٢ بسيطة مهلا سقيت القطارا حيارى
- ٢٥٢ أطاعن خيلا من فوارسها الدهر الصبر
- ٢٦٤ بادهاوك صبرت أم لم تصبرا جرى
- قافية الزاى
- ٢٨١ كفرندى فرند سيفى الجراز للبراز
- قافية السين
- ٢٩٤ ألا إذن فما أذكرت ناس قاس
- ٢٩٤ أظبية الوحش لولا ظبية الأنس تعس
- ٣٠٠ ألك من اللدام الخندريس الكئوس
- ٣٠١ هذى برزت لنا فهجت رسيماً نسيماً
- ٣١١ يقل له القيام على الرؤوس النفوس



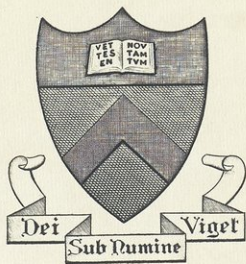
صفحة	مطلع القصيدة
٣١١	أنوك من عبد ومن عرسه . . . نفسه
٣١٤	أحب امرئ حبب الأتفس . . . معطس قافية الشين
٣١٦	ميتي من دمشق على فراش . . . حاش قافية الضاد
٣٢٦	فعلت بنا فعل السماء بأرضه . . . تقضه
٣٢٧	إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض . . . المحض
٣٢٧	مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي . . . الغمض قافية العين
٣٢٩	لا عدم الشيع المشيع . . . تصنع
٣٣٠	غيري بأكثر هذا الناس ينخدع . . . شجعوا
٣٤٤	حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا . . . أشيع
٣٥٦	شوقى إليك نفي لذيذ هجوى . . . ضلوعى
٣٥٧	ملث القطر أعطشها ربوعا . . . النقيعاً







Library of



Princeton University.

